

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190570

UNIVERSAL
LIBRARY

— الجزء الاول من كتاب —

أما إلى السيد المصطفى

الشریف أبی القاسم علی بن الطاهر أبی أحمد الحسین المتوفی سنة ٤٣٦ رضى الله عنه

﴿ فی التفسیر والحديث والادب ﴾

— الطبعة الاولى —

(سنة ١٣٦٥ هـ سنة ١٩٠٧ م)

(علی نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

— * * * * * —

« حقوق الطبع محفوظة »

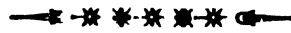
— * * * * * —

صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين)
قال السيد المرتضى علم الهدى ذو المجدين أبو القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب
أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق
ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم
وقدس الله أرواحهم



المجلد الأول ١

[تأويل آية] .. قال الله تعالى (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَدُوا فِيهَا) الآية .. في هذه الآية وجوه عدة من التأويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة
على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتأويلها عن وجهه وصرّفوه عن بابه .. أولها ان
الاهلاك قد يكون حسناً وقد يكون قبيحاً فإذا كان مستحقاً أو على سبيل الامتناع ان
كان حسناً وانما يكون قبيحاً اذا كان ظلماً فتعلق الارادة به لا يقتضى تعلّقها به على
الوجه القبيح ولا ظاهر الآية يقتضى ذلك واذا علمنا بالأدلة تنزيه القديم تعالى عن
القبايح علمنا ان الارادة لم تتعلق إلا بالاهلاك الحسن .. وقوله تعالى (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا)
المأمور به مخدوف وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق وان وقع بعده ويجرى
هذا مجرى قول القائل أمرته ففعل ودعوته فأبى والمراد إنني أمرته بالطاعة ودعوته
الى الاجابة والقبول .. ويمكن أن يقال على هذا الوجه ليس موضع الشبهة ما تكلمتم
عليه وانما موضعها أن يقال أي معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك مستحق

بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى اذا أردنا أمرنا لأن أمره بما يأمر به لا يحسن ارادته العقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك بمخالفة الأمر المذكور في الآية فهذا هو الذي يأبونه لأنه يقتضى انه تعالى يريد لاهلاك من لم يستحق ذلك العقاب . . والجواب عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله تعالى واذا أردنا أمرنا هو ان يكون الامر بالطاعة والايمان اعذاراً الى العصاة وانذاراً لهم وايجاباً واثباتاً للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوه واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار الوعظ والوعيد والانذار ممن يحق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد بصحة هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية (وما كنّا معذبين حتى نبعث رسولاً) . . والوجه الثاني في تأويل هذه الآية ان يكون قوله تعالى أمرنا مترفها من صفة القرية وصلتها ولا يكون جواباً لقوله تعالى واذا أردنا ويكون تقدير الكلام واذا أردنا أن نهلك قرية من صفها انا أمرنا مترفها ففسقوا فيها وتكون اذا علي هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهراً في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه . . ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة (حتى اذا جاؤا وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طينتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) ولم يأت لإذا جواب في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد أيضاً لصحة هذا الجواب قول الهندي

حَتَّى إِذَا سَلَكُوهُمْ فِي فِئْتَانَةٍ سَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرَدًا^(١)

خذف جواب اذا ولم يأت به لأن هذا البيت هو آخر القصيدة . . والوجه الثالث ان يكون ذكر الارادة في الآية مجازاً واتساعاً وتنبيهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم وانهم متى أمروا ففسقوا وخالفوا ويجرى ذكر الارادة هنا مجرى قولهم اذا

(١) - فئانة - نية أو عقبة أو كل نية فئانة - وسلاً - طرداً - وشرداً - جمع

شرود وشارد وهو النافر

أراد التاجر ان يفتقر أنه النوائب من كل وجهة وجاءه الخسران من كل جانب . . . وقولهم اذا أراد العليل ان يموت خلط في مأكله وتسرع الي كل ماتوق اليه نفسه ومعلوم ان التاجر لم يرد في الحقيقة شيئاً ولا العليل أيضاً لكن لما كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الارادة لهذا الوجه وكلام العرب وحي و اشارات واستعارات ومجازات ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة فان الكلام متى خلا من الاستعارات وجرى كله على الحقيقة كان بعيداً من الفصاحة برياً من البلاغة وكلام الله تعالى أفصح الكلام . . . والوجه الرابع ان تحمل الآية على للتقديم والتأخير فيكون تلخيصها اذا أمرنا متري قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب أردنا اهلاكم والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير ومما يمكن ان يكون شاهداً لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ والطهارة انما تجب قبل القيام الى الصلاة وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ وقيام الطائفة معه يجب ان يكون قبل اقامة الصلاة لان إقامتها هي الايمان بجميعها على الكمال أما قراءة من قرأ الآية بالتشديد فقال أمرنا وقرأ من قرأها بالمد والتخفيف فقال أمرنا فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها الا الوجه الاول فان معناه لا يلبق الا بان يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يستدعي به الى الفعل

[تأويل خبر] . . . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه : قال من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجزم : قال أبو عبيد القاسم بن سلام مفسراً لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث الاجزم المقطوع اليد واستشهد بقول المنتمس

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعٍ كَفَّهُ بِكَفِّ لَهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْزَمًا^(١)

وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبا عبيد في تأويله هذا الخبر . . . وقال الاجزم

(١) المنتمس هو عدى بن عبد المسيح وهو صاحب الصحيفة المشهورة التي يضرب بها المثل ورقيق طرفه الي عامل البحرين وقصتهما مشهورة وهذا البيت من قصيدة له تعد في

وان كان مقطوع اليد فان هذا المعنى لا يليق بهذا الموضع قال لأن العقوبات من الله لا تكون الا وفقا للذنوب وبحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها واستشهد بقوله تعالى (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) وزعم ان تأويل الآية أن الربا اذا أكلوه نقل في بطونهم وربما في أجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام من يتخبطه الشيطان تعثراً وتخبلاً واستشهد أيضاً بما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله رأيت ليلة أسرى بي قوما تقرض شفاههم وكلما قرضت وقيت فقلت يا جبريل من هؤلاء فقال لي جبريل هؤلاء خطباء أمثك تقرض شفاههم لانهم يقولون مالا يفعلون . . قال والاجذم في الخبر انما هو المجذوم وانما جازان يسمى المجذوم أجذم لأن الجذام يقطع أعضائه ويشذبها والجذم القلع . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وقد أخطأ الرجلان جميعاً وذها عن العيوب ذهاباً بعيداً وان كان غلط ابن قتيبة أخش وأقبح لأنه علل غلطه فأخرجه الى أغاليط كثيرة ونحن نين معنى الخبر ثم نتكلم على ما أورده . . أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها وإنما أراد عليه الصلاة والسلام بقوله يحشر أجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل الى كثير من المنافع الا بها ففادها يفقد ما كان عليه من الكمال وتفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى تناولها وهذه حال ناسي القرآن ومضيعه بعد حفظه لأنه يفقد ما كان لا بساً له من الجمال ومستحقاً له

جيد شعر العرب وبعده

يداه أصابت هذه حتف هذه	فلم نجد الأخرى عليها مقدما
فلما استفاد الكف بالكف لم يجد	له دركا في أن تبينا فأحجما
فأطرق أطراق الشجاع ولورأى	مساغاً لناباه الشجاع لصمما
لذي الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا	وما علم الانسان الا ليعلم

وقوله لناباه جعله بالالف وتلك طريقة لهم في الزام المثني الالف في حالته الثلاث

من الثواب وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه
فلان بعد فلان أجدع وقد بقي بعده أجذم وقال الفرزدق يرثي مالك بن مسمع

تَضَعُضَعُ طَوْدًا وَائِلٍ بَعْدَ مَالِكٍ وَأَصْبَحَ مِنْهَا مَعْطِيسُ الْعِزِّ أَجْدَعًا

وانما أراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن في كلامها واشارات الى الأغراض
وتلوحيات بالمعاني متى لم يفهمها ويتسرع الى الفطنة لها من تعاطي تفسير كلامهم وتأويل
خطابهم كان ظالماً نفسه متعدياً طوره ونعود الى الكلام على ما ذكره الرجلان . . أما
أبو عبيد فان خطأه من حيث لم يفتن للغرض من الخبر فضل عن وجهه والافالاجذم
هو الاقطع لاحالة كما قال الا انه لا يليق بهذا الموضع فاذا حمل عليه لم يقد شيئاً فان كانت
شبهته التي أوقعته في ذلك طئه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة على نسيان القرآن
فليس كما ظن لأن الجذم أولاً ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجزم أولياءه والصالحين من
عباده ويقطع أعضائهم بالامراض وقد ابتدأ خلق من هو ناقص الاعضاء فليس يلزم
في الجذم ان يكون عقوبة ثم لو كان يستحق ناسي القرآن عقوبة على نسيانه لكان حفظ
القرآن بأسره فرضاً واجباً وحتماً لازماً لان العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب
وليس حفظ جميع القرآن كذلك . . وأما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفتن للوجه
في الخبر الذي ذكرناه ومن حيث ضن ان العقوبة لا تكون الا في محل الدنب وهذا
القول يوجب عليه أن لا يجلد ظهر الزاني وتختص العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان
يجب أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عايه لانا نعلم
ان اللسان أقوى حفظاً في باب الكلام من الشفة فلم يخص بالعقوبة وحلت بالشفاه دونه
. . ثم غاماه في تأويل الآية التي أوردها أقبح من كل ما تقدم لانه توهم انما تضمنته
الآية من تحبط آكل الربا ونعزله في القيام انما هو في الدنيا من حيث يشغل ما أكله في
معدته فيمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك ونجد كثيراً من آكل الربا
أخف نهوضاً وأسرع قياماً وتصرفاً من غيرهم ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في الآية هو
ما ذكره المسرون من ان ما وصفهم الله به يكون عند قيامهم من قبورهم فيأحقهم العثار

والزال والنخبيل على سبيل العقوبة لهم وليكون ذلك أيضاً أمانة لمن يعاقبهم من الملائكة والخزنة على الفرق بين الولي والمدوّ ومستحق الجنة ومستحق النار وليس بمعروف ولا ظاهر ان الأجذم هو المجذوم .. ورد ابن قتيبة معناه واشتقاقه الى الجذم الذي هو القطع بوجوب عليه أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق الأوصال كالجرى والأكلة وغيرهما يسمى جذماً ويسمى من كان عليه أجذم وهذا باطل .. وأما قول الشاعر حيث يقول

وَحَرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَادِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْذَمًا

فليس هو من هذا الباب بل هو من الاجذام الذي هو الاسراع فكأنه قال لما اضطربت أسرع عني وتباعد مني ^(١) والاجذام بالذل المعجمة والدال غير المعجمة جمعا الاسراع .. وأما قول عنتره في وصف الذباب

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعُهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكْبِ عَلَى الزِّ نَادِ الْأَجْذَمِ

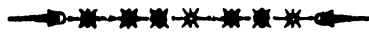
فهو من هذا الباب لأن الأجذم من صفة المكب لا من صفة الزناد فكأنه قال قدح المكب الأجذم وهو من أحسن التشبيه وأوقعه

[مسألة ^(٢)] كان بعض المشايخ المتقدمين يقول ليس بممتنع أن يمكن الله تعالى من الظلم من يعلم من حاه أنه يريد القيامة غير مستحق لشيء من الأعواض أو لما يوازي القدر المستحق عليه منها فإذا أراد الانتصاف منه تفضل عليه بما ينقله الى مستحق العوض ويقول ليس هذا ببعيد ولا مستحيل لأن العوض ليس بخنص بصفة تمنع من التفضل بمثله ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمعتق من مذاهب الشيوخ وهو الصحيح ان الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما تفضل به لأن الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلى بين

(١) و يروى البيت (حتى اذا اضطربت أحجما) أى نكص وتأخر وحاصل المعنى على الروايتين واحد

(٢) ما ذكر في هذه المسألة مبني على القول بالعدل ووجوب الأصابع على الله تعالى وهي مقالة للمعتزلة ومنهم المؤلف وأهل السنة يخالفونهم فيها فلا تغتر بما تراه هنا وكن منه على حذر

عباده وبين الظلم فلا يجوز أن يتعاق إلا بأمر واجب والتفضل لفاعله أن لا يفعله فتؤول الحال الى تعذر الانتصاف .. وقالوا من يعلم الله انه يرد القيامة ولا أعوض له يمنعه من الظلم ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجوزون أن يمكن من الظلم من يكون في الحال غير مستحق للعوض أو غير مستحق للقدر الذي يوازي الظلم من العوض بعد أن يكون المعلوم من حاله انه يرد القيامة وقد يستحق من الأَعْوَاض ما يوازي ما عليه منها .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وهذا القول يعنى تجويز تمكين الظالم من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي أبطلنا بها قول من أجاز الانتصاف بالتفضل لأننا نعلم ان تبقية المكاف لا تجب وللقديم تعالى أن لا يفعلها فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن لأن الله تعالى يعلم انه يبقيه فيستحق أعواضاً لأن عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فأجيزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم الله انه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا علم الله بانه يتفضل لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب قيل لهم وعلم الله بانه يبقى من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج التبقية عن أن تكون غير واجبة فاستوى الأمران والصحيح أن يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم الكلام ويترد



مجلس آخر ٢

[تأويل آية] .. قال الله تعالى (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) .. وقد ظن قوم من غفلة الملحدة وجها لهم أن الجواب عما سئل عنه في هذه الآية لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) تبكى وتقرع لم يقم موقفهما وانما هو على سبيل المحاجزة والمدافعة عن الجواب .. وفي هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه وتدل

على ما جهلوه . . أولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى لهم الى الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا فساداً وعناداً إذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين وليس هذا بمنكر لأننا قد نعلم في كثير من الأحوال فيمن يسألنا عن الشيء ان العدول عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره . . وقد قيل ان اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمداً عن الروح فان أجابكم فليس بنبي وان لم يجيبكم فهو نبي فاننا نجد في كتبنا ذاك فأمره الله تعالى بالعدول عن ذلك ليكون علماً ودلالة على صدقه وتكذيباً لليهود الرادين عليه وهذا جواب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الحلي . . ونائبها أن القوم انما سألوه عن الروح وهل هي محدثة مخلوقة أو ليست كذلك فأجابهم بأنها من أمر ربي وهو جوابهم عما سألوه بعينه لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة وبين قوله انها من أمر ربي لانه انما أراد انهما من فعله وخلقه وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوها عنها هي التي بها قوام الجسد أو عيسى أو جبرائيل عليهما السلام وقد سمي الله جبرائيل روحاً وعيسى أيضاً بذلك مسمى في القرآن . . وثالثها انهم سألوه عن الروح الذي هو القرآن وقد سمي الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب فاذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه لأنه قال لهم الروح الذي هو القرآن من أمر ربي وبما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليجعله دلالة له وعلماً على صدقه وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في إمكانهم وهذا الجواب للحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الآية (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك علينا وكيلاً) فكانه تعالى قال ان القرآن من أمري وفعلی وبما أنزلته علماً على نبوة رسولي صلى الله عليه وسلم ولو شئت لرفعته وأنزلته وتصرفت فيه كما يتصرف الفاعل فيما يفعله

[فصل] . . قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصمباني في قوله تعالى (والأرض ممددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) قال انما خص الموزون دون المكيال بالذكر لوجهين . . أحدهما ان غاية المكيال تنهي الى الوزن لأن سائر المكيالات اذا صارت طعاماً دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن أعظم من الكيل . . والوجه الآخر ان في الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب

مساواة الشيء بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل وخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا قول أبي مسلم . . . ووجه الآية وما شهد له ظاهراً لفظاً غير ما سلكه أبو مسلم وإنما أراد الله تعالى بالموزون المقدّر الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرّة أو داخلّة في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان موزون وأفعاله موزونة مقدرة وإنما يراد ما أشرنا اليه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على أحد التأويلين وإنما التعميد والمواساة بين الثواب والعقاب . . . قل الشاعر هو ذو الرمة

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَا هَرَاءَ وَلَا نَزْرُ

— الهراء — الكثير — والنزر — القليل وكأنه قال ان حديثها لا يقل عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى أن يقول هو موزون . . . وقال مالك^(١) بن أسماء بن خارجة الفزاري

وَحَدِيثُ الذُّهُ هُوَ مِمَّا يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحُّنٌ أَحْيَا نَاوَخِيَرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

(١) . . . قال ابن قتيبة بعد أن ذكر نسبه وكان مالك شاعراً غزلاً ظريفاً وهو

القائل فذكر البيتين وذكر بعدهما قوله

جَذَا يَوْمَنَا بَتْلٌ بَوْنَا حَيْثُ نُسْقَى شَرَابَنَا وَنُعْفَى

مَنْ شَرَابُ كَأَنَّهُ دَمٌ جَوْفِرٌ يَتْرَكُ الْكَهْلُ كَالْفَقْرِ مُرْجَحْنَا

أَيْنَمَا دَارَتْ الزَّجَاجَةُ دُرْنَا بِحَسْبِ الْجَاعِلُونَ أَنَا جُنُنَا

وَمَرَرْنَا بِنَسْوَةِ عَطْرَاتٍ وَسَمَاعٍ وَقَرْقَفٍ فَزَلْنَا

— وَبَوْنَا — من قرى الكوفة . . . ويقال ان عمر بن أبي ربيعة مرّ بمالك هذا

فاستنشدته شيئاً من شعره فأنشده فقال عمر ما أحسن شعرك لولا أسماء القرى التي

تذكرها فيه قال مثل ماذا قال . . . مثل قولك

أَشْهَدُنِي أَمْ كُنْتَ غَائِبَةً عَنْ لَيْلَتِي بِحَدِيثَةِ الْقَسْبِ

. . . ومثل قولك

وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية وألبق بفصاحة القرآن وبلاغته الموفيتين على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم . . . فأما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره وتلحن أحياناً فلم يرد اللحن في الأعراب الذي هو ضد الصواب وإنما أراد به الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الإفصاح منه على معنى قوله تعالى «ولتعرفهم في لحن القول» . . . وقول الشاعر

وَلَقَدْ وَحَيْتُ لَكُمْ لَكَيْمًا تَفْطَنُوا وَلَاحِنْتُ لَحْنًا لَيْسَ بِالْمُرْتَابِ

وقد قيل ان اللحن الذي عني به في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى ما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال لعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته أي أفطن لها وأغوص عليها . . . ومما يشهد لما ذكرناه ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا أحمد بن عبد الله العسكري قال حدثنا المعزي قال حدثنا علي بن اسماعيل الزبدي قال أخبرنا اسحاق بن ابراهيم قال تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلاحنت وهي عند الحجاج فقال لها أتلاحنين وأنت شريفة وفي بيت قيس قالت أما سمعت قول أخي مالك لامراته الانصارية قال وما هو قالت قال

مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلْحَنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

فقال لها الحجاج انما عني أخوك اللحن في القول اذا كنى المحدث عما يريد ولم يعن اللحن في العربية فأصلحى لسانك . . . [قال المرتضى] رضى الله عنه قد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال ان اللحن مستحسن من النساء الغرائر وليس بمستحسن منهم كل الصواب والتشبهه بفحول الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن أنه

حبذا يومنا بتل بونا حيث نسقي شرابنا ونغني

فقال مالك هي قرى البلد التي أنا فيه وهي مثل ما تذكره أنت في شعرك من أرض بلادك قال مثل ماذا قال مثل قولك

ما على الربع بالبلين لو بسين رجع السلام أولو أجابا

فأمسك ابن أبي ربيعة ولم يجب بشيء

أراد باللحن ما يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الأخبار أبيات الفزاري واعتذر بها من لحن أصيب في كتابه * وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ مثلك في عقلك وعلمك بالادب ينشد قول الفزاري وبفسره علي أنه أراد اللحن في الاعراب وإنما أراد وصفها بالظرف والفتنة وإنما تورتي عما قصدت له وتكسب التصريح فذاك له قد فطنت لذلك بعد قلت فغيره من كتابك فقال كيف لي بما سارت به الركبان قال الصولي فهو في كتابه على خطئه [قال المرتضي] رضى الله عنه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أن رجلاً من بني العنبر حصل أسيراً في بكر بن وائل فسألهم رسولاً إلى قومه فقالوا لا ترسلنا لاجترنا لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه فخافوا أن يبنذروهم فجاء بعد أسود فقال له أتعقل فقال نعم أني لعاقل فقال ما أراك عاقلاً وأشار بيده إلى الليل فقال ما هذا قال الليل قال أراك عاقلاً ثم ملأ كفيه من الرمل فقال كم هذا فقال لا أدري ولكنه كثير فقال أيما أكثر النجوم أم السراب فقال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر فإن قومه لي مكرمون وقل لهم إن العرفج قد أدبى ^(١) وشكت النساء وأمرهم أن يعرفوا نافتى الحمراء فقد طال ركوبها وإن يركبوا جمل الأصهب بآية ما أكلت معكم حيساً وأسألوا أخي الحارث عن خبري فلما أدبى العبد الرسالة إليهم قلوا لقد بُجنّ الأعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جمل أصهب ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم أما قوله قد أدبى العرفج يريد أن الرجال قد استلأموا ولبسوا السلاح وقوله شكت النساء أي اتخذن الشكاء للسفر ^(٢) وقوله الناقة الحمراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الصمان ^(٣) وهو الجمل

(١) - العرفج - ضرب من النبات - وأدبى - خرج منه مثل الدبى وهو أصغر الجراد

(٢) - الشكاء - جمع شكوة وهو وعاء من جلد يجعل للماء واللبن

(٣) - الصمان - والصمان كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل والصمان موضع بعالج

الأصهب وقوله أكلت معكم حيساً يريد اخلاطاً من الناس قد غزواكم لأن المجلس يجمع التمر والسمن والأقط فامثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه

[تأويل خبر] .. روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه غريب الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال من أحبنا أهل البيت فليعد للفقر جلباباً أو تجفافاً .. قال أبو عبيد وقد تناول بعض الناس هذا الخبر على أنه أراد به الفقر في الدنيا وليس ذلك كذلك لانا نرى فيمن يحبهم مثل ما نرى في سائر الناس من الغنى والفقر ولا تميز بينهما قال والصحيح أنه أراد به الفقر في يوم القيامة وأخرج الكلام مخرج الموعظة والنصيحة والحث على الطاعات فكأنه أراد من أحبنا فليعد لفقره يوم القيامة ما يجبره من الثواب والقرب الى الله تعالى والزلفى عنده .. قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة وجه الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد ولم يرد الا الفقر في الدنيا ومعنى الخبر ان من أحبنا فليصبر على التقلل من الدنيا والتقنع فيها وليأخذ نفسه بالكف عن أحوال الدنيا وأعراضها وشبه الصبر على الفقر بالتجفاف أو الجلباب لأنه يستر الفقر كما يستر الجلباب أو التجفاف البدن قال ويشهد بصحة هذا التأويل ما روى عنه عليه والسلام أنه رأى قوماً على بابهم فقال يا قنبر من هؤلاء فقال له قنبر هؤلاء شيعةك فقال مالي لا أرى فيهم سبياً الشيعة قال وما سبياً الشيعة قال خمس البطون من الطوى وبيس الشفاه من الظما وعمش العيون من البكا هذا كله قول ابن قتيبة والوجهان في الخبر جميعاً حسنان وان كان الوجه الذي قاله ابن قتيبة أحسن وأنصح .. ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث تشهد لصحته اللفظة وهوان أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحز أنف البعير حتى يخلص الى العظم أو قريب منه ثم يلوى عليه حبل يذل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقراً اذا فعل به ذلك وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته وأثرت فيه فقد فقّرتّه فقيراً ومنه سميت الفاقة وقيل سيف مهقر فيحمل القول على أن يكون عليه السلام أراد من أحبنا فليزِم نفسه وليخطمها وليقدمها الى الطاعات وليصبرها عما تميل طباعها اليه من الشهوات وليذلها على الصبر عما كره منها ومشقة ما أريد بها كما يفعل ذلك بالبعير الصعب وهذا وجه ثالث في الخبر لم يذكر ولا يستبعد حمل الكلام على بعض ما يحتمله اذا كان

له شاهد في اللغة وكلام العرب لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ويجوز أن يكون أراد المخاطب كل واحد منهما منفرداً وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده مغيب عنه وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام

[فصل] * قال الشريف المرتضى رضى الله عنه ومن كان من مشهورى الشعراء ومتقدميهم على مذهب أهل العدل^(١) ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته أبو الحارث وذو الرمة لقبه لقب به لبيت قاله وهو في صفة التودد

* أَشَعْتُ بِأَقْي رُمَةٍ التَّقْلِيدِ *^(٢)

— والرمة القطعة البالية من الحبل يقال حبل أرمم اذا كان ضعيفاً بالياً وقيل انه انما لقب بذى الرمة لأنه كان وهو غلام يتفزع^(٣) لجأته أمه بمن كتب له كتاباً وعلقت عليه برمة من حبل فسمى ذا الرمة ويشهد بمذهبه في العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال أخبرنا أبو عثمان الاسناداني عن

(١) — أهل العدل لقب المعتزلة لقبوا به أنفسهم لقولهم بوجوب الإصلاح والأصالح عليه تعالى وانه يعاقب المسيء على إساءته ويثيب المحسن على إحسانه ولا بد وانما سموا المعتزلة لأن رئيسهم واصل بن عطاء كان يحضر حلقة الحسن البصري فسأله يوماً عن مرتكب الكبيرة هل يكون مؤمناً أو لا فقال انه مؤمن وأمره في كبريته مفوض الى ربه ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه فلم يعجب ذلك واصل فقعد الى سارية من سواري المسجد يقرر ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وانه مخذل في النار فقال الناس قد اعتزل واصل فقل لمن وافقه على رأيه معتزلة

(٢) الذي في غيره من كتب الأدب وانما قيل له ذا الرمة لقوله

لم يبق منها أبد الأبيد غير ثلاث مائلات سود

وغير مشجوج القفا موتود فيه بقايا رمة التقليد

(٣) أي يتفزع في نومه

التوزي عن أبي عبيدة قال اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن أبي بردة فقال رؤبة والله ما خص طائر أخوصاً ولا تفرمص سبع قرموصاً الا بقضاء من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك قال رؤبة أفقدرته أكلها هذا كذب على الذئب ثانٍ فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب الذئب وهذا الخبر صريح في قوله بالعدل^(١) واحتجاجة عليه وبصيرته فيه فأما العيايل - فجمع عيّل وهو ذو العيال - والضرائك - جمع ضريك وهو الفقير . . وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي عن أنى العيناء عن الأصمعي عن اسحاق بن سويد قال أنشدني ذو الرمة

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَانِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفَعَّلُ الْخَمَرُ

فقلت له فعولين خبر الكون فقال لي لو سبحت ربحت وانما قلت وعينان فعولان فوصفتها بذلك وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف العدل وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن خالد النحاس قال حدثني محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال لما أنشد ذو الرمة قوله

وَعَيْنَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا فَعُولَيْنِ بِالْأَلْبَابِ مَا تَفَعَّلُ الْخَمَرُ

وهو يريد كونا فكانتا فعولين حيث كانتا قال له عمرو بن عبيد ويحك قلت عظيماً^(٢) فقل

(١) لأن المعتزلة يقولون ان الله لا يريد الشر وان ما يقع في الكون من الشرور فانما يقع على خلاف ارادته وليس لقول ذي الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيايل ضرائك معنى الا ان هذا شر والشر لا يكون مراداً لله تعالى

(٢) - قلت عظيماً - انما قال له ذلك لأنه لما نصب فعولين جعله معمولاً لكانتا فاقضى ان كون العينين فعولان بالألْبَابِ كما تفعل الخمر بأمر الله تعالى وهو شر لا يصلح أن تتعلق به ارادة الله تعالى على مذهب عمرو بن عبيد وكان عمرو بن عبيد هذا شيخ المعتزلة في عصره ولسانهم وكان آية في الذكاء والحفظ وكان متقشفاً زاهداً

فعولان بالالباب فقال ذوالرمة ما أبالي قلت هذا أم سبعت فلما علم ما ذهب اليه عمره قال سبحان الله لو عنيت ما ظننت كنت جاهلاً ٥٥ ومن روى انه كان على مذهب أهل العدل من شعراء الطبقة الاولى أعشى قيس بن ثعلبة واستشهد بقوله

إِسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ لَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

ومن قيل انه على مذهب الجبر^(١) من المشهورين أيضاً ليبد بن ربيعة العامري هو استدل بقوله

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَقْلُ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَبِّي وَالْعَجَلُ

مَنْ هَدَاهُ سَبِيلَ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب ليبد الا هذان البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك ٥٥ أما قوله وبإذن الله ربي والعجل فيحتمل ان يكون بعلمه كما يتأول عليه قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله) أي بعلمه وان قيل في هذه الآية أنه أراد بتخاينه وتمكينه وان كان لاشاهد لذلك في اللغة أمكن مثله في قول ليبد ٥٥ وأما قوله من هداه اهتدى ومن شاء أضل فيحتمل ان يكون معروفا الى بعض الوجوه التي يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما يابق بالعدل ولا يقتضي الاجبار اللهم الا ان يكون مذهب ليبد في الاجبار معروفا بغير هذه الابيات فلا يتأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه

[مسئلة] ٥٥ اعلم ان أصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالابصار عن الله بقوله (لا تدركه الأبصار) وهو يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ الْلطِيفُ الْخَبِيرُ) وبينوا انه تعالى تمدح بنفي الادراك الذي هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع الى ذاته فيجب ان يكون

يضرب به الثل في ذلك فيقال أزهد من عمرو بن عبيد وفيه يقول الثقات

كلكم طالبُ صيد غير عمرو بن عبِيد

(١) يريد بالجبر مذهب أهل السنة وانما سموه بحجة لانهم لما جعلوا أفعال العبد مخلوقة

لله تعالى وليس لقدرة العبد دخل في ايجاد أفعاله فقد جعلوا العبد مجبوراً على ما يصدر

عنه من الافعال وأما المعتزلة فقالوا ان أفعال العبد من قدرته فكان مخياراً عندهم

ثبوت الرؤية له في وقتٍ من الاوقات نقص وذمّ ٠٠ قال لهم مخالفوهم كيف يتمدح بانه لا يرى وقد شاركه في نفي الرؤية ما ليس بمدح كالمعدومات والارادات والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية فقط وانما تمدح بنفي الرؤية عنه واثباتها له فتمدحه بمجموع الامرين وليس يشاركه في هاتين الصفتين مشارك لان الموجودات المحدثات اصناف ٠٠ منها ما لا يرى ولا يرى كالارادات والاعتقادات ٠٠ ومنها ما يرى ولا يرى كالألوان ٠٠ ومنها ما يرى ويرى كالانسان وضروب الاحياء وليس فيها ما يرى ولا يرى فثبت المدح لله تعالى بمتضمن الآية ٠٠ فقال لهم المخالفون وكيف يجوز ان تكون صفة لا تقتضي المدحة بانفرادها ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوز ان تكون يتمدح بمدح بانه شيء عالم أو موجود قادر فاذا كان لامدحة في وصف الذات بانه شيء وموجود وان انضمت الي صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا فكذلك لامدحة في نفي الرؤية عما ثبت له من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا. فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بان قلوا ليس يمتنع في الصفة ان تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم فان نفي السنة والنوم ههنا انما يكون مدحا اذا انتفى عن هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضي مدحا لمشاركته ذوات كثيرة غير بمدوحة فيه وفصلوا بين الوصف بالنفي والوجود وبين ماذكروا بالنفي من حيث لا تأثير لهاتين الصفتين في المدح ٠٠ واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات ما تكاد تفقر الى شرط في كونها مدحة ٠٠ وصفات النفي اذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط وانما اترق الامر ان من حيث كان النفي أعم من الاثبات فيدخل تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات أشد اختصاصا ألا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها لان الأول لا يكون الا غير متناه والثاني لا بد أن يكون متناهياً فلما اشتملت صفات النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصها وأنت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يتمدح بها وجدتها مفتقرة الى الشروط ألا ترى ان من ليس بمجاهل انما يكون ممدوحا بهذا النفي اذا كان حياً ذا كراً لانه قد يكون الحي لا علماً ولا جاهلاً لسهو ياحقه وذهوله

يعتريه ومن ليس بعاجز انما يكون ممدوحاً اذا كان أيضاً موجوداً حياً ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحاً اذا كان قادراً على الظلم وله دواعي اليه ولا بد في الشرط الذي يحتاج اليه في صفات النفي حتي يكون مدحاً من ان يكون أيضاً إثباتاً أو جارياً مجري الاثبات ولا يكون نفياً لانه ان كان نفياً لم يتخصص وساوى فيه الممدوح ما ليس بممدوح . مثال ذلك أنا اذا مدحنا غيرنا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه المدحة انه لم يدعه داع الي الظلم لم نحصل المدحة لانه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس بممدوح فلا بد من شرط يجري مجرى الاثبات وهو ان نقول وهو ممن تدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها بحسب دواعيه فاذا صحت هذه الجملة فالوجه ان نقول ان المدحة في الآية انما تتعلق بنفي الادراك عن القديم تعالي لكن بشرط ان يكون مدركاً ونجعل كل واحد من الصفتين تقتضي المدح مجتمعاً مع أن كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفرد وليس بمكران يقتضي الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المقتضى فاذا لم يوجد لم يحصل مقتضاه ونفي السنة والنوم والظلم عن الله تعالي انما كان مدحاً بشروط معروفة على نحو ما ذكرناه وهذا التلخيص في هذا الموضع أولى وأحسم للشبه مما تقدم ذكره



(مجلس آخر ٢)

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل فقال ما تقولون في قوله تبارك وتعالى حكاية عن موسى (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) ٠٠ وقال تعالى في موضع آخر (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَمَزُ لَهَا جَانٌّ وَلِي مُذَبَّرٌ أَلَيْسَ لِئَامٍ عَظِيمَةٍ) والثعبان الحية العظيمة الخلق والجنان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حال واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر منها وبأي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام (الجواب) أول ما نقوله ان الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبراً عن قصة واحدة بطل بل الحالتان مختلفتان فالحال التي أخبر ان العصا فيها بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى الي فرعون والحال التي صار

العصا عليها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك واذا اختلفت القصتان فلا مسألة على ان قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب على هذا السؤال إما لظنهم ان القصة واحدة أو لاعتقادهم ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالين تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان أو على سبيل الاستظهار في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين الآيتين تناقض وهذا الوجه أحسن ما تكلف به الجواب لاجله لان الاولين لا يكونان الا عن غلط أو عن غفلة وذكروا وجهين نزول بكل واحد منهما الشبهة من تأويلها .. أحدهما انه تعالى اما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الآية الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط الجان وسرعة حركته وهذا أبهر في باب الاعجاز وأبلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الآيتين .. وليس يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفات الثعبان واذا شبهها بالجان ان يكون لها جميع صفاته وقد قال الله تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآبِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير وشفوفها ورقها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء بغيره في بعض وجوهه فيشبهون المرأة بالظبية وبالبقرة ونحن نعلم أن في الظباء والبقرة من الصفات مالا يستحسن ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون صفة ومن وجه دون آخر .. والجواب الثاني انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الآية الاخرى الحية وانما أراد أحد الجن فكأنه تعالى أخبر بان العصا صارت ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُذِبرٌ وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ويمكن ان يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ان لم يزد على الوجهين الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي توهم زائل على كل وجه وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت أولا بصفة الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان ولم تغير كذلك ضربة واحدة

فتتفق الآيتان على هذا التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الاولى تتضمن ذكر الثعبان اخباراً عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولى موسى فيها هارباً وهي حال انقلاب العصا الى خلقه الجان وان كانت بعد تلك الحال انتهت الى صورة الثعبان .. فان قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى فاذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضى أنها صارت ثعباناً بعد الالفاء بلا فصل .. قلنا ليس تفيد الآية ما ظن وانما فائدة قوله تعالى فاذا هي الاخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وانه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ويجرى هذا مجرى قوله تعالى (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيماً مبيناً وقولهم ركب فلان من منزله فاذا هو في ضيعته وسقط من أعلا الحائط فاذا هو في الأرض ونحن نعلم ان بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمناً وانه لم يصل اليها الا على تدرج وكذلك الهابط من الحائط وانما فائدة الكلام الاخبار عن تقارب الزمان وانه لم يطل ولم يمتد

[آية أخرى] .. قال الله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) .. وقد ظن^(١) بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده ان

(١) اعلم ان للمفسرين فى هذه الآية قولين أحدهما ان ذلك الاخراج والاشهاد حقيقة واليه ذهب كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس قالوا ان الله استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقرّهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به واحتجوا لذلك بأحاديث كثيرة وردت من طرق متعددة يقوى بعضها بعضاً منها ما روى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية الحديث وروى على عن ابن عباس فى قوله تعالى واذا أخذ ربك الآية قال

تأويل هذه الآية ان الله استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في خلق الذر فقرروهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم وهذا التأويل مع ان العقل يبطله ويحيله عما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأن الله تعالى قال واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم

ان الله تعالى خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم في صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم الى يوم القيامة أما المعتزلة وأصحاب المعقولات من المفسرين فانهم جعلوا ذلك على سبيل التمثيل وقالوا انه تعالى أخرج الاولاد وهم الذرية من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة فاخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقه ثم مضغة ثم جعلهم بشراً سوياً وخلقاً كاملاً ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب في عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقته وغرائب صنعته فكأنه قرروهم وقال ألسنت بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا واعترفنا بوحدانيتك قالوا وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وكلام العرب وفي القرآن الكريم (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالنا أتيننا طائعين .. وقال الشاعر

امتلاً الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وطعنوا فيما ذهب اليه الفريق الأول بما بسطه المؤلف هنا وكل ما طعنوا به يمكن الجواب عنه .. أما قولهم ان المذكور في القرآن ان الله أخذ من بني آدم من ظهورهم لا من آدم ولا من ظهره وما روى أصحاب القول الأول يدل على انه أخذ من آدم كما في الرواية التي سبق نقلها .. فالجواب عنه ان الله انما أخرج من صلب كل رجل ذريته الا انهم لما كانوا جميعاً من صلب آدم سح أن يقال انه أخذهم من صلب آدم ومثل هذا الاستعمال سائح لا مجال للعلم فيه .. وأما قولهم انهم حين أخرجوا فان كانوا عقلاء مستوفين لشرائط التكليف لزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم وان لم يكونوا عقلاء لم يكن للاشهاد معنى .. فالجواب عنه أن نختار انهم كانوا عقلاء ولا يلزم أن يذكروا ذلك حين وجودهم الآن فان النفس انما تذكر حين ملابستها للبدن ما كان وقع لها حين ملابستها

ولم يقل من ظمرو وقال ذرياتهم ولم يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلاثا يقولوا انهم كانوا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وانهم نشؤا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضي ان الآية لم تتناول ولد آدم اصله وانها تناولت من كان له آباء مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ولد آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويله فأما شهادة العقل فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من أن تكون من ظهر آدم فخطبت وقررت أن تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف فان كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وانشأهم وإكل عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا به واستشهدوا عليه لأن العاقل لا ينسى ما يجري هذا الجرى وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر أحواله وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير لأنه لو كان تخلل الموت بزيل الذكر لكان تخلل اليوم والسكر والجنون

فأما ما وقع لما عند تجردها عن البدن والانقطاع عنه فلا تذكره ومثل هذا يقع لأصحاب الرياضات فقد يتفق لبعضهم وقت تجرده فيه نفوسهم عن أبدانهم ويصدر عنهم حينئذ من الأقوال والأفعال شيء كثير فإذا عادت نفوسهم إليهم لم يذكروا شيئاً مما كان منهم ولهذا أسباب ليس هذا محل بسطها انما الغرض أن نبين ان النفس انما تذكر عند ملابسة البدن ما يقع لها في مثل ذلك الحال وإذا جاز أن تفارق النفس البدن زمناً طفيفاً ثم لا تذكر عند العود الى البدن ما كان منها عند المفارقة فكيف لها أن تذكر ما كان لها قبل أن يخلق البدن بآلاف من السنين .. هذا أقوى ما احتجوا به على ابطال قول الفريق الاول .. ثم اعلم بعد هذا ان ما ذهب اليه الفريق الثاني لا يبطل قول الفريق الاول ولا هو مستنكر في ذاته والتمثيل غير منكر في كلام أي كلام كان من كلام الخالق أو البشر وكما أمكن حمل الآية على التمثيل يمكن حمل الاحاديث فانها غير صريحة في ان الاخراج حقيقة وانما دعواهم ان المعنى الحقيقي غير ممكن ارادته ودعوى ان ذلك باطل شرعاً وعقلاً مما نذكره ونأباه وليس فيه الا تغليب الرأي والوهم على ظاهر الكتاب والسنة كما هي عادة المتكلمين

والاغناء من أحوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من أحوالهم لأن سائر ما عددناه مما ينفي العلوم مجرى الموت في هذا وليس لهم أن يقولوا إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه وذلك إنما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملو العقول ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه على أن تجوز النسيان عليهم بنقص الغرض في الآية وذلك أن الله تعالى أخبرنا بأنه إنما قرره وأشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة وسقوط الحجة عنهم فيه فإذا جاز نسيانهم له عادياً الأمر إلى سقوط الحجة وزوالها وإن كانوا على الصفة الثانية من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقديرهم وإشهادهم وصار ذلك عبثاً قبيحاً فان قيل قد أبطلتم قول مخالفكم فما تأويلها الصحيح عندكم قلنا في الآية وجهان أحدهما أن يكون تعالى إنما عني بها جماعة من ذرية بني آدم خلقهم وبلغهم وأكمل عقولهم وقرره على ألسن رسله عليهم السلام بمعرفته وما يجب من طاعته فأقروا بذلك وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وإنما أتى من أشبه عليه تأويل الآية من حيث ظن أن اسم الذرية لا يقع إلا على من لم يكن عاقلاً كاملاً وليس الأمر كما ظن لأنه سمي جميع البشر بأنهم ذرية آدم وإن دخل فيهم العقلاء الكاملون وقد قال تعالى (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) ولفظ الصالح لا يطلق إلا على من كان كاملاً عاقلاً فان استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على البالغين المكلفين فهذا جوابهم . والجواب الثاني أنه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته ووجوب عبادته وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة المشهد لهم على أنفسهم وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراد الله تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم من دلالة بمنزلة المقر المعترف وإن لم يكن هناك اشهاد ولا اعتراف على الحقيقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) وإن لم يكن منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى

(شاهدين على أنفسهم بالكفر) ونحن نعلم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم وانما ذلك لما ظهر منهم ظهوراً لا يمتكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ومثل هذا قولهم جوارحي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك .. وما روى عن بعض الحكماء من قوله سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تحببك جواراً أجابتك اعتباراً وهذا باب كبير وله نظائر كثيرة في النظم والنثر يغني عن ذكر جميعها القصر الذي ذكرناه منها (تأويل خبر) .. قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما روى عن النبي عليه الصلاة والسلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال أراد يستغن به واحتج بقولهم تغنيت تغنياً وتغنايت تغانياً وأنشد بيت الأعمش

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمَنَاحِ طَوِيلَ التَّغْنِ

.. وقول الآخر

كَلَانَا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتُهُ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدَّ تَغَانِيَا

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود من قرأ سورة آل عمران فهو غني أي مستغن وبالحديث الآخر نعم كنز الصعلوك سورة آل عمران يقوم بها في آخر الليل والصعلوك الفقير واحتج بحديث آخر روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن ان أحداً أعطى أفضل مما أعطى لانه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل من ملكه . واحتج أيضاً بخبر رفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بنته فاذا مثال رث ومناخ رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن .. قال أبو عبيد فذكره المناخ الرث والمناخ الرث يدل على ان التغنى بالقرآن الاستغناء به عن الكثير من المال - والمناخ هو الفراش قال الشاعر

بِكُلِّ طَوَالٍ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا يَرَى بِسُرِّي اللَّيْلِ الْمِثَالَ الْمُهْدَا

يعنى الفراش .. قال أبو عبيد ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحبة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقرآن ليس عليه الصلاة والسلام .. وذكر عن غير أبي عبيد جواب آخر وهو انه عليه الصلاة والسلام أراد من لم يحسن صوته بالقرآن ولم يرجع فيه واحتج

•• وقال عدي بن زيد العبادي

والاذن هو السماع وانما حسن تكرير المعنى اختلاف اللفظ والعرب في هذا مذهب معروف ومثله

* وَهِنْذُ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّائِي وَالْبَعْدُ *

(٤ - أمالي)

وسمى ذلك تغنياً من حيث يفعل عنده ما يفعل عند التغنى بالغناء وذكر ان ذلك نظير قولهم العمائم تيجان العرب والخباء حيطان العرب والشمس حمامات العرب .. وأنشد بيت النابغة

بُسْكَاءَ حَمَامَةٍ تَدْعُو هَدِيلاً مُفْجَعَةً عَلَى فَنٍّ تُغْنِي^(١)

فشبه صوتها لما أطرب أطراب الغناء بالغناء وجعلوا العمائم لما قامت مقام التيجان تيجاناً وكذلك للقول في الخباء والشمس وجواب أبي عبيد أحسن الأجوبة وأسلمها وجواب أبي بكر أبعدها لأن التلذذ لا يكون الا في المشبهات وكذلك الاستعلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وفهم معانيه من الأفعال الشاقة فكيف يكون ملذاً مشهياً . فان عاد الى أن يقول قد تستعلى التلاوة من الصوت الحزين قلنا هذا رجوع الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما يخالفه ويمكن أن يكون في الخبر وجه رابع خطر لنا وهو أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام من لم يتغن من غني الرجل بالمكان اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى كأن لم تغن بالأمس وكأن لم يغنوا فيها أي لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر اليايى

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِالْأَنَمِ عَيْشَةً فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتٍ الْأَوْتَادِ^(٢)

(١) - الهديل - ذكر الحمام وقيل انه طائر كان على عهد نوح عليه السلام صاده جارج من الطير فما من حمامة الا وهي تبكي عليه الى اليوم وهذا من خرافات العرب في الزمن الأول وقد ضمن بعض شعراء الاسلام أشعارهم هذه الحكاية كقول أبي العلاء برقي رجلا
يا بنات الهديل أسعدن أوعدن ن قليل العزاء بالأسعاد
إبر لله دركن فأنشئ اللواتي تحسن حفظ الوداد
مانسبتن هالكاً في الأوان خال أودي من قبل هلك إباد

والمقصود حكاية المشهور لا أنهم يعتقدون ذلك - والمفجعة - المؤلمة بفقد ما يعز عليها - والفنن - الفصن وجمعه أفنان

(٢) هو له من أبيات يشكو بها من موت لداته وتأخر وقاته أولها

وبيت الاعشى الذي أشده أبو عبيد

وَكَنتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاحِ طَوِيلَ التَّنْ

بطول المقام أشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك فكان الاعشى أراد اني كنت ملازماً لوطني مقيماً بين أهلي لا أسافر للاحتجاج والطلب ويجري قوله هذا مجرى قول حسان بن ثابت الانصاري

أَوْلَادُ جَفَنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْجَوَادِ الْمُفْضِلِ

أراد بقوله حول قبر أبيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم وأوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن فلا يتجاوزة الى غيره ولا يتعداه الى سواء ويتخذ معنى ومزلاً ومقاماً فليس منا فان قيل أليس يتعدى القرآن الى السنة والاجماع وسائر أدلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديده قلنا ليس في ذلك تعد للقرآن لان القرآن دال على وجوب اتباع السنة وغيرها من أدلة الشرع فمن اعتمد بعضها في شيء من الاحكام لا يكون متجاوزاً للقرآن وأما قوله عليه الصلاة والسلام ليس منا فقد قيل فيه انه لا يكون على أخلاقنا واستشهد بيت النابغة

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي

ومن الحوادث لا أبالك اني	ضربت على الأرض بالاسداد
لا أعتدي فيها لموضع تلمعة	بين العذيب وبين أرض مراد
كان كف في آخر عمره فهو يقول ذلك	تركوا منازلهم وبعد ايام
ماذا أو مل بعد آل محرق	والقصر ذي الشرفات من سنداد
أهل الخورنق والسدير وبارق	ماء الفراب يحجي من أطواد
نزّلوا بأنقرة يسيل عليهم	كعب بن مامة وابن أم دؤاد
أرض تخبرها لطيب مقلها	فكأنما كانوا على ميعاد
جرت الرياح على محل ديارهم	يوماً يصير الى بلي ونفساد
فأرى النعم وكل ما يلهم به	

•• وقبل انه أراد ليس منا أى على ديننا وهذا الوجه لا يليق الا بجوابنا وهو بعده
 بجواب أبي عبيد أليق لانه محال ان يخرج عن دين النبي وماتته من لم يحسن صوته
 بالقرآن ويرجع فيه أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها

[مسألة] •• إعلم ان أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظنه أصحاب الرؤية في قوله تعالى
 (وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) على وجوه معروفة لأئمتهم بينوا ان النظر
 ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ودلوا على ان النظر ينقسم الى أقسام
 كثيرة •• منها تقاييب الحديقة الصحيحة في جهة المرتى طلباً لرؤيته •• ومنها النظر
 الذى هو الانتظار •• ومنها النظر الذى هو التعطف والمرحمة •• ومنها النظر الذى هو
 الفكر والتأمل وقالوا اذا لم يكن فى أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق
 واحتجنا جميعا الى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية وتأويلها بعضهم على الانتظار
 للثواب وان كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة
 وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى
 عليهم على سبيل حذف المرتى في الحقيقة وهذا كلام مشروح في مواضعه وقد بينا ما يرد
 عليه وما يجاب به عن الشبهة المعترضة في مواضع كثيرة •• وههنا وجه غريب فى الآية
 حكى عن بعض المتأخرين لا يفتقر معتمده الى العدول عن الظاهر أو الى تقدير محذوف
 ولا يحتاج الى منازعتهم فى أن النظر يحتمل الرؤية أولاً يحتملها بل يصح الاعتماد عليه سواء
 كان النظر المذكور فى الآية هو الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو ان يحمل قوله تعالى
 الى ربها الى انه أراد نعمة ربها لان الآلاء النعم وفى واحدتها أربع لغات ألا مثل قفاً
 وألى مثل رمي وإلى مثل ممي وإلى مثل حني قال أعشى بكر بن وائل

أَيْضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رُحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَىٰ

أراد أنه لا يخون نعمة وأراد تعالى الى ربها فأسقط التنوين للإضافة * فان قيل فأى
 فرق بين هذا الوجه وبين تأويل من حمل الآية على انه أراد به الى ثواب ربها ناظرة
 بمعنى رابئة نعمته وثوابه * قلنا ذلك الوجه يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى حرفاً

ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف لان الي فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج الى تقدير غيره^(١) والله أعلم بالصواب

اعلم أن مما وقع فيه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة رؤية الباري جلّ شأنه في الآخرة فأثبت الأولون جواز ذلك ووقوعه ونفى المعتزلة الأمرين واعتلوا لما ذهبوا اليه من عدم جواز رؤيته تعالى بأن الرؤية تعتمد كون المرئي في جهة وكونه مقابلاً للرأى وكونه غير مفرط البعد عنه ولا مفرط القرب منه فان اختلف شرط من ذلك لم يمكن وقوع الرؤية قالوا وكل هذه الشروط لا يمكن اعتبارها في حقه سبحانه وتعالى فلا تكون رؤيته جائزة لأن ما يتوقف على محال فوجوده محال: وبناء على القاعدة المعروفة بين المتكلمين من ان النقل اذا عارضه العقل وجب تأويله حتى يوافق العقل عمدوا الى تأويل النصوص القرآنية المصرحة بوقوع رؤيته تعالى لجماعة من المؤمنين في الآخرة لئلا تصادم العقل فتأولوا قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بما ذكره المصنف وتأولوا قوله تعالى لموسى (ان تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني) بأنه علق الرؤية على استقرار الجبل حين تحركه واستقرار الجبل حين تحركه محال فمأخوذ عليه كذلك والحق الذي يجب المصير اليه أن رؤية الباري جلّ شأنه جائزة والآيات القرآنية التي وردت بوقوعها في الآخرة ان كان فيها بعض اجمال يسوّغ التأويل فقد ورد في الأحاديث الصحيحة الصريحة مالا يمكن الطعن فيه ولا صرفه عن ظاهره ومن ذلك الحديث الذي رواه أحد وعشرون صحابياً ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون فكان هذا بياناً للجمل الآيات ثم ان كون الرؤية مشروطة بما تقدم من الشروط فانما ذاك في رؤية الحوادث وكون ذلك مشروطاً في رؤيته تعالى غير معلوم وقياس الغائب على الشاهد مع اختلاف ما بينهما غير جائز والوقوف عند ظواهر الشريعة واجب ما أمكن والتسرع في التأويل لمجرد التوهم غير حميد والله الهادي

﴿ مجلس آخر ﴾

[تأويل آية] ٠٠ ان قال قائل ماتأويل قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان كان لهم فعله باذنه وأمره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن ههنا على الارادة اذ أن من لم يقع منه الايمان لم يردده الله منه وهذا أيضاً بخلاف قولكم ثم جعل الرجس الذي هو العذاب على الذين لا يعقلون ومن كان فاقداً عقله لا يكون مكلفاً فكيف يستحق العذاب وهو بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أكثر أهل الجنة البله ٠٠ الجواب يقال له في قوله تعالى الا باذن الله وجوه ٠٠ منه يكون الاذن الامر ويكون معنى الكلام ان الايمان لا يقع إلا بعد ان يأذن الله فيه وبه ولا يكون معناه ماظنه السائل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه ويجري هذا مجرى قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله ومعلوم ان معنى قوله ليس لها في الآية هو ما ذكرناه وان كان الاشبه في هذه الآية التي فيها ذكر الموت أن يكون الما بالاذن العلم ٠٠ ومنها أن يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل ولا شبهة في ان الله يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل اليه ٠٠ ومنها أن يكون الاذن من قولهم أذنت لكذا وكذا اذا سمعته وعلمته وأذنت فلانا بكذا اذا أعلمته فتك فائدة الآية الاخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات فانه ممن لا يخفى عليه الخفيات ٠٠ وأنكر بعض من لا بصيرة له أن يكون الاذن بكسر الالف وتسكين الذال عبارة عن وزعم ان الذي هو العلم الاذن بالتحريك واستشهد بقول الشاعر

* إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأَذَنٍ *

وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن هو اسم الفاعل فيجري مجرى الحذر والحذر في انه مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يسمووا الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مَثَلٍ وَمِثْلٍ وَشَبَّهِ وَنَظَائِرِ ذِكْرٍ كَثِيرَةٍ ٠٠ ومنها أن يكون الاذن العلم ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الايمان وما يد

الى فعله ويكون معنى الآية وما كان لنفس ان تؤمن الا باعلام الله لها بما يتبعها على الايمان وما يدعوها الى فعله . . . فاما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان الاذن لا يحتمل الارادة في اللغة ولو احتملها أيضاً لم يجب ماتوهمه لانه اذا قال ان الايمان لا يقع إلا وأنا مرید له لم ينف أن يكون مریداً لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا دلالة شيء من ذلك . . . وأما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون فلم يعم بذلك الناقص العقول وانما أراد الذين لم يعقلوا ولم يعلموا ماوجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم والاعتراف بنبوة رسوله والانقياد الى طاعتهم ووصفهم تعالى بانهم لا يعقلون تشبيها كما قال تعالى صم بكم عمي وكما يصف أحداً من لم يفتن لبعض الامور أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وفقد العقل . . . فاما الحديث الذي أورده السائل شاهداً له فقد قيل انه عليه السلام لم يرد بالبله ذوى الغفلة والنقص والجنون وانما أراد البله عن الشر والقيح وسهام بلهاً عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لامن حيث فقدوا العلم به ووجه تشبيهه من هذه حاله بالابله ظاهر فان الابله عن الشيء هو الذى لا يعرض له ولا يقصد اليه فاذا كان المتميز عن الشر معرضاً عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر

وَلَقَدْ لَهَوْتُ بِطِفْلَةٍ مِّمَّالَةٍ بِلَهَاءِ تُطْلَعُنِي عَلَى أَسْرَارِهَا

أراد انها بلهاء عن الشر والريبة وان كانت فطنة لغيرها . . . وقال أبو النجم العجلي
 مِنْ كُلِّ عَجْزَاءٍ سَقُوطِ الْبَرْقِعِ بِلَهَاءِ لَمْ تُحَفِّظْ وَلَمْ تُضَيِّعْ

أراد بالبلهاء ما ذكرناه . . . فاما قوله -سقوط البرقع- فاراد انها تبرز وجهها ولا تستر ثفة بحسنه وادلالاً بجماله وقوله لم تحفظ أراد ان استقامة طرائقها تفنى عن حفظها وانها لعفاها ونزاهتها غير محتاجة الى مسدّد وموقف وقوله -لم تضيع- أراد انها لم تهمل في أغذيتها وتنعيمها وترفيها فتشقى ومثل قوله سقوط البرقع . . . قول الشاعر

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلْتُ وَجُوهَ زَهَّاءِ الْحُسْنِ أَنَّ تَتَقَنَّمَا

. . . ومثله أيضاً

بَهَا شَرَقٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرِّدَاءُ الْمُحِبَّرَا

أى رمت بها عنقاها فقة بالجمال والكمال .. ومثله وهو مليح

لَهُونَا بِمَنْجُولِ الْبَرَّاقِعِ حُقْبَةً فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزْنَا بِالْوَصَاوِصِ

أراد بمنجول البراقع اللانى يوسعن عيون براقعين فقة بحسنه ومنه الطغنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال ما بال دهرأحوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيغن عيون براقعين لقبهعن والوصاوص هي النقب الصغار للبراقع .. ومما يشهد للمعنى الاول الذى هو الوصف بالبله لابعنى الغفلة قول ابن الدمينه

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ يَبْعُضُ الْأَذَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ

ويروى بنفسى وأهلي

وَلَمْ يَتَذَرِ عَذْرَ الْبَرِيِّ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ سَكَنَةٌ حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ

.. ومثله

أَحِبُّ اللَّوَاتِي فِي صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ وَفِيهِنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحُ
مُسِيرَاتُ حُبِّ مَظْهِرَاتٍ عَدَاوَةٌ تَرَاهُنَّ كَالْمَرْضَى وَهُنَّ صَحَاحُ

.. ومثله

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبَدِ الْمَشَى تِي وَبَلَّةُ أَحْلَامُهُنَّ وَسَامُ

.. أما قوله يكتبين - فمأخوذ من لفظ الكبا وهو العود أراد يتبخرن به والينجوج هو العود وفيه ست لغات . ينجوج . وأنجوج . ويلنجوج . والنجوج . وبلنجج . والعجج ..
.. فلما كبد المشى فهو ضيقه وشدة .. ومنه قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ)
وقد روى في كبة المشى والمعنى متقارب لان الكبة هي الصدمة مأخوذ من كبة الخليل
وأما الوسام فهي الحسان من الوسامة وهي الحسن .. ويمكن ان يكون فى البله جواب آخر وهو ان يحمل على معنى البله الذى هو الغفلة والنقصان فى الحقيقة ويكون معنى

الخبر ان أكثر أهل الجنة الذين كانوا بلها في الدنيا فعندنا ان الله ينتم الاطفال في الجنة
والجنانين والبهائم وانما لم نجعلهم بلها في الجنة وان كان ما يصل اليهم من النعيم على سبيل
المعوض أو التفضل لا يفتقر الى كمال العقل لان الخبر ورد بأن الاطفال والبهائم اذا دخلوا
الجنة لم يدخلوها الا وهم على أفضل الحالات وأكملها ولهذا صرفنا البله عنهم في الجنة
ورددناه الى أحوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من ذلك كمنعه إياه في باب الثواب والعقاب
[تأويل آية أخرى] . قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة (ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ
وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ وَمَا نُوَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِي لَاتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ)
• وقال في موضع آخر (هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَسْذِرُونَ) • وفي موضع آخر
(وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف لان بعضها ينبي
عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبي عن خلافه • وقد قال
قوم من المفسرين في تأويل هذه الآيات إن يوم القيامة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان
يمنع النطق في بعضه ويؤذن لهم في بعض آخر وهذا الجواب يضعف لان الإشارة الى
يوم القيامة بطوله فكيف تجعل الحالات فيه مختلفة وعلى هذا التأويل يجب ان يكون
قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون في بعضه والظاهر بخلاف ذلك ^(١) • والجواب السديد
عن هذا أن يقال انما أراد الله تعالى نفي النطق المسموع المقبول الذي ينتفعون به ويكون
(١) اعلم ان اليوم في لغة العرب قد يستعمل مراداً به بياض النهار من حين طلوع
الشمس الى غروبها وذلك اذا أضيف الى فعل له امتداد كقولك صمت يوماً فان الصوم
وهو الامساك ممتد فيراد باليوم بياض النهار وقد يراد به مطلق الوقت أي ساعة كان من
ليل أو نهار كما تقول جئتكم يوم السبت وزرتك يوم قدم زيد فها هنا المراد باليوم مطلق الوقت
ولا يصح ارادة المعنى الأول وفي الآية المضاف الى اليوم النطق منفياً وهو فعل غير
ممتد فيكون المراد باليوم مطلق الوقت قل أو أكثر فلا تكون هذه الآية منافية لما حكى
الله عنهم من قولهم (ربنا أمتنا اثنتين وأحببتنا اثنتين) وقولهم (ربنا أخرجنا منها)
الى غير ذلك مما أخبر الله عنهم من قولهم وهذا الجواب لا يحتاج الى تكلف تقدير
لا ينطقون في بعضه حتى يكون خلاف الظاهر كما توهم المصنف
(٥ - أمالي)

لهم في مثله عذر أو حجة ولم ينف النطق الذي ليست هذه حاله ويجرى هذا مجرى قولهم خرّس فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئاً وإن كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير فخير إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ومثل هذا قول الشاعر

أَغْنِي إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ
وَيَصْمُ غَمًّا كَانَ يَنْهَمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرْ

.. وقال الآخر

لَقَدْ طَالَ كِتْمَانِيكَ حَتَّى كَأَنِّي بَرَدَ جَوَابِ السَّائِلِ عَنْكَ أُعْجِمُ

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لان النساؤل والتلاؤم لاحجة فيه .. وأما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون فقد قيل ^(١) أنهم غير مأورين بالاعتذار فكيف يعتذرون وبجواب يحمل الاذن على الامر وانما لم يؤمروا به من حيث كانت تلك الحال لان تكليف فيها والعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم الى الاعتراف والاقرار .. وأحسن من هذا التأويل ان يحمل يؤذن على معنى انه لا يستمع لهم ولا يقبل عذرهم والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها

[تأويل خبر] .. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا الدهرقان الدهر هو

(١) هذا الاستشكال ساقط لا محل له ومنشأ توهم المتوهم انه ظن لرفع يعتذرون المقرون بالفاء مع كونه بعد النفي انه منقطع عما قبله وان المعنى وهم يعتذرون ولم يؤذن لهم بالاعتذار وليس كما توهم وانما هو مرتبط بما قبله والمعنى ولا يؤذن لهم بالاعتذار مما كان منهم حتى يعتذروا وهو عطف على يؤذن وانما رفع لأنه رأس آية فرق بينه وبين ما قبله من رؤس الآي والرفع والنصب جائزان في مثل هذا كما في قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له) قرئ بالرفع والنصب جميعاً

الله .. وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر ان المراد به لا تسبوا الدهر فانه لا فعل له وان الله مصروفه ومدبره فحذف من الكلام ذكر المصروف والمدبر وقال هو الدهر .. وفي هذا الخبر وجه آخر هو أحسن من ذلك الذي ذكرناه وهو ان الملحدين ومن نفي الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من أفعال الله كالمرض والعافية والجذب والخصب والبقاء والفناء الى الدهر جهلا منهم بالصانع جلّت عظمته ويذمون الدهر ويسبونه في كثير من الاحوال من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال لا تسبوا من فعل بكم هذه الافعال ممن تعتقدون أنه الدهر فان الله تعالى هو الفاعل لها .. وانما قال ان الله هو الدهر من حيث نسبوا الى الدهر أفعال الله وقد حكى الله سبحانه عنهم قولهم ما هي الاحياء الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر .. وقال لبيد

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْهَلَ
أَيُّ دَعَا عَلَيْهِمْ .. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ قُمَيْثَةَ

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْعِينَ حِجَّةً خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لَجَامِي
عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أَنُوءُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ قِيَامِي
رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ بَعْدَ يَوْمِي وَلَيْسَ بِرَامِي
فَلَوْ أَنَّهَا نَبِلَتْ إِذَا لَا تَقْبِيهَا وَلَكِنِّي أَرْمِي بِغَيْرِ سِهَامِ
إِذَا مَرَّ آتِي النَّاسُ قَالُوا لَمْ تَكُنْ جَلِيدًا حَدِيدَ الطَّرْفِ غَيْرَ كِهَامِ
وَأَفْنِي وَمَا أَفْنِي مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً وَلَمْ يُغْنِ مَا أَفْنَيْتُ سِلْكَ نِظَامِ
وَيُهْلِكُنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَعَامِ

.. وقال الأصمعي ذم أعرابي رجلا فقال هو أكثر ذنوبا من الدهر وأنشد الفراء
حَتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَذْنُو لَيْصِدِ

قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقِيدًا أَنِي بِقَيْدِ

.. وقال كثير

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ

.. وقال آخر

فَاسْتَأْثَرَ الدَّهْرُ الْغَدَاةَ بِهِمْ وَالْدَّهْرُ يَزْمِينِي وَمَا أَزْمِي
يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَتْنَا بِسَرَاتِنَا وَوَقَرْتَ فِي الْعَظْمِ

قوله -وقرت في العظم- أراد به اتخذت فيه وقراً أو وقيرة والوقر هي الحفيرة العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب أيضاً كذلك والوقيرة أيضاً الحفيرة إلا أنها دون الأولىين في الكبر وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التي لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر فحسن وجه التأويل الذي ذكرناه

[مسئلة] .. إعلم ان المنافع التي عرض الله تعالى الاحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب .. فاما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها أن يفعلها وله أن لا يفعلها .. وأما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها .. وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل .. فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكان التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ماعداه لانه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حياً له شهوة والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوض والثواب إلا بعد تقدم التفضل .. فاما المنفعة بالثواب فهي الأصل للمنفعة بالعوض لان الآلام وما جرى مجرى الآلام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضي إلى الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عندنا مجرى العبث ولهذا نقول ان الله تبارك وتعالى لو لم يكلف أحداً من المكلفين ما كان يحسن منه أن يتبديء بالآلام وان عوض عليها والاحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث .. ومنهم

من عرض لاثنتين ومنهم من عرض لواحدة والمكلف المعرض للثواب لا بد أن يكون منفوعاً بالفضل من الوجه الذي قلناه لأنه إذا خلق حياً وجعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التحكين فقد نفع بالفضل وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعاً بالعوض لأنه لا يمتنع أن يخلو المكلف منا من ألم يتدوّه الله به فلا يكون معرضاً للعوض ففى معرض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعاً على تعريضه لاثنتين من المنافع ومجوزاً تكامل الثلاث له . فاما من ليس بمكلف فمقطوع فى تعريضه على إحدى المنافع وهى الفضل من حيث خلق حياً وممكن من كثير من المنافع ومشكوك فى تعريضه للعوض من الوجه الذى بينا وكما قطعنا على أحد المنافع فيه فنحن قاطعون أيضاً على نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل اليه وهو التكليف ولا بد فى كل حيّ محدث أن يكون معرضاً لإحدى هذه المنافع أو لجمعها وإنما أوجبنا ذلك من جهة حكمة القديم تعالى لا من جهة أنه يستحيل فى نفسه وإنما قلنا ليس بمستحيل لأن كونه حياً وعاقلاً وذات شهوة وقدرة ليس بمنفعة بنفسه وإنما يكون منفعة ونعمة إذا فعل تعريضاً للنفع فاما إذا فعل تعريضاً للضرر أو لوجه من الوجوه فإنه لا يكون منفعة ولا نعمة وأوجبناه من جهة حكمة القديم لأنه إذا جعل الحيّ بهذه الصفات فلا يخلو من أن يكون أراد بها نفعه أو ضرره أو لم يرد بها شيئاً فإن كان الأول فهو الذي أوجبناه وإن كان الثانى أو الثالث فالقديم تعالى منزّه عنهما لأن الثانى يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه وقد يشارك القديم تعالى فى النفع بالفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح أن يشاركوه فى النفع بالثواب لأن الصفة التى يستحق المكلف لكونه عليها الثواب وهى كون الفعل شاقاً عليه لا يكون إلا من قبله تعالى وليس لاحد أن يظن فيمن يهدي الى الدين والرشاد الى الايمان وما يستحق به الثواب انه معرض للثواب وذلك أن المكلف قد يكون معرضاً للثواب ويصح أن يستحقه من دون كل بداية وإرشاد يقع منا ولولا الصفة التى جعله الله عليها لم يصح أن يستحقه فبان الفضل بين الامرين على أن أحدهما وإن نفع غيره بالفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع منسوبة الى الله تعالى ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعماً ألا ترى

أنه لو لم يخلق الحياة والشهوة لم يكن ما يوصل اليهما مما ذكرنا منفعة ولا نعمة ولو لم يخلق المشتهى المذوذ لم يكن سبيل لنا الى النفع والانعام فبان بهذه الجملة ما قصدناه

— مجلس آخر —

[إن سأل سائل] .. فقال متأويل قوله تعالى مخبراً عن مهلك قوم فرعون وتوريتهم نعيمهم (كذلك وأوزرناها قوماً آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) وكيف يجوز أن ينفي البكاء عنهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما .. والجواب يقال له في هذه الآية وجوه أربعة من التأويل .. أولها أنه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف في قوله واسئل القرية وفي قوله حتى تضع الحرب أوزارها أراد أهل القرية وأصحاب الحرب ويمجى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم يريد السخاء سخاء حاتم .. وقال الخطيئة

وَشَرُّ الْمَنَايَا مَيِّتٌ وَسَطَ أَهْلِهِ كَهْلِكَ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ

أراد شر المنايا مية ميت .. وقال الآخر

قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْغِنَى رَبٌّ غَفُورٌ

أراد غنى رب غفور .. وقال ذو الرمة

هُمْ مُجَالِسُ صَهْبِ السَّبَالِ أَذَلَّةٌ سَوَاسِيَةُ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا

أراد أهل مصابة .. وأصل السبال - سب السبال - فأنما أراد به الاعداء والعرب تصف

الاعداء بذلك .. لأنهم كانوا في السبال .. وقيل - سواسية - يريد أنهم مستوون

مشتبهون .. لأنهم كانوا في السبال .. أراد تعالى المبالغة في وصف القوم

بعضهم .. لأنهم كانوا في السبال .. أراد تعالى المبالغة في وصف القوم

بعضهم .. لأنهم كانوا في السبال .. أراد تعالى المبالغة في وصف القوم

المبالغة في عظم الامر وشموك ضرره .. قال جرير يري سر بن عبد العزيز

الشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ

.. وقال يزيد بن مفرغ الحميري

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي النِّعَمَةِ

.. وهذا صنيعهم في وصف كل امرئ جل خطبه وعظم موقعه فيصنفون النهار

بالظلام وان الكواكب طلعت نهاراً لفقد الشمس وضوئها .. قال النابغة

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ

.. وقال طرفة

إِنْ تَنَوَّلَهُ فَقَدْ تَمَنَّاهُ وَتُرِيهِ النِّجْمَ يَجْرِي بِالظُّهْرِ

.. ومن هذا قولهم لأرينك الكواكب بالنهار ومعناه أورد عليك ما يظلم له في عينك النهار

فتظنه ليلاً ذاكواكب .. وأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب القمر والنجوم وجوه ثلاثة

.. أحدها أنه أراد الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة لنجوم الليل والقمر لأن عظم الرزء

قد سلها ضوءها فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب .. والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما

ينتصب في قولهم لا أكلك الأبد والدهر وطوال المدد وماجري مجرى ذلك فكانه أخبر

بان الشمس تبكيه ماطلعت النجوم وظهر القمر .. والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم

الليل باكين الشمس على هذا المرئي فبكتن أي غلبته بالبكاء كما يقال باكاني عبد الله

فبكيته وكأثرني فكثرته أي غلبته وفضلت عليه .. وثالثها أن يكون معنى الآية الاخبار عن أنه

لا أحد أخذ بثارهم ولا انتصر لهم لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل إلا بعد الأخذ

بثاره وقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل فكفي تعالي بهذا اللفظ عن فقد الانتصار

والأخذ بالنار على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن .. ورابعها أن يكون ذلك كناية

عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء ويطلق هذا التأويل ماروي

عن ابن عباس في قوله تعالى ما بكت عليهم السماء والأرض قيل له أوبيكيان على أحد

قال نعم مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء .. وروى أنس بن مالك عن النبي صلى

الله عليه وسلم أنه قال مامن مؤمن إلا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا

مات بكيا عليه ومعنى البكاء ههنا الاخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى منزل فلان بعده
 .. قال ابن مقبل

لَعَمْرُ أَيْيِكَ لَقَدْ شَاقَنِي مَكَانُ حَزْنَتُ لَهُ أَوْ حَزْنُ

.. وقال مزاحم العقيلي

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ فَتَهَلَّتْ دُمُوعِي فَأَيَّ الْجَازِعِينَ الْيَوْمُ

أَمُسْتَعْبِرًا يَنْكِي مِنَ الْهَوْنِ وَالْبِلَا وَآخِرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَتِيمُ

فاذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقام صالح في الأرض ولا ع
 كرم يرفع الي السماء جاز أن يقال فابكت عليهم السماء والأرض .. ويمكن في الآية -
 خامس وهو أن يكون البكا فيها كناية عن المطر والسقيا لان العرب تشبه المطر بالبكاء
 ويكون معنى الآية أن السماء لم تسق قبورهم ولم تجذ عليهم بالقطر على مذهب العرب
 المشهور في ذلك لأنهم كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من أعضائهم ويستنبتون
 لمواضع حفرهم الزهر والرياض .. قال النابغة

فَمَا زَالَ قَبْرُ بَيْنَ تَبْنَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمَى طَلٌّ وَوَابِلٌ^(١)

فَيَنْبَتَ حَوْذَانَا وَعَوْفًا مَنُورًا سَأْتُ بَعْدَهُ مِنْ خَيْرٍ مَا قَالَ قَائِلُ

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسئلة الله لهم الرضوان والفعل الذي أضيف
 الي السماء وان كان لا يجوز اضافته الي الارض فقد يصح عطف الارض على السماء بان

(١) - تبنى - بضم أوله وسكون ثانيه مقصور بلدة بجوران من أعمال دمشق وقال ابن

حبيب تبنى قرية من أرض الثنية لفسان قال ذلك في تفسير قول كثير

أَكَارِسَ حَلَّتْ مِنْهُمْ مَرْجَ رَاهِطٍ فَأَكْنَفَ تَبْنَى مَرْجَهَا فَنَلَاها

كان القبان الفر وسط بيوتهم نَعَاجٌ بِجُودٍ مِنْ رُمَاحٍ حَلَاها

- وجاسم - موضع آخر بالشام دفن بين هذين الموضعين أحد آل جفنة فرأه النابغة

- وطل - يرى بدله جود - والوسمي - مطر الربيع الاول ويقال للمطر الثاني الولي لأنه يلي

يقدر لها فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل مثل هذا . قال الشاعر
يَا لَيْتَ زَوْجَكَ قَدْ غَدَا مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

فعطف الرمح على السيف وان كان التقليد لا يجوز فيه لكنه أراد حاملاً رمحاً ومثل هذا يقدر في الآية فيقال انه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم وان الأرض لم تعشب عليها وكل هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه

[تأويل خبر] . . . روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحب الأعمال الى الله عز وجل أدومها وان قل فعليكم من الأعمال بما تطيقون فان الله لا يمل حتى تموتوا وفي وصفه تعالى بالملل وجوه أربعة أولها انه أراد نفي الملل عنه وانه لا يمل أبداً فعلقه بما لا يقع على سبيل التباعد كما قال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) . . . وقال الشاعر

فَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْكُمُ أَوْ تَنْهَى إِذَا مَا شِئْتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ

أراد انك لانحكماً أبداً . . . فان قيل ومن أين قلتم ان ما علقه به لا يقع حتى حكتم بأنه أراد نفي الملل على سبيل التأييد . . . قلنا معلوم ان الملل لا يشتمل البشر في جميع آراهم وأوطارهم وانهم لا يعرفون من حرص ورغبة وأمل وطمع فلهذا جاز أن يعلق ما علم تعالى أنه لا يكون بمللهم . . . والوجه الثاني ان يكون المعنى انه لا يفض علىكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللاً وان لم يكونا في الحقيقة كذلك على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه . . . قال عدي بن زيد العبادي

ثُمَّ أَضْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُؤْدِي بِالرِّجَالِ

. . . وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

سَأْتِلُ بِنَا حُجْرَ ابْنِ أُمِّ قَطَامٍ إِذْ ظَلَّتْ بِهِ السُّمُرُ الذَّوَابِلُ تَلْعَبُ^(١)

(١) - حجير بن أم قطام - هو حجير بن عمرو الكندي أبو امرئ القيس الشاعر وكان حجير هذا ملك على بني أسد فكان يأخذ منهم شيئاً معلوماً فامتنعوا منه فساد (٦ - أمالي)

فنسب اللعاب الى الدهر والقنا تشبيهاً .. وقال ذو الرمة

وَأَبْيَضُ مُوَشَّى الْقَمِيصِ نَصْبَتُهُ عَلَى خَضَرٍ مِقْلَاةٍ سَفِيهِ جَدِيلُهَا

فسمى اضطراب زمامها وشدة تحركه سفهاً لأن السفه في الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب والحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط .. وأما قوله - وأبيض موشى القميص - فانما عني سيفه وقيصه جفنه والمقلاة الناقة التي لا يعيتس لها ولد * والوجه اثبات أن يكون المعنى انه تعالى لا يقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سؤاله ففعلهم ملل على الحقيقة وسمى فعله مللا وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشكلة اللفظتين في الصورة وان اختلفتا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ وجزاء سيئةً سيئةً مثلها) .. ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي

أَلَا لَا يَجْهَلُن أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وانما أراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به .. والوجه الرابع أن يكون الراوي وهم غلط من الفتح الى الضم وان يكون قوله يُمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان أحدهما انه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا من عبادته وتعرضوا

اليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى فسموا عبيد العصى وأسر منهم جماعة فيهم عبيد بن الأبرص الأسدي فقام بين يدي الملك .. فقال

يَا عَيْنَ قَابِكِي مَا بَنِي أَسْدُهُمْ أَهْلُ النَّدَامَةِ

أَهْلُ الْقَبَابِ الْحَرِّ وَالْأَسَدُ نَعَمْ الْمُؤْبَلُ وَالْمَدَامَةُ

فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ بَيْتِ رَبِّهِ وَالْقُصُورِ إِلَى الْبِيَامَةِ

تَطْرِبُ عَانَ أَوْ صِيَا حَاحَ مَحْرَقَ وَزَقَاءَ هَامَةِ

أَنْتَ الْمَلِكُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ

فرحمهم الملك وعفا عنهم وسرحهم الى بلادهم ثم انهم أغاروا عليه في غرة منه فقتلوه واستولوا على أمواله فقال عبيد عدة قصائد يفخر بذلك

عن طاعته لان الملة هي مشتوي الخبز يقال ملّ الرجل الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها
في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماده والمعنى الثاني أن يكون أراد انه
لا يسرع الي عقابكم بل يحلم عنكم رفقا وحتى تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم
الحارم وتتابعكم في المآثم .. وروي انه قيل للفرزدق هل حسدت أحداً على شيء من
الشعر فقال لا لم أحسد على شيء منه إلا ليلي الأخيلية في قولها

وَمُخْرِقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا
حَتَّى إِذَا رُفِعَ الْأَوِيُّ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوِيِّ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا^(١)
لَا تَقْرَبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ لَا ظَالِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومًا

.. قال على أنني قد قلت

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَّاتَةً مِنْ جَذْبِهَا بِالْمَصَائِبِ
سَرَوْا يَجْتَظُّونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفُهُمْ إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا أَبْصَرُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهَا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارَ غَالِبِ^(٢)

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلي بل هي أجزل ألفاظاً وأشد أسراً الا أن
أبيات ليلي أطبع وأنصع .. وقد كان الفرزدق مشهوراً بالحسد على الشعر والاستكثار
لقليله والافراط في استحسان مستحسنه .. وروي ان الكميّ بن زيد الاسدي رحمه الله
لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته التي أولها

(١) - اللوى - اللواء سمي بذلك لأنه يلوى به يقال ألوى الرجل بشيء اذا
أشاح به - والحميس - الجيش لأن له خمسة أركان مقدمة ومؤخرة وقلب وجناحان
- والزعيم - الكفيل بالأمر القائم به

(٢) - خصرت - أصابها الخصر وهو شدة البرد - وغالب - أبو الفرزدق .. يقول
انهم يتمنون اذا أبصروا نارا أن تكون نار غالب لانهم يرون عندها من القرى ما لا يرون
عند نار أخرى

أَتَضَرِّمُ الْجَبَلَ جَبَلَ الْبَيْنِ لَمْ أَمْ تَصَلُ فَكَيْفَ وَالشَّيْبُ فِي فَوْدَيْكَ مُشْتَعِلُ
والأبيات

لَمَّا عَبَاتَ لِقَوْسِ الْمَجْدِ اسْتَهْمَا حَيْثُ الْجَدُّ دُعِيَ الْأَحْسَابِ تَتَّصَلُ
أَحْرَزْتَ مِنْ عَشْرَهَا تَسْعَاوَ وَاحِدَةً فَلَا أَعْمَى لَكَ مِنْ رَامٍ وَلَا الشَّلَلُ
الشَّمْسُ إِيَّاكَ إِلَّا أَنَّهَا امْرَأَةٌ وَالْبَذَرُ إِيَّاكَ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ

حسده الفرزدق فقال له أنت خطيب وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر ولما بهره من حسن الابيات وأفرط بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضاها جملة عدل في وصفها الي معنى الخطابة . . وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه به من أدل دليل على حسن نقده وقوة بصيرته فيه وان كان يطرب للعجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل أيضاً على انصافه فيه وأنه مستقل للكثير الصادر من جهته فان كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى والاعجاب والاستحسان لما يظهر منهم من شعر وفضل الى أن يعموا عن محاسن غيرهم ويستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير . . ولايبات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول . . أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب الشاعر فقال سليمان للفرزدق أنشدني فأنشده الابيات التي تقدم ذكرها فاسود وجه سليمان وغازه فعله وكان يظن أنه ينشده مديحاً له فلما رأى نصيب ذلك قال ألا أنشدك فأنشده

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ لَقَيْتُهُمْ قَفَاذَاتٍ أَوْشَالَ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ
قَفُّوا خَبَرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لَمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبُ
فَمَا جُؤَا فَاثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

فقال له سليمان أنت أشعر أهل جلدتك . . وفي بعض الاخبار ان الفرزدق قال ذلك في نصيب لما سأله عنه سليمان . . وروى أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان

أَحْسَلْتُ وَوَصَلَهُ وَلَمْ يَصِلِ الْفَرْزُذَقُ نَخْرَجُ الْفَرْزُذَقُ وَهُوَ يَقُولُ

وَخَيْرُ الشَّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشَّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ

ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على أبيات نصيب وإن كان نصيب قد أغرب وأبدع في قوله * ولو سكتوا أننت عليك الحقائب * إلا أن أبيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال تليق بها وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها على غير وجهها فلهذا قدمت أبيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الذروة العليا والغاية القصوى شريف الآباء كريم البيت له ولا بانه مآثر لا تدفع ولا تجحد والفرزدق لقبه لقب به وليس باسمه وإنما لقب به لجهامة وجهه وغلظه لأن الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين وقيل أنها الخبزة الغليظة التي تتخذ منها النساء الفتوت * * واسمه هام بن غالب وكنيته أبو فراس وقيل إنه كان يكنى في شبابه بأبي مكية^(١) وهي أغرب كناه * * وكان شيعياً مائلاً إلى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال فسقه منسلخاً من الدين جملة ولا مهملاً أمره أصلاً * * ومما يشهد بذلك ما أخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عن أبي حفص الغلاس عن عبد الله ابن سوار عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال دخلت على الفرزدق فجعلت أحاده فسمعت صوت حديد يتقعقع فتأملت الأمر فإذا هو مقيد الرجلين فسألت عن السبب

(١) كنى بذلك بنت له اسمها مكية وكانت كأبيها حاضرة الجواب خبيثة اللسان فيقال إن رجلاً قرع باب الفرزدق يسأل عنه وكان مقطوع اليد فخرجت إليه مكية فسألها عن أبيها فقالت إنه خرج في بعض حاجه ثم قالت مالي أرى يدك مقطوعة فقال قطعها الحرورية فقالت بل قطعت في اللصوصية فانصرف الرجل خجلاً ثم جاء الفرزدق فأخبر بذلك فقال أشهد أنها بنتي حقاً ثم أنشأ يقول

حام إذا ما كنت ذا حميه بدارمي بننه صييه صمحمحم يكنى أبا مكيه
وكانت مكية هذه من زنجية

في ذلك فقال اني آليت على نفسي اني لا أنزع القيد من رجل حتى أحفظ القرآن
 .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال أخبرنا ابن أبي
 الدنيا قال أخبرنا الرياشي عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق علام
 تقذف المحصنات فقال والله الله أحب الي من عيني هاتين أفتراه يعذبن بعدها
 .. وروى انه تعلق باستار الكعبة فعاهد الله علي ترك الهجاء والقذف اللذين كان
 ارتكبهما .. وقال

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِماً وَمَقَامٍ
 عَلَى حَافَةِ لَا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِماً وَلَا خَارِجاً مِّنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ
 أَطْعَمْتُكَ يَا إِبْلِيسُ تَسْعِينَ حِجَّةً فَلَمَّا قَضَى عَمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي
 فَزَعْتُ إِلَى رَبِّي وَائْتَقَنْتُ أَنَّي مُلَاقٍ لِّأَيَّامِ الْحَتُوفِ حِمَامِي

.. وروى الصولي عن الحسين بن الفياض عن إدريس بن عمران قال جاءني الفرزدق
 فتذاكرنا رحمة الله وسعها فكان أوثقنا بالله فقال له رجل ألك هذا الرجاء والمذهب
 وأنت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال أنروني لو أذنبت ذنباً إلى أبوي أكانا يقذفاني
 في تنور وتطيب أنفسهما بذلك فقلنا لا بل كانا يرحمانك قال فأنا والله برحمة ربي أوثق
 مني برحتهما .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا
 عبد الله بن أبي سعيد الوراق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطفاوى قال حدثني
 أبي عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امرأة الفرزدق وكان
 الفرزدق حاضراً فقال له الحسن وهو عند القبر ياباً فراس ما أعددت لهذا المضجع قال
 شهادة أن لا إله الا الله منذ ثمانين سنة فقال له الحسن هذا العمود فابن الطنب .. وفي
 رواية أخرى أنه قال نعم ما أعددت ثم قال الفرزدق في الحال

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِن لَّمْ يُعَافِنِي أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ التَّهَابُ وَأَضْيَقَا
 إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِداً عَنيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا

لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ أَزْرَقًا
يُقَادُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا سَرَائِيلَ قَطْرَانٍ لِبَاسًا مُحَرِقًا

.. قال فرأيت الحسن يدخل بعضه في بعض ثم قال حسبك .. ويقال ان رجلا رأى
الفرزدق بعد موته في منامه فقال ما فعل الله بك فقال عفا عني بتلك الايات .. وأما
ما يدل علي تشيعه وميله الى بني هاشم فما أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمرو
ابن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال
حدثنا أبو ليبيد قال جاء الكميث الى الفرزدق فقال يا عم اني قد قلت قصيدة أريد أعرضا
عليك فقال له قل .. فانشده

* طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ *

فقال له الفرزدق فالي من طربت تكلتك أمك فقال

* وَلَا لَعِبًا مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ *

وَلَمْ تَلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزِلٌ وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبٌ

فقال له إلام طربت فقال

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمُّهُ أَصَاحَ غُرَابٌ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبٌ

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. تقف علي الطير ثم تبدي بهمه ليعلم الغرض

وَلَا السَّانِحَاتِ الْبَارِحَاتِ عَشِيَّةً أَمْرَسَايِمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْضَبُ^(١)

وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالنُّهَى وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ وَالْخَيْرِ يُطْلَبُ

.. قال الفرزدق هؤلاء بنو دارم .. فقال الكميث

(١) - السانحات - جمع سانحة - والبارحات - جمع بارحة - والسانح من الطير ما

مر من مياسرك الى ميامنك والبارح بعكسه والعرب كانوا يقيمون بالسانح ويتشاءمون
بالبارح .. ومن أمثالهم من لي بالسانح بعد البارح أى بالمبارك بعد المشؤم

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ يُحِبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَتَقَرَّبُ

فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ هُوَ لَاءُ بَنُو هَاشِمٍ فَقَالَ الْكُمَيْتُ

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ فَانْتَبَيْتُ بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأَغْضَبُ

فَقَالَ لَهُ الْفَرَزْدَقُ وَاللَّهِ لَوْ جَزَّيْتُهُمْ إِلَى سِوَاهُمْ لَذَهَبَ قَوْلُكَ بَاطِلًا ۝ وَمَا يَشْهَدُ أَيْضًا بِذَلِكَ مَا أَخْبَرْنَا بِهِ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ ۝ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا جَدِّي بِحَدِيثِ ابْنِ الْحُسَيْنِ الْعَلَوِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ طَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَجَّ فَاسْتَجْمَعَ النَّاسَ جَمَالَهُ وَتَشَوَّفُوا لَهُ

وَجَعَلُوا يَقُولُونَ مِنْ هَذَا فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمْ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ

وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَائِفُهُ

إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْبَكْرَمُ إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ فَائِلُهَا

يَسْكَادُ يَمْسِكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ رَكْنُ الْحَاطِمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ

فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ يُغْضَى حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ

أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ أَيْ الْقَبَائِلِ اللَّهُ يَشْكُرُ أَوْلِيَّةَ ذَا

فَالَّذِينَ مِنْ نَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ

۝ وَفِي رِوَايَةِ الْغَلَابِيِّ أَنَّ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ حَجَّ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ الْوَلِيدِ وَهُوَ

حَدَّثَ السَّنَّ فَرَادَ أَنْ يَسْتَلِمَ الْحَجَرَ فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِكَ لِتَزَاحُمِ النَّاسِ عَلَيْهِ فَجَلَسَ يَنْظُرُ

مَخْلُوءًا فَاقْبَلَ عَلَيْهِ ابْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ وَرِدَاءٌ وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا

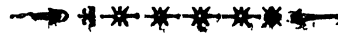
وَأَطْيَبِهِمْ رِيحًا بَيْنَ عِيْلَيْهِ سَجَادَةً كَانَهَا رَكْبَةٌ عَزَّ فَجَعَلَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَإِذَا بَلَغَ الْحَجَرَ

تَنَحَّى النَّاسَ لَهُ عَنْهُ حَتَّى يَسْتَلِمَهُ هَيْبَةً لَهُ وَاجْتِلَالًا فَعَاظَ ذَلِكَ هِشَامًا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ

الشَّامِ مِنْ هَذَا الَّذِي قَدْ هَابَهُ النَّاسُ هَذِهِ الْهَيْبَةُ فَقَالَ هِشَامُ لَا أُعْرِفُهُ لِئَلَّا يَرُغِبَ فِيهِ أَهْلُ

الشيء فقال الفيرزدق وكان هناك حاضراً لكنني أميرفه وذكر الأبيات وهي أكثر مما
رويناها لكننا تركناها لأنها معروفة . . قال ففضب هشام وأمر بحبس الفيرزدق بعينين
بين مكة والمدينة فبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلام فبعث إلي الفيرزدق بأني عنده
ألف درهم وقال اعذرنا يا أبا فرائس فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لوصلناك
به فردّها الفيرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت إلا غضباً لله ولرسوله وما
كنت لأرزا عليه شيئاً وردّها إليه فردّها عليه وأقسم عليه في قبولها وقال له قد
رأي الله مكابك وعلم نيتك وشكر لك ونحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئاً لم نرجع فيه
قبلها وجعل الفيرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس . . وبما هجاه به

أَتَجَسُّسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالَّتِي إِلَيْهَا رَقَابُ النَّاسِ يَهْوِي مُنِيبُهَا
يُقَابُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءَ بَادٍ عِيُوبُهَا



مجلس آخر ٦

[ان سأل سائل] . . فقال ما عندكم في تأويل قوله تعالى ﴿وَكُفَّ شَأْوَ رَبِّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ وظاهر هذه
الآية يقتضي أنه تعالى ماشاء أن يكونوا أمة واحدة وأن يجتمعوا على الإيمان والهدى
وهذا بخلاف ما يذهبون إليه . . ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلو من أن يكون عني إنه
للاختلاف خلقهم أو للرحمة ولا يجوز أن يعنى الرحمة لأن الكناية عن الرحمة لا تكون
بلفظة ذلك ولو أرادها لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان رجوعه إلى
الاختلاف أولى وليس يبطل حمل الآية على الاختلاف من حيث لم يكن مذكوراً فيها
لأن الرحمة أيضاً غير مذكورة فيها وإذا جعلتم قوله تعالى الأمن رحمة دالا على الرحمة فيكون ذلك
قبوله مختلفين دالا على الاختلاف على أن الرحمة هي رقة القلب والشفقة وذلك لا يجوز
على الله تعالى ومتى ما تُعَدِّىَ بها ما ذكرناه لم يعن بها إلا العفو وإسقاط الغير وما جرى

مجرأها عن مستحقه وهذا مما لا يجوز أن يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لأنه لو خلقهم للعفو لما حسن منه عقاب المذنبين ومؤاخذة المستحقين .. الجواب يقال له أما قوله تعالى ولو شاء ربك فأنما عسى بها المشيئة التي ينضم إليها الاجزاء ولم يعن المشيئة على سبيل الاختيار وإنما أراد تعالى أن يخبرنا عن قدرته وأنه لا يغالب ولا يعصى مقهوراً من حيث كان قادراً على العباد واکراههم على ما أراد منهم .. فاما لفظة ذلك في الآية فحملها على الرحمة أولى من حملها على الاختلاف^(١) بدليل العقل وشهادة اللفظ .. فاما دليل العقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد عليه فكيف يجوز أن يكون شائئاً له ومخبراً بخلق العباد عليه .. وأما شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب الى هذه الكناية من الاختلاف وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب .. فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية وإن الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي وإذا كفى عنها بلفظة التذكير كانت الكناية على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرّني كلمتك يريدون سرّني كلامك وقال تعالى (هذا رحمة من ربي) ولم يقل هذه وإنما أراد هذا فضل من ربي .. وقالت الخنساء

فَذَلِكَ يَاهِنْدُ الرِّزْيَةُ فاعلمي وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا

أرادت الرزء .. وقال امرؤ القيس

(١) - قلت - بل الصواب أن يعود على الاختلاف لا لأن رجوع اسم الإشارة على الرحمة غير ممكن بل لأن السياق يدل على خلافه فان الله جل شأنه ذكر صنفين من خلقه أحدهما أهل اختلاف وباطل والآخراهل حق ثم عقب ذلك بقوله ولذلك خلقهم فعمّ بقوله ذلك صفة الصنفين فأخبر عن كل فريق منهما انه ميسر لما خلق له ومعنى قوله ولذلك خلقهم على هذا انه على علمه النافذ فيهم قبل أن يخلقهم انه يكون فيهم المؤمن والكافر والشقي والسعيد خلقهم فاللام في قوله ولذلك بمعنى على وبهذا يندفع كل إشكال يرد هنا

بِرَهْرَهَةٍ رَوْدَةٍ رَخْصَةٍ كَخْرَعُوبَةٍ أَلْبَانَةِ الْمَنْفَطِرِ^(١)

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن .. وقال الآخر

هَنِيئًا لِسَعْدٍ مَا أَقْتَضَى بَعْدَ وَقْعَتِي بِنَاقَةٍ سَعْدٍ وَالْعَشِيَّةُ بَارِدُ

فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي .. وقال الآخر

قَامَتْ تُبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ

تَرَ كَتَنِي فِي الدَّارِ ذَاغُرِبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه أراد شخصاً ذا غربة .. وقال زياد الاعجم

إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَاحَةَ ضَمْنًا قَبْرًا يَمْزُو عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

.. فقال ضمنا ولم يقل ضمنا .. قال الفراء لانه ذهب الى ان السماحة والشجاعة

مصدران والعرب يقولون قصارة الثوب يعجبني لان تأنيث المصادر يرجع الى الفعل وهو

مذكر .. وقال الفرزدق

تَجُوبُ بِنَا الْفَلَاةِ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا

فذكر الوصف لانه أراد التيس .. فأما الارطاة - واحدة الارطي وهو شجر ينبت

في الرمل تستظل بظلاله الظباء من الحر وتأوى اليه .. قال الشماخ

إِذَا الْأَرْطَاةُ تَوَسَّدَ أُرْدِيهِ خُدُودُ جَوَازِيٍّ بِالرَّمْلِ عَيْنِ

.. وقوله - قالا - من القيلولة لامن القول على ان قوله تعالى الا من رحم ربك كما يدل على

الرحمة يدل أيضاً على ان يرحم فاذا جعلنا الكناية بلفظة ذلك عن أن يرحم كان التذكير

في موضعه لأن الفعل مذكر ويجوز أيضاً أن يكون قوله ولذلك خلقهم كناية عن

(١) - الرهره - الناعمة البيضاء من النعمة - والرودة - اللينة من قولهم ريج

رود أي لينة - والرخصة - الغضة الناعمة - والخرعوبة - والخرعوب الغصن لسنته

أو الغصن السامق الناعم الحديث البنات

اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه أمة واحدة^(١) ولا محالة ان لهذا خلقهم ويطابق هذه الآية قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) .. وقال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ان معناه انه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم أمة واحدة وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) في انه أراد هداها الى طريق الجنة فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن ان ترجع لفظة ذلك الى ادخالهم أجمعين الجنة لانه تعالى اتما خلقهم للمصير اليها والوصول الى نعيمها .. فاما قوله ولا يزالون مختلفين فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات .. وذكر أبو مسلم محمد بن بحر في قوله مختلفين وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك اختلفوا وسواء قولك قتل بعضهم بعضاً واقتلوا .. ومنه قولهم لأفعل كذا ما اختلف العصران والجديدان أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر فاما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل لكنه فعل النعم والاحسان بدل على ذلك ان من أحسن الى غيره وأنعم عليه بوصف بأنه رحيم به وان لم تعلم منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعمدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة والفضل والاحسان على من لارقة عنده أكثر منها على الرقيق القلب وقد علمنا أن من رقى قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان لم يوصف بالرحمة واذا أنعم وصف بذلك فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة في الاصل ما ذكرتم ثم انتقل بالتعارف الى ما ذكرناه كمنظاره وقد وصف الله القرآن بأنه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتأتى في القرآن ما ظنوه وانما وصف رقة القلب بأنها رحمة لانها مما

(١) قلت - هذا الجواب لا ينمى الا على مذهب المعتزلة الذين يجوزون على الكافر حل شأنه أن يقع في ملكه ما لا يريد .. أما على مذهب أهل السنة فلا يصح اشكال بردتهم للاجتماع على الايمان لم يفرقوا فيه

مجاوزه الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده فحل محل وصف الشهوة بانها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر وليست الرحمة مختصة بالعمى بل تستعمل في هروب النعم وضرب الاحسان ألا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم يسقط عنه ضرراً ولم يتجاوز له عن زلة وانما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ماضنه السائل سؤاله . . فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين فاي معنى لاستثناء من رحم من جملة المختلفين ان كانت النعمة هي الرحمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة . . قلنا لا شبهة في ان نعم الله شاملة للخلق أجمعين غير ان في نعمه أيضاً ما يختص بها بعض العباد إما لاستحقاق أو لسبب يقتضى الاختصاص فاذا حملنا قوله تعالى الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان النعمة به لا تكون الا مستحقة فمن استحق الثواب بأعماله وصل الى هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للايمان والالطف الذي وقع بعده فعل الايمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة لانه تعالى انما لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه تعالى أن لهم توفيقاً وان في الافعال ما يختارون عنده الايمان فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه

[تأويل خبر] . . روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت وفي هذا الخبر وجوه من التأويل ثلاثة . . أحدها أن يكون معناه اذا علمت أن العمل لله وأنت لا تستحي من الناظرين اليك ولا تتخوفهم أن ينسبك فيه الى الرياء صنعت ما شئت لان فكرك فيهم ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ويمنعانك من القيام بمحدود حقوقه واذا اطرحت الفكر توقرت على استيفاء عملك . . والوجه الثاني ان من لم يستحي من المعايير والمخازي والفضائح صنع ما شاء والظاهر ظاهر أمر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل

قوله تعالى (اعملوا ما شئتم) وقوله عز وجل (فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وهذا نهاية التغليظ والزجر ولاخبار عن كبر الذنب واطراح الحياء وبمجرى مجرى قولهم بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في التعظيم لما ارتكبه وقبح ما اقترفه . . والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت فكأن المعنى إذا لم تفعل قبيحاً فافعل ما شئت لانه لا ضرب من ضروب القبائح الا والحياء يصاحبه ومن شأن فاعله اذا قرع به أن يستحي منه فتى جانب اللسان ما يستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبائح وما عدا القبيح من الافعال فهو حسن ويمجرى هذا مجرى خبر عن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما أظنه أن رجلاً جاءه فاسترشده الى خصلة يكون فيها جماع الخير فقال عليه الصلاة والسلام أشرت عليك أن لا تكذبني ولن أسألك ما وراء ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على اجتنابه دون سائر القبائح وشرط على نفسه ذلك فلما انصرف جعل كل ما همم بقبيح يفكر ويقول أرأيت لو سألتني عنه النبي ما كنت قائلاً له لاني ان صدقته افترضت وان كذبتة نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك سبباً لاجتنابه لسائر القبائح وهكذا معنى الخبر الذي تأولناه لان في اجتناب ما يستحي منه اجتناباً لسائر القبائح [تأويل خبر آخر] . . روى محمد بن الحنفية عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال ^(١) كان قد كثرت على مارية القبطية أم ابراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف اليها فقال لي النبي عليه الصلاة والسلام خذ هذا السيف وانطلق به فان وجدته عندها فاقتله فات يا رسول الله أكون في أمر كالكسكة المحماة أمضي لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال النبي عليه الصلاة والسلام بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فأقبلت متوشحاً بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما أقبلت نحوه علم اني أريده فأتيت نخلة ففرق اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشفر برجليه فاذا انه أجب أمسح

(١) - قلت - في النفس من هذا الحديث أشياء وفي عبارته ركة وفي سياقه اضطراب ولم يتيسر لما حين النظر فيه الكشف عنه والوقوف على حقيقته وأغلب الظن انه موضوع لا أصل له

ماله مما للرجال قليل ولا كثير فغمدتُ السيف ورجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم
 فأخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا الرجس أهل البيت • • [قال المرتضى] رضى الله
 عنه في هذا الخبر أحكام وضرب ونحن نبدأ بأحكامه ثم نتلوه بغريبه • • فأول ما فيه
 أن لقائل ان يقول كيف يجوز أن يأمر الرسول بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا
 ما يجري مجراها • • والجواب عن ذلك ان القبطي جاز أن يكون من أهل العهد الذين
 أخذ عليهم أن نجري عليهم أحكام المسلمين وأن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام
 تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية نخالف وأقام على ذلك وهذا نقض للعهد ونقض
 العهد من أهل الكفر مؤذن بالحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل • • فأما قوله — بل الشاهد
 يرى ما لا يرى الغائب — فانما عني به رؤية العلم لا رؤية البصر لأنه لا معنى في هذا الموضع
 لرؤية البصر فكأنه عليه الصلاة والسلام قال بل الشاهد يعلم ويصح له من وجه الرأي
 والتدبير ما لا يصح للغائب ولولم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وانما جاز
 منه عليه الصلاة والسلام أن يخير بين قتله والكف عنه ويفوض الى أمير المؤمنين عليه
 السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها ولا يسمع الا
 اقامتها لأن ناقض العهد ممن الى الامام القائم بأمر المسلمين اذا قدر عليه قبل التوبة أن
 يقتله وان يمن عليه • • ومما فيه أيضاً من الاحكام اقتضاؤه ان مجرد أمر الرسول عليه
 الصلاة والسلام لا يقتضى الوجوب لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه
 وفي حسنها ووقعها موقعها دلالة على أنه لا يقتضى ذلك • • ومما فيه أيضاً من الاحكام دلالة
 على أنه لا بأس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر ينزل ولا يوجد من النظر اليها ابداً لما
 لحد يقام أو لعقوبة تسقط لان العلم بأنه أمسح أجب لم يكن الا عن تأمل ونظر وانما
 جاز النظر والتأمل لتبيين هل هو ممن يكون منه ما قرف به أم لا والواجب على الامام
 فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه محبوب أن يأمر بالنظر اليه وتبيين أمره وبمثله أمر النبي
 عليه الصلاة والسلام في قتل مقاتلة بنى قريظة لأنه أمر أن ينظروا الى مؤثر كل من
 أشكل عليهم أمره فمن وجدوه قد أثبت قتلوه ولو لا جواز النظر الى العورة عند الضرورة
 لما قامت شهادة الزنا لأن من رأى رجلاً مع امرأة واقعاً عليها ولم يتأمل أمرهما حتى

التأمل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن عباد وقد سألته عن
وجود مع امرأته رجلاً أبقته فقال لا حتى يأتي بأربعة شهداء ولو لم يكن للشهداء
إذا حضروا تعدد النظر إلى عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ولم يتم
شهادة الزنا لأن من شرطها مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة . . فان قيل كيف
جاز لأمر المؤمنين الكف عن القتل ومن أي جهة آثره لما وجدته أجب وأي تأثير
لكونه أجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد . . قلنا إنه عليه الصلاة والسلام لما فوض
إليه الأمر في القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال وإن وجدته أجب لأن كونه
بهذه الصفة لا يخرجها عن نقض العهد وإنما آثر الكف الذي كان إليه ومفوضاً إلى رأيه
لإزالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ولأنه أسفق من أن يقتله فيحقق الظن
ويلحق بذلك العار فرأى عليه السلام أن الكف أولى لما ذكرناه . . وأما ضرب الحديث
فقوله شجر برجله يريد رفعها وأصله في الوصف إذا رفع رجله للبول فأما نكاح الشغار
فبالكسر وقد قيل الشغار بالفتح وهو أن يزوج الرجل من هو ولي لها من بنت أو أخت
غيره على أن يزوجه بنه أو أخته بغير مهر وكان أحد العرب في الجاهلية يقول للآخر
شاغرنى أي زوجني حتى أزوجه وأظنه مأخوذاً من الشجر الذي هو رفع الرجل
لأن النكاح فيه معنى الشجر فسمي هذا العقد شغاراً ومشاعرة لافضائه في كل واحد
من المتزوجين إلى معنى الشجر وصار اسماً لهذا النكاح كما قيل في الزنا سفاح لأن الزانيين
يتساحلان الماء أي يسكبانه والماء هو النطفة . . ويمكن أن يكون أيضاً الماء الذي يغتسلان
به فكفي بذلك عن الزنا ثم صار اسماً له وعلماً عليه . . ومن الشجر الذي هو رفع الرجل
قول زياد لابنة معاوية وكانت عند ابنه وافترخت يوماً عليه وتطاوات فشكاها إلى أبيه
زياد فدخل عليها بالدرة يضربها ويقول لها أشغراً وأشغراً . . وأما قول الفرزدق
شَغَارَةٌ تَقْدُ الْفَصِيلَ بِرِجْلِهَا فَطَارَةٌ لِقَوَادِمِ الْأَبْكَارِ

. . فانه من غريب شعره وفسره قال - شغارة - أنها ترفع رجلها بالبول وقوله - تقد الفصيل
برجلها - أي تركله وتدفعه عن الدنو إلى الرضاع لينتوفرا اللبن على الحلب أو أراد بتقده
أي تباليه في إيلاجه وضربه ومنه الموقودة فاما قوله - فطارة لقوادم الابكار - فالنظر

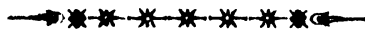
هو الحلب بثلاث أصابع والقوادم هي الاخلاف وانما خص الابكار بذلك لان صغر
أخلافها يمنع من حلبها ضباً - والضب - هو الحلب بالاصابع الاربع كلها فكأنه لا يمكن
فيها لقصر أخلافها الا الفطر ومعنى البيت تعبيره نساء جرير بأنهن راعيات وذلك مما
تعير به العرب النساء ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت

كَمْ عَمَّةٍ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَهٖ فدعاء قد حَلَبْتُ عَلَيَّ عِشَارِي
كُنَّا نَحَاذِرُ أَنْ تَضِيعَ لِقَا حَنَا وَلَهْمَا إِذَا سَمِعْتَ دُعَاءَ يَسَارِ

ثم تلا ذلك بقوله شفارة .. [قال المرتضى رحمه الله عليه] وعندى أن قوله شفارة كناية
عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه أن يكون مراده في هذا الموضع ألا ترى انه قد وصفها
بالولة وترك حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار - ويسار - اسم راع فكأنه قد وصفها
بالولة الى الزنا والاسراع اليه وترك حفظ ما استحفظته من اللقاح فالأشبه أن يكون
قوله شفارة مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه محمولا على ما أشرنا اليه .. فاما قولهم
ذهبوا شَرَّ بئر فليس من هذا في شيء وانما يراد به انهم ذهبوا مفرقين مشتتين ومثله
ذهبوا عباديد وشعاليب وشعارير وأبادى سبأ كل ذلك بمعنى واحد .. وأما قوله - فاذا
انه أجب - فيعني به المقطوع الذكر لأن الجلب هو القطع ومنه بعير أجب اذا كان مقطوع
السنام وقد ظن بعض من تأول هذا الخبر أن الامسح هنا هو قليل اللحم الالية كالارصح
والأرصح والازل وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له في هذا الخبر وانما أراد
تأكيد الوصف له بأنه أجب والمبالغة فيه لان قوله أمسح يفيد انه مصطلم الذكر ويزيد
على معنى أجب زيادة ظاهرة .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني القاسم بن
الحسن الوراق قال حدثنا سليمان بن داود الطوسي قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضي
عن الأصمعي قال دخات على الرشيد في الليل فنذاكرنا أحوال القمر فقلت العرب
تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما أنت ابن ليلة قال رضاع سُخَيْلَةٌ حل أهلها برُمَيْكَةٍ .. قيل
له فما أنت ابن ليلتين قال حديث أمتين بكذب ومين .. قيل له ما أنت ابن ثلاث قال
قليل اللبسات .. وقيل أيضاً حديث فتيات غير جدٍ .. وتلفات .. قيل له فما أنت ابن أربع
قال عتمة أم رُبْع وقيل عتمة أم الرُبْع غير جائع ولا مرضع .. قيل له فما أنت ابن
(٨ - أمالي)

خمس قال عشاء خلفات قُنعس ويقال حديث وأنس ويقال سر ومس . . . قيل له فما أنت ابن ست قال سر وبت ويقال تحدث وبت . . . قيل فما أنت ابن سبع قال دلجة ضبع وقيل هدى لأنس ذى الجمع وقيل حديث جمع وقيل يضفر فى النسع وقيل يلتقط فى الجزع . . . قيل فما أنت ابن ثمان قال قرّة أضحيان . . . قيل فما أنت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يضفر فى الجزع وقيل يلتقط فى الجزع وقيل الودع وقيل عشية أهل جمع . . . قيل فما أنت ابن عشر قال ثلث الشهر وقيل مخنق الفجر وقيل أوديك الى الفجر وقيل أبادر الفجر . . . قيل فما أنت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء وأرى بكرة وقيل وأغيب بسحرة . . . قيل فما أنت ابن اثني عشرة قال مؤنق للبشر للبدو والحضر . . . قيل فما أنت ابن ثلاث عشرة قال قمر باهر يعشى له الناظر . . . قيل له فما أنت ابن أربع عشرة قال مستقبل الشباب أضىء مدجنات السحاب وقيل مضىء للسحاب . . . قيل فما أنت ابن خمس عشرة قال تم الشباب وانتصف الحساب . . . قيل فما أنت ابن ست عشرة قال ناقص الخلق بالغرب والشرق . . . قيل فما أنت ابن سبع عشرة قال أمكنت المقنفر القفرة . . . قيل فما أنت ابن ثمانى عشرة قال قليل البقاء سريع الفناء . . . قيل فما أنت ابن تسع عشرة قال بطىء الطلوع بين الخشوع . . . قيل فما أنت ابن عشرين قال أطلع بسحرة وأضىء بالهرة وقيل أهجر بالهرة . . . قيل فما أنت ابن احدى وعشرين قال كالقبس يرى بالغلس . . . قيل فما أنت ابن اثنين وعشرين قال لأطلع الارث ما أرى . . . قيل فما أنت ابن ثلاث وعشرين قال أطلع فى قمة ولا أجلو الظلمة . . . قيل فما أنت ابن أربع وعشرين قال لا قمر ولا هلال . . . قيل فما أنت ابن خمس وعشرين قال دنا الأجل وانقطع الأمل . . . قيل فما أنت ابن ست وعشرين قال دنا مادنا فلا يرى منى الا شفا . . . قيل فما أنت ابن سبع وعشرين قال أطلع بكرة ولا أرى ظهراً . . . قيل فما أنت ابن ثمان وعشرين قال أسبق شعاع الشمس . . . قيل فما أنت ابن تسع وعشرين قال ضئيل صغير فلا يرانى الا البصير . . . قيل فما أنت ابن ثلاثين قال هلال مستبين . . . قال الأصمى ثم قلت للرشيذ يقال انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا عاقل وقال خذه عليّ قلت هات فاعاده حتى باغ الى قيل له ما أنت ابن ثمان قال قمر

أضحيان .. قوله اما رضاع سخيله أراد تصغير سخله والمعنى ان القمر يبتى بقدر ما ينزل قوم فنضع شاتهم سخله ثم ترضعها ويرتحلون فبقاؤه في الأفق بمقدار هذا الزمان .. وقوله حل أهلها برميله فأظن ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللبث وسرعة الانتقال لأن الرمل ليس بمنزل مقام للقوم لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جلد الأرض وهضبا والأماكن التي لا تستولى السيول عليها فخص الرميطة لهذا المعنى .. وقوله حديث أمتين بكذب ومين يريد أن بقاؤه قليل بمقدار ما تلقى الأمة الأمة فتكذب لها حديثاً ثم يفترقان .. وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات يريد انه يبتى بقاء فتيات اجتماعن على غير ميعاد فتحدثن ساعة ثم انصرفن غير مؤتلفات .. وقوله عتمة أم الربيع يقال عتمت إبله اذا تأخرت عن العشاء .. وقوله أم ربيع يعني الناقة وهو تأخير حلها يريد أن بقاءه بمقدار ما تحب ناقة لها ولد ولدته في أول الربيع وهو أول الناج والولد في هذا الوقت يسمى ربّعا اذا كان ذكراً فان كان أنثى قيل ربعة فان كان في آخر الناج قيل هبع للذكر وللانثى هبعة .. وقوله عشاء خلفات قعس فالخلفات اللواتي قد استبان حملهن واحدها خلفه وهي واحدة المخاض ولا واحد للمخاض من لفظها وانما قال عشاء خلفات لانها لاتعشى الى أن يغيب القمر في هذه الليلة والقعساء الداخلة الظهر الخارجة البطن .. وقوله سرّوب يريد انه لا يبتى الا بقدر ما يبيت الانسان ثم يسير .. وقوله قرّ أضحيان أي ضاح وبارز ويقال قرّ أضحيان بالنّوين فهما جميعاً وقرّ أضحيان بالاضافة ومنه قيل ليلة أضحيانة اذا كانت نقيّة البياض .. وقوله منقطع الشسع أراد أنه يبتى بقدر ما يبتى شسع من قدّ يمثنى به حتى ينقطع .. وقوله يلتقط في الجزع أي انه مضيء أبلج لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور مفصلة بجزع ماضع منها شيء اضيائه وبقائه .. وقوله أضيء بالهرة يعني لصفائه وسط الليل لأن بهرة الشيء وسطه .. وقوله أمكنت المقتفر القفرة فالمقتفر الذي يتبع الآثار وقفرته موضعه الذي يقصده



— مجلس آخر ٧ —

[ان سأل سائل] عن قوله تعالى ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى

وَأَضْلُ سَبِيلًا) فقال كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة عمياً وقد تظاهر الخبر عن الرسول بأن الخلق يحشرون كما بدأوا سالمين من الآفات والعايات قال الله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) وقال الله تعالى (وكما بدأكم تعودون) وقال جل وعز (فبصرك اليوم حديد) .. الجواب يقال في هذه الآية أربعة أوجه .. أحدها أن يكون العمى الأول انما هو عن تأمل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي أراها الله تعالى المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ويكون العمى الثاني هو عن الايمان بالآخرة والاقرار بما يجازى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب .. وقد قال قوم ان الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى (ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) الي قوله تعالى (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) ثم قال بعد ذلك (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً) يعنى في هذه النعم وعن هذه العبر فهو في الآخرة أعمى أي هو عما غيَّب عنه من أمر الآخرة أعمى ويكون قوله في هذه كناية عن النعم لاعن الدنيا .. ويقال ان ابن عباس سأله سائل عن هذه الآية فقال له اتل ما قبلها فنهى على التأويل الذي ذكرناه .. والجواب الثاني من كان في هذه يعنى الدنيا أعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما أوجب الله عليه المعرفة به فهو في الآخرة أعمى عن الجنة والثواب بمعنى أنه لا يهتدى الى طريقهما ولا يوصل اليهما أو عن الحجة اذا سئل وأوقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى والايمان به يكون يوم القيامة منقطع الحجة مفقود المعاذير .. والجواب الثالث أن يكون العمى الاول عن المعرفة والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار عن عظم ما يناله هؤلاء الكفار الجهال بالله من الخوف والغم والحزن الذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ومن عادة العرب ان تسمى من اشتد همه وقوى حزنه أعمى سخين العين ويصفون المسرور بأنه قرير العين قال الله تعالى (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .. والجواب الرابع أن يكون العمى الأول عن الايمان والثاني هو الآفة في العين على سبيل العقوبة كما قال الله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت

بصيراً قال كذلك أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) ومن يجب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى (كما بدأنا أول خلق نعيده) على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما أنها معدومة في الابتداء ويجعل ذلك نظيراً لقوله تعالى (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) ويتأول قوله (فبصرك اليوم حديد) على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة وان الجاهل بالله في الدنيا يكون عارفاً به في الآخرة والعرب تقول فلان بصير بهذا الأمر وزيد أبصر بكذا من عمرو ولا يريدون ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أي كنت غافلاً عما أنت الآن عارف به فلما كشفنا عنك الغطاء بان أعلمناك وجعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت فأما الخبر الذي يدعي رؤيته فهو خبر واحد ولا حجة في مثله واذا عرف لفظه ربما أمكن تأوله على ما يطابق هذا الجواب ومن ذهب الى الأجوبة الأول يجعل العمى الأول والثاني معاً غير الآفة في العين فان عورض بقوله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) نقوله بالعمى عن الثواب أو عن الحجة وقال في قوله لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ان معناه اني كنت بصيراً في اعتقادي وظنى من حيث كنت أرجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز أن يراد بالعمى الأول والثاني جميعاً الآفة في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان مكفوف البصر في الدنيا من مؤمن وكافر وطائع وعاص يكون كذلك في الآخرة وهذا باطل وبمثله يبطل أن يراد بلفظة أعمى الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان ويبطله أيضاً أن العمى الذى هو الخلقة لا يتعجب منه بلفظة افعل وانما يقال ما أشد عماء ولا يجوز أن يراد بالعمى الأول عمى العين والثاني العمى عن الثواب أو الجنة أو الحجة لانا نعلم ان فيمن عميت عينه في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل اليه ولا يجوز أن يراد بالأول والثاني العمى عن المعرفة والايمان لا على طريق المبالغة والتعجب ولا على غير ذلك لانا نعلم ان الجاهل بالله تعالى المعرضين في الدنيا عن معرفته لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك فضلاً أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية يشترك فيها جميع الناس فلم يبق

بعد الذي أبطنناه الا ما دخل في الأجوبة وعلى الأجوبة الثلاثة الأول اذا أريد بأعمى الثانية المبالغة والتعجب كان في موضعه لأن عمى القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة أفعل وان لم يجر ذلك في عمى الجارحة . . . ولما أجاب بالجواب الرابع أن لا يجعل قوله تعالى فهو في الآخرة أعمى لفظه تعجب بل يجعله إخباراً عن عماء من غير تعجب وان عطف عليه بقوله وأضل سبيلاً ويكون تقدير الكلام ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وهو أضل سبيلاً . . . فان قيل ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة أفعل . . . قلنا قد قال النحويون في ذلك ان الألوان والعيوب لا يتمتع بها بلفظة التعجب وانما يعدل فيها الى أشد وأظهر وما جرى مجراها . . . قالوا لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك فلا يقال ما أسوده ولا أعوره كما لا يقال ما أيداه وما أرجله بل يقال ما أشد سواده كما يقال ما أشد يده ورجله . . . واعتلوا بعلّة أخرى قالوا ان الفعل من الألوان والعيوب على افعال ونحو احمرّ واعورّ واحولّ واحوالّ والتعجب لا يدخل فيما زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ألا ترى أنه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلاثة أحرف . . . فان قيل لهم فقد قالوا عورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من افعال وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت في اسودّ واحمرّ ولولا أنه منقول لا غلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب . . . وحكى عن الفراء في ذلك جوابان . . . أحدهما ان أفعال في التعجب فيه زيادة على وصف قبله اذا قال القائل أفضل وأجمل فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ولم يقولوا ما أبيض زيدا لئلا يسقط التزيد ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالف أفضل وأجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم في أبيض وأحمر علم التزيد أدخلوا عليه ما يبين الزيادة فيه وقالوا ما أظهر حمرة زيد وما أشد سواد عمرو لأن أظهر يزيد على ظاهر وأشد زيد على شديد . . . والجواب الآخر أن التعجب مبنى على زيادة يصلح أن يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا ما أعلم زيدا ليدلوا على زيادة علمه لأنهم في قولهم عالم وعلم لم يبلغوا في التناهي مبلغ اعلم ولم يقولوا ما أبيض زيدا لأن البياض لا تأتي

منه زيادة بعد نقص فعدلوا الى التعجب بأشد وما جرى مجراها وهذا الجواب ليس بسديد لأن الالوان قد تأتي فيها الزيادة بعد نقص وقد تدخل فيها المفاضلة ألا ترى ان ما حله قليل من أجزاء البياض يكون أنقص حالا في البياض مما حله لكثير من الأجزاء . . والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب وان كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد . . وقد أنشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر

يَا لَيْتَنِي مِثْلُكَ فِي الْبَيَاضِ أَيْبُضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي أَبَاضٍ^(١)

. . وأنشدوا أيضاً قول الشاعر

أَمَّا الْمُلُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأَمُّهُمْ لَوْ مَّا وَأَيْبُضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَاحٌ

فأما البيت الأول فإن أبا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا يطعن في المعمول عليه والمنفق على صحته ويجوز أيضاً أن يقال في البيت الثاني مثل ذلك وقد قيل في البيت الثاني ان أبيض فيه ليس هو للمفاضلة وانما هو افعال الذي مؤنثه فعلاهم كقولهم أبيض ويضاء ويجرى ذلك مجرى قولهم هو حسن القوم وجهاً وشريفهم خلقاً فكان الشاعر قال ومبيضهم فلما أضافه انتصب ما بعده لتتام الاسم وهذا أحسن من حمله على الشذوذ . . ويمكن فيه وجه آخر وهو ان أبيض في البيت وان كان في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللؤم والبخل فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولوانه أراد بأبيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتعجب بلفظة افعال والذي جوز تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه . . فأما قول المتنبي

أَبْعَدُ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ

فقد قيل فيه ان قوله لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي كلام تام ثم قال من الظلم أي من جملة الظلم

(١) - أنشد - اللغويون البيت بافظ

جارية في درعها الفضفاض أبيض من أخت بني أباض

- ودرع فضفاض - واسعة وجارية فضفاض ممثلة

كما يقال حر من أحرار ولؤم من لؤم أي من جملتهم . . قال الشاعر

وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَأَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَا كَرُهُ

كأنه قال وأبيض كائن من ماء الحديد وقوله من ماء الحديد وصف لأبيض وليس يتصل به كاتصال من بأفضل في قولك هو أفضل من زيد ولفظة من في بيت المتنبي مرفوعة الموضع فانها وصف لأسود واذا أريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة الموضع بأسود كما يقال زيد خير منك فنك في موضع نصب بخير كأنه قال قد خارك بخيرك أي فضلك في الخير وهذا التأويل يمكن أن يقال في قول الشاعر * أبيض من أخت بني أباض *

ويمحى على أنه أراد من جملتها ومن قومه ولم يرد التعجب وتأويله على هذا الوجه أولى من محله على الشذوذ فاما قول المتنبي * أبعد بعدت بياضاً لابياض له *

فالمرنى الظاهر للناس فيه أنه أراد لاضياء له ولا نور ولا اشراق من حيث كان حلوله محزنا مؤذنا بتقصي الأجل وهذا المعنى معنى ظاهر الا أنه يمكن فيه معنى آخر وهو ان يريد انك بياض لالون بعده لأن البياض آخر الألوان في الشعر فجعل قوله لابياض له بمنزلة لالون بعده وانما سوغ ذلك له أن البياض هو الآتي بعد السواد فلما نفي أن يكون للشيب بياض كان نفياً لان يكون بعده لون . . وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى) فقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بفتح الميمين وقرأ عاصم في رواية أبي بكر وحزرة والكسائي بكسر الميم فيهما جميعاً وفي رواية حفص لا يكسرها وكسر أبو عمرو الاولى وفتح الأخيرة ولكل وجه . . أما من ترك امالة الجميع فان قوله حسن لان كثيراً من العرب لا يميلون هذه الفتحة . . وأما من أمال الجميع فوجه قوله انه يخو بالانف نحو الياء ليعلم أنها تنقلب الى الياء . . وأما قراءة أبي عمرو بامالة الاولى وفتح الثانية فوجه قوله انه جعل الثانية افعل من كذا مثل أفضل من فلان فاذا جعلها كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة لان آخرها انما هو من كذا وانما تحسن الامالة في الاواخر وقد حذف من أفعل الذي هو لتفضيل الجار والمجرور جميعا

وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى ﴿فانه يعلم السر وأخفى﴾ المعنى وأخفى من السر فكذلك قوله تعالى ﴿وأضل سبيلاً﴾ فكما أن هذا لا يكون الا على أفعّل من كذا فكذلك المعطوف عليه

[تأويل خبر] ٠٠ روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تنفى الارض أفلاذ كبدها مثل الأصطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول في مثل هذا قتلت ويجىء القاطع الرحم فيقول في مثل هذا قطعت رَحِمِي ويجىء السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً ٠٠ معني - تنفى - أي تخرج ما فيها من الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة ٠٠ وقوله تنفى تشبيه واستعارة من حيث كان اخراجا واطهاراً وكذلك تسمية ما في الارض من الكنوز كبداً تشبيهاً بالكبد التي في بطن البعير وغيره وللعرب في هذا مذهب معروف ٠٠ قال مرة بن محكان^(١)

السعدي في قدّر نصبها الاضياف

لها أَرِيزٌ يُزِيلُ اللَّحْمَ إِزْمِلُهُ عَنِ الْعِظَامِ إِذَا مَا اسْتَحْمَشْتَ غَضِبًا
تَرْمِي الصَّلَاةَ بِنَبْلٍ غَيْرِ طَائِشَةٍ وَفَقًا إِذَا آتَسْتَ مِنْ تَحْتِهَا لَهَبًا

فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة ٠٠ فأما - الاريز - فهو الغليان والعرب تقول لجوفه أَرِيزٌ مثل أَرِيزِ الرجل - والازمل - الصوت - واستحمشت - أي غضبت يقال حمشه

(١) - محكان - بفتح أوله واسكان ثانيه من المماحكة وهي الملاحة ورجل محكان

عسر الخلق لجوج فان كان محكان اسمه فهو من قبيل تسميتهم بسارق وظالم وان كان لقباً له فلعله انما لقب به لسوء كان في أخلاقه : وكان يقل مرة أبو الاضياف لمحبهته لهم واكرامه اياهم وفي هذه القصيدة يقول لزوجته

وقلت لما غدوا أوصى قعيدتنا غذي بنيك فلن تلقهم حُقبًا
ادعي أباهم ولم أفرق بأهمهم وقد هجمت ولم أعرف لهم نسبا
أما ابن محكان أخوالي بنو مطر أنمي اليهم وكانوا معشراً نجيباً

وقتلها صاحب شرطة مصعب بن الزبير ولا عقب له - وصلاة - في بيتي الأصل جمع صال وهو المستدفئ بالنار - ونبلها - كناية عما يتطاير من القدر من الماء لشدة الغليان

أي أغضبه .. وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة

سَأَلْتَنِي يَا نَاسٍ هَلْ كُؤَا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلْ

فوصف الدهر بالأكـ .. بها واستعارة .. وقال قوم معنى البيت شرب أهل

الدهر بعدهم وأكلوا .. واختلف أهل اللغة في الافلاذ .. فقال يعقوب بن السكيت
الفلذ لا يكون الا للبعير وهو قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال
اعطى فلذاً من الكبـد وفلذة من الكبـد .. قال أعنى باهلة

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَإِذَا إِنَّ أَلَمَ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُزَوِّي شُرْبَهُ الْغُمُرُ

الغمر - الفدح الصغير .. قال يعقوب ولا يقال اعطى حزة من السنام ولا من اللحم وإنما
الحزة في الكبـد خاصة فإذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا اعطى حذبة من لحم
وهي القطعة الصغيرة وقلقة من سنام .. وقال الطوسي عن أبي عبيد عن الاصمعي
قال يقال اعطى حذبة من لحم وحزة من لحم إذا كانت مقطوعة طولا فإذا كانت
مجتمة قلت اعطى بضعة من لحم وهبرة من لحم وذرة من لحم .. ومثل هذا
الحديث قوله (وأخرجت الأرض أثقالها) معناه أخرجت ما فيها من الكنوز .. وقال قوم
عنى به الموتى وأنها أخرجت موتاهـا فسمي الله تعالى الموتى أثقالا تشبـيها بالحمل الذي يكون
في البطن لأن الحمل يسمى أثقالا قال تعالى (فلما أثقلت) .. والعرب تقول ان للسيد الشجاع
ثقالا على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل .. قلت الخساة ترى أخاها صخرأ

أَبْعَدُ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِيبِ سَدَحَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

معناه انه لما مات حل عنها بموته ثقل لسودده وشرفه .. وقال قوم معنى حلت زينت
موتاهـا به وهو مأخوذ من الحلية .. وقال الشمر دل اليربوعي يرى أخاه

وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالُهَا الْأَرْضُ وَأَنْتَهَى لِمَثْوَاهُ مِنْهَا وَهُوَ عِفٌّ شَمَائِلُهُ

.. وروى أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب قال قال زهير بن أبي سلمى المزني بيتاً
ثم أكسى ومر به النابغة الذبياني فقال له يا أبا أمامة أجز قال ماذا قال

تَرَالُ الْأَرْضُ إِمَامَتٌ خِفَاءً وَتَحْيَا مَا حَيَّتْ بِهَا ثَقِيلاً

نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا

فما ذا قال فأكدى والله النابغة أيضاً وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه أجزيا بني فقال ماذا فأنشده البيت الأول ومن البيت الثاني قوله بمسقر العز منها . . فقال كعب * فتمنعُ جانبيها أن يزولا *

فقال زهير أنت والله ابني وإنما خص الكبد من بين ما يشتمل عليه البطن لأنه من أطايب الجزور . . والعرب تقول أطايب الجزور والسنام والملحاح والكبد . . [قال المرتضى] أَرْضَى اللَّهُ عَنْهُ واني لأستحسن قول الخنساء وقد قيل لها ما مدحت أخاك حتى هجوت أباك . . فقالت

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهَمَا	يَتَعَاوَرَانِ مَلَأَةً الْحُضْرُ
حَتَّى إِذَا نَزَتْ الْقُلُوبُ وَقَدْ	لُزَّتْ هُنَاكَ الْعَذْرُ بِالْعَذْرِ ^(١)
وَعَلَا هِتَافُ النَّاسِ أَيُّهُمَا	قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ لَا أَذْرِي
بَرَزَتْ صَحِيفَةٌ وَجْهَ وَالِدِهِ	وَمَضَى عَلَى غُلَوَائِهِ يَجْرِي
أُولَى فَأُولَى أَنْ يُسَاوِيَهُ	لَوْلَا جَلَالُ السِّنِّ وَالْكِبَرِ
وَهُمَا وَقَدْ بَرَزَا كَأَنَّهُمَا	صَقَرَانِ قَدْ حَطَّآ إِلَى وَكْرِ

ويقال انه قيل لأبي عبيدة ليس هذه الابيات في مجموع شعر الخنساء فقال أبو عبيدة العامة أسقط من أن يجاد عليها بمثل ذلك . . ولعمري انها قد بلغت في مدح أخيها من غير إزراء على أبيها النهاية لانها جعلت تقدّم أبيها له عن قدرة منه على المساواة وعن غير تقصير منه وأنه أفرج له عن السبق معرفة بحقه وتسليها لكبره وسنه . . وكان الخنساء نظرت في هذا المعنى الى قول زهير

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَاعِزَ فَهِيَ تَهْوِي هُوِي الدُّلُو أَسْلَمَهَا الرِّشَاءُ

(١) - قولها - نزلت القلوب أى طمعت وناقت الى معرفة السابق من نزا ينزو اذا

وثب . . وقولها - لزت العذر بالعذر - أى قرنت العذر بالعذر -

فَلَيْسَ لِحَاقِهِ كَلْحَاقِ إِنْفٍ وَلَا كَنَجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءٌ
يَقْدَمُهُ إِذَا اخْتَفَلَتْ عَلَيْهِ تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاةُ

ويشبهه أن يكون الكميّ أخذ من الخنساء قوله في مغلد بن يزيد بن المهلب
مَا إِنْ أَرَى كَأَيْكَ أَدْرَكَ شَأْوَهُ أَحَدٌ وَمِثْلَكَ طَالِبًا لَمْ يَلْحَقْ
يَتَحَازِيَانِ لَهُ فَضِيلَةُ سِنِّهِ وَتَلَوْتُ بَعْدُ مُصَلِّيًا لَمْ تَسْبُقْ
إِنْ تَنَزَعَا وَلَهُ فَضِيلَةُ سِنِّهِ فَبِمِثْلِ شَأْوِ أَيْكَ لَمْ يَتَعَلَّقْ
وَلَنْ لَحَقَتْ بِهِ عَلَى مَا نَدْمَضِي مِنْ بَعْدِ غَايَتِهِ فَاحْجِ وَأَخْلِقِ

ويشبهه هذا المعنى •• قول المؤمل بن أميل الكوفي المحاربي يمدح المهدي في حياة المنصور

لَنْ فُتَّ الْمُلُوكُ وَقَدْ تَوَافَوْا إِلَيْكَ مِنَ السَّهُولَةِ وَالْوُعُورِ
لَقَدْ فَاتَ الْمُلُوكُ أَبُوكَ حَتَّى وَجِئْتَ وَرَاءَهُ تُجْرِي حَثِيثًا
وَقَالَ النَّاسُ مَا مِنْ ذَيْنِ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْخَلِيقِ مِنَ الْجَدِيرِ
لَهُ فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ فَإِنْ سَبَقَ الْكَبِيرُ فَأَهْلُ سَبْقِ
وَإِنْ بَلَغَ الصَّغِيرُ مَدَا كَبِيرِ فَقَدْ خَلِقَ الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ

•• ومن هذا المعنى قول الشاعر

جِيَادُ جَرَّتْ فِي حَلْبَةٍ فَتَفَاضَلَتْ عَلَى قَدَرِ الْأَسْنَانِ وَالْعِرْقِ وَاحِدُ

وماله بهذا المعنى بعض الشبه وإن لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير •• قول زهير
هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقْ بِشَأْوِهِمَا أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَيَّ مَا كَانَ مِنْ مَهْلٍ
عَلَيَّ تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحَقًا فَمِثْلُ مَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ سَبَقًا

•• وروى أنه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد أن يبلوها فقال لها قولني في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت

بَلَّغْتُ أَوْ كَذَبْتُ يَحْيَى أَوْلَحَتْ بِهِ فَلِنْتُمَا خَالِدًا فِي شَأْوَ مُسْتَبَقٍ
لَكِنْ مَضَى وَتَلَى يَحْيَى فَأَنْتَ لَهُ تَالِ تَعَلَّيْتُ دُونَ الرِّكْضِ بِالْعَنْقِ

ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة وهو داخل في هذا المعنى مناسب له
•• قول عباد بن شبيل

إِذَا اخْتَرْتِ مِنْ قَوْمٍ خِيَارَ خِيَارِهِمْ فَكُلُّ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ خِيَارُ
جَرَوْا بَعْنَانَ وَاحِدٍ فَضْلَ يَدْنِهِمْ بَأَنَّ قِيلَ قَدَ فَاتِ الْعِدَارِ عِدَارُ

•• وقول الكمي

مُصَلِّ أَبَاهُ لَهُ سَابِقُ بَأَنَّ قِيلَ فَاتِ الْعِدَارِ الْعِدَارَا

ومثله قول العتابي وهو مليح جداً

كَمَا تَقَازَفُ جُرْدُ فِي أَعْنَتِهَا سَبَقًا بِأَذَانِهَا مَرًّا وَبِالْعُدْرِ

•• وأول من سبق إلى هذا زهير في قوله يصف مطايرة البازي للقطاة ومقاربتة لها
دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِ فَلَا فَوْتُ وَلَا دَرَكُ

•• وقد لحظ أبو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربتة لأبيه
في المجد والسودد

ثُمَّ جَرَى الْفَضْلُ فَانْتَنَى قَدَمًا دُونَ مَدَاهُ مِنْ غَيْرِ تَرْهِيْقٍ

فقيل راشا سهماً يُرَادُ بِهِ السَّغَايَةُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفُوقِ^(١)

ويشا كل ذلك قول البحترى في ابن أبي سعيد الثغري

(١) - راش - السهم ألزق عليه الريش - والنصل - حديدة السهم - والفوق -

موضع الوتر من السهم •• يقول ان أباه سابق عليه من غير قصور منه

جَدُّ كَجَدِّ أَبِي سَعِيدٍ إِنَّهُ تَرَكَ السَّمَاءَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرِفِ
قَاسَمَتُهُ أَخْلَاقَهُ وَهِيَ الرَّدَا لِلْمُعْتَدِي وَهِيَ النَّدَا لِلْمُعْتَفِ
وَإِذَا جَرَى مِنْ غَايَةِ وَجَرِيَتْ مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَأْوَكَمَا فِي الْمَنْصَفِ
وَيَشَبْهُهُ أَيْضاً قَوْلُهُ

وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَائِلَ ابْنِي صَاعِدٍ أَذْتُ إِلَيْكَ شَمَائِلَ ابْنِي مَخْلَدٍ
كَالْفَرَقْدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاضِرُهُ لَمْ يَعْلَمْ مَوْضِعُ فَرَقْدٍ عَنْ فَرَقْدٍ

فَمَا قَوْلُ الْخُنْسَاءِ - يَتَعَاوَرَانِ مَلَاءَةُ الْحَضَرِ - فَهِيَ تَعْنِي بِالْمَلَاءَةِ الْغُبَارَ فَإِنَّ عَدِيَّ بْنَ الرِّقَاعِ
كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ يَصِفُ حَمَاراً وَأَنَا

يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مَلَاءَةٌ يَبْضَاءُ مُحْدَثَةٌ هُمَا نَسَجَاهَا
تُطْوِي إِذَا وَطِئًا مَكَانًا جَاسِيًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أُسْهَلَتْ نَشَرَاهَا

وَهَذَا الْمَعْنَى وَإِنْ كَانَ هُوَ مَعْنَى الْخُنْسَاءِ بَعَيْنُهُ فَقَدْ زَادَ فِي اسْتِيفَائِهِ عَلَيْهَا زِيَادَةً ظَاهِرَةً
صَارَ مِنْ أَجْلِهَا بِالْمَعْنَى أَحَقُّ مِنْهَا . . . وَقَدْ ابْتَدَأَ بِهَذَا الْمَعْنَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَقِيلٍ فَقَالَ
مِنْ قَصِيدَةٍ

يُثِيرَانِ مِنْ نَسَجِ التُّرَابِ عَلَيْهِمَا قَمِيصَيْنِ أَسْمَالًا وَيَزِيدَانِ

مجلس آخر ٨

[ان سأل سائل] . . . عن قوله تعالى ﴿وَجَاؤْا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ
أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿ فَقَالَ كَيْفَ وَصَفَ الدَّمُ
بِأَنَّهُ كَذِبٌ وَالْكَذِبُ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْوَالِ لَا مِنْ صِفَاتِ الْأَجْسَامِ وَأَيُّ مَعْنَى لَوْ صَفَهُ الصَّبْرُ
بِأَنَّهُ جَمِيلٌ وَمَعْلُومٌ أَنَّ صَبْرَ يَعْقُوبَ عَلَى فَقْدِ ابْنِهِ يَوْسُفَ لَا يَكُونُ إِلَّا جَمِيلاً وَلَمْ يَرْفَعْ

الصبر وما المقتضي لرفعه . . الجواب يقال له أما كذب فعناه مكذوب فيه وعليه فنل
قولهم هذا مالا سكب وشراب صب يريدون مسكوبا ومصبوبا ومثله أيضاً قولهم مالا غور
ورجل صوم وامرأة نوح . . قال الشاعر

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقْلَدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا

أراد بقوله نوحاً أي نائحة عليهم . . ومثله مالفلان معقول يريدون عقلاً وماله على هذا الأمر
مجلود يريدون جلداً . . قال الشاعر

حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَعْقُولَا

وأنشد أبو العباس لشعب

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بِقَدْرِه بَانَ الْعَزَاءُ وَأَذْرَكَ الْمَجْلُودُ

. . وقال الفراء وغيره يجوز في النحو بدم كذباً بالنصب على المصدر لأن جاؤا
فيه معنى كذبوا كذباً كما قال تعالى (والعاديات ضبعا) فنصب ضبعا على المصدر لأن
العاديات بمعنى الضابحات وانما كان دماً مكذوباً فيه لأن اخوة يوسف عليه السلام ذبحوا
سخله ولطخوا قميص يوسف بدمها و جاؤا أباهم بالقميص وادعوا أكل الذئب له فقال
لهم يعقوب عليه السلام يا بني لقد كان هذا الذئب رفيقاً حين أكل ابني ولم يخرق قميصه
قالوا بل قتله الاصوص قال فكيف قد قتلوه وتركوا قميصه وهم الى قميصه أحوج منهم
الى قتله . . وقد قيل انه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قد قميصه من دبر وحين
ألقى على وجه أبيه فارتد بصيراً وحين جاؤا عليه بدم كذب فتنبه أبوه على ان الذئب
لو أكله لخرق قميصه . . وأما وصف الصبر بأنه جميل فلا أن الصبر قد يكون جميلا وغير
جميل وانما يكون جميلا اذا قصد به وجه الله وفعل للوجه الذي وجب فلما كان في هذا
الموضع واقعاً على الوجه الحمود صح وصفه بذلك وقد قيل انه أراد صبراً لا شكوى فيه
ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى والجزع له وأما ارتفاع قوله فصبر
جميل فقد قيل ان المعنى وشأنى صبراً جميلاً أو الذي أعنقه صبر جميل . . وقال قطرب
معناه فصبري صبر جميل . . وأنشدوا

شَكَا إِلَيَّ جَمَلِي طَوَّلَ الشَّرَى يَا جَمَلِي لَيْسَ إِلَيَّ الْمُشْتَكَا
صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكَلَّانَا مُبْتَلَى

معناه فليكن منك صبر جميل .. وقد روي ان في قراءة أبي فصبراً جميلاً بالنصب
وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبراً جميلاً .. قال ذو الرمة
أَلَا إِنَّمَا مَيَّ فَصَبْرًا بَلِيَّةٌ وَقَدْ يَنْتَلِي الْحُرُّ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ
.. وقال الآخر

أَبَى اللَّهُ أَنْ يُبْقِيَ لِحَيِّ بَشَاشَةً فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَ اللَّهُ لِي صَبْرًا

[تأويل خبر] في الحديث ان قيس بن عاصم .. قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد أهل الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذي ليست علي فيه تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه الصلاة والسلام نعم المال أربعون والكثر ستون وويل لأصحاب المئين الا من أعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فأكل وأطعم القانع والمُعْتَر .. وفي رواية أخرى الا من أعطى من رسلها وأطرق خلفها وأفقر ظهرها ومنح غزيرتها وأطعم القانع والمُعْتَر فقلت يا رسول الله ما أكرم هذه الاخلاق وأحسنها انه لا يحل بالوادى الذي فيه إبلي من كثرتها فقال كيف تصنع في العظيمة قلت أعطى البكر وأعطى الماب قال فكيف تصنع في المدحة قلت اني لأمنح المائة قال كيف تُعْطِي الطروقة قلت يغدوا الناس باباهم فلا يورع رجل عن جل يخطمه فيمسكه ما بداله حتى يكون هو الذي يردده وفي الرواية الأخرى قال فكيف تصنع في الاطراق قال يغدوا الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير فيذهب به قال فكيف تصنع في الإفقر قلت اني لأفقر الناقة المدرّة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع في المنبحة قلت اني لأمنح في السنة المائة قال فمالك أحب اليك أم ما مواليك قلت لا بل مالي قال فان مالك ما أكلت فأفريت وأعطيت فأمضيت .. وفي الرواية الأخرى ولبست فأبليت وسأره لمواليك قلت لا جرم والله لئن رجعت لأقأن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه فقال يا بني خذوا عني فانكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني لا ننوحوا علي فان رسول

الله صلى الله عليه وسلم لم يَنْخُ عليه أحد وقد سمعته ينهى عن النباحة وكفونى فى ثيابى
التي كنت أصلى فيها وسودوا كابرهم فانكم اذا سودتم كابرهم لم يزل لأبيكم فيكم
خليفةً واذا سودتم أصاغرهم هان كابرهم على الناس وزهدوا فيكم وأصلحوا عيشكم
فان فيه غنى عن طاب الى الناس وإياكم والمسئلة فانها آخر كسب المرء واذا دفتمونى
فاخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات في الجاهلية فلا آمن سفيهاً منهم
أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً في أبيكم •• فاما قوله صلى الله عليه وسلم - الكثرستون -
فعناه الكثير تقول العرب نسال الله الكثير ونعوذ به من القل أى نساله الكثير ونعوذ
به من القليل •• قال الشاعر

فإنَّ الكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا وَلَمْ أَقْتِرْ لَدُنْ أَنِي غَلَامٌ

•• وقال آخر

وقد يُقْصِرُ القُلُّ النَّفْيَ دُونَ هَمِّهِ وقد كان لَوْلَا القُلُّ طَلَّاعَ النَّجْدِ

- والكريمة - يعني بها كرائم ماله - وأمنح الغزيرة - أي أعطيها من يحملها ويردها ومن ذلك
الحديث والعارية •• ودَّاة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم فالمنحة الناقة أو
الشاة يدفعها الرجل الى من يحملها وينتفع بابنها ثم يرد هاعليه - والزعيم - الكفيل ويقال
له أيضاً القبيل والصبير والجميل ومنه قوله تعالى (وأنا به زعيم) •• قال الشاعر

فَلَسْتُ بِأَمْرٍ فِيهَا بِسَلِمٍ وَلَكِنِّي عَلَيَّ نَفْسِي زَعِيمٌ

•• وقال آخر

قُلْتُ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرِّضَا فَازْعَمِي يَاهِنْدُ قَالَتْ تَذَوِّجَبْ

معناه اكفني وى فاقبلي من القبيل الذي هو الكفيل أيضاً •• وقال الفراء القانع
هو الذي يأتيك فيسألك فان أعطيته قبل - والمعتز - الذي يجلس عند الذبيحة ويمسك
عن السؤال فكأنه يم - رض في المسئلة ولا يصرح بها يقال قنع الرجل قناعة اذا رضي
وقنع قنوعاً اذا سأل •• فاما قوله - لاجرم - فقال قوم معنى جرم كسب وقالوا في قوله
تعالى (لاجرم أن لهم النار) أن لا رد على الكفار ثم ابتداء فقال جرم ان لهم النار

بمعنى كسب قولهم ان لهم النار .. وقال الشاعر

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جِذْعٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا

أي بما كسبت .. وقال آخرون معنى جرم حقاً وتأول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم النار .. وأنشدوا

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمْتُ فَرَازَةَ بَعْدَهَا نِ تَغْضِبَا

أراد حققت فزازة .. وروى الفراء فزازة بالنصب على معنى أكسبت الطعنة فزازة الغضب .. وقال الفراء لاجرم في الاصل مثل لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب في معنى حقاً وجاءت فيه بجواب الأيمان فقلوا لاجرم لأقومن كما قالوا والله لأقومن وفيها لغات يقال لا جرم ولا جرم بضم الجيم وتسكين الراء ولا جرَ بمحذف الميم ولا ذا جرم^(١) .. قال الشاعر

إِنَّ كِلَابًا وَالَّذِي لَا ذَا جَرَمٍ لَا هُدْرَنَ الْيَوْمَ هَذِرًا فِي النَّعَمِ

(١) - قلت وفي أن بعد لاجرم وجهان .. الفتح وهو الغالب نحو لاجرم أن الله يعلم فالفتح عند سيديويه على أن جرم فعل ماضٍ معناه وجب وأن وصلتها فاعل أي وجب أن الله يعلم ولا صلة زائدة للتوكيد ورده الفراء بأن لا لاتزاد في أول الكلام وعمله في المنفي بأن زيادة الشيء تفيد أطراحه وكونه أول الكلام يفيد الاعتناء به وجوابه ما أجاب به الفارسي عن القول بزيادة لا في لا أقسم من أن القرآن كالسورة الواحدة .. وقال المرادي وجرم عند سيديويه بمعنى حق ولا ردُّها قبلها والوقوف على لا وأن وما بعدها في موضع الفاعل والفتح عند الفراء على أن لا جرم مركبة من حرف واسم بمنزلة لا رجل في التركيب ومعناها بعد التركيب لا بد أو لا محالة ومن أو في بعدهما مقدرة أي لا بد من أن الله يعلم أو لا محالة في أن الله يعلم ونقل عن الفراء أن لا جرم بمنزلة حقاً وأصل جرم من الجرم بمعنى الكسب .. والكسر على ما حكاه الفراء عن العرب من أن بعضهم ينزلها منزلة اليمين فيقول لا جرم لآتينك ولا جرم لقد أحسنت ولا جرم إنك ذاهب بكسر إن

هَذِرُ الْمَغْنَى ذِي الشَّقَاقِ الْأَهْمِ

والناب - الناقة الهرمة وجمعها نيب ومنها الشارف .. قال الشاعر

لَا أَفْتَأُ الدَّهْرَ أَبْكِيَهُمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْ حَنَّتْ إِلَى بَلَدٍ

ويقال للبعير أيضاً اذا كبر عودٌ وللاُنثى عودَةٌ .. قال الشاعر

عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقَدَمِ الْأَوَّلِ يَمُوتُ بِالْتَرَكِ وَيَحْيَى بِالْعَمَلِ

وهذا من أبيات المعاني ومعناه بعيرٌ عود على طريق متقدم وسمى الطريق بأنه عود لتقدمه تشبهاً بالبعير .. وقوله - يموت بالترك ويحيى بالعمل - أراد أنه اذا سلك وطرق ظهرت أعلامه وظهرت طرقه واهتدى سالكه لسلوكه ولم يضل عن قصده فكان هذا كالحياة له واذا لم يسلك طمست آثاره وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لتصد وكر ذلك كالموت له فأما - الخماشات - فهي الجنائيات والجراحات .. قال ذو الرمة يذكر الحمار والأتان

رَبَّاعٍ لَهَا مُذْ أَوْرَقَ الْعُودُ عِنْدَهُ خُمَاشَاتُ ذَحْلِ مَا يُرَادُ أُمْتِهَا

يريد بقوله ما يراد امتها أي ما يراد اقتصاصها يقال أمتني من - هذا الرجل واقدني واقصني بمعنى واحد .. فأما قوله - لا يورع - أي لا يحبس ولا يمنع ويقال ورعت الرجل تورعاً اذا منعته وكففته والورع هو الرجل المتحرج المانع نفسه مما تدعوه اليه يقال وَرَعَ وَرَعًا وَرَعَةً .. قال لبيد

أَكُلْ يَوْمَ هَامَتِ مَقْرَعُهُ لَا يَمْنَعُ الْفَتِيَانِ مِنْ حُسْنِ الرَّعَةِ

ويقال ما ورع أن فعل كذا وكذا أي ما كذب فأما الورع بالفتح فهو الجبان وأما - الطروقة - فهي التي قد حان لها أن تطرق وهي الحِيقَةُ وقوله في الرواية الأخرى - الامن أعطى من رسلها - فالرسل اللين - والاففار - هو أن يركبها الناس ويحملهم على ظهورها - مأخوذ من فقار الظهر - والاطراق - للفحول هو أن يبذلها لمن يُنزِيها على اناث ابله وذكر الاطراق في هذه الرواية أحب الى من الطروقة لأنه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكر والضرع والمائة فلامعنى لاعادة ذكر الطروقة وقوله في الجواب - تغدو الناس

فلا يورع رجل عن جمل بخطه فيمسكه ما بدا له ثم يردّه - لا يحتمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى الطروقة .. وكان قيس بن عاصم شريفاً في قومه حلماً وبكفاً أبا على وكان الأحنف بن قيس يقول انما تعلمت الحلم^(١) من قيس بن عاصم أوتى بقاتل ابنه فقال رعبتم الفتى وأقبل عليه وقال يا بني نقصت عددك وأوهنت ركنك وقتت في عضدك وأشمت عدوك وأسأت بقومك خلوا سبيله وما حلّ حُبُونُهُ ولا تغير وجهه .. وقال ابن الاصرابي قيل لقيس بماذا سدت قومك فقال بثلاث بذل الندى وكف الأذى ونصر الولي .. وذكر المدائني قال كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم والبغي فما بغى قوم قط إلا قتلوا وذلوا .. وكان الرجل من بنيه يظلمه بعض قومه فينهي اخوته أن ينصروه وقيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني بطعنة في يوم جُدود^(٢)

(١) - قلت وبالأحنف هذا يضرب المثل فيقال أحلم من الأحنف وسئل هل رأيت أحلم منك قاله نعم وتعلمت منه الحلم قيل ومن هو قال قيس بن عاصم المنقري حضرته يوماً وهو محتبٍ بحدثننا إذ حاؤا بآبن له قتيل وابن عم له كتيف فقالوا ان هذا قتل ابنك هذا فلم يقطع حديثه ولا نقص حُبُونُهُ حتى اذا فرغ من الحديث التفت اليهم فقال أين ابني فلان فجاء فقال يا بني قم الي ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفه والى أم القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها تسلمو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وأنشأ يقول

إني امرؤ لا يمتري خاتمي دنس يفسده ولا أفن

من منقر من بيت مكرمة والغصن يثبت حوله الغصن

خطبائه حين بقوم قتلهم بيض الوجوه مصاقع لسن

لا يفظنون لهب جارهم وهم لحسن جواره فظن

وهو شاعر فارس شجاع حاتم كثير الغارات مظفر في غزواته أدرك الجاهلية والاسلام

فساد فيهما وله وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم

(٢) قوله يوم جدود جدود بالفتح موضع في أرض بني تميم وكان من حديث ذلك

اليوم ان الحارث بن شريك كانت بينه وبين بني يربوع مودة ثم هم بالفدر بهم فجمع

فسمي الحارث الحوفزان .. وقال سؤار بن حيان المنقري في ذلك
 ونحنُ حَفَزْنَا الحَوْفَزَانَ بِطَعْنَةٍ سَقَتَهُ نُجَيْعًا مِنْ دَمِ الجَوْفِ أَشْكَالًا
 وَحُمْرَانَ قَسْرًا أَنْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا يُعَالِجُ غُلًّا فِي ذِرَاعِيهِ مُتَفَلِّلًا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم
 جَزَا اللَّهُ يَرْبُوعًا بِأَسْوَأِ سَعِيهَا إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا
 وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِمَارَكُمْ وَسَالَمْتُمْ وَالْخَيْلُ تَذْمِي نُحُورُهَا
 سَتَحْطِمُ سَعْدُ وَالرَّبَّابُ أُنُوفَكُمْ كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا
 — القضيبي — الناقة المقتضية الصعبة .. وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب ^(١)

بني شيبان وبني ذهل والهازم وقيس بن ثعلبة وتيم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني
 يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريك فنأدى في قومه بني جعفر بن ثعلبة
 من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس واخوتهم بني ربيع فلم
 يجيئهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل
 وهم قائلون في يوم شديد الحر فما شعر الحوفزان إلا بالأهتهم بن سمي بن سنان بن خالد
 ابن منقر واسم الأهتم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان إلى فرسه فركبه
 وقال للأهتم من أنت فانتسب وقال هذه منقر فاقتتلوا قتالا شديداً فهزمت بكر بن
 وائل وخلوا ما كان في أيديهم وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسروا الأهتم حمران وقصد
 قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همة غيره والحارث على فرس له قارح يدعي الزبد
 وقيس على مهر نخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفره بالرحم في أسنانه فحفر به الفرس فجاء
 فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر
 ابن وائل وأسارهم وانتفضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات

[١] قوله يقول عبدة بن الطبيب .. قلت سبب هذه الأبيات ان عبدة وقيساً كان بينهما
 لواء فهجره قيس بن عاصم ثم حمل عبدة دماً في قومه ثم خرج يسأل فيما تحمله فجمع

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
 سَلَامٌ أَمْرِيءُ جَلَلَتُهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ إِذَا زَارَ عَنْ شَحْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكٌ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهْدَمَا
 [قال المرتضى رضي الله عنه] ٥٥٠ إذا كرني بعد الأصدقاء بقول أبي دهل الجمحي وهو
 يعني ناقته

وَأَبْرَزْتُهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ عِنْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمَا ^(١)
 وسألتني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم اليه وأجمل الكناية فيه كأنها كناية عن
 امرأة لا عن ناقه ففقت في الحال
 فَطَيْبَ رِيَّاهَا الْمَقَامُ وَضَوَّاتُ بِإِشْرَافِهَا بَيْنَ الْحَطِيمِ وَزَمْزَمَا

أبلا ومر به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الدية وقال فيم يسأل عبدة فأخبر فساق
 اليه الدية كاملة من ماله وقل قولوا له ليستدفع بما صار اليه وليسق هذه الى القوم فقال
 عبدة أما والله لولا أن يكون صاحي إياه بعقب هذا الفعل عاراً على لصالحته ولكفى
 أنصرف الى قومي ثم أعود فأصالحه ومضى بالابل ثم عاد فوجد قيساً قد مات فوقف
 على قبره وأنشد الأبيات

(١) قوله وأبرزتها من بطن مكة الخ هو من أبيات حسان أولها

أَلَا عَاقِي الْقَتَابِ الْبَتِيمُ كُلَّمَا لَجَاجًا وَلَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْحُبِّ لَمَزَمَا
 خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِي بِالصَّلَاةِ وَأَعْتَمَا
 فَمَا نَامَ مِنْ رَاعٍ وَلَا ارْتَدَّ سَامِرٌ مِنَ الْحَيِّ حَتَّى جَاوَزَتْ بِي يَلَمَلَمَا
 وَصَرَّتْ بِبَطْنِ الْبَيْتِ نَهْوِي كَأَنَّمَا تَبَادَرُ بِالْإِدْلَاجِ نَهْبًا مَقْسَمَا
 أَجَازَتْ عَلَى الْبَزْوَاءِ وَاللَّيْلِ كَأَسْرُ جَنَاحَيْنِ بِالْبَزْوَاءِ وَرَدَا وَأَدَمَا

الخ الأبيات فقال له موسى بن يعقوب ما كنت الا على الريح فقال يا ابن أخي ان عمك
 كان اذا هم فعل وهي الحاجة

فَيَارَبْ إِن لَقِيتَ وَجْهَهَا تَحِيَّةً وَجُوهَهَا بِالْمَدِينَةِ سَهْمًا
 تَجَافِينَ عَنْ مَسِّ الدِّهَانِ وَطَالَ مَا عَصَمَنَ عَنِ الْحِنَاءِ كَفًّا وَمِغْصَمًا
 وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ لَا يُخَامِرُهُ الْهَوَى شَنَّ عَلَيْهِ الْوَجْدَ حَتَّى تَتِيَمًا
 أَهَانَ لَهْنُ النَّفْسِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ وَأَلْقَى إِلَيْهِنَّ الْحَدِيثَ الْمُسَكَّتَمًا
 تَسَفَّهَتْ لَمَّا أَنَّ وَقَفَتْ بِدَارِهَا وَعُوجِلَتْ دُونَ الْحِلْمِ أَنْ تَتَحَلَّمًا
 فَعُجِبْتَ تَقْرِي دَارِ سَاءٍ مُتَنَكِّرًا وَتَسْأَلُ مَضْرُوفًا عَنِ النُّطْقِ أَعْجَمًا
 وَيَوْمَ وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَكُلْنَا يَمَدُّهُ طَبِيعُ الشُّوقِ مَنْ كَانَ أَحْزَمًا
 نُصِرْتُ بِقَابٍ لَا يُغْنِي فِي الْهَوَى وَعَيْنِي مَتَى اسْتَمْطَرَتْهَا قَطَرَتْ دَمًا

وكان أبو دهب من شعراء قریش ومن جمع إلى الطبع التجويد واسمه وهب بن
 زمعة بن أسيد بن أحيحة بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي بن غالب وكان اسم
 جمع تيموا اسم أخيه زيدا وهما ابنا عمرو بن هُصَيْص واستبقا إلى غاية فمضى تيم عن الغاية
 فقبل جمع تيم فسمى بجمع ووقف عاها زيد فقيل سهم زيد فسمى سهماً ٠٠ فأما كنيته
 فهي مشتقة من الدهيلة وهي المشي الثقيل يقال دهب الرجل دهيلة إذا مشى ثقيلًا ٠٠
 أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال
 حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لأبي عمرو بن العلاء
 ما يعجبك من شعر أبي دهب الجمعي فقال قوله

يَا عَمْرُ حُمٌّ فِرَافِكُمْ عُمْرًا وَعَزَمْتُ مِنَ النَّاسِ وَالْهَجْرَا
 يَا عَمْرُ شَيْخَكَ وَهُوَ ذُو شَرَفٍ يَرْعَى الزَّمَامَ وَيُكْرِمُ الصَّهْرَا
 وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ حُبَّكُمْ لَا ثِيْبًا خَلَقْتُ وَلَا بَكْرَا
 إِنْ كَانَ هَذَا السَّيْحَرُ مِنْكَ فَلَا تَزْعِي عَلَيَّ وَجَدِي السَّيْحَرَا

إِحْدَى بَنِي أَوْدٍ كَلَفْتُ بِهَا
وَتَرَى لَهَا دَلَالًا إِذَا نَطَقَتْ
كَتَسَافُطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنَ
وَمَقَالَةٍ فَيَكُنْ عَرَكَتُ لَهَا
وَمُرِيدُ سِرِّكُمْ عَدَاتُ بِهِ
قَالَتْ يُقِيمُ لَنَا لِنَجْزِيَهُ
مَا إِنْ أَقِيمُ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ
وَإِذَا هَمَمْتُ بِرِحْلَةٍ جَزَعَتْ
إِنِّي لَا رِضَى مَا رَضَيْتُ بِهِ

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهب

يَا لَيْتَ مَنْ يَتَنَعُ الْمَعْرُوفَ يَتَنَعُهُ
وَلَيْتَ رِزْقَ رِجَالٍ مِثْلُ نَائِلِهِمْ
حَتَّى تَذُوقَ رِجَالٌ غِيبًا مَا صَنَعُوا
قُوَّةَ كَقُوَّةِ رَوْسَعٍ كَالَّذِي وَسِعُوا

ويروى .. ضيق كخنيق ووسع كالذي اتسعوا

وَلَيْتَ لِلنَّاسِ خَطَا فِي وُجُوهِهِمْ
وَلَيْتَ ذَا الْفُحْشِ لَا فَا فَا حِشًّا أَبَدًا
تَبَيَّنَ أَخْلَافُهُمْ فِيهِ إِذَا اجْتَمَعُوا
وَوَافَقَ الْحِلْمُ أَهْلَ الْحِلْمِ فَاتَدَعُوا

ولأبي دهب في قتل الحسين بن علي عليه السلام

تَبَيَّنَ النَّشَاوَى مِنْ أُمِيَّةٍ نُوْمًا
وَمَا ضَيَّعَ الْإِسْلَامَ إِلَّا عَصَابَةٌ
وَبِالطَّفِّ قَتَلَى مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا
تَأَمَّرَ نَوْ كَاهَا وَدَامَ نَعِيمُهَا

(١) النقر بالكسر ما نقر ونقب من الخشب والحجر ونحوهما كالنواة .. والمعنى لم تفد شيئاً

وصارت فتاة الدين في كف ظالمٍ إذا مال منها جانبٌ لا يقيمها

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال روى أبو عمرو الشيباني لأبي دهب قال ويقال إنها للمجنون

أأتركُ ليلي لئسَ بيني وبينها سوى ليلةٍ إني إذا لصبورٌ

هبوني إمرأاً منكم أضلَّ بعيره له ذمةٌ إنَّ الذِّمامَ كبيرٌ

وللصاحبِ المتروكُ أعظمُ حرمةً علي صاحبٍ من أن يضلَّ بعيرٌ

عفى الله عن ليلى الغداة فإنيها إذا ولَّيتُ حكماً على تجورٌ

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دهب وقد رواه أبو تمام في الحماسة له

أقولُ والركبُ قد مالتَ عمامتهمُ وقد سقى القومَ كأسَ النشوةِ السهرُ

ياليتَ أني بأثوابي وراحلتى عبدٌ لأهلكِ طولَ الدهرِ مؤتجرٌ

إن كانَ ذا قدرٍ يُعطيكِ نافلةً منّا ويُجرمنا ما أنصفَ القدرُ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال مثل قول أبي دهب

ولو تركونا لأهدى الله أمرهم فلم يلجموا قولاً من الشرِّ ينسجُ (٩)

(١) قوله ولو تركونا لأهدى الله أمرهم الخ هو من أبيات حسان قالها أبو دهب

في امرأة من قومه يقال لها عمرة كانت امرأة جزلة يجتمع الرجال عندها لانشاد الشعر

والمحادثة وكان أبو دهب لا يفارق مجلسها مع كل من يجتمع إليها وكانت هي أيضاً محبة له

وكان أبو دهب من أشرف بني جمح وزعمت بنو جمح أنه تزوجها بعد وزعم غيرهم

أنه لم يصل إليها ولم يجر بينهما حلال ولا حرام وكانت عمرة تتقدم عليه في حفظ ما بينهما

وكتابه فضمن ذلك لها فجاء نسوة كنَّ يتحدثن إليها فذكرن لها شيئاً من أمر أبي دهب وقلن

قد علق امرأة قالت وما ذاك قلن ذكر أنه عاشق لك وآنك حاشقة له فرفعت مجلسها

ومجالسة الرجال ظاهرة وضربت حجاباً بينهم وبينها وكتبت إلى أبي دهب تعذله وتخبره

لَأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ تَفْرِيقَ بَيْنِنَا وَكَلَّ يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالْدَّهْرُ أَعْوَجُ

قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته

لَمَّا رَأَى أَنِّي أَرْعَشْتُ أَطْرَافِي اسْتَعْجَلَ الدَّهْرَ وَفِيهِ كَافِي

يَحْتَرِمُ الْإِلْفَ عَنِ الْأُلْفِ

•• قال ومثله

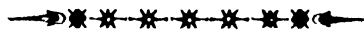
بما بانها من سوء صنيعه فعند ذلك يقول

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ مَا يَتَبَلَّجُ	وَأَعْيَتْ غَوَاثِي عَبْرَتِي مَا تُفَرِّجُ
وَبْتُ كَثِيباً مَا أَنَامُ كَأَنَّمَا	خِلَالُ ضُلُوعِي جَمْرَةٌ تَنْوَهْجُ
فَطَوَّراً أَمْنِي النَّفْسَ مِنْ عَمْرَةٍ أَلْمَى	وَطَوَّراً أَذَامَ الْجَبِّ الْحَزْنَ أَنَشِجُ
لَقَدْ قَطَعَ الْوَاشُونَ مَا كَانَ بَيْنِنَا	وَنَحَرَ إِلَى أَنْ يُوْصَلَ الْحَبْلُ أَحْوَجُ
رَأَوْا غِرَّةً فَاسْتَقْبَلُوهَا بِالْهَمِّ	فَرَاخُوا عَلَى مَا لَانَحَبَ وَأَدْلَجُوا
وَكَانُوا أَنَاساً كُنْتُ آمِنٌ غَيْبِهِمْ	فَلَمْ يَنْهَمِمْ حَامٌ وَلَمْ يَنْحَرْ جَوَا
هُمْ مِنْهُمْ نَا مَانَحَبٌ وَأَوْقَدُوا	عَايِنَا وَشَبُّوا نَارَ صَرْمٍ تَأْجِجُ
وَلَوْ تَرَكُونَا لَا هَدَى اللَّهُ سَمْعَهُمْ	وَلَمْ يُلَحِّمُوا قَوْلَانِ الشَّرِّ يَنْسَجُ
لَأَوْشَكَ صَرْفُ الدَّهْرِ يَفْرُقَ بَيْنِنَا	وَهَلْ يَسْتَقِيمُ الدَّهْرُ وَالْدَّهْرُ أَعْوَجُ
عَسَى كَرْبَةٌ أُمْسِيَتْ فِيهَا مَقِيمَةٌ	يَكُونُ لَنَا مِنْهَا نَجَاةٌ وَمَخْرَجُ
فِيكَبْتُ أَعْدَاءَهُ وَيَخْذُلُ أَلْفٌ	لَهُ كَبَدٌ مِنْ لَوْعَةِ الْحَبِّ تَنْضِجُ
وَقُلْتُ لِعِبَادٍ وَجَاءَ كِتَابُهَا	لِهَذَا وَرَبِّي كَانَتْ الْعَيْنُ تَخْلُجُ
وَخَطَطْتُ فِي ظَهْرِ الْحَصِيرِ كَأَنِّي	أَسِيرٌ يَخَافُ الْقَتْلَ وَلَهَا نُفْلَجُ
فَلَمَّا التَّقِينَا لَجَلَجْتُ فِي حَدِيثِهَا	وَمِنْ آيَةِ الصَّرْمِ الْحَدِيثِ الْمَلْجَأُ
وَإِنِّي لِمَحْجُوبٌ عَشْبَةُ زَرْعِهَا	وَكُنْتُ إِذَا مَا زَرْعَتْهَا لَا أُعْرِجُ
وَأَعْنِي عَلَى الْقَوْلِ وَالْقَوْلُ وَاسِعٌ	وَفِي الْقَوْلِ مَسْنُونٌ كَثِيرٌ وَمَخْرَجُ

عَدِمْتُ ابْنَ عَمٍّ لَا يَزَالُ كَانَهُ وَإِنْ لَمْ تَرَاهُ مُنْطَوِي عَلَى وَتْرِ^(١)
يُعِينُ عَلَى الدَّهْرِ وَالْدَّهْرُ مُكْتَفٍ وَإِنْ أَسْتَعْنَهُ لَا يُعْنِي عَلَى الدَّهْرِ

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. ومثل الجميع قول أبي أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إِلَى كَمْ يَكُونُ الْعَتَبُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَكَمْ لَا تَمَلِّينَ الْقَطِيعَةَ وَالْهَجْرَا
رُؤَيْدِكَ إِنَّ الدَّهْرَ فِيهِ كِفَايَةٌ اتَّفَرِّقِ ذَاتَ الْبَيْنِ فَانْتَظِرِي الدَّهْرَا



﴿ مجاس آخر ٩ ﴾

[ان سأل سائل] ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذى حسن اعادة النفي لكونه عابداً ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبد وذكر ذلك مرة واحدة يغنى .. وما وجه التكرار في سورة الرحمن لقوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان) .. الجواب يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرون وجهاً وهو أن قال القرآن لم ينزل دفعة واحدة وإنما كان نزوله شيئاً بعد شيء والأمر في ذلك ظاهر فكان المشركين أنوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا له استلم بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم (لا أعبد ما تعبدون ولا أنا عابد ما عبدتم) ثم غبروا مدة من الزمان وجأؤهم فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً لنفعل مثل ذلك بأهلك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم (ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد)

(١) قوله وان لم تراه الخ ان قال قائل لِمَ لَمْ يَحْذَفِ الْأَلْفُ مِنْ تَرَاهُ لِلْجَازِمِ .. فجوابه انها ثبتت ضرورة أو هي اشباع والحرف الأصلي حذف للجازم وقيل هي أصلية بناء على قول من يحزم المعتل بحذف الحركة المقدرة ويقر حرف العلة على حاله ومثل البيت قوله

هَجَوْتَ زَبَانَ نَمِ جِثَّتْ مَعْتَذَرَا مِنْ هَجَوِ زَبَانَ لَمْ تَهْجُو وَلَمْ تَدْعَى

أي ان كنتم لا تعبدون إلهي الا بهذا الشرط فانكم لا تعبدونه ابداً .. وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال انه يقتضى شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما شرطه في قوله ولا أنتم عابدون ما أعبد قال واذا كان ما نفاه عن نفسه من عبادة ما يعبدون مطلقاً غير مشروط فكذلك ما عطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح لانه لا يمتنع اثبات شرط بدليل وان لم يكن في ظاهر الكلام ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة .. وعن هذا السؤال ثلاثة اجوبة كل واحد منها اوضح مما ذكره ابن قتيبة .. اولها ما حكى عن ابي العباس ثعلب انه قال انما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى وتلخيص الكلام قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضاً واختص الفعلان منه ومنهم بالحال .. وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تسمة بلون فاختلف المعاني وحسن التكرار في اختلافها ويجب ان تكون السورة على هذا مختصة بمن المعلوم انه لا يؤمن .. وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد والمستهزؤن هم العاصي بن وائل والوليد بن المغيرة والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس .. والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد كقول الحبيب مؤكداً بلى بلى والممتنع مؤكداً لا لا .. ومثله قول الله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) .. وأنشد الفراء

وكائن وكم عندي لهم من صنعة
أيادي تنوها علي وأوجبوا

.. وأنشد أيضاً

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

.. وأنشد أيضاً

نعم الغراب بين لبني غذوة
كم كم وكم لفراق لبني ينق

.. وقال آخر

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ فَأُولِي لِنَفْسِي أُولِي لَهَا

.. والجواب الثالث وهو أغربها اتى لأعبد الأصنام التي تعبدونها ولا أنتم عابدون ما أعبد أي أنتم غير عابدن الله الذي أنا عابده اذ أشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه وانما يكون عابداً له من أخلص له العبادة دون غيره وأفرده بها وقوله ولا أنا عابدٌ ما عبدتم أي لست أعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى ﴿ والأرض وما طحاها ونفس وما سواها ﴾ أراد طحيه إياها وتسويته لها وقوله تعالى ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ يريد بفرحكم ومرحكم .. قال الشاعر

يَا رَبِّعَ سَلَامَةً بِالْمُنْحَنِ بِخَيْفِ سَلَعٍ جَادَكَ الْوَابِلُ

إِنْ تُمْسِ وَخَشَا فَمَا قَدْ تَرَى وَأَنْتَ مَعْمُورٌ بِهِ أَهْلُ

أراد فبرؤيتك معموراً أهلاً .. ومعنى قوله ولا أنتم عابدون أي لستم عابدن عبادتي على نحو ما ذكرناه فلم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني .. وتلخيص ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للكفار لا أعبد آلهتكم ومن تدعون من دون الله ولا أنتم عابدون إلهي وان زعمتم انكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون إذ كنتم من غير الجهة التي أمركم بها تعبدونه فأننا لا أعبد مثل عبادتكم ولا أنتم مادمت على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي .. فان قيل أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة .. قلنا انه صلى الله عليه وسلم كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئاً وهم يشركون فاختلفت عباداتهم .. ولأنه أيضاً كان يتقرب الي معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الأفعال ويتقربون بأفعال غيرها يعتقدون جهلاً أنها عبادة وقربة .. فان قيل ما معنى قوله تعالى ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾ وظاهر هذا الكلام يقتضى اباحتهم المقام على أديانهم .. قلنا في هذا ثلاثة أجوبة .. أولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهره اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ .. وثانيها انه أراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ..

وثالثها انه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائي لان نفس الدين هو الجزاء .. قال الشاعر

إِذَا مَا لَقُونَا لَقَيْنَاهُمْ وَدِنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرِضُونَا

.. فأما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها وويج على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن اليك بأن خولتك الأموال ألم أحسن اليك بأن خلصتك من المكاره ألم أحسن اليك بأن فعلت بك كذا وكذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم .. قال مهامل بن ربيعة يرثي أخاه كليباً

وَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكْنَا	عَلَيْهِ الْقَشْعَمَانِ مِنَ النَّسُورِ ^(١)
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجُزُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا مَا ضَمَّ جِيرَانُ الْمَجِيرِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا خَرَجَتْ مَجْبَأَةُ الْخُدُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا رَجَفَ الْعِضَاهُ مِنَ الدُّبُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا مَا أُعْلِنَتْ نَجْوَى الْأُمُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا خِيفَ الْمَخُوفُ مِنَ الثُّغُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	غَدَاةَ بِلَالٍ الْأَمْرِ الْكَبِيرِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عِدْلًا مِنْ كَلِيبٍ	إِذَا مَا خَامَ جَارُ الْمُسْتَجِيرِ

.. وقالت لبلى الأخيلية ترثي توبة بن الحمير

(١) - قلت القشعمان مرفوع بالابتداء وخبره قوله عليه مقدماً والجملة في موضع نصب على الحال وتقديره وعليه لحذف الواو لأن الهاء في عليه تربط الكلام بأوله ويروى عليه القشعمين بالنصب ووجهه أن يكون منصوباً بقوله تركنا

لنعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ ولم تكنْ
ونعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ إذا التقتْ
ونعمَ الفتى يا توبُ كُنتَ لِخائفٍ
ونعمَ الفتى يا توبُ جارًا وصاحبًا
لعمري لأنْتَ المرءُ أبكى لِفقدِهِ
لعمري لأنْتَ المرءُ أبكى لِفقدِهِ
لعمري لأنْتَ المرءُ أبكى لِفقدِهِ
لعمري لأنْتَ المرءُ أبكى لِفقدِهِ
أبا لكَ ذمُّ الناسِ يا توبُ كلما
فلا يُبعدنكَ اللهُ يا توبُ إنما
ولا يُبعدنكَ اللهُ يا توبُ إنما
ولا يُبعدنكَ اللهُ يا توبُ والتقتْ

لُتسبقَ يوماً كُنتَ فيه تُحاولُ
صدورُ الأعالى وأستشالُ الأسافلُ
أناكَ لَكِنِّي يَحْيى ونِعمَ المُحاملُ
ونعمَ الفتى يا توبُ حينَ تُناضلُ
بجدٍ ولو لآمتَ عليه العواذلُ
ويكثرُ تسهيدى له لا أوائلُ
ولو لآمَ فيه ناقصُ العقلِ جاهلُ
إذا كثرتْ بالملحمينَ البلايلُ
ذُكرتْ أمورٌ مُحكماتٌ كواملُ
لَقِيتَ حِمامَ الموتِ والموتُ عاجلُ
كذلكَ المنايا عاجلاتٌ وآجلُ
عليكَ النوادي المذجناتُ الهواطلُ

نخرجت في هذه الابيات من تكرار الى تكرار لاختلاف المعاني التي عدتها على نحو ما ذكرناه . . وقال الحارث بن عباد وكان قاضي العرب

قَرَبًا مَرَبُطَ النِّعَمَةِ مِنِّي لَفِجَتْ حَرْبُ وائِلٍ عَنِ حِيَالِ

ثم كرر قوله قَرَبًا مَرَبُطَ النِّعَمَةِ في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه . . وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترى زوجها

وحدَّثني أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا أَقامَ وَنادَى صَحْبَهُ بِرَحِيلِ

وحدَّثني أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالِكًا ضَرُوبُ بِنَصْلِ السِّيفِ غَيْرُ نَكُولِ

وحدَّثني أصحابه أَنَّ مَالِكًا خَفِيفٌ عَلَى الْجِدَّاتِ غَيْرُ ثَقِيلٍ

وحدَّثني أصحابه أَنَّ مَالِكًا جَوَادٌ بَمَا فِي الرَّحْلِ غَيْرُ بَجِيلٍ

وحدَّثني أصحابه أَنَّ مَالِكًا صَرُومٌ كَمَا ضَى الشَّفَرَتَيْنِ صَقِيلٍ

وهذا المعنى أكثر من أن نخصيه وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة المرسلات بقوله عز وجل (ويل يومئذ للمكذبين) .. فان قيل اذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدده من الآيات ومن نعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وقوله (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس هذا من الآلاء والنعم .. قلنا الوجه في ذلك أن فعل العقاب وان لم يكن نعمة فذكره ووصفه والانذار به من أكبر النعم لأن في ذلك زجراً عن ما يستحق به العقاب وبعثاً على ما يستحق به الثواب فانما أشار تعالى بقوله فأى آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها الى نعمة يوصفها والانذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في كونه نعمة.

[قال المرتضى رضى الله عنه] .. وكما أنه في الجاهلية وقبل الاسلام وفي ابتداء قوم يقولون بالدهر وينفون المصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله عنهم في كتابه وضرب لهم الأمثال وكرر عليهم البيّنات والاعلام فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن ينسب باظهار الاسلام وبحقن باظهار شعائره والدخول في جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فنصهم عن الاسلام عن المظاهرة وألبأهم خوف القتل الى المساترة وبأية هؤلاء على الاسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يدغولون في الدين ويموهون على المستضعفين بجش رابط ورأي جامع فعل من قد أمن الوحشة ووثق بالأنسة بما يظهره من لباس الدين الذي هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار .. كما حكى ان عبد الكريم بن أبي العوجا قال لما قبض عليه محمد بن سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل وأيقن

بفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة . . . والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك . والحمدون حماد الراوية . وحماد بن الزبرقان . وحماد مجرد . وعبد الله بن المقفع . وعبد الكريم بن أبي العوجا . وبشار بن برد . ومطيع بن إياس . وبجي بن زياد الحارثي . وصالح بن عبد القدوس الأزدي . وعلي بن خابيل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكره وهم وإن كان عددهم كثيراً فقد أقلمهم الله وأذلمهم وأرذلهم بما شهدت به دلائله الواضحة وحججه اللامعة على عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن نذكر من أخبار كل واحد ممن ذكرناه وتهمته في دينه نبذة ونومي فيها إلى جملة كافية والذي دعانا إلى التشاغل بذلك وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى مسألة من نرى إجابته ونؤثر موافقته فتكلفناه له من أجله مع أنه غير خالٍ من فائدة ينفع عليها ويتأدب بروايتها وحفظها . . . أما الوليد فكان مشهوراً بلا لحاد متظاهراً بالعناد غير محتشم في أطراح الدين أحداً ولا مراقب فيه بشراً وفي الحديث أنه وُلِدَ لِأَخِي أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَلامٌ فَسَمَوْهُ الْوَلِيدَ فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سَمِيَتْهُمُ بِأَسْمَاءِ فِرَاعِثَكُمْ لِيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَحْلٌ يَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ لَهُوَ شَرٌّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ فِرْعَوْنَ عَلَى قَوْمِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ فَسَأَلْتُ الزَّهْرِيَّ عَنْهُ فَقَالَ إِنْ اسْتَخْلَفَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدٍ وَإِلَّا هُوَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . . . أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْوِيُّ قَالَ كَانَ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَبْنِيَ فَوْقَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قُبَّةً يَشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ وَيَشْرَفُ عَلَى الطَّوَافِ فَقَالَ بَعْضُ الْحُجَّجَةِ لَقَدْ رَأَيْتُ الْمَجُوسِيَّ الْبِنَاءَ فَوْقَ الْكَعْبَةِ وَهُوَ بِقَدَرٍ مُوَاضِعِ أَرْكَانِ الْقُبَّةِ فَلَمْ تَمَسْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى وَافِيَ الْخَبْرُ بِقَتْلِ الْوَلِيدِ . . . وَأَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَحْيَى الْعَسْكَرِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الطَّلْحِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ إسماعِيلَ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ قَالَ أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ قَالَ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَهُوَ الْمَلَقَبُ بِالنَّاقِصِ لَمَّا وَلِيَ نَشَدَتْ اللَّهُ رَجُلًا سَمِعَ شَيْئًا مِنَ الْوَلِيدِ إِلَّا أَخْبَرَ بِهِ فَنَقَامُ ثَوْرٍ يَزِيدُ فَقَالَ أَشْهَدُ لِسَمْعَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ

إِسْقِيَانِي وَابْنَ حَرْبٍ وَأَسْتَرُّنَا بِإِزَارٍ

وَأَتْرُكَا مَنْ طَلَبَ الْجَنَّةَ يَسْتَمِي فِي خَسَارٍ
سَا سَوْسُ النَّاسِ حَتَّى يَزْكَبُوا دِينَ الْحِمَارِ

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني ابن خالد النخاس قال حدثنا محمد بن مكحول قال
نشر الوليد بن يزيد يوماً المصحف وكان خطه كأنه أصابع وجعل يرميه بالسهم ويقول
يَذْكُرُنِي الْحِسَابُ وَأَسْتُ أَذْرِي أَحَقًّا مَا يَقُولُ مِنَ الْحِسَابِ
فَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي

[قال الشريف المرتضى رضى الله عنه] ٠٠ وبه من هذه الجراءة على الله وطلاً
طويلاً وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته وما أولاء الاعمين بأليم العذاب
وشديد العقاب لولا ما نتم به المحنة وينتظم به التكليف من تأخير المستحق من الثواب
والعقاب وتبعيدهما من أحوال الطاعات والمعاصي ٠٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال
حدثني أحمد بن كامل قال كان الوليد بن يزيد زنديقاً واه افتتح المصحف يوماً فرأى
فيه (واستفتحوا وخاب كل جبارٍ عنيدٍ) فانخذ المصحف غرضاً ورماه حتى مزقه
بالبل وهو يقول

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيْدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيْدُ
فَإِنْ لَا قِيَتَ رَبُّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَتُلْ يَا رَبَّ خَرَقَتْنِي الْوَلِيْدُ

وأما حماد الراوية فكان منسأخاً من الدين وزارياً على أهله مدمناً لشرب الخمر
وارتكاب الفجور ٠٠ وقال أبو عمرو الجاحظ كان منقذ بن زياد الهلالي ومطيع بن
إياس ويحيى بن زيا وحفص بن أبي ودّة وقاسم بن زرقطة وابن المقفع ويونس بن أبي فروة
وحمد بن عجرد وأبو علي بن الخليل وحماد بن أبي ليلى الراوية وحماد بن الزبرقان ووالبة بن
الحطاب وعمارة بن حمرة بن ميمون ويزيد بن الغبيض وجبيل بن محفوظ المهدي وبشار بن
برد المرعش وأبان اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول الشعر وبهجو بعضهم بعضاً وكل
منهم منهم في دينه ٠٠ وعمل يونس بن أبي فروة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الاسلام

بزعمه وصار به الى ملك الروم فأخذ منه مالا ٠٠ وقال أحمد بن يحيى النحوى قال
رجل بهجو حماد الراوية

نِعْمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَيُقِيمُ وَقْتَ صَلَاتِهِ حَمَادُ
بَسَطَتْ مَشَافِرَهُ الشَّمُولُ فَأَنَفَهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْنُهَا الْحَدَّادُ
وَابْيَضَ مِنْ شُرْبِ الْمَدَامَةِ وَجْهُهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ
لَا يُعْجِبُنِكَ بَزُهُ وَلِسَانُهُ إِنَّ الْمَجُوسَ يَرِي لَهَا أَسْبَادُ

وكان حماد مشهوراً بالكذب فى الرواية وعمل الشعر وازافته الى الشعراء المتقدمين
ودسه فى أشعارهم حتى ان كثيراً من الرواة قالوا قد أفسد الشعر لأنه كان رجلاً يقدر
على صنعة فيدس فى شعر كل رجل ما يشاكل طريقته^(١) فاختلف لذلك الصحيح بالسقيم

(١) قوله يدخل فى شعر كل رجل ما يشاكل طريقته الخ فمن ذلك ان المهدي سأل
المفضل الضبي عن سبب افتتاح زهير قصيدته

دع ذا وعدّ القول فى هرم خير البُداء وسيد الحُضر
ولم يتقدم له قبل ذلك قول فما الذى أمر نفسه بتركه فقال له المفضل إني توهمته كان
مفكراً فى شيء من شأنه فتركه وقال دع ذا أي دع ما انت فيه من الفكر وعد القول
فى هرم فامسك عنه ودعى حماداً فسأله فقال ليس هكذا قال زهير وأنشده
لمن الديار بقنّة الحجر أقوين مذ حَجَجَ ومزدهر
فغر بمن دفع النحائت من ضفوى آلات الضال والسدر

دع ذا الخ فاستعمله المهدي فأقر أنه هو الذى ادخلها فى شعر زهير فأمر المهدي ان من
اراد شعراً محرراً فليأخذ من حماد ومن اراد رواية صحيحة فليأخذها من المفضل
٠٠ وقال له الوليد بم استحققت هذا اللقب فقل لك الراوية فقال بأنى اروي لكل
شاعر تعرفه او سمعت به ثم اروي لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع
به ثم لا أنشد شعراً أقدم ولا محدث إلا مئز القديم منه من المحدث فقال ان هذا لعلم

وهذا الفعل منه وان لم يكن إلا على الالتئام فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية .. وأما حماد بن الزرقان فهذه طريقته في التخرم والتهتك .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا الأشناداني قال دعا حماد بن الزرقان أبا الغول النهشلي إلى منزله وكانا يتقارضان فأنهره أبو الغول فلم يزل المفضل به حتى أجابه وانطلق معه فلما رجع إلى المفضل قال ما صنعت أنت وحماد قال اصطالحنا على أن لا أمره بالصلاة ولا يدعوني إلى شرب الخمر .. ثم أنشد المفضل قوله

* نعم الفتي لو كان يعرف ربه *

وذكر الأبيات التي تقدمت في الرواية الأخرى منسوبة إلى حماد الراوية .. فأما حماد مجرد فشهرته في الضلالة كشهرة الحمادين وكان يرمي مع ذلك بالثنائية .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله السارسي قال أخبرني أبي قال حدثني ابن مهران قال حدثني علي بن عبد الله بن سعد قال حدثني السري عن الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال لي يا أبا علي أما إني قد أوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد مجرد فقلت بماذا يا أبا معاذ قال بقولي فيه

يا ابن نهيا رأس علي ثقيل واحتمال الرأسين خطب جليل

فادع غيري إلى عبادة ريسن فإني بواحد مشغول

فقلت إن أدعه في عماء ثم قلت له قد بلغ حماد هذا الشعر وهو يرويه على خلاف هذا قال ماذا يقول قلت يقول

فادع غيري إلى عبادة ريسن فإني عن واحد مشغول

وأبيك كبير فكلم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثيراً ولكنني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام فامتحنه فأنشده حتى ضجر فوكل به من سمع منه ألفين وأسمائة قصيدة للجاهلين فأمر له بمائة ألف درهم واسم أبيه ميسرة

فلما سمعه أطرق وقال أحسن والله ابن الفاعلة ثم قال اتني لأحتشمك فلا تشد أحداً
هذين البيتين وكان اذا سئل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي .. وأخبرنا المرزباني قال
أخبرني علي بن هارون عن غمّه يحيى بن علي عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد
الأرقط قال بشار بلغني ان رجلاً كان يقرأ القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس
على القارئ فقال حماد علام تجتمعون فوالله لما أقول أحسن مما يقول ففقهه الناس على
هذا .. وروى ابن شبة عن أبي عبيدة قال كان حماد مجرد يعبر بشاراً بالقبح لأنه كان
عظيم الجسد مجدوراً طويلاً جاحظ العينين قد تغشاها لحم أحمر فلما قال حماد فيه

والله ما الخنزير في نتنه برُبْعِه في النتنِ أو خُمْسِه
بل رِيحُه أَطْيَبُ من رِيحِه ومَسَّهُ الَيْنُ من مَسِّه
وَوَجْهُه أَحْسَنُ من وَجْهِه ونَنَسُه أَفْضَلُ من نَقْسِه
وَعُودُه أَكْرَمُ من عُودِه وَجَنَسُه أَكْرَمُ من جَنَسِه

فقال بشار ويبي على الزنديق لقد نفت بما في صدره قيل وكيف ذاك قال ما أراد
لزنديق الا قول الله تعالى (لقد خالقنا الانسان في أحسن تقويم) فأخرج الجحود
بها مخرج مجاني وهذا خبت من بشار وتغلغل شديد .. وأول من جعل نفي الالحاد تأكيذاً
للو صف به وأخرج ذلك مخرج المبالغة مساور الوراق في حماد مجرد فقال

لَوْ أَنَّ مَآئِي وَدَيْصَانَاوَعَضِبْتَهُمْ جَاؤَا إِلَيْكَ لَمَاقَلْنَاكَ زَنْدِيقُ
أَنْتَ الْعِبَادَةُ وَالتَّوْحِيدُ مَذْخُلُهَا وَذَا التَّزَنُّدُ نِيرَانُ مَخَارِيقُ

.. فأما ابن المقفع^(١) فان جعفر بن سليمان روى عن المهدي انه قال ما وجدت كتاب

(١) اسم ابن المقفع روضة قبل الاسلام وعبد الله بعده والمقفع اسمه المبارك ولقب بالمقفع لان
الحجاج بن يوسف ضربه ضرباً قفعت يده ورجل متفقع اليدين أي متشجهم ما قيل هو المقفع
بكسر الفاء لعمله القفعة بفتح القاف وسكون الفاء والقفعة شيء يشبه الزنبيل بلا عروة وتعمل من
خوص ليست بالكبيرة .. وقال الليث القفعة تخذ من خوص مستديرة يجتنى فيها الرطب ونحوه

زندقة قط إلا وأصله ابن المقفع . . . روى ابن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد
مر بيت نارٍ للمجوس بعد أن أسلم فلمحه وتمثل

يا بيتَ عاتكةَ الذي اتَّعَزَلُ حَذَرَ الْعِدَى وَبَكَ الْفَوَادِمُ كُلُّ
إِنِّي لَأَمْنَحُكَ الصَّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصَّدُودِ لَأَمِيلُ

وروى أحمد بن يحيى ثعلب قال قال ابن المقفع يرني يحيى بن زياد وقال الاخفش
والصحيح انه يرني بها ابن أبي العوجا

رُزِنَا أَبَا عَمْرٍو وَلَا حَيٍّ مِثْلُهُ فَلِلَّهِ رَيْبُ الْحَادِثَاتِ بَيْنَ وَقَعٍ
فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَنَا وَتَرَكْتَنَا ذَوِي خَلَّةٍ مَا فِي أُنْسَادِهَا طَمَعٌ
لَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقَدْ نَالَكَ أَنْتَا أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرَّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ

قال ثعلب البيت الأخير يدل على مذهبهم في أن الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج
بالخير . . . وأخبرني علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني
المغيرة بن محمد المهلبى من حفظه قال حدثنا خالد بن خدش قال كان الخليل بن أحمد يحب
أن يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبى
فتحدثنا ثلاثة أيام وإياهم فقبل للخليل كيف رأيت عبد الله قال ما رأيت مثله وعلمه
أكثر من عقله وقبل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال ما رأيت مثله وعقله أكثر
من علمه قال المغيرة فصدقا أدى عقل الخليل الخليل الى ان مات أزهده الناس وجهل
ابن المقفع أداه الى ان كتب أماناً لعبد الله بن علي فقال فيه ومتى غدر أمير المؤمنين
بعمة عبد الله ففساؤه طوالق ودوابه حُبْسٌ وعبيده أحرارٌ والمسلمون في حِلٍّ من
بيعتهم فاشند ذلك على المنصور جداً وخاصةً أمر البيعة . . . وكتب الى سفيان بن معاوية
المهلبى وهو أمير البصرة من قبله بقتله فقتله وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام
فصيح العبارة له حكم وأمثال مستفادة . . . من ذلك ما روي من ان يحيى بن زياد الحارنى

كتب اليه يلتمس معاقدة الإخاء والاجتماع على المودة والصفاء فأخبر جوابه فكتب اليه كتاباً آخر يسترنيه فكتب اليه عبد الله ان الإخاء رقيق فكرهت ان أملكك رقي قبل ان أعرف حسن كنهك . . . وكان يقول ذل نفسك بالصبر على الجار السوء والعشير السوء والجاليس السوء فان ذلك لا يكاد يخطئك . . . وكان يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تنزع . . . ودعاء عيسى ابن عليّ للغداء فقال أعز الله الأمير لست يومي للكرام أكيلا قال ولم قال لاني مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مائة من عشرة الأحرار . . . وكتب الى بعض اخوانه أما بعد فاعلم العلم من هو أعلم به منك وعلمه من أنت أعلم به منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت . . . وقال لبعض الكتاب ياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فان ذلك هو الهي الأكبر . . . وقال لا خير عليك بما سهل من الألفاظ مع التجنب للألفاظ السفلة . . . وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها . . . وقال لا تحدث من تخاف تكذيبه ولا تسأل من تخاف منعه ولا تعد ما لا تريد إنجازه ولا تضمن ما لا تنق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه . . . وقال لبعض اخوانه اذا صاحبت ملكاً فاعلم انهم ينسبونك الى قلة الوفاء فلا تشعن قلبك استبطاءه فانه لم يشعر أحد قلبه إلا ظهر عن لسانه ان كان سخيلاً وعلى وجهه ان كان حليماً . . . وكان يقول ان مما سخا به نفس العالم عن الدنيا ثلثه بان الأرزاق لم يقسم فيها على قدر الأخطار . . . وأما ابن أبي العزّاج فقد ذكر ما روى من اعترافه بدسه في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام أحاديث مكذوبة وروى انه رأى عدلاً قد كتب عليه آية الكرسي فقال لصاحبه لم كتب هذا عليه فقال لثلاث يسرق فقال قد رأينا مصحفاً سرق . . . ولبشار فيه

قُلْ لِعَبْدِ الْكَرِيمِ يَا ابْنَ أَبِي الْعَوَّ جَاءَتْكِ الْإِسْلَامُ بِالْكَفْرِ مُؤَقَّاتاً
لَا تُصَلِّي وَلَا تَصُومُ فَإِنْ صُمْتَ فَبَعْضَ النَّهَارِ صَوْمًا دَقِيقًا
لَا تُبَالِي إِذَا أَصَبْتَ مِنَ الْخَمْرِ عَتِيقًا إِلَّا تَكُونُ عَتِيقًا

لَيْتَ شِعْرِي غَدَاةَ حُلَيْتٍ فِي الْجُنْدِ حَنِيفًا حُلَيْتُ أَمْ زَنْدِيقًا

فأما بشار بن برد فروى المازني قال قال رجل لبشار أنا كل اللحم وهو مبين
لديانتك يذهب الى انه تنوى فقال بشار ان هذا اللحم يدفع عني شر هذه الظلمة . . قال
المبرد و يروى ان بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ويصوب رأى ابليس في الامتناع
عن السجود وروى له

النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مُعْبُودَةٌ مِذَّكَ كَانَتِ النَّارُ

وروى بعض أصحابه قال كنا اذا حضرت الصلاة نقوم اليها ويقعد بشار فنجعل
حول ثوبه تراباً ننظر هل يصلى فنعود والتراب بحاله ولم يقم الى الصلاة . . أخبرنا
أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال أخبرني أبي قال حدثني
ابن مهرويه عن أحمد بن خلاد قال حدثني أبي قال كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سوء
مذهبه بميله الى الاتحاد فكان يقول لا أعرف الا ما عاينت أو عاينه معاين فكان الكلام
يطول بنينا فقال ما أظن الأمر يا أبا محمد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طُبِعْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ فُخَيْرٍ هَوَايَ وَأَوْخَيْرَتِ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أَرِدْ وَغَيْبَ عَنِّي أَنْ أُنَالَ الْمُغْنِيَا
وَأَصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُبْصِرٌ وَأَمْسِي وَمَا عَقِبْتُ إِلَّا التَّعْجِبَا

قال الجاحظ كان بشار صديقاً لواصل بن عطاء الغزالي قبل أن يظهر مذهب
المكروهة وكان بشار مدح واصل بن عطاء وذكر خطبته التي نزع منها الرأه وكانت
على البديهة فقال

تَكَلَّفَ الْقَوْمُ وَالْأَقْوَامُ قَدْ حَفَلُوا وَحَبَرُوا وَخُطِبَا نَاهِيكَ مَنْ خُطِبِ
فَقَامَ مُرْتَجِلًا تَغْلَى بَدَاهَتُهُ كَمِزْجَلِ الْقَيْنِ لَمَّا حَفَّ بِاللَّهَبِ
وَجَانِبَ الرَّاءِ لَمْ يَشْمُرْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَ التَّصْفُحِ وَالْإِغْرَاقِ فِي الطَّلَبِ

• • ومثل ذلك قول بعضهم في واصل

وَيَجْعَلُ الْبِرَّ قَمَحًا فِي تَكْلِمِهِ
وَجَانِبَ الرَّاءِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
وَلَمْ يَقُلْ مَطَرًا وَالْقَوْلُ يُعْجِلُهُ
فَعَاذَ بِالغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطَرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتف به واصل فقام بذكره وتكفيره وقعد فقال بشار فيه

مَالِي أَشَايِعُ غَزًّا لَاهُ عُنُقُ
كَسَنَقْنَقِ الدَّوَانِ وَلِيَّ وَإِنْ مَثَلًا
عُنُقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبَالِكُمْ
تُكْفِرُونَ رِجَالًا أَكْفَرُوا رَجُلًا

فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده قال عند ذلك أما لهذا الأعمى الملحد أما لهذا المشنف المكفى بأبي معاذٍ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجيية من سجايا الغالية لدست اليه من يبيع بطنه في جوف منزله على مضجعه أو في يوم حفلة ثم كان لا يتولى ذلك إلا عقيلي أوسدوسى^(١) فعدل واصل بن عطاء من الضرير الى الأعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث الى المشنف ومن بشار الى أبي معاذٍ ومن الفراش الى المضجع • • وزاد قوم فقالوا ومن أرسلت الى دست ومن يبقّر الى يبيع ومن داره الى منزله ومن المغيرة الى الغالية والأول أشبه بان يكون مقصوداً وما ذكر ثانياً فقد يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الراء • • فأما قوله لا يتولى ذلك الا عقيلي فلأن بشاراً كان مولى لهم وذكره بني سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم فأما لقب بشار بالمرعث فقد قيل فيه ثلاثة أقوال • أحدها انه لقب بذلك لبيت قاله وهو

قَالَ رِيْمٌ مُرْعَثٌ فَاتِرُ الطَّرْفِ وَالنَّظَرِ

(١) وسئل عثمان البرى كيف كان يصنع واصل في العدد وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجادى الآخرة ورجب فقال مالى فيه قول الاما قال صفوان

ملقنٌ ملهمٌ فيما يحاوله جم خواطره جواب آفاق

لَسْتُ وَاللَّهِ نَائِلِي قُلْتُ أَوْ يَغْلِبَ الْقَدَرُ

• والقول الثاني انه كان لبشار ثوب له جيبان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فكان إذا أراد لبسه يضمنه عليه ضمًا من غير ان يدخل رأسه فيه فشبّه استرسال الجيبين وتدلّهما بالرمات وهي القرطة ف قيل المرعث •• وقال أبو عبيدة انما سمي المرعث لانه كان يلبس في صباه رمانا وهذا هو القول الثالث •• وكان بشار مقدما في الشعر جداً حتى ان كثيراً من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه من المجودين •• وأخبرنا المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن البشكري قال قيل لأبي حاتم من أشعر الناس قال الذي يقول

ولها مَبَسَمٌ كَفَرُ الْأَقَاحِي وَحَدِيثٌ كَالْوَشِيِّ وَشِي الْبُرُودِ
نَزَلَتْ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَلْبِ وَنَالَتْ زِيَادَةَ الْمُسْتَزِيدِ
عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَايَ وَعِنْدِي زَفَرَاتٌ يَا كُلَّنْ صَبْرَ الْجَلِيدِ

يعنى بشاراً قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار
بَنَى أَمِيَّةَ هَبُوا طَالَ نَوْمُكُمْ إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمَ فَالْتَمِسُوا خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ النَّأْيِ وَالْعُودِ
فبلغ المهدي ذلك فوجد عليه وكان سبب قتله

مجلس آخر ١٠

فأما مطيع بن إلياس الكنعاني فأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن أبي أيوب المدني عن أحمد بن إبراهيم الكاتب قال أخبرني أبي قال رأيت بنناً لمطيع بن إلياس قد أتى بها في أول أيام الرشيد فأقرت بالزندقة وقراءتها وتابت وقالت هذا شيء علمنيه أبي فقبل الرشيد ثوبتها وردّها إلى أهلها •• وقال محمد بن داود الجراح في أخبار مطيع بن إلياس انه كان يرمى بالزندقة •• روى انه

لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته فأقبلوا يقولون له قل يا مطيع لا إله إلا الله فلا يقول حتى صارت نفسه في نفرة نحره تنفس ثم أهوى إلى الكلام فقالوا له قل لا إله إلا الله فتكلم كلاماً ضعيفاً فتسمّوا له فإذا هو يقول

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الزَّمَانِ وَفِي أُمِّي زَمَانٍ دَهْتَنِي الْأَزْمَانُ
حِينَ جَاءَ الرَّيْبُ وَاسْتَقْبَلَ الصَّيْفُ وَطَابَ الطَّلَاءُ وَالرَّيْحَانُ

قال المرزباني وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدي ليحيى بن زياد .. فأما يحيى بن زياد فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان الحارثي الكوفي وزباد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ويكنى يحيى أبا الفضل وكان يعرف بالزنديق وكانوا إذا وصفوا إنساناً بالظرف قالوا هو أطرف من الزنديق يعنون يحيى لأنه كان ظريفاً وهذا المعنى قصد أبو نواس بقوله

تِيَهُ مُغْنٍ وَظَرْفُ زَنْدِيقٍ

قال الصولي وإنما قال ذلك لأن الزنديق لا يدع شيئاً ولا يمنع عما يدعي إليه فنسبه إلى الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه .. وروى أنه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل لا إله إلا الله فقال

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِرْطُ وَالْخَلَاحِلُ

ثم أغمى عليه فلما أفاق أعيد عليه القول فقال

وَبَاذِلٌ تَفْلِي بِهِ الْمَرَّاجِلُ

وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن إلياس يرثي يحيى بن زياد وكانا جميعاً مرميين بالخروج عن الملة

يَا أَهْلُ بَكُوا لِقَابِي الْقَرَحَ وَلِلدُّمُوعِ الْهَوَامِلِ السَّفْحُ
رَاحُوا بِيَخْيِي إِلَى مُغْيِيهِ فِي الْقَبْرِ بَيْنَ التُّرَابِ وَالصَّفْحِ
رَاحُوا بِيَخْيِي وَلَوْ تُسَاعِدُنِي إلَ أَقْدَارُ لَمْ يَنْتَكِرْ وَلَمْ يَرْحُ

يَاخِيزَ مَنْ يَحْسُنُ الْبُكَاءَ لَهُ الْيَوْمَ وَمَنْ كَانَ أَمْسٍ لِلْمِدْحِ
قَدْ ظَفَرَ الْحَزْنَ بِالسُّرُورِ وَقَدْ أُدِيلَ مَكْرُوهُنَا مِنَ الْفَرَحِ

والمطبع يرثيه

أَنْظَرُ إِلَى الْمَوْتِ كَيْفَ بَادَهُهُ وَالْمَوْتُ مُقَدَّامَةٌ عَلَى الْبُهْمِ
لَوْ قَدْ تَدَبَّرْتَ مَا صَنَعْتَ بِهِ قَرَعْتَ سِنًا عَلَيْهِ مِنْ نَدَمِ
فَاذْهَبْ بَعْنٍ شِئْتَ إِذْ ذَهَبَتْ بِهِ مَا بَعْدَ يَحْيَى لِلرُّزْءِ مِنْ أَلَمِ

وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهراً بمذاهب الثنوية ويقال ان أبا الهذيل
العلاف ناظره فقطعه ثم قال له على أى شيء تعزم يا صالح فقال أستخير الله وأقول
بالأثنين فقال أبو الهذيل فأيهما استخرت لأملك .. وروى ان أبا الهذيل ناظره في مسألة
مشهورة في الامتزاج الذي ادّعوه بين النور والظلمة فأقام عليه الحجة فانقطع وأنشأ يقول
أبا الهذيل هَذَاكَ اللَّهُ يَا رَجُلُ فَأَنْتَ حَقًّا لَعَمْرِي مُعْضِلٌ جَدِلُ

وروى انه رُؤى يصلى صلاة تامة الركوع والسجود ف قيل له ما هذا ومذهبك معروف
قال سنة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد .. ويقال انه لما أراد المهدي
قتله على الزندقة رمى اليه بكتاب قال له اقرأ هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال
صالح أو تعرفه أنت يا أمير المؤمنين اذا قرأته قال لا قال أفقتلنى على ما لا تعرف قال فاني
أعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقرؤه ولست بزنديق .. وذكر
محمد بن يزيد المبرّد قال ذكر بعض الرواة ان صالحاً لما نواظر فيما قدف به من الزندقة
بمحضرة المهدي قال له المهدي ألسنت القائل في حفظك ما أنت عليه

رَبُّ سِرٍّ كَتَمْتَهُ فَكَأَنِّي أَخْرَسٌ أَوْ ثَنِي لِسَانِي خَبِلُ
وَلَوْ أَنِّي أَبْدَيْتُ لِلنَّاسِ عَلِمِي لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكْلُ

قال صالح فاني أنوب وأرجع فقال له هيات ألسنت القائل

والشيخُ لا يتركُ عاداتهِ حتَّى يُورَى في ثَرَى رَمْسِهِ
إذا أَرَعَوَى عاودَهُ جهلُهُ كَذَى الضَّنَا عادَ إلى نُكْسِهِ

ثم قدّم فقتل ويقال انه صلبه على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس
خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى
إِذَا دَخَلَ السَّجَانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجَبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
وَتَفَرَّحُ بِالرُّوْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّوْيَا
فَإِنْ حَسَنَتْ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ وَإِنْ قَبَحَتْ لَمْ تَحْتَبِسْ وَأَتَتْ عَجَلَى
طَوَى دُونَنَا الْأَخْبَارَ سَجَنٌ مُنْعٌ لَهُ حَارِسٌ تَهْدَى الْعُيُونُ وَلَا يَهْدَى
قُبْرُنَا وَلَمْ نُذَفَنْ وَنَحْنُ بِمَعْزِلٍ عَنِ النَّاسِ لَا نُخْشَى فَنُغْشَى وَلَا نَغْشَى
إِلَّا أَحَدٌ يَا وَيْ لَأَهْلِ مَحَلَّةٍ مُقِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا

[قال المرتضى رضى الله عنه] ٠٠ وأظن ان ابن الجهم لحظ قول صالح فغشى ولا

نغشى في قوله يصف الحبس

يَبْتَ يَجْدُدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَيُزَارُ فِيهِ وَلَا يَزُورُ وَيُحْمَدُ

وأما على بن الخليل فقد ذكر محمد بن داود قال كان على بن الخليل وهو مولى
يزيد بن مزيد الشيباني ويكنى أبا الحسن وهو كوفيٌّ منهم بالزندقة فطلبه الرشيد
عند قتله الزنادقة فاستتر طويلاً ثم قصد الرقة وبها الرشيد فدحه ومدح الفضل بن
الربيع ٠٠ روى انه لما قعد الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة والخصاب
معه قصيدة فأشار بها فأمر الرشيد بأخذها منه فقال يأمر المؤمنين أنا أحسن قراءة
لها من غيرى فأذن لى في قراءتها ففعل فقال انى شيخ كبير ولا آمن الاضطراب اذا
مُت فان رأيت أن تأذن لى فى الجلوس فعلت فقال له اجلس فجلس ثم أنشأ يقول

يا خَيْرَ مَنْ وَخَدَتْ بِأَرْحَلِهِ
 تَطْوِي السَّبَاسِبَ فِي أَرْمَتِهَا
 لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِعَةً
 خَيْرُ الْخَلَائِقِ أَنْتَ كُلِّهِمْ
 وَكَذَاكَ لَا تَنْفَكُ خَيْرُهُمْ
 مِنْ عَصْبَةٍ طَابَتْ أَرْوَمَتُهَا
 فَوْقَ النُّجُومِ فُرُوعُ نَبْعَتِهِمْ
 إِنِّي رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَرْعٍ^(١)
 مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي رَجُلٌ
 بَقَرٌ أَوْ أُنْسٌ لَا قُرُونَ لَهَا
 وَأَجَاذِبُ الْفَتِيَانِ بَيْنَهُمْ
 لِلْمَاءِ فِي حَافَاتِهَا حَبٌّ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي بَرِيَّتِهِ
 نُجْبُ الرِّكَابِ بِمَهْمَةٍ جَلَسِ
 طَى التِّجَارِ عَمَائِمَ الْبِرْسِ
 سَجَدَتْ لَوَجْهِكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ
 فِي يَوْمِكَ الْمَاضِي وَفِي أَمْسِ
 تُنْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُنْسِي
 أَهْلَ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
 وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْفَرَسِ
 كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِي
 أَصْبُو إِلَى بَقَرٍ مِنَ الْإِنْسِ
 يَقْتَنَانِ بِالتَّطْوِيلِ وَالْحَبْسِ
 صَهْبَاءُ مِثْلَ مُجَاجَةِ الْوَرَسِ
 نَظْمٌ كَطَيِّ صَحَائِفِ الْفَرَسِ
 مَا إِنْ أَضَعْتُ إِقَامَةَ الْخَمْسِ

(١) قوله انى رحلت اليك الخ في غير الاصل

انى اليك لجأت من مرب
 واخترت حكمك لا أجازه
 لما استخرت الله في مهل
 كم قد قطعت اليك مدرعا
 ان هاجنى من هاجس جزع
 قد كان شردني ومن لبس
 حتى أوسد في ترى رمسي
 يمت نحوك رحلة العنس
 ليلا بهيم اللون كالنمس
 كان التوكل عنده ترسي

وفي سائر الرواية اختلاف يسير

فقال له هارون من أنت قال على بن الخليل الذى يقال انه زنديق قال أنت آمن
وكتب الى حمدويه ألا يعرض له .. ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر مما ذكرنا
وانما اعتمدنا من كان بهذه التلبه أشهر وأمره فيها أظهر وأوردنا مع ذلك قليلا من
كثير وجملة من تفصيل .. واذا كنا قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة
والمنقادين بالجهالة حسب سؤالنا فنحن نتبعها بشئ من أخبار أهل التوحيد والعدل
وملح حكاياتهم ومستحسن ألفاظهم ليعلم الفرق بين من ربحت بيعته وبين من خسرت
صفقته فقد سئنا أيضاً ذلك .. أعلم ان أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير
المؤمنين على عليه السلام وخطبه وانها تتضمن من ذلك مالا مزيد عليه ولا غاية وراءه
ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم ان جميع مأسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه
وجمعه انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول .. وروى عن الأئمة من أبنائه
عليهم السلام من ذلك مالا يكاد يحاط به كثرة ومن أحب الوقوف عليه وطلبه من مظانه أصاب
منه الكثير الغزير الذى في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج للعقول العقيمة ونحن
نقدم على ما نريد ذكره شيئاً مما روى عنهم في هذا الباب .. فمن ذلك ما روى عن
أمير المؤمنين على عليه السلام وهو يصف الله تعالى .. بمضادته بين الاشياء علم ان لاضدله
وبمقارنته بين الامور علم ان لافرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبوسة
بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متباعداتهما فرقى بين متدانياتها .. وروى عنه عليه
السلام انه سئل بم عرف ربك فقال بما عرفتني به قيل وكيف عرفتك قال لا تشبهه
صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بقياس الناس .. وقيل له عليه السلام كيف يحاسب
الله الخلق قال كما يرزقهم فقبل كيف يحاسبهم ولا يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه .. وسأله
رجل فقال أين كان ربك قبل أن يخلق السماء والارض فقال أين سؤال عن مكان وكان
الله ولا مكان .. وروى عن أبي عبيد الله الصادق عليه السلام انه سأله محمد الحلبي فقال
له هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم رآه بقلبه فاما ربنا جل جلاله
فلا تدركه أبصار الناظرين ولا تحيط به اسماع السامعين .. وروى صفوان بن يحيى
قال دخل أبو قرّة المحدث على أبي الحسن الرضا عليه السلام فسأله عن أشياء من

الحلال والحرام والاحكام والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال أبو قرّة إنارويننا أن الله قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمد صلى الله عليه وسلم الرؤية فقال الرضا عليه السلام فن المبلغ عن الله الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثل شئ أليس محمد نبياً صادقاً قال بلى قال وكيف يحىء رجل الى الخلق جميعاً فيخبرهم انه جاء من عند الله يدعوهم اليه بأمره ويقول لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علماً وليس كمثل شئ ثم يقول سأراه بعيني وأحيط به علماً ألا تستحيون ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله بشئ ثم يأتي بخلافه من وجه آخر .. قال أبو قرّة فانه يقول ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى .. قال عليه السلام مابعد هذه الآية يدل على ما رأى حيث يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأيت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى وآيات الله غير الله وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علماً فاذا رآه الابصار فقد أحاط به العلم فقال أبو قرّة فأكذب بالرؤية فقال الرضا عليه السلام إن القرآن كذبها وما أجمع عليه المسلمون انه لا يحاط به علماً ولا تدركه الابصار وليس كمثل شئ .. وأتى أعرابي أبا جعفر محمد بن على عليه السلام فقال أرأيت ربك حين عبده فقال لم أكن لأعبد شيئاً لم أره فقال كيف رأيته فقال لم تره الابصار بالمشاهدة والعيان بل رآه القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في أقضيته هو الله الذي لا اله الا هو فقال الاعرابي الله أعلم حيث يجعل رسالته .. وروى ان شيخاً حضر صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء من الله تعالى وقدر قال له نعم يا أخا أهل الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطيننا موطناً ولا هبطنا واديا ولا علونا تلمعة الا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين وما أظن ان لي أجراً في سعيي اذا كان الله قضاء على وقدره فقال له عليه السلام ان الله قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون ولم تكونوا في شئ من حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبرين فقال الشامي

كيف ذلك والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلام ويحك يا أخا أهل الشام لعلك ظننت قضاء لازماً وقدرأً حاكماً لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر من الله والنهي ولما كان المحسن أولى بثواب الاحسان من المسيء والمسيئ أولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها ان الله أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً وكلف يسيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يطع مكرها ولم يعص مغلوباً ولم يكلف عسيراً ولم يرسل الانبياء لعباً ولم ينزل الكتب لعباده عبثاً ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . . . قل الشامي فما القضاء والقدر الذي كان مسيرنا بهما وعنهما قال الأمر من الله بذلك والحكم ثم تلا (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) فقام الشامي فرحاً مسروراً لما سمع هذا المقال وقال فرجت عني فرج الله عنك يا أمير المؤمنين وجعل يقول

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم الحساب من الرحمن غفرانا
أوضحت من أمرنا ما كان ملتبساً جزاك ربك بالاحسان إحسانا

وروى ان أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأيت أبا عبد الله فسلمت عليه وقت من عنده ورأيت ابنه موسى في دهليزه قاعداً في مكتبته وهو صغير السن فقلت له أين يحدث الرجل عندهم اذا أراد ذلك فنظر اليّ ثم قال يتجنب شطوط الانهار ومسقط الثمار وأفناء الدور والطرق النافذة والمساجد ويضع ويرفع بعد ذلك حيث شاء قال فلما سمعت هذا القول نبه في عيني وعظم في قلبي فقلت له جمعت فداك ممن المعصية فنظر اليّ ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال ان المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً فان كانت من الله فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذ بما لم يفعله . وان كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بانصاف عبده الضعيف . وان كانت من العبد وحده فعليه وقع الامر واليه توجه النهي

وله حق العقاب والثواب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم .. وقد نظم هذا المعنى شعراً فقبل

لَمْ تَخْلُ أَعْمَالُنَا اللَّاتِي نُنْذِمُ بِهَا ۖ إِحْدَى ثَلَاثِ خِلَالٍ حِينَ نَأْتِيهَا
إِمَّا تَقَرَّدَ بَارِينَا بِصَنَعَتِهَا فَيَسْقُطُ اللَّوْمُ عَنَّا حِينَ نُنْشِيهَا
أَوْ كَانَ يَشْرِكُنَا فِيهَا فَيُلْحِقُهُ مَا سَوْفَ يُلْحِقُنَا مِنْ لَائِمٍ فِيهَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ لِإِلَهِ فِي جَنَائِتِهَا ذَنْبٌ فَمَا الذَّنْبُ إِلَّا ذَنْبُ جَانِبِهَا

وأحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار من أهل ميسان مولى لبعض الانصار وكان اسم أمه خيرة مملوكة لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويقال ان أم سلمة كانت تأخذ الحسن اذا بكى فتسكته بشدها فكان يدرّ عليه فيقال ان الحكمة التي أوتيتها الحسن من ذلك وباع الحسن من السن تسعا وثمانين سنة فمن تصريجه بالعدل ماروى عن أبي الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه ثم تلا (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) .. وقال داود بن أبي هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء^(١) الله وقدر^(٢) الا المعاصي .. وكان الحسن رباع الفصاحة بايغ المواعظ

(١) - قوله سمعت الحسن يقول من زعم ان المعاصي من الله جاء يوم القيامة مسوداً وجهه الى قوله سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر الا المعاصي .. أقول هذا مذهب المعتزلة وطوائف آخر من المتكلمين والواجب في هذا الباب الرجوع الى ما في كتاب الله وسنة رسوله ونبد ما سواهما وعدم الخوض في هذا الباب قال تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تحتاج آدم وموسى فخرج آدم موسى قال له موسى أنت آدم الذي أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة هذا لفظ الموطأ وفي الصحيحين من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعاً أحتج آدم وموسى فقال له موسى يا آدم أنت أبونا خيشتنا وأخرجتنا من الجنة وفي رواية أنت

كثير العلم وجميع كلامه من الوعظ وذم الدنيا أوجله مأخوذ لفظاً ومعنى أو معنى دون لفظ من كلام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام فهو في ذلك القدوة والغاية .. فمن ذلك قوله عليه السلام شيئان أحدهما مأخوذ من الآخر أحدهما أكثر شئ في الدنيا والآخر أقل شئ في الدنيا العبر والاعتبار .. وقوله عليه السلام مثل الدنيا والآخرة مثل المشرق والمغرب ، تي ازدادت من أحدهما قرباً ازدادت من الآخر بعداً .. وقوله شيئان بين عمليين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره .. وقوله في وصف الدنيا ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من صح فيها أمن ومن فرط فيها ندم ومن استغنى فتن ومن افتقر حزن .. ومن قول له في كلام يأبىها الزمان للدنيا والمغتر بغرورها متى استندمت إليك بل متى غرتك أبعثاجع آباءك من الثرى أم بمنارل أمهاتك من البلاء كم مرضت بكيفيك وكم عاجلت بيديك تبتغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء مثلت لك بهم الدنيا نفسك بمصرعهم ومصرعك [قال المرتضى رضى الله عنه] .. وهذا باب إن

آدم الذى خالق الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجدك لآلائكته وأسكنك في جنته ثم أهبط الناس بخلقيتك الى الارض فقال له آدم أنت موسى الذى أعطاك الله علم كل شئ وأصطفاه على الناس برسالته وفي رواية للصحيحين اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده وفي أخرى اصطفاك الله برسالته وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شئ قال نعم قال افنلومنى على أمر قدر قبل ان أخلق وفي الحديث الذى في آخره هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .. فللايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بقدر خيره وشره وفي رواية كله وفي أخرى حلوله ومرة وقال ابن القيم والمحاصمون فى القدر نوعان أحدهما من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا لو شاء الله ما شركنا ولا آباءنا والثاني من ينكر قضاءه وقدره السابق والطائفتان خصماء الله قال عوف من كذب بالقضاء فقد كذب بالاسلام ان الله تبارك وتعالى قدر أقداراً وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال بقدر وقسم الارزاق بقدر وقسم البلاء بقدر وقسم العافية بقدر وأمر ونهى .

يقال ملخ الفرس اذا لعب. قال رؤبة يصف

مُغْتَرِمِ التَّجْلِيحِ مَلَاخِ الْمَلَقِ

— والمذروان — فرعا الاليتين ٠٠ قال عنزة

أَحْوَلِي تَنْفُضُ أَسْتُكَ مِذْرَوِيهَا لَتَقْتَلَنِي فَهَا أَنَا ذَا عُمَارَا

٠٠ هذا قول أبو عبيد وقال ابن قتيبة^(١) راداً عليه ليس المذروان فرعا الاليتين حسب بل هما الجانبان من كل شيء تقول العرب جاء فلان يضرب أصدريه ويضرب عطفه وينفض مذكروه وهما منكباه ٠٠ وذكر أنه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول قنع الشيب مذكروه يريد جانبي رأسه وهما فرداه وإنما سميا بذلك لأنهما يذريان أي يشبان والذري الشيب قال وهذا أصل الحرف ثم استعير للمنكبين والاليتين والطرفين من كل شيء ٠٠ قال أمية بن أبي عائذ الهذلي يذكر قوما

على عَجَسٍ هَتَّاقَةِ الْمِذْرَوَيْنِ زَوْرَاءَ مَضْجَعَةٍ فِي الشَّمَالِ

أراد قوسا ينفض طرفاها ٠٠ قال فلا معنى لوصف الرجل الذي ذكر الحسن بأنه يحرك أليته ولا من شأنه أن يبذخ وينبه على نفسه ويقول ها أنا ذا فاعرفوني أن يحرك أليته وإنما أراد أنه يضرب عطفه وهذا مما يوصف به المرح المختال وربما قالوا جاءنا ينفض مذكروه إذا تهدد وتوعد لأنه إذا تكلم وحرك رأسه نفّض قرون فؤديه وهما مذكرواه ٠٠ قال رضي الله عنه ليس الذي ذكره أبو عبيد بعيد لأن من شأن المختال الذي يزهي بنفسه أن يهتز ويتثنى فتتحرك أعطافه وأعضاه ومذكرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لأنهما بارزان

(١) — قلت قال ابن سيدة عن الجرمازي رانقة كل شيء ناحيته والمذري طرف الألية وهما المذروان وقيل المذروان أطراف الاليتين وليس لهما واحد وقال أبو عبيدة وهو أجود القولين لأنه لو كان لهما واحد فقل مذكري لقل في التثنية مذكريان وأنشد

أَحْوَلِي تَنْفُضُ أَسْتُكَ مِذْرَوِيهَا لَتَقْتَلَنِي فَهَا أَنَا ذَا عُمَارَا

مَتَى مَا لَتَقْتَلَنِي فَرَوْدَيْنِ تَرْجُفُ رَوَاتِفُ أَلْيَتِكَ وَتُسْتَطَارَا

قلت قوله لقل مذكريان علة ذلك أن المقصور إذا كان على أربعة أحرف ينني بالياء على كل حال نحو مقل ومقلان وشذ في تنية ألية أليان ومثلها خصية وخصيان وقيل هما تنية ألي وخصي المذكورين وذكرت خصية استطرادا فليتنبه لذلك

من جسمه فيظهر فيهما الاهتزاز وانما خص المذروين بالذكر مع ان غيرهما يتحرك أيضاً على طريق التجميع لهذا المختار والتهجين لعمله وقول ابن قتيبة ليس من شأن من يبدخ ان يحرك اليه ليس بشيء لان الأغلب من شأن المختار البذاخ الاهتزاز وتحريك الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شأن كل متوعد ان يحرك رأسه وينفض مذرويه فاذا قال ان ذلك في الاغاب والاكثر فهذا مثله . . . وكان الحسن يقول يا ابن آدم جمعاً جمعاً سرطاً سرطاً جمعاً في وعاء وشدة في وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل . ات فافضى والله الى الآخرة فطال حسابه . . . وكان يقول مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكينون المال أسير جوع صريع شبع ان من تؤلم البقة وتقتله الشرقة لبأدى الضعف فريسة الحتف . . . وكان يقول ما أطال أحد الامل الا أساء العمل ومأسأ العمل الاذل . . . وكتب الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فان طول البقا الى فما نخذ من فناءك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفي والسلام . . . وكان يقول اذا رأيت رجلاً ينافس في الدنيا فدافسه في الآخرة . . . وسأله رجل ما حالك فقال له بأشد حال ما حال من أمسى وأصبح ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به . . . وكان يقول يا ابن آدم بسط لك صحيفة ووكلك ملكان كريمان يكتمان عملك فامل ما ثبت فاكثروا أقوال . . . وفي خبر آخر وكل بك ملكان كريمان يترك مدادهما لسانك قلماهما . . . روى أبو بكر الهذلي قال لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا وبعث الى الشعبي والى الحسن البصري فقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد الله أخذ الله ميثاقه وانتجبه خلافته وقد أخذ بنوا صينا وأعطيناه عهدنا ومواثيقنا وصفقة أيدينا فوجب علينا السمع والطاعة له . . . انه بعثني الى عراقكم غير سائل إياه الا انه لا يزال يبعث الينا في القوم نقتلهم وفي الضياع نقبضها أو في الدور نهدها فنؤليه من ذلك ما ولأه الله فما تريان فتأمل الشعبي فقال قولا فيه بعض اللين وأما الحسن فانه قال له يا عمر اني أنفك عن الله ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد وما يمنعهك يزيد من الله إنه يوشك أن ينزل اليك ملك من السماء فيستنزلك من سربك ويخرجك من سعة قصره الي ضيق قبرك ثم لا يوسعك عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصراً لدين الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطانه تذلوهم به فانه لا طاعة لمخلوق في

معصية الخالق عز وجل .. وذكر عن الشعبي انه قال كان والله الحسن أكرمنا عليه .. وروى أبو بكر بن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظمي فقال اذا نزلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به فقال عظمي فقال أوليت قط فقال نعم قال فما كنت تحب ان يؤتى اليك فإنه الى من دأبته .. وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن أخذ عطاي أم أدعه حتي آخذ من حسناتهم يوم القيامة فقال له قم ويحك خذ عطاءك فان القوم مفاليس من الحسنات يوم القيامة .. وولد للحسن غلام فهناه بعض أصحابه فقال الحسن محمد الله على هبته ونسبتيده من نعمه ولا مرحبا بمن ان كمت غنياً أذملني وان كمت فقيراً أتعبنى لأرضى بسمي له سعياً ولا بكراً له في الحياة كذاً أسفق عليه من الفاقة بعد وفاتي وأنا في حال لا يصل الي من هم حزن ولا من فرحه سرور .. وكان الحسن يقول لو لم يكن من شؤم الشراب الا انه جاء الى أحب خلق الله الى الله فأفسده فكان ينبغي للعاقل ان يتركه يعني العقل .. وعزى جارآله يهوديا فقال جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحداً من أهل ماتك وهذا تخلص منه ملبس لأنه لم يدع له بالثواب الذي لا يستحقه الكفار وأراد بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب .. وكان يقول ليس للفاق المعلن بالفسق غيبة ولا لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة .. وقل في قوله تعالى (ربنا آتانا في الدنيا حسنة) قل العالم (وفي الآخرة حسنة) قال الجنة .. وخرج الحسن في جنازة معناهواً فقال له رجل ماترى يا أبا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك في دينك .. وذكرت عنده الدنيا فقال

أَحْلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظَلِّ زَائِلٍ إِنَّ الْآيِبَ بِمِثْلِهَا لَا يَنْجَدُ

وكان يتمثل

الْيَوْمَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدَا لِنَيْرِكَ كَفُّهَا وَالْمِعْصَمُ

وعن أبي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من قصره اسط نادى في الناس أن يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن فاجتمع عليه الناس فخاف أهل الشام

على نفسه أن يقتلوه فرجع وهو يقول قد نظرنا يا أخبت الاخبتين وأفسق الافسقين أما
أهل السماء فمقتوك وأما أهل الارض فغروك ثم قال أبى الله تعالى للمبتاق الذى أخذه
على أهل العلم لبيئته للناس ولا يكتونه ثم انصرف فباع الحجاج ذلك فقال يا أهل الشام
وهم حوله الله أيقومن عبيد من عبيد أهل البصرة ويتكلم فى بما يتكلم ولا يكون
عند أحد منكم تغيير ولا نكير قالوا ومن ذلك أصاحك الله أسبقنا دمه فقال على به
وأمر بالنطع والسيف فأحضر ووجه اليه فلما دنى الحسن من الباب حرك شفتيه
والحاجب ينظر اليه فلما دخل قال له الحجاج ههنا وأجلسه قريباً من فرشه وقال له
ما تقول فى على وعثمان قال أقول قول من هو خير منى عند من هو شر منك قال
فرعون لموسى ما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى
علم على وعثمان عند الله فقال له الحجاج أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ثم دعا بغالية فغلف
بها لحيته فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال يا أبا سعيد لقد دعاك لغير هذا الذى فعل
بك ولقد أحضر السياف والنطع فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشئ فما قلت
قال قلت يا عدتى عند كرتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي ويا إلهي وإله آبائي
ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ارزقني وودته واصرف عني أذى ومعرته ففعل ربي
هز وجل ذلك .. وكان الحسن يقول مازال النفاق مقموعاً حتى عظم هذا عمامة وقد
سيفاً .. وروى أبو بكر الهذلي ان رجلاً قال للحسن يا أبا سعيد ان الشيعة تزعم انك
تبغض علياً فأكب يبكي طويلاً ثم رفع رأسه فقال لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهماً
من مرامي الله عز وجل على عدوه رباني هذه الأمة ذو شرفها وفضلها وذو قرابة من
النبي صلى الله عليه وسلم قريبة لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا بالغافل عن حق الله ولا
بالسروقة من مال الله أعطى القرآن عزائمهم فيماله وعليه فأشرف منها على رياض مؤنقة
واعلام بيئة ذلك على بن أبي طالب يلكع .. وكان الحسن اذا أراد أن يحدث فى زمن بنى
أمية عن أمير المؤمنين قال قال أبو زئب .. وشهد الحسن جنازة فقال ان أمراً هذا
أوله لينبى أن يحذر منه وان أمراً هذا آخره لينبى أن يزهد فيه .. وعن حميد الطويل
قال خطب رجل الى الحسن ابنه وكنت السفير بينهما فرضيته وأراد أن يزوجه فأنثيت

عليه ذات يوم وقلت وأزيدك يا أبا سعيد فإن له خمسين ألفاً قال أقلت له خمسون ألفاً ما اجتمعت من حلال قلت يا أبا سعيد انه والله ما علمته إلا ورعاً مسلماً فقال اذا كان جمعها من حلال فقد ضن بها على حق لا يجرى بيني وبينه صهر أبداً . . . وقيل لعليّ ابن الحسين عليه السلام قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك وانما العجب ممن نجى كيف نجى فقال عليه السلام أنا أقول ليس العجب ممن نجى كيف نجى انما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله . . . وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يقص عند الحِجْر فقال أترضى يا حسن نفسك للدوت قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه الدار قال لا قال فله في أرضه . . . معاذ غير هذا البيت قال لا قال فلم تشغل الداس عن الطواف

— ❦ — مجلس آخر ١١ ❦ —

ومن تظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزّال ويكنى أبا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم وقيل مولى بني هاشم وروى انه لم يكن غزّالاً وانما لقب بذلك لأنه كان يكثر الجلوس في الغزاليين وقيل انه كان يكثر الجلوس في الغزاليين عند رضيع له يعرف بأبي عبد الله الغزّال ^(١) وذكر المبرد ان واصل كان يلزم الغزاليين ليعرف المتعففات من النساء ليصرف صدقته اليهن ولقب بذلك كما لقب أبو مسلمة حفص بن سليمان بالخلّال وهو وزير أبي العباس السفاح ولم يكن خلّالاً وانما كان منزله بالكوفة بقرب الخلّالين وكان يجلس عندهم فسمي خلّالاً ومثله أبو عليّ الحرمازي مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الحرماز وابراهيم بن يزيد الخوزي وايس بنخوزي ولكنه كان ينزل بمكة بشعب الخوز وأبو سعيد المقبري لانه نزل المقابر . . . وكان واصل أثغ في الرأء قبيح الأشغة فكان يخلص من كلامه الرأء

(١) قلت وأبو عبد الله هذا مولى اقطن الهلالي ومثل ذلك أبو مالك السدي
اشتهر بالسدي لأنه كان يبيع الخمر في سدة المسجد
(١٥ - أمالي)

يعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في أخبار بشار بن برد ..
وذكر أبو الحسن البردعي المتكلم أن انساناً سأل عمرو بن عبيد أو غيره عن شيء في
التقدر بحضرة واصل بن عطاء فتكلم السائل بشيء أغضب عمرأ فأجابه عمرو بجواب لم
يرضه واصل فقال له واصل إياك وأجوبة الغضب فانها مندة والشيطان يكون معها وله
في تضاعيفها همزة وقد أوجب الله جل وعز على نبيه أن يستعبد من همزات الشيطان
وأن يكونوا معه بقوله أعوذ بك من همزات الشياطين الى خاتم الآية وقلما شاهدت
أحداً ثبت في جوابه وما ينطق به لسانه فيلحقه اللوم .. قل البردعي أنظر الى واصل
كيف كلم عمرأ فأخرج الراء من كلامه فقل موضع والشيطان يحضرها يكون معها
وقد أوجب الله تعالى على نبيه ولم يقل أمره وقال وأن يكونوا معه بدلاً من أن يحضروه ثم
قال الى خاتم الآية ولم يقل الى آخر الآية .. [قال المرتضي رضى الله عنه] ومما لم يذكره
البردعي انه عدل عن افتتاح الآية من أجل الراء أيضاً لأن أولها وقل رب أعوذ بك
من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدول لكان ذكرها واجباً من ابتدائها لاسيما
وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة به .. وقيل إن رجلاً قال له
كيف تقول أسرج الفرس قال ألبد الجواد .. وقال له آخر كيف تقول ركب فرسه وجبر
رمحه قال استوى على جواده وسحب عامله .. وذكر أبو الحسين الخطاط أن واصل
كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ومولده سنة ثمانين ومات سنة
احدى وثلاثين ومائة .. وكان واصل ممن لى أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
وصحبه وأخذ عنه وقال قوم انه لقي أباه محمداً عليه السلام وذلك غلط لأن محمداً توفي
سنة ثمانين أو احدى وثمانين وواصل وُلد في سنة ثمانين .. وواصل هو أول من أظهر
المرتلة بين الميزانيين لأن الناس كانوا في أسماء أهل الكبر من أهل الصلاة على أقول
كانت الخوارج تسمهم بالكفر والشرك .. والمرجئة تسمهم بالايان وكان الحسن
وأصحابه يسموهم باللفاق فأظهر واصل القول بأنهم فساق غدير مؤمنين ولا كفار ولا
مناقضين .. وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه فجمع بينه وبين واصل
مناظرة فيما أظهر من القول بالمرتلة بين الميزانيين فلما اتفقوا على الاجتماع ذكر أن واصل

أقبل ومعه جماعة من أصحابه الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل وكان في عنقه طول واعوجاج قال أرى عُتْقاً لا يفلح صاحبها فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له يابن أخى ان من عاب العنقة عاب الصانع للعنق الذي بين الصنعة والصانع فقال له عمرو بن عبيد يا أبا حذيفة قد وعظت فأحسنت ولن أعود الى مثل الذى كان منى وجلس واصل فى الحلقة وسئل أن يكلم عمرأ فقال واصل لعمرو لم قلت من أنى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم المنافق فقل عمرو لقول الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون) فكان كل فاسق منافقاً اذ كانت ألف المعرفة ولاها موجودتين فى الفاسق فقال له واصل أليس قد وجدت الله تعالى يقول (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة استحق اسم ظالم كما استحق اسم فاسق فالأ ككفرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى (والكافرون هم الظالمون) فعرف بألف ولام التعريف اللتين فى قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) كما قال فى القاذف (وأولئك هم الفاسقون) فسميته منافقاً لقوله تعالى (ان المنافقون هم الفاسقون) فأمسك عمرو ثم قال له واصل يا أبا عثمان أي مما أولى أن تستعمل فى أسماء الحديثين من أمتنا ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة أو ما اختلفوا فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه أولى فقال له واصل أليست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقاً ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه لأن الخوارج تسميه مشركاً فاسقاً والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقاً . [قال المرتضى رضى الله عنه] يعنى بالشيعة الزيدية . . والحسن يسميه منافقاً فاسقاً والمرجئة تسميه مؤناً فاسقاً فاجتمعوا على تسميته بالفاسق واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه فالواجب أن يسمى بالاسم الذى اتفق عليه وهو الفاسق لاتفاق المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التى اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقاً ولا يقال فيه انه مؤمن ولا منافق ولا مشرك ولا كافر فهذا أشبه بأهل الدين فقال له عمرو ابن عبيد ما بينى وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد على من حضر أنى تارك

للمذهب الذي كنت أذهب إليه من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة قائم بقول
 أبي حذيفة في ذلك وأنا قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب فاستحسن الناس
 هذا من عمرو . . . وقيل إن اسم الاعتزال إنما اختص بهذه الفرقة لاعتزالهم مذهب
 الحسن بن أبي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق وحكي غير
 ذلك . . . وقيل إن قتادة بعد موت الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو
 ابن عبيد جميعاً رئيسين متقدمين في أصحاب الحسن فجرت بينهما نفرة فاعتزل عمرو
 مجلس قتادة واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن فكان قتادة إذا جلس مجلسه
 سأل عن عمرو وأصحابه فيقول ما فعل المعتزلة فسموا بذلك . . . [قل المرتضي رضي الله
 عنه] أما ما ألزمه واصل بن عطاء لعمرو بن عبيد أولاً فسيديك لازم وأما ما كلفه به ثانياً
 فغير واجب ولا لازم لأن الاجماع وان لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق وغير
 ذلك من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمى بذلك لدليل غير
 الاجماع ووجود الاجماع في الشيء وان كان دليلاً على صحته فليس فقدم دليلاً على
 فساده . . . وواصل اما ألزم عمرأ أن يعدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ويقنصر على
 التسمية بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزمت ما ذكره لازمه أن يقل قد اتفق أهل
 الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا على
 استحقاقه التخليد في العقاب أو نقول انهم اجتمعوا على استحقاقه العقاب ولم يجمعوا
 على فعل المستحق به فيجب القول بما اتفقوا عليه ونفي ما اختلفوا فيه فاذا قيل
 استحقاقه للخلود أو فعل المستحق به من العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل
 غير الاجماع . . . قيل له مثل ذلك فيما عوّل عليه وبطل على كل حال أن يكون الاختلاف
 في القول دليلاً على وجوب الامتناع منه وهذا يناقض بمسائل كثيرة ذكرها بطول
 على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها لأن الاجماع أولى من الاختلاف فيما
 يتعارض ويتقابل والاجماع والاختلاف في الموضع الذي كلم عليه واصل عمرأ في
 مكانين لأن الاجماع هو على تسميته بالفسق والاختلاف هو في تسميته بما عداه من
 الأسماء فلا تعارض بينهما . . . وله أن يأخذ بالاجماع في موضعه ويعوّل في الاختلاف

فيه على دلالة غير الاجماع لأن فقد الاجماع من القول لا يوجب بطلانه . . . وحكي أن
واصل كان يقول أراء الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ثم يعلموا قال الله تعالى
﴿ يا موسى إني أنا الله ﴾ فعرفه نفسه ثم قال ﴿ اخلع نعابتك ﴾ فبعد ان عرفه نفسه أمره
بالعمل قال والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين
آمنوا ﴾ يعني صدقوا ﴿ وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ علموا وعملوا
وعلموا . . . وروى المبرد قال حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رفقة فاحسوا
بالخوارج وكانوا قد أشرفوا على العطب فقال واصل لأهل الرفقة ان هذا ليس من
شأنكم فاءتزلوا ودعوني وإياهم فقالوا شئت قال الخوارج له ما أنت وأصحابك قال
مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويطيعوا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلونا
أحكامه فعملوا يعلمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قايلاً فامضوا
مصاحبين فانكم اخوانا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى ﴿ وان أحد من المشركين
استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ﴾ فأبلغونا مأمننا فصاروا بأجمعهم
حتى بلغوا الأمان . . . وحكي أن محمداً وإبراهيم اخي عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاها
واصل الى القول بالعدل فاستجابا له وذلك لما حجج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة . . .
وحكي أبو القاسم البلخي أن عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك محمودة إلا قولك
بالقدر قال يا أبت فهو شيء أقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا عاتبك
عليه أبداً . . . [قال المرتضي رضي الله عنه] قال أبو القاسم يقول ان كنت أقدر على تركه فهو
قولي وان كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبني على شيء لا أقدر عليه . . . فأما عمرو بن عبيد
فيكنى أباً عثمان مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ هو عمرو بن عبيد بن باب وباب
نفسه من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية قال وكان
عبيد شرطياً وكان عمرو متزهداً فكانا اذا اجتازا معاً على الناس قاوا هذا شر الناس أبو
خير الناس فيقول عبيد صدقتم هذا إبراهيم وأنا تارخ . . . قال علي بن الجعد هو عبيد بن
باب وكان بواباً للحكم بن أيوب قال وكان باب مكاريأ له دكان معروف يقال له دكان باب
وكان فارسياً والفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وخش فيه . . . وذكر أبو الحسين

الخباط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً سنة ثمانين قال ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين وهو ابن أربع وستين سنة . . . روى أن عمرأ استأذن على المنصور فدخل عليه الربيع فقال له بالباب رجل قال إني عمرو بن عبيد وكانت على المنصور حبة نية مخنفة فقال وبلك يا ربيع عمرو بالباب قال نعم قال هات لي قميصاً أبهض فأناه به فألقاه عليه ثم قال رد من خلفي ففط الجبة وذرع على قال الربيع ولم أكن أرى أحداً يوقره المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد فدخل عليه رجل آدم مربع الكنة بين عينيه أثر السجود حسن الأدب حسن اللسان كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة وإعظامه إياه قال فسلم عليه فاجتذبه المنصور ليجلس معه فنبأ وطرح نفسه بين يديه فسأله وأحفى به فلما أراد عمرو القيام قل له عظمي أبا عثمان وأوجز قال له إن ماني يدك لست بوارثه عن أحد وإنما هو شيء صار إليك وقد كان في يد غيرك قبلك ولو دام لك لبقى في يد الأول والسلام . . . وروى الأصمعي قال قال مطر الوراق لعمر بن عبيد إني لأرحمك مما تقول الناس فيك فقال عمرو أنسمعي أقول فيهم شيئاً قال لا قال فأيهم فارحهم . . . وقال خالد بن صفوان لعمر بن عبيد لم لاتأخذ مني فتقضي ديناً إن كان وتصل رحمك فقال له عمرو أما دين فليس علي وأما صلة رحمي فلا يجب علي وليس عندي قال فما يمنعك أن تأخذ مني قال يمنعني أنه لم يأخذ أحد من أحد شيئاً إلا ذلك له وأنا والله أكره أن أذل لك . . . ويقال إن ابن هزيمة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس إليه وقال له يا أبا عثمان ماتقول في قوله ته لي (وإن استطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فقال ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها فأما العدل بينهما في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مطابق لذلك وقد كلفه بقوله تعالى (فلا تميلوا كل الميل) فيما تطيعون (فتذروها كالمعلقة) بمنزلة من ليست أيماً ولا ذات زوج وقال ابن هزيمة هذا والله هو الحق . . . ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يعزبه عن ابن له فقال له إن أباك كان أسلاك وإن ابنك كان فرعك وإن امرأ ذهب أصله وفرعه لحري أن لا يطول بقؤه . . . وقيل إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال

صَحَبْتُكَ قَبْلَ الرُّوحِ إِذَا نَانُظْفَةٌ تُصَانُ فَمَا يَبْدُو لَعَيْنٍ مَصُونُهَا
أَرَى الْمَرْءَ دَيْنًا لِلْمَنِيَا وَمَا لَهَا مَطَالٌ إِذَا حَلَّتْ بِنَفْسٍ دُيُونُهَا
فَمَا ذَا بَقَاءِ الْفَرْعِ مِنْ بَعْدِ أَصْلِهِ سَتَلْقَى الَّذِي لَاقَى الْأُصُولَ غُصُونُهَا

وأول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله

فَبَعْضَ الْمَلُومِ عَاذَاتِي فَأِنِّي سَتَغْنِيَنِي التَّجَارِبُ وَأُنْتِسَابِي
إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَتِ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسَابِنِي شَبَابِي

وأخذ ذلك لبيد في قوله

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدِفْكَ نَفْسُكَ فَاتْتَسِبْ لَمَلِكٍ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدَنَانَ وَالِدًا وَدُونِ مَعَدٍ فَلَتَزِدْكَ الْعَوَائِلُ
وَأَخْذَهُ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ

تَوَدُّ أِبْنَتَايَ أَنْ يَعَاشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ

ونظر اليه محمود الوارق وابراهيم بن العباس الصولي . . فأما محمود ففي قوله

إِذَا مَا اتْتَسَبَتَ إِلَى آدَمٍ فَلَمْ يَكُ يَبْنِيكُمْ مِنْ أَبٍ
وَجَازَتْ سِنُوكَ بِكَ الْأَرْبَعِينَ وَصِرْتَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَجْنَبِ
وَدَبَّ الْبَيَاضُ خِلَالَ السَّوَادِ فَأَصْبَحْتَ فِي شَبَهِ الْأَشْهَبِ
وَكَيْفَ تَوَمَّلُ طُولَ الْحَيَاةِ إِذَا كَانَ حِلْمُكَ لَمْ يَغْزُبِ

وأما ابراهيم ففي قوله

نَعَى نَفْسِي إِلَى أَبِي وَخَبَرَ ابْنَ مُنْقَلَبِي
بِمَوْعِظَةٍ رَأَاهَا فِي أَبِيهِ كَمَا رَأَيْتُ أَبِي

وكان أبانواس لحظ هذا المعنى في قوله

وما الناسُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ وذو نسبٍ في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوِّ في ثيابِ صديق

— ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖ —
مجلس آخر ١٢ ❖ —

قال روى أن عمرو بن عبيد دخل على معاوية بن عمر الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له ان الله تعبدك في حل الصحة بالعمل بجوارحك وقابك ووضع عنك في هذه الحالة عمل الجوارح ولم يكلفك الا العمل بقابك فاعطه بقلبك ما يجب له عليك . . وروي أن قوماً اجتمعوا الى عمرو بن عبيد فذاكروا السخاء فأكثروا في وصفه وعمرو ساكت فسألوه ما عنده فقال ما أصبتم صفته ان السخي من جاد بماله تبرئاً وكف عن أموال الناس تورعاً . . وذكر اسحاق بن المفضل الهاشمي اني لعلی باب المنصور يوماً والى جنبي عمارة بن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم دفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت الى عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا منها بأحق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أبو عثمان عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد اليه فأتكأ يده ثم قال له أجب أمير المؤمنين جعلت فداك فر متوكئاً عليه فالتفت الى عمارة فقلت ان الرجل الذي استحمفته قد أدخل وتركنا فقل كثيراً ما يكون ذلك فأطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار أبي عثمان فما برح حتى أتى بالحمار فأقره على سرجه وضم اليه نشر ثوبه واستودعه الله فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعائم اليوم بهذا الرجل ملو فعائموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب قال عمارة فان اتسع لك الحديث فحدثنا فقال الربيع ما هو إلا أن سمع الخليفة بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش كُبوداً ثم انتقل اليه والمهدي معه عليه سواده وسيفه ثم أذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه وما زال يذنيه حتى أتكأ فخذ

وتحنى به ثم سألته عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ثم قال يا أبا
عثمان عظماء فقال أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (والفجر وليال عشر
والشفع والوتر والليل اذا يسر) ومر فيها الى آخرها وقال ان ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد
قال فبكنا المنصور بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات الا تلك الساعة ثم قال زدنى
فقال ان الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها واعلم أن هذا الأمر الذى
صار اليك انما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو
بعدك وأناي أحذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال فبكنا أشد من بكائه الأول
حتى رجف جنباه . . . وفي رواية أخرى انه لما انتهى الى آخر السورة قال يا أمير المؤمنين
ان ربك لبالمرصاد لمن عمل مثل عملهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله فان من وراء
بابك زياراً تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسوله فقال يا أبا عثمان إنا
لنكتب اليهم في الطوامير نأمرهم بالعمل بالكتاب فان لم يفعلوا فما عسى أن نصنع فقال
له مثل أذن الفأرة يجزيك من الطوامير الله أتكتب اليهم في حاجة نفسك فينفذونها
وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذونها والله لو لم ترض من عمالك إلا رضى الله إذا لتقرب
اليك من لانية له فيه . . . [قال المراتضى] رضى الله عنه رجعه الى نسق الحديث فقال له سليمان
ابن مجالد رفقاُ بأمر المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم فقال له بمثلك ضاع الأمر وانتشر
لا أبالك وما ذا خنت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله . . . وفي رواية أخرى
ان سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له من أنت فقل أبو جعفر أو
لا تعرفه يا أبا عثمان قال لا ولا أبالي أن لا أعرفه فقال له هذا أخوك سليمان بن مجالد فقال
هذا أخو الشيطان ويحك يا بن مجالد خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ثم أردت أن
تحول بينه وبين من أراد نصيحته يا أمير المؤمنين ان هؤلاء انخدوك سلباً لشهواتهم
فأنت كالأخذ بالقرنين وغيرك يجلب فاتق الله فانك ميتٌ وحدك ومحاسبٌ وحدك
ومبعوثٌ وحدك ولن يغنى عنك هؤلاء من ربك شيئاً فقال له المنصور يا أبا عثمان أعنى
بأصحابك أستعين بهم فقال له اظهر الحق يتبعك أهله قال بلغنى أن محمد بن عبد الله بن
الحسن كتب اليك كتاباً قال قد جاءنى كتاب يشبه أن يكون كتابه قال فيها ذا أجبتة

قل أو لست قد صرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا وإني لا أراه قال أجل ولكن تخلف لي طمأنينة قاي قال لئن كذبتك تقيّة لأخلفن لك تقيّة قل له أنت الصادق البار وقد أمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك فقال لا حاجة لي فيها فقال المنصور والله لتأخذنها قال والله لا أخذتها فقال له المهدي يحلف أمير المؤمنين وتخلف فترك المهدي وأقبل على المنصور فقال من هذا الفقي فقال هذا أخي محمد وهو المهدي وهو ولي العهد فقال والله لقد سميتُه اسماً ما استحقه بعمله وألبسته لبوساً ما هو من لبوس الأبرار ولقد مهدت له أمراً امتنع ما يكون به أشغل ما تكون عنه ثم التفت إلى المهدي فقال نعم يا ابن أخي إذا حلف أبوك حلف عمك لان أباك أقدر على الكفارة من عمك قال المنصور يا بأعثنان هل من حاجة قال نعم قال ماهي قال ألا تبعث إلى حتى آتيك ^(١) قال إذا لا نلتقي قال عن حاجتي سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولي اتبعه بصره وأنشأ يقول

كلّكم طالبُ صيْدٍ كلّكم يَمْشِي رُوَيْدٍ

غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

وروى أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو أليس قد جعل الله لك عينين قال بلى قال ولم قال لا نظر بهما في ملكوت السموات والأرض فاعتبر قال وجعل لك فماً قال نعم قال ولم قال لا ذوق الطعوم وأجيب الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ثم قال وجعل لك قلباً قال نعم قال ولم قال لنوؤدى إليه الحواس ما أدركته فيميز بينها قال فأنت لم يرض لك ربك

(١) وروى من غير هذا الوجه فقال له ترفع هذا الطيلسان عني فرفع وكان أمر المنصور أن يطرح عليه عند دخوله فقال له لا تدع إيماننا قال نعم لا يضحني وإياك بلد إلا أثبتك وإن بدت لي حاجة إليك سألتك ولا تدعني حتى آتيك قال إذا لا تأتينا أبداً فلما ولوا للخروج اتبعهم المنصور بصره ثم قال

كلّكم يَمْشِي رُوَيْدٍ كلّكم حَابِلٌ صَيْدٍ غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

تعالى ان خلق لك خمس حواس حتى جعل لها اماماً ترجع اليه يرضى لهذا الخلق الذين حتى بهم العالم أن لا يجعل لهم اماماً يرجعون اليه فقال له عمرو ارتفع حتى ننظر في مسألتك وعرفه ثم دار هشام في خلق البصرة فما أسمى حتى اختلفوا ٥٥ وروى أبو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان أخبرني عن صاحبك يعني الحسن يزعم أن علياً عليه السلام قال إني وددت أني كنت آكل الحشف بالمدينة ولم أشهد مشهدي هذا يعني يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه ظن ان أمير المؤمنين شك ولكنه يقول ودّ انه كان يأكل الحشف بالمدينة ولم تكن هذه الفتنة قال فقوله في عبد الله بن العباس يفتينا في القملة والقملة وطار بأموالنا في ليلة فقال له فكيف تقول هذا وابن عباس لم يفارق علياً حتى قتل وشهد صلح الحسن عليه السلام وأي مال يجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي إلى الأموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خمس ويرشه وقالوا انه كان يقل فيه فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة هذا باطل ٥٥ قال الجاحظ نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم أو قدرته فيهم أو أردته منهم أو شئته لهم أو ليس بعد هذا الأمر إلا الاقرار بالعدل والسكوت عن الجور الذي لا يجوز على الله تعالى ٥٥ قال خلاد الأرقط حدثني زميل عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها يقول اللهم ان كنت تعلم انه لم يعرض لي أمران قط أحدهما لك فيه رضاء والآخر لي فيه هوى إلا قدمت رضاك على هواي فاغفر لي ^(١) ٥٥ ومر أبو جعفر المنصور على

(١) وقال اسماعيل بن مسleme أخو القعنبى رأيت الحسين بن أبي جعفر بعبادان في المنام فقال لي يعقوب ويونس بن أبي عبيد في الجنة فقلت فعمر بن عبيد فقال في النار ثم رأيت في الليلة الثانية والثالثة كذلك فقلت له في الثالثة فعمر بن عبيد فقال في النار كم أقول لك

قبره بمرّان وهو موضع على لبال من مكة على طريق البصرة ^(١) وأنشأ بقول
صلى الإله عليك من متوسّد
قبراً مرزّت به على مرّان
قبراً تضمّن مؤمناً متخشعاً
عبد الإله ودان بالفرقان
وإذا الرّجال تنازعوا في شبهة
فصل الخطاب بحكمة وبيان
فلو أنّ هذا الدهر أبقي صالحاً
أبقا لنا عمراً أبا عثمان

فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول العبدى
•• وقال أبو القاسم البلخي هو من موالى عبد القيس وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة
•• وقال أبو الحسن الخياط وُلد سنة إحدى وثلاثين ومائة وقيل انه توفي في أول أيام
المنوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وكان سنة مائة سنة •• قال البرذعي لحق أبا الهذيل
في آخر عمره خرفٌ إلا أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته وكف
بصره قبل وفاته •• وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن
عطاء •• وقيل ان أبا الهذيل في حديثه بلغه ان رجلاً يهودياً قدم البصرة وقطع
جماعة من متكلميها فقال لعمه يا عم امض بي الى هذا اليهودى حتى اكلمه فقال له عمه
يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وانه قطع مشايخ المتكلمين فقال لا بد من أن تمضي
بي اليه فمضى به قال فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السلام فاذا اعترفوا له
بها قال نحن على ما اتفقنا عليه الى أن نجتمع على ما تدعونه فتقدمت اليه فقلت أسألك أم
تسألني فقال بل أسألك فقلت ذاك اليك فقال لي أتعرف بأن موسى نبي صادق أم تنكر
ذلك فتخالف صاحبك فقلت له ان كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنبي
وشهد بنبوته وصدّقه فهو نبي صادق وان كان غير من وصفت فذلك شيطان لا أعترف
بنبوته فورد عليه ما لم يكن في حسابه ثم قال لي أقول ان التوراة حق فقلت هذه
المسألة تجري مجرى الأولى ان كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن

البشارة بنبي عليه الصلاة والسلام فترك حق وان لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقربها
فبُهِت وأفهم ولم يدر ما يقول ثم قال لي أريد أن أقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت أنه يقول
شيئاً من الخير فتقدمت إليه فسارني وقال أمك كذا وكذا وأم من علمك ولا بكى
وقدر أني أئب به فيقول وثبوا بي وشغبوا عليّ فأقبلت على من كان في المجلس فقلت
أعزكم الله أستم قد وقفتم على مسأله إياي وعلى جوابي له فقالوا نعم قلت أفليس عليه
أن يرد جوابي أيضاً قالوا بلى قلت لهم فانه لما سارني شتمني بالشم الذي يوجب الحد
وشتم من علمي وانما ظن أني أئب عليه فيدعي أننا واثبناء وشغبنا عليه وقد
عزمتكم شأنه بعد الانقطاع فانهصروني فأخذته الأيدي من كل جهة فخرج هارباً من
البصرة .. وعن أبي العيناء قال قال أبو الهذيل مامعني الخسف فقلت أن تنقلب الأرض
أعلاها أسفلها فقال إن لا يكن هذا اليوم بالأرض فانه لبأ لاس .. وقال أبو الهذيل
قال لي المحدث بن غيلان العبدى وكان من سادات عبد القيس وكان يجتمع اليه أهل
النظر يأبأ الهذيل ان في نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة فيبين لي ما يذهب
بالريب عني فقال خبرني عن قول الله عزوجل (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون) هل يخلو من أن يكون أ كذبهم لأنهم
مستطيعون الخروج وهم يكذبون فيقولون لسا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا معكم
فأ كذبهم الله تعالى على هذا الوجه أو يكون على وجه آخر يقول انهم لكاذبون أى
ان أعطيتهم الاستطاعة لم يخرجوا فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون
ولا يكون الخروج وعلى كل حال قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج
ولا نعقل للآية معنى ثالثاً غير الوجهين الذين ذكرناهما .. حكى سليمان الرقي ان أبا
الهذيل لما ورد سُر من رأى نزل في غرفة الى أن يطلب له داراً تصلح له قال فمرت
به فقلت له يا أبا الهذيل أتزل في مثل هذا المنزل فأشمدني

يَقُولُونَ زَيْنُ الْمَرْءِ يَا مَيَّ رَحْلُهُ أَلَا إِنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَأْمِي رَاكِبُهُ

وعن أبي مجالد قال رأيت رجلاً وقد سأل أبا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح

فقال له من جمع بين الزانيين فقال له يابن أخي أما بالبصرة فأنهم يقولون القوادون ولا أحسب أهل بغداد يخلفونهم على هذا القول فما تقول أنت قال نخجل الرجل وسكت . . وقال أبو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الحركة ولم يسمه وزعم قوم أنه الأصم خبرني عن قول الله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وذكر القاذف فقال فاجلدوه ثمانين جلدة فأيهما أكثر فقال حد الزاني قلت بكم قال بعشرين قلت فحدني عن الجلد أهو يد الجلد قال لا قلت أفهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت أفهو الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت أفهم شيء غير هذا يقال هو الجلد قل لا قلت فأنما تقول أن لاشيء أكثر من لاشيء بعشرين فانقطع . . وقال أبو الهذيل قلت للجوسي ما تقول في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص أجنحتها وحطها إلى الأرض يحرث عليها فالماء قال نور الله قلت فما الجوع والمعطش قال فقر الشيطان وفاقتة قلت فمن يحمل الأرض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شر من الجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله ثم شوهها بنت الله ثم دفعوها إلى فقر الشيطان وفاقتة ثم سلحوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله فانقطع الجوسي وخجل مما لزمه . . ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بقم السليح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال أبو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير لو فيه بمعرفته حقه قال رجل من أهل النجوم قال من أهل صناعة الحساب أم الأحكام قال الأحكام قال ذلك عمل يبطل أنفساله قال سهل فأخذ أبو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال آكل هذه التفاحة أم لا قال تأكلها فوضعها أبو الهذيل وقال لست آكلها قل فتعيدها إلى يدك وأعيد النظر فوضعها وأخذ غيرها فقال له الحسن لم أخذت غيرها قال لئلا تقول لي لا تأكلها فأكلها خلافاً عليه فيقول قد أصبت في المسألة الأولى ^(١) . . وقال النعمان المناني يوماً لأبي الهذيل دُلَّ على

(١) وحكى أنه لقي صالح بن عبد القدوس وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عابه فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عابه وجهاً إذا كان الإنسان عندك كالزريع

حدوث العالم بغير الحركة والسكون فقال له أبو الهذيل مملك مثل رجل قال لخصمه
احضر معي الى القاضي ولا تحضر بينك ٠٠ وذكر محمد بن الحميم صاحب الفراء قال
رأيت أبا الهذيل وقد جاء الى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيون
أن يكتب له كتاباً في حاجة الى حفصويه صاحب الجيش ونهض أبو الهذيل فأملى
على سهل بن هرون

لَأَبِي الْهَذِيلَ خِلَافُ مَا أُبْدِي	إِنَّ الضَّمِيرَ إِذَا سَأَلْتَكَ حَاجَةً
حَبَلَ الرَّجَاءُ بِمُخْلَفِ الْوَعْدِ	فَإِذَا أَتَاكَ لِحَاجَةٍ فَاْمُدُّ لَهُ
فِي غَيْرِ مَنْفَعَةٍ وَلَا رِفْدِ	وَالنَّ لَهُ كَنْفًا لِيَحْسَنَ ظَنَّهُ
وَرَجَا الْغِنَى فَأَجْبَهُ بِالرَّدِّ	حَتَّى إِذَا طَالَتْ شَقَاوَةُ جَدِّهِ
فِيمَا يَضُرُّ بِأَبْلَغِ الْجَهْدِ	وَأَنِ اسْتَطَعْتَ لَهُ الْمَضَرَّةَ فَاجْتَهِدْ
خَلَفَ الثَّرِيًّا مِنْكَ فِي الْبُعْدِ	وَانْظُرْ كَلَامِي فِيهِ فَأَرْمِ بِهِ
إِنْ جِئْتُ أَسْأَلُ فِي أَبِي الْهِنْدِي	وَكَذَلِكَ فَافْعَلْ غَيْرَ مُحْتَشِمِ

[قال المرتضى رضى الله عنه] ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني
قال حدثني محمد بن أبي الأزر قال حدثنا أبو العيناء قال كان لي صديق لجاني يوماً
فقال لي أريد الخروج الى فلان العامل وأحببت أن تكون معي اليه وسيلة وقد سألت
من صديقه ف قيل لي أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك فأحب أن تأخذ لي كتابه اليه
بالعناية قال فصرت الى الجاحظ فقال لي في أي شيء جاء أبو عبيد الله فقلت مسلماً

قال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال له كتاب
الشكوك ماهو يا صالح قال هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه
لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان فقال له أبو الهذيل فشك أنت في موت
ابنك واعمل على انه لم يمت وان كان قد مات وشك أيضاً في قرأته كتاب الشكوك
وان كان لم يقرأه

وقاضياً لحق وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا فقال لا تشغلنا الساعة عن
المحادثة فاني في غد أوجه اليك بالكتاب فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب فقلت
لابني وجه هذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي ان أبا عثمان بعيد الغور فينبغي
أن تفضّه وتظر ما فيه ففعل فاذا في الكتاب كتابي اليك مع من لا أعرفه وقد كلمني
فيه من لا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك وان ردّته لم أذمك فلما قرأت
الكتاب مضيت من فوري الى الجاحظ فقال يا أبا عبد الله قد علمت أنك أنكرت ما في
الكتاب فقلت أو ليس موضع نُكرة فقال لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتنى
به فقلت لا والله ما رأيت رجلاً أعلم بطبعك وما حلت عليه من هذا الرجل أعني صاحب
الحاجة أعلمت انه لما قرأ الكتاب قال اعطأم الجاحظ عشرة آلاف وأم من يسأله فقلت
ما هذا أنشتم صديقنا فقال هذه علامتي فيمن أشكره .. وفي رواية أخرى ان أبا العيناء
سلم الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب فقال انه مختوم فقال طينه فهو
من ظنه .. [قال المرتضي] رضى الله عنه وأظن ان أبا العيناء تنبه على فض الكتاب
وقراءته بنحبر طرفة بن العبد والمناس الضبي وذلك انه - ما وفدا على عمرو بن هند
ونادماه واحتظيا به ثم أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما ^(١) وعرض به بالشعر

(١) قوله أفضى الأمر الى ان هجاه كل واحد منهما أما طرفة فهجاه بأبياته المشهورة

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوئا حوّل قبتنا نخور

.. ومنها أيضاً

قسمت الدهر في زمن رخي كذلك الحكم يقصد أو يجور

وسبب علمه بهجو طرفة بن العبد إياه انه نظر يوماً الى كشح عبد عمرو بن مرثد فقال
لقد أبصر طرفة حسن كشحك وتمثل

ولا خير فيه غير أن له غني وان له كشحاً اذا قام أهضما

وهو من أبيات هجا بها طرفة عبد عمرو فغضب وقال لقد قال للملك أقبح من هذا قال
عمرو وما الذي قال فقدم عبيد عمرو لأن طرفة كان ابن عمه وأبي أن يسمعه فقال
أسمعه به وطرفة آمن فأنشده القصيدة

المشهور فحق عليهم ما وهم بقتلها ثم أشفق من ذلك وأراد قتلها بيد غيره وكان على طرفه أحق فعلم انه ان قتله هجاء المتلمس فكتب لهما كتاباً الى البحرين وقال لهما اني قد كتبت لكما بصلته فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتاتبان في أيديهما فرأيا بشيخ جالس على ظهر العاريق منكشفاً يبرز ومعه كسرة خبز يأكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه فقال أحدهما لصاحبه ما رأيت أعجب من هذا الشيخ فدفع الشيخ مقالته فقال وما ترى من عجب ادخل طيباً واخرج خبيثاً واقتل عدواً وان أعجب مني لمن يحمل حنقه بيده وهو لا يدري فأوجس المتلمس في نفسه خينة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أنقرأ يا غلام قال نعم فنض خاتم كتابه ودفعه الى الغلام فقرأه فإذا فيه اذا أناك المتلمس فانقطع يديه ورجليه واصابه حياء فأقبل على طرفه فقال له تعلمن والله لقد كتب فيك مثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرأ عليك فقال كلاً ما كان ليجمسر على قومي بمثل هذا ولم يلففت الى قول المتلمس فألقى المتلمس كتابه في نهر الحيرة وقال

قَذَفْتُ بِهَا بَاثْنَيْنِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قُطٍّ مُضَلِّلٍ
رَضِيتُ لَهَا بِالْمَاءِ لَمَّا رَأَيْتُهَا يَحُولُ بِهَا التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَذْوَلٍ

وأما المتلمس فذكر ابن السكيت في شرح ديوان طرفه انه هجاء بقصيدة منها

أَلَاكَ السَّيْرُ وَبَا رَقْ وَلَاكَ الْخُورَانِ

وروى أبو الفرج الأصبهاني من طريقه عن ابن السكيت انه هجاء بأبيات منها
قولا لعمر بن هند غير متنب يَا أَخْنَسَ الْأَنْفِ وَالْأُضْرَاسِ كَالْعَدَسِ
مَلِكِ النَّهَارِ وَأَنْتَ اللَّيْلِ مَوَسَّة مَاءِ الرِّجَالِ عَلَى نَفْذِكَ كَالْقَرَسِ
لَوْ كُنْتُ كَلْبَ قَنْبِيصٍ كُنْتُ ذَا جَدَدٍ تَكُونُ إِرْبَتَهُ فِي آخِرِ الْمَرَسِ

أراد بالقرس القريس وهو الجامد والقنيس القانص والقنيس أيضاً الصيد والاربة العقدة والمرس الحبل أي هو أخس الكلاب فقلاذته أخس القلائد .. وقال ابن السكيت هذا الشعر لعبد عمرو بن عمار بهجو به الأبيرد الفسافي وبسببه قتل عبد عمرو

— كافر — نهر بالحيرة — وأقو — انتهى — والفظ — الكتاب — واتيار — معظم الماء وكثرته .. وقال المتألمس أيضاً

مَنْ مَبَاغِ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَخَوِيهِمْ نَبَأٌ فَتَصَدَّقُهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسُ
أَوْدَى الَّذِي عَاقَ الصَّحِيفَةَ مِنْهَا وَشَا حِذَارَ حَبَائِهِ الْمُتَلَمِّسُ
أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَبَتَ كُورُهُ وَجَنَاءُ مُجْمَرَةِ الْمُنَاسِمِ عَرِمِيسُ
عَيْرَانَةُ طَبِخِ الْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا فَكَأَنَّ تَقَبُّبَهَا أَدِيمُ أُمَاسُ
أَطْرِيفَةُ بْنُ الْعَبْدِ إِمَّاكَ حَائِنُ أَبْسَاسَةِ أَيْمَانَ الْهَمَامِ تَعْرِيسُ
أَتَى الصَّحِيفَةَ لَا أَبَالِكَ إِنَّهُ يُخْشَى نَائِكَ مِنَ الْحَمَاءِ النَّقْرِيسُ

— النقريس — ههنا الداهية لدمماء ومضى طرفه بكتابه الى البحرين فمر به المعلى ابن حنش العبدى فقتل .. فقال المتألمس

عَصَانَا فَمَا لَأَقَى رَشَادًا وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ فِي أَمْرِ الْغَوِيِّ عَوَاقِبُهُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُولًا عَلَى ظَهْرِ آتَةٍ تَمُجُّ نَجِيعَ الْجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِبُهُ
فَالَا تَجَلَّلَهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تَوَقَّى ظَهْرَهُ أَنْتَ رَاكِبُهُ

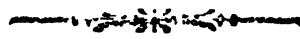
ولحق المتألمس ببلاد الشام وهجا عمرًا وبلغه أن عمرًا يقول لان وجده بالعراق ليقتلنه .. فقال

آيَتَ حَبِّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطَحَمَهُ وَالْحَبَّ يَا كَلُهُ فِي الْقَرَبَةِ السُّوسُ^(١)

(١) قال البغدادي والبيت من شواهد سيديوه على أن نصب حب على نزع الخفض أي على حب العراق والبيت بالخطاب لعمر بن هند يقول له حلفت لا تتركني بالعراق ولا تطعنني من حبه والحال أن الحب لا يبقى ان أبقيته بل يسرع اليه الفساد وبأكله السوس فالبخل به قبيح وهذا على طريق الاستهزاء والسخرية وبعده لم يدرى بعد بما بالبيت من قسم ولا دمشق اذا ديس الكراديس

وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أورثوه أشعارهم
 وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَّابِغُ إِذْ مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ
 وَأَخُو بَنِي قَيْسٍ وَهَنْ قَتَلَنَهُ وَمُهَلِّلُ الشُّعْرَاءِ ذَلِكَ الْأَوَّلُ
 يعنى بالوابغ المابغة الذبياني والجمدي وناغة بنى شيدان ويعنى بأبي يزيد المخبل
 السعدى وجرول هو الخطيئة وذو القروح امرؤ النيس وأخو بنى قيس طرفة ومعنى
 قوله - وهن قتلته - يعنى القصاص الذى هجاها عمرو بن هند .. ويقال ان صاحب
 هذه القصة هو النعمان بن المنذر وذلك أشبه بقول طرفة

أَبَا مُنْذِرٍ كَانَتْ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ بِالطَّوْعِ مَالِي وَلَا عَرْضِي
 أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقِ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
 وأبو المنذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند وقد مدح طرفة
 المتلمس فى النعمان فلا يجوز أن يكون عمرو قتله فيشبهه أن تكون القصة مع النعمان



مجلس آخر ١٣

وكان أبو سهل بشر بن المتمر من وجوه أهل الكلام ويقول ان جميع معتزلة
 بغيره كانوا من مستجيبيه .. وقال أبو القاسم الباخي انه من أهل بغداد وقيه لى من
 أهل الكوفة وذكر الجاحظ انه كن أبرص .. حكى انه كان يوماً فى مجلسه وعنده
 أصحابه ومعه مجبر يسألهم ويقول انتم تحمدون الله على إيمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم
 فكأنه يجب أن يحمد على ما لم يفعل وقد ذم ذلك فى كتابه فيقولون له انما ذم من أحب
 أن يحمد على ما لم يفعل ممن لم يعن عايه ولم بدع اليه وهو يشغب عليهم إذ أقبل ثامة بن
 أشرس فقال بشر لامجبر قد سألت القوم وأجابوك وهذا أبو معن فأسأله عن المسئلة

وبصرى مدينة بالشام يقول لا تدرى كثرة الطعام الذى ببصرى وبدء شقى والكرا ديس
 اكدا س الطعام ومن هنا يعلم أن الخطاب لعمرو ولا للنعمان كما يأتى

فقال له هل يجب عليك أن تحمد الله على الإيمان قال بل هو يحمدني عليه لانه أسرنى به ففعلته وأنا أحمده على الأمر به والتقوية عليه والدعاء اليه فأنقطع الجبر فقال بشر شبت فسهلت .. قال الجاحظ وكان بشر يقع في أبي الهذيل وينسبه الى الدفاق فقال وهو يصف أبا الهذيل لأن يكون لا يعلم وهو عند الناس يعلم أحب اليه من أن يعلم ويكون عند الناس لا يعلم ولأن يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية أحب اليه من أن يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولأن يكون نبيل المنظر سخييف الخبر أحب اليه من أن يكون نبيل الخبر سخييف المنظر وهو بالذفاق أشد عجباً منه بالاخلاص ولباطل . مقبول أحب اليه من حق مدفوع .. ولبشر أشعار كثيرة يحتاج فيها على انتخاب المقالات وذكر الجاحظ انه لم ير أحداً أقوى على الخمس والمزدوج مماقوى عليه بشر وانه كان في ذلك أكثر وأقدر من أبان اللاحتي وهو القائل

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقْوَى لِي وَمَا تَقُولُ فَانْتَ تَالِمُ
أَوْ كُنْتَ تَجْهَلُ ذَا وَذَا لَكَ فِكْنُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لَا زِمُ
أَهْلُ الرِّيَاسَةِ مَنْ يَنْزِعُهُمْ رِيَاسَتُهُمْ فَظَالِمُ
سَهَرَتْ عَيْنُونَهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسُوهُ حَالِمُ
لَا تَطْلُبُنْ رِيَاسَةً بِالْجَهْلِ أَنْتَ لَهَا مُخَاصِمُ
لَوْلَا مَقَامُهُمْ رَأَيْتَ الدِّينَ مُضْطَرَبَ الدِّعَائِمِ

فأما أبو اسحق ابراهيم بن سبأ النظام فانه كان متقدماً في العلم بالكلام حسن الخطاير شديد التدقيق والغوص على المعاني وإنما أدناه الى المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستشعنت منه تدقيقه وتغلغله .. وقيل انه مولى الزيديين من ولد العبيد وان الرق جرى على أحد آباءه .. وقيل للنظام ما الاختصار فقال الذي اختصاره فساد .. وقال لرجل أتعرف فلاناً المجوسي فقال نعم ذاك الذي حاق وسط رأسه كما يفعل اليهودى فقل النظام لا مجوسياً عرفت ولا يهودياً وصفت .. قال الجاحظ وذكر النظام عبداً

الوهاب الثقي فتال هو أحلى من أمن بعد خوف ورء بعد سقم وخصب بعد جذب
وغناً بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم
وللنظام شعر كثير صالح فيه

يا تاركى جسداً بغير فؤادٍ أسرفت في الهجران والإبعادِ
إن كان يمنعك الزّيارة أعينُ فأدخل على بعلّة العوادِ
كيما أراك وتلك أعظمُ نعمةٍ ملكت يدك بها نعيم قيادي
إنّ العيون على القلوب إذا جنتُ كانت بليتّها على الأجسادِ

.. وله

توهمه طرفي فآلم خدّه فصار مكان الوهم من نظري أثرُ
وصافحه نلبي فآلم كفّه فمن صفح قلبي في أنامله عقرُ
ورّ بقلبي خاطراً فجرحتُه وأمّ أرجسماً قطّ يجرّحه الفكرُ
يمرّ فمن أين وحسن تعطفٍ يقال به سكرٌ وليس به سكرُ

ويقال ان أبا العتاهية قال أنشدت النظام شعراً

إذا همّ النديم له بلحظٍ تمشت في محاسنه الكأومُ

فقال ينبغي أن ينادم هذا أعمى .. [قال المرتضى رضى الله عنه] وأبيات النظام تتضمن
معنى يت أبا العتاهية ولما ندرى أيهما أخذ من صاحبه والنظام يكرر هذا المعنى كثيراً
في شعره فمن ذلك قوله

رقّ فلو بزّت سراييه علّقه الجوؤ من اللطفِ
يجرحه لا تحفظ بتكراره ويشتكى الإياء بالطرفِ

وحكى ان أبا المظالم جاء به وهو حدث الى الخليل بن أحمد ليعامه فقال له الخليل
يوماً ليتعنه وفي يده قنح زجاج يابني صف لي هذه الزجاجه فقال أبحر أم يذم فقال

بمدح قال نعم تربك القذى وتفيك الأذى ولا تستر ماورى قال فذمها قال سربع كسرهما بطي جبرها قال فصف هـ هذه النخلة وأوماً الى نخلة في داره فقال أمدح أم بدم قال بدمح قال حلوا محتناها باسق منهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال هي صعبة المراتقى بعيدة المجنى محنوفة بالأذى فقال الخليل يابني نحن الى انكلم منك أحوج . . [قال المرتضى] رضى الله عنه وهذه بلاغة من المظام حسنة لان البلاغة هي وصف الشيء ذماً أو مدحاً بأقصى ما يقال فيه . . وشبه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في هجائه البقرة التي امتحن بهجائها واختبر بدمها فقتل فيها أبلغ ما يقال في شأنها وذلك أن عمارة وأنساً وقيساً وأربيع بن زياد العبسيين ^(١) وفدوا على العمان بن المنذر ووفر عليه العامريون بنحو أم البنين وتايهم أبو عامر بن مالك جعفر بن كلاب وهو ملاعب الأسنّة وكان العامريون ثلاثين رجلاً وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذؤابة وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم العمان ويكثر الجلوس عنده ويتندم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكانه فضرب العمان قبة على أبي براء وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فانتخروا يوماً بحضرته فكان العبسيون يغالبون العامريين وكان الربيع اذا خلى بالعمان طعن فيهم وذكر معهم ففعل ذلك مراراً لعداوته لبني جعفر لانهم كانوا أسروه ففسد النعمان عنهم حتى

(١) قوله العبسيين هم اخوة وأبوهم زياد العبسي وكل واحد منهم قد رأس في الجاهلية وقاد جيشاً وأبهم فاطمة بنت العنزة بنت الانمارية إحدى المنجبات وهي التي سئلت أي بنيك أفضل فضلت الربيع بل عمارة بل قيس بل أنس ثم قلت ثكنتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كاطانة المذرة لا يدرى أين المرفاهاء . . وسئلت عنهم أيضاً فقلت في عمارة لا ينال ليلته يخاف ولا يشبع ليلته يضاف وقالت في الربيع لا نعد مآثره ولا يخفى في الجهل بواذره وقالت في أنس اذا عزم أمضى واذا سئل أرضى واذا قدر أغضى وكان لكل واحد منهم لقب فكان عمارة يقال له الوهاب وكان الربيع يقال له الكامل وقيس يقال له الجواد وأنس يقال له أنس الحفاظ وكان عمارة آلى على نفسه أن لا يسمع صوت أسير ينادي في الليل إلا افتكته

نزع القبة عن أبي براء وقطع النزل ودخلوا عليه يوماً فأروا منه جفاه وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضاباً وهموا بالانصراف وليبد في رحا لهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بابلهم فيرعاهم فإذا أمسى انصرف بها فأنام تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فقال لهم ما كنتم تتساجون فكنتموه وقلوا له اليك عنّا فقال خبروني فلعل لكم عندي فرجاً فزجروه فقال والله لا أحفظ لكم متاعاً ولا أسرح لكم بغيراً أو تخبروني وكانت أم لبيد عبديّة في حجير الربيع فقالوا له خالك غلبنا على الملك وأصدعنا^(١) وجهه فنال هل تفدرون أن تجمعوهوا بيني وبينه غدا حين يقدم الملك فأزجر به زجراً مُخِماً مؤلماً لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً فقالوا له وهل عنك ذلك قال نعم قالوا فأنما نبلوك بشتم هذه البقعة وقدامهم بقعة - قبة القنبان قايلة انورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى النزبة فاقامها من الأرض وأخذها بيده وقل هذه البقعة النزبة النملة الرذلة التي لا تذكي ناراً ولا توحد داراً ولا تستر جاراً عودها ضئيل وفرعها ذليل وخيرها قايل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع أقصر البقول فرعاً وأخبثها مرعاً وأشدها قاعاً فخرّباً لجارها وجدماً فلنوا بي أخا بني عبس أرجعه عنكم بتعس ونكس وأتركه من أمره في لبس فقالوا له نصبح ونرى فيك رأينا فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رأيتوه نائماً فليس أمره بشيء انما تكلم بما جرى على لسانه وان رأيتوه ساهراً فهو صاحبكم فرمقوه بأبصارهم فوجدوه قد ركب رحلا يكدم واسطنته حتى أصبح فلما أصبحوا قلوا أنت والله صاحبه فحقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين والبدسوة حلة وغدوا به معهم فدخلوا على النعمان فوجدوه يتفدى ومعه الربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترض الربيع في كلامهم فقام لبيد وقد دهن أحد شقي رأسه وأرخا إزاره وانتعل نعل واحد وكذلك كانت الشعراء تفعل في الجاهلية اذا أرادت المجاء فتل بين يديه ثم قال

(١) قوله وأصدعنا .. قال الزجاج في كتاب فعلات وأفعلت في باب الصاد صدني الرجل عن الأمر واصدني والمعنى واحد

يَارُبِّ هَيَّجَا هِيَ خَيْرٌ مِنْ دَعَا إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مُقَرَّعَةً
 نَحْنُ بَنَى أُمِّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعَةَ وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةٍ
 الْمُطْعَمُونَ الْجَفَنَةَ الْمُدَّعَاةَ وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ
 مَهْلًا أَيْتَ اللَّعْنِ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ إِنَّ أُسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مَلْمَعَةٍ
 وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا إِصْبَعَهُ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ
 كَأَنَّهُ يُطْلَبُ شَيْئًا ضَيِّعَهُ

فلما فرغ ليبد التفت النعمان الى الربيع برمقه شزراً وقال كذاك أنت فقال كذب والله ابن الحمق انائم فقال النعمان أف لهذا الطعام لقد خبثت علي طعامي فقال الربيع أبيت اللعن أما إني قد فعلت بأمة لا يكتفي وكانت في حجره فقال ليبد أنت لهذا الكلام أهل أما إنها من نسوة غير فعل وأنت المرء قل هذا في يتيمة . . [قل المرتضي] رضى الله عنه وجدت في رواية أخرى أما إنها من نسوة قل وانما قال ذلك لأنها كانت من قوم الربيع فنسبها الى القبيح وصدق عليها تهجيناً له ولتومه فأمر الملك بهم جميعاً فأخرجوا وأعاد على أبي براء النقبه وانصرف الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به وأمره بالانصراف الى أهله فكاتب اليه إني قد تخوفت أن يكون قد وقع في صدرك ما قال ليبد ولست برأى حتى تبعث الي من يجردني ليعلم من حضرك من الناس إني لست كما قال فأرسل اليه انك لست صانعاً باتفاقك مما قال ليبد شيئاً ولا قادراً على رد ما زلت به الألسن فالحق بأهلك ثم كتب اليه النعمان في جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع ^(١) مشهورة

(١) قوله ثم كتب اليه النعمان في جملة أبيات جواباً عن أبيات كتبها اليه الربيع مشهورة أبيات الربيع هي

لئن رحلت جمالي إن لي سعة ما ملها سعة عرضاً ولا طولاً
 يمحى لو وزنت ظم بأجمعها لم يعدلوا ريشة من ريش سمويلاً

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنَّ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلًا

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دايد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وأخبرنا به أيضاً المرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال أخبرنا محمد بن زياد بن زيان عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكائي وكان قد أدرك الجاهلية وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ولم تأت بجميع الخبر على وجهه بل أقطنا منه ما لم نحتاج اليه وأوردنا ما أوردنا منه بالفاظه .. [قال المرتضي رضي الله عنه] أما قوله -نحن بنى أم البنين الأربعة- فإنه نصب على المدح والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً .. وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت نحت مالك بن جعفر بن كلاب ولدت منه عامر بن مالك ملاعب الأسنة وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو أبو عامر بن الطفيل وقرزل فرس كانت له .. وربيعة بن مالك أبا لبيد وهو ربيع المقترين .. ومعاوية بن مالك معوّد الحكام وإنما سمي معوّد الحكام بقوله

أَعَوَّدُ مِثْلَهَا الْحُكَّامَ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاءِ نَابَا

وولدت عبيدة الوضاح فهو لاء خمسة وقال لبيد أربعة لأن الشعر لم يمكنه من ذلك^(١)

ترعى الروائم أحرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحاً وغاسولا
فأبرق بأرضك يا نعمان متكئاً مع النطايي يوماً وابن نوفيلا

وأبيات النعمان هي

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تنكث عليّ ودع عنك الأقاويل
فقد ذكرت به والركب حامله ورداً يعلل أهل الشام والنيلا
فما انتفاؤك عنه بعد ما جزعت هوج المطي به أبراق شمائل
قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذباً فَمَا اعْتَدَارُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلًا
فالحق بحيث رأيت الأرض واسعة وانشرها الطرف إن عرضاً وإن طولاً

(١) قوله إن لبيد إنما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر هذا قول الفراء وهو

• • وأما - الجفنة المدعدة - فهي المملوءة • • وأما - الخيضة - فإن الأصمى يذكر أن لبيداً قال تحت الخيضة يدنى الجلبة فسوته الرواة • • وقيل أن الخيضة أصوات وقع السيوف والخيضة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس والخيضة الغبار والقول يحتمل كل ذلك • • وأما - آيت اللعن - فإن أبا حاتم قال سألت الأصمى عنه فقال معناه آيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه • • وأما - الأشاجع - فهي العريوق والعصب الذي على ظهر الكف وقد روى أكل يوم هامق مَقْرُوعه - واقزح - تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه يقال كبش أقزح ونعجة قزعا

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب مولى لأبي القاسم عمرو بن قاع الكنانى ثم الفقيمي وذكر المبرد أنه ما رأى أحراً على العلم من ثلاثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسماعيل بن اسحاق القاضي • • فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع بيده كتاب قرأه من أوله إلى آخره أي كذاب كان • • وأما الفتح بن خاقان فإنه كان يحمل الكتاب في خفه فإذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب للنظر فيه وهو يمشى حتى يبلغ الموضع الذي يريد ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ مجلسه • • وأما اسمعيل بن اسحاق فإنه ما دخلت عليه قط إلا وفي يده كتاب ينظر فيه أو يقلب الكتب لطاب كتاب ينظر فيه • • قال الباخي تفرد

قول فارغ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط وإنما قال ذلك لأن أباه كان مات وبقي أعمامه وهم أربعة وهو مسبوق بالسبيل فإنه قال وإنما قال الأربعة لأن أباه كان قد مات قبل ذلك لا كما قال بعض الناس وهو قول يعزى إلى الفراء أنه قال إنما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي فيقال له لا يجوز للشاعر أن يلحن لاقامة وزن الشعر فكيف بان يكذب لاقامة الوزن وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله في قوله سبحانه (ولن خاف مقام ربه جنان) وقال أراد جنة واحدة وجاء بلفظ التثنية لتنفق رؤس الآي أو كلاماً هذا معناه فصمى صمام ما أشنع هذا الكلام وأبعده عن العلم وفهم القرآن وأقل هبة قائله من أن يتبوء مقعده من النار

الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع ذلك فعل العبد على الحقيقة وكان يقول في سائر الأفعال انها تنسب الى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً وانما وجبت بارادتهم وليس بجائر أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف وقد استغرقه حبه لمذهبه وشغفه به وإلفه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه^(١) .. وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات وكان منعرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد للمداوة التي كانت بين أحمد ومحمد فلما قبض على محمد الزيات هرب الجاحظ فقيـل له لم هربت فقال خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنوير يريد ما صنع بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مساير مكان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات .. وروى أنه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قيص سمل فلما نظر اليه ابن أبي دؤاد قل والله ما علمتكم إلا متناسياً للنعمة كفوراً للصناعة معدناً للمساوي وما قصرت باستصلاحك ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة دخلتك وسوء اختيارك وغالب طبعك فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لأن يكون لك الأمر على خير من أن يكون لي عليك ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحداث عك من أن أحسن وتسيء ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام في فقال ابن أبي دؤاد قبحك الله فوالله ما علمتكم إلا كثير تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اضطغنت فيه البفاق والكفر يا غلام صر به الى الحمام وأمط عنه الأذى فاخذت عنه السلسلة والقييد وأدخل الحمام وحمل اليه تحت من ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم أتاه فصدره في مجلسه ثم أقبل عليه وقال مات الآن حديثك يا أبا عثمان .. وقال المبرد سمعت الجاحظ يقول احذر من تأمن فأنك حذر من تخاف .. وقل الجاحظ قالت لأبي يعقوب

(١) وروى عن أبي عمرو انه جرى ذكر الجاحظ في مجلس أبي العباس أحمد بن يحيى فقال أمسكوا عن ذكر الجاحظ فانه غير ثقة .. قال الأزهري وكان الجاحظ روى عن الثقات ما ليس من كلامهم وكان قد أوتي بسطة في لسانه وبياناً في خطابه ومجالاً واسعاً في فنونه غير ان أهل العلم والمعرفة ذموا وعن الصدق دفعوه ..

الخزيمي الشاعر من خلق المعاصي قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لا أدري والله .. وكان الجاحظ يقول يذني للكاتب أن يكون رقيق حواشي الكلام عذب ينابيعه إذا حاور سدد سهم الصواب الى غرض المعنى .. وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة .. وقال سوار بن أبي شراة كنت عند الجاحظ فرآني أكتب خطأ ردياً في ورق ردى متقارب السطور فقال لي ما أحسبك تحب ورثتك فقلت وكيف ذاك قال لاني أراك تسيء بهم فيما تخلفه .. وذكر أبو العباس المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه أنت والله أحوج الى هوان من كريم الى إكرام ومن علم الى عمل ومن قدرة الى عفو ومن نعمة الى شكر .. وقال المبرد قال لي الجاحظ يوماً أتعرف مثل قول اسمعيل بن القاسم

ولا خيرَ فيمن لا يوطن نفسه على نائباتِ الدهر حين تنوبُ

فقلت نعم قول كنبر ومنه أخذ

فقلت لها يا عز كل مَصيبةٍ إذ وُطِنَت يومَ ماها النفس ذاتِ

وروى يموت بن المزرع لحاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجواز بهجوه

نَسَبُ الْجَمَازِ مَقْصُورٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَاهُ

تَنْتَهَى الْأَحْسَابُ بِالنَّاسِ وَلَا يَمْدُو قِفَاهُ

يَتَحَاجِي مِنْ أَبُو السَّجْمَازِ فِيهِ كَاتِبَاهُ

لَيْسَ يَذْرَى مِنْ أَبُو السَّجْمَازِ إِلَّا مَنْ يَرَاهُ

أخبرنا المرزباني قال أخبرنا علي بن مروان قال أشدني وكيع قال أنشدني أبو العيناء

قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب

زُرْتُ فَمَاتَ مِنْ بَنِي هَلَالٍ فَاسْتَعْجَلَتْ إِلَيَّ بِالسُّوَالِ

مَالِي أَرَاكَ قَانِي السَّبَالِ كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي جَرَيَالِ

مَا يَبْتَغِي مِثْلَكَ مِنْ أَمْثَالِي تَنْحُ قُدَّامِي وَمِنْ حِيَالِي

•• [قال المرتضي رضى الله عنه] قوله - كأنما كرت في جريال - ملبح قوي ولا يشبه شعر الجاحظ للينه وضعف كلامه •• وذكر أبو العيناء قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أنشدني الجاحظ يمدحني

بَدَأَ بِي حِينَ أَثَرَى بِإِخْوَانِهِ فَفَلَّلَ عَنْهُمْ شَبَابَةَ الْعَدَمِ
وَذَكَرَهُ الْحَزْمُ رَيْبَ الزَّمَا نِ فَبَادَرَ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ

قال إبراهيم فذا كرت بها أحمد بن أبي دؤاد فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما ثم لغيت محمد بن الجهم فقال قد أنشدنيهما يمدحني بهما وقال يموت بن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا أعرف شعراً بفضل قول أبي نواس

وَدَارِ نَدَامِي عَطَّلُوها وَأَذَاجُوا بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ
مَسَاحِبُ مَنْ جَرَّ الزَّفَاقَ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَاثُ رِيحَانٍ جَنِيٍّ وَيَابِسُ
حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فَجَذَذْتُ عَنْهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَابِسُ
وَلَمْ أَذِرْ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ بَشَرَقِي سَابَاطُ الدِّيَارِ الْبَسَابِسُ
أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَبَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحَلِ خَامِسُ
تُدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسَجَدَةٍ حَبَبُهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارَتِهَا كَسَرِي وَفِي جَنَابَتِهَا مَهْيٌ تَدْرِيهَا بِالْقَسِيِّ الْفَوَارِسُ
فَلِلْخَمْرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

قال الجاحظ. فأنشدتها أبا شعيب القلال فقال يا أبا عثمان لو نقر هذا الشعر لطن

قلت ويلك ما تفارق الجرار والحزف حيث كنت •• أخذ أبو نواس قوله

وَلَمْ أَذِرْ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ بِهِ بَشَرَقِي سَابَاطُ الدِّيَارِ الْبَسَابِسُ
من أبي خراش الهذلي

ولم أذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سَوَى أَنَّهُ قَدْ سَلَّ عَنْ مَا جِدَّ مَحْضُ
ويقال إن أبا خراش أول من مدح من لا يعرفه وذلك إن خراش بن أبي خراش
أسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم
بقتل عروة بن مرة ونجّاه فلما تفرغوا له قال أفلت متي ويقال بل رآه في الأسر رجل
من بني عمه فالتقى عليه رداءه ليجيره به وقل له النجاء وبلك فقال أبو خراش في ذلك
حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فَاقْسِمُ لَا أُنْسَى قَتِيلًا رُزِئَتْهُ بِجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
عَلَى أَنَّهَا تَغْفُو الْكُلُومُ وَإِنَّمَا نُوكَلُ بِالْأَذْنِ وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
ولم أذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ سَوَى أَنَّهُ قَدْ سَلَّ عَنْ مَا جِدَّ مَحْضُ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المَرْزَبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
شِهَابٍ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْبَرْذَعِيِّ الْمَنْكَلَمِيُّ قَالَ صَرْتُ إِلَى مَنْزِلِ الْجَاهِظِ
فِي أَوَّلِ مَا قَدِمْتُ مِنْ بَلَدِي وَقَدْ اعْتَلَّ عَانَهُ الْتِي فَالَجَ فِيهَا فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ فَخَرَجَ إِلَيَّ
خَارِجًا مِنْ مَنْزِلِهِ فَقَالَ لِي يَقُولُ لَكَ وَمَا تَصْنَعُ بِشَقِّ مَائِلٍ وَلَعَابِ سَائِلٍ فَانْصَرَفَتْ عَنْهُ
•• وَذَكَرَ يَمُوتُ بْنُ الْمَزْرُوعِ قَالَ وَجَّهَ الْمُتَوَكِّلُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا أَنْ يَحْمَلَ إِلَيْهِ
الْجَاهِظُ مِنَ الْبَصْرَةِ وَقَدْ سَأَلَهُ الْفَتْحُ ذَلِكَ فَوَجَدَهُ لَا فَضْلَ فِيهِ فَقَالَ إِنْ أَرَادَ حَمْلَهُ مَا يَصْنَعُ
بِأَمْرٍ لَيْسَ بِطَائِلٍ ذِي شَقِّ مَائِلٍ وَلَعَابِ سَائِلٍ وَفَرَجَ بَائِلٍ وَعَقْلَ زَائِلٍ وَلَوْنٍ حَائِلٍ ••
وَذَكَرَ الْمُبَرِّدُ قَالَ سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ أَنَا مِنْ جَانِبِي الْأَيْسَرِ مَفْلُوجٌ فَلَوْ قَرَضْتُ بِالْمَقَارِيضِ
مَا عَلِمْتُ وَمِنْ جَانِبِي الْأَيْمَنِ مُنْقَرَسٌ فَلَوْ مَرَّ بِي الذَّبَابُ لَأَمْتُ وَبِي حَصَاةٌ لَا يَنْسَرَحُ لِي
الْبُولُ مَعَهَا وَأَشَدُّ مَا عَلَيَّ سِتٌّ وَتَسْعَمُونَ •• وَقَالَ يَوْمًا لِمَنْ تَطْبُبُ يَشْكُو إِلَيْهِ عِلَّتُهُ قَدْ اصْطَلَحَتْ
الْإِضْدَادُ عَلَى جَسَدِي إِنْ أَكَلْتُ بَارِدًا أَخَذَ بَرَجْلِي وَإِنْ أَكَلْتُ حَارًّا أَخَذَ بِرَأْسِي وَتَوَفَّى
فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ

﴿ مجلس آخر ١٤ ﴾

[تأويل آية] (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر إلى قوله هم المتقون)؛ سألت سائل فقال كيف ينبغي كون تولية الوجوه إلى الجهات من البر وإنما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبر عن البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن أي شيء كثر بالهاء في قوله تعالى (وآتى المال على حبه) وما المخصوص بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة وعلى أي شيء ارتفع الموفون وكيف نصب الصابرون وهم معطوفون على الموفين وكيف وحد الكناية في موضع وجمعها في آخر فقال من آمن وآتى المال وأقام الصلاة ثم قل والموفون والصابرين يقال له فيما ذكرته أولاً جوابان أحدهما أنه أراد تعالى ليس الصلاة هي البر كله ولكنه عدد ما في الآية من ضروب الطاعات وصنوف الواجبات فلا تظنوا انكم اذا توجهتم إلى الجهات بصلاتكم فقد أحرزتم البر بأسره وحزتموه بكامله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره . والجواب الثاني أن النصارى لما توجهوا إلى المشرق واليهود إلى بيت المقدس واتخذوا هاتين الجهتين قبلتين واعتقدوا في الصلاة إليهما انهما بر وطاعة خلافاً على الرسول عليه الصلاة والسلام أ كذبهم الله في ذلك وبيّن أن ذلك ليس من البر إذ كان منسوخاً بشريعة النبي صلى الله عليه وسلم التي تلزم الأسود والأبيض والعربي والعجمي وأن البر هو ما تضمنته الآية . فأما إخباره بمن ففيه وجوه ثلاثة . أولها أن يكون البرهنا البار أو ذا البر وجعل أحدهما في مكان الآخر والتقدير ولكن البار من آمن بالله ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (أرأيتم ان أصبح ماؤكم غوراً) يريد غائراً ومثل قول الشاعر

تَرْتَعُ مَارَتَعَتْ حَتَّى إِذَا دَكَّرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَابٌ

أراد أنها مقبلة مدبرة . . ومثله

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحاً عَلَيْهِمْ مُقَلَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا

أراد نائحة عليهم . . ومثله قول الشاعر

هَرِيقِي مِنْ دُمُوعِهِمْ سِجَامًا ضِبَاعُ وَجَاوِبِي نَوْحًا قِيَامًا

• والوجه الثاني أن العرب قد تحب عن الاسم بالمصدر والفعل وعن المصدر بالاسم فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقولته تعالى ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ وقول العرب إنما البر الذي يصل الرحم ويفعل كذا وكذا وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر والفعل فمثل قول الشاعر

لَعَمْرُكَ مَا الْفَتِيَانُ أَنْ تَنْبَتَ اللَّحَى وَلَكِنَّمَا الْفَتِيَانُ كُلُّ فَتَى نَدَى

فجعل أن تنبت وهو مصدر خبراً عن الفتیان • والوجه الثالث أن يكون المعنى ولكن البر من آمن فحذف البر الثاني وأقام الأول مقامه كقوله تعالى ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ أراد حب العجل • قال الشاعر

وَكَيْفَ تَوَاصِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ

أراد لخالة أبي مرحب • وقال النابغة

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلَى فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ

أراد على مخافة وعل وقول العرب بنو فلان يطؤون الطريق أي أهل الطريق • وحكى عن بعضهم أطيب الناس الزبد أي أطيب ما يأكل الناس الزبد وكذلك قولهم حسبت صياحي زبداً أي صياح زيد • وروى عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ليس على الأعمى حرج﴾ أي ليس على من أكل مع الأعمى حرج وفي قوله تعالى ﴿رابعهم كلبهم﴾ وذكروا أنه كان راعياً نبعمهم • فأما ما كفى بالهاء في قوله تعالى ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾ ففيه وجوه أربعة • أولها أن تكون الهاء راجعة على المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى وأتى المال على حب المال وأضيف الحب إلى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل اشتريت طعامي كاشترت طعامك والمعنى كاشترائك طعامك • والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعة إلى من آمن بالله فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه • والوجه الثالث أن ترجع الهاء إلى الإيتاء الذي دل عليه آتى والمعنى وأعطى المال على حب الإعطاء ويجرى ذلك مجرى قول القطامي

هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ أَنَّهُمْ وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ

فَكَفَى بِالْهَاءِ عَنِ الْمَلِكِ لِدَلَالَةِ قَوْلِهِ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ عَلَيْهِ ٠٠ وَمِثْلُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ

إِذَا نَهَى السَّفِيهَ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهَ إِلَى خِلَافٍ

أَرَادَ جَرَى إِلَى السَّفِيهِ الَّذِي دَلَّ ذِكْرَ السَّفِيهِ عَلَيْهِ ٠ وَالْوَجْهَ الرَّابِعَ أَنَّ تَكُونَ الْهَاءَ رَاجِعَةً إِلَى اللَّهِ لِأَنَّ ذِكْرَهُ تَعَالَى قَدْ تَقَدَّمَ فَيَكُونُ وَآتَى الْمَالُ عَلَى حُبِّ اللَّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْبِتَامَى ٠٠ فَنَ قِيلَ وَأَيُّ فَائِدَةٍ فِي ذَلِكَ وَقَدْ عَلِمْنَا الْفَائِدَةَ فِي إِتْيَاءِ الْمَالِ مَعَ مَحَبَّتِهِ وَالضَّنِّ بِهِ وَإِنْ الْعَطِيَّةُ تَكُونُ أَشْرَفَ وَأَمْدَحَ فَمَا الْفَائِدَةُ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ وَمَا مَعْنَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْحُبِّ عِنْدَكُمْ هِيَ الْإِرَادَةُ وَالْفَدِيمُ لَا يَصِحُّ أَنْ يَرَادَ ٠٠ قَلْبًا أَمَّا الْحُبُّ عِنْدَنَا فَهِيَ الْإِرَادَةُ إِلَّا أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَهَا كَثِيرًا مَعَ حَذْفِ مُتَعَلِّقِهَا مَجَازًا وَتَوْسَعًا فَيَقُولُونَ فَلَانِ يَحِبُّ زَيْدًا إِذَا أَرَادَ مَنَافِعَهُ وَلَا يَقُولُونَ زَيْدٌ يَرِيدُ عَمْرًا بِمَعْنَى أَنَّهُ يَرِيدُ مَنَافِعَهُ لِأَنَّ التَّعَارُفَ جَرَى فِي اسْتِعْمَالِ الْحَذْفِ وَالِاخْتِصَارِ فِي الْحُبِّ دُونَ الْإِرَادَةِ وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى وَاحِدًا ٠٠ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ لِقَوْلِهِمْ زَيْدٌ يَحِبُّ عَمْرًا مَزِيَّةً عَلَى قَوْلِهِمْ يَرِيدُ مَنَافِعَهُ لِأَنَّ الْإِظْفَارَ الْأَوَّلَ يَنْبَغِي عَنْ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ إِلَّا مَنَافِعَهُ وَأَنَّهُ لَا يَرِيدُ شَيْئًا مِنْ مَضَارِّهِ وَالثَّانِي لَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فَجَعَلَتْ لَهُ مَزِيَّةً وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى نَصَفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ يَحِبُّ أَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ وَالْمَعْنَى فِيهِ أَنَّهُ يَرِيدُ لَهُمْ ضُرُوبَ الْخَيْرِ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ وَالنَّعْمِ فَأَمَّا وَصْفُ أَحَدِنَا بِأَنَّهُ يَحِبُّ اللَّهَ فَالْمَعْنَى فِيهِ أَنَّهُ يَرِيدُ تَعْظِيمَهُ وَعِبَادَتَهُ وَالْغِيَامَ بِطَاعَتِهِ وَلَا يَصِحُّ الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي مَحَبَّةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا لِاسْتِحْصَالِ الْمَنَافِعِ عَلَيْهِ تَعَالَى وَمَنْ جَوَّزَ عَلَيْهِ تَعَالَى الْإِنْتِفَاعَ لَا يَصِحُّ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ مَحَبًّا لَهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى لِأَنَّهُ بِإِعْتِقَادِهِ ذَلِكَ فِيهِ قَدْ خَرَجَ مِنْ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِهِ فَمَحَبَّتُهُ فِي الْحَقِيقَةِ لِمُتَعَلِّقٍ وَلَا تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ كَمَا قَوْلُ فِي أَصْحَابِ التَّشْبِيهِ لَأَنَّهُمْ إِذَا عَبَدُوا مِنْ اعْتِقَادِهِمْ إِلَهًُا فَقَدْ عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى ٠٠ فَأَمَّا الْفَائِدَةُ فِي إِعْطَاءِ الْمَالِ مَعَ مَحَبَّةِ اللَّهِ فَهِيَ ظَاهِرَةٌ لِأَنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ مَتَى قَارَنْتَهُ إِرَادَتَهُ وَجْهَ اللَّهِ وَعِبَادَتَهُ وَطَاعَتَهُ اسْتَحَقَّ بِهِ الثَّوَابَ وَمَتَى لَمْ يَقْتَرَنْ بِهِ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَحَقَّ الْفَاعِلُ بِهِ ثَوَابًا وَكَانَ ضَائِعًا وَتَأْثِيرُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَبْلَغُ مِنْ تَأْثِيرِ حُبِّ الْمَالِ وَالضَّنِّ بِهِ لِأَنَّ الْحُبَّ لِلَّهِ الْغَضَنِينَ بِهِ مَتَى بَذَلَهُ وَأَعْطَاهُ وَلَمْ يَقْصِدْ بِهِ الطَّاعَةَ وَالْعِبَادَةَ

والقربة لم يستحق به شيئاً من الثواب وإنما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب بالمعطية وهو غير ضنين بالمال ولا يحب له لا يستحق الثواب وهذا الوجه لم نسبق إليه في هذه الآية وهو أحسن ما قيل فيها . . وقد ذكر وجه آخر وهو أن يكون الهاء راجعة الى من آمن أيضاً وينتصب ذوي القربى بالحلب ولا يجعل لآتى منه وياً للوضوح المدنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال في حال حبه ذوي القربى والينامى على محبته إياهم وهذا الوجه ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي وقع عليها السؤال وإنما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحلب وذلك غير ما وقع السؤال عنه والأجوبة الأول أقوى وأولى . . فأما قوله (والموفون بهمهم) ففي رفعه وجهان . أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح لأن النعت إذا طل وكثر رفع بعضه ونصب بعضه على المدح ويكون المعنى وهم الموفون بهمهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين . والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على من آمن ويكون المعنى ولكن ذا البر وذوى البر المؤمنين والموفون بهمهم . . فأما نصب الصابرين ففيه وجهان . أحدهما المدح لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن يترضوا بينهما بالمدح وأنهم لم يمزجوا الممدوح أو المذموم ويفردوه فيكون غير متبع لأول الكلام من ذلك قول الخرائق بنت بدر بن هفان

لَا يَبْعُدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجُرُ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدِ الْأُزْرِ

فصببت ذلك على المدح وربما رفعوهما جميعاً على أن يتبع آخر الكلام أوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في نصب والرفع ما ذكرناه . . ومن ذلك قول الشاعر أنشده الفراء

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرَمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكَتَيْبَةِ فِي الْمَزْدَحِمِ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ تَعْمُ الْأُمُو وَبَذَاتِ الصَّالِيلِ وَذَاتِ اللَّجَمِ

فصببت لث الكتيبة وذا الرأي على المدح . . وأنشد الفراء أيضاً

فَلَيْتَ الَّتِي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاضَعَتْ
عَلَى كُلِّ غَتٍّ مِنْهُمْ وَسَمِينِ
غُيُوثُ الْحَيَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَازْبَةِ
أَسْوَدُ الشَّرَا يَحْمِينُ كُلَّ عَرِينِ

ومما نصب على الذم قوله

سَقُونِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْنَفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ^(١)

(١) قوله سقوني الخمر هو من جملة أبيات لعروة بن الورد أولها

أُرِقْتُ وَصَحْبَتِي بِمَضْيَقِ عَمَقٍ لَبِقَ مِنْ تَهَامَةٍ مُسْتَطِيرِ

سَقَى سَلْمَى وَأَيْنَ دِيَارِ سَلْمَى إِذَا كَانَتْ مَجَاوِرَةَ السَّيْدِرِ

وَإِذَا حَلَّتْ بِأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأَهْلِي بَيْنَ زَامِرَةٍ وَكَبِيرِ

ذَكَرْتُ مَنَازِلًا مِنْ أُمِّ وَهَبٍ مَحَلِّ الْحَيِّ أَسْفَلَ مِنْ نَقِيرِ

وَأُحَدِّثُ مَعَهُدًا مِنْ أُمِّ وَهَبٍ مَعَرَسَنَا بِوَادِ بَنِي النَّضِيرِ

وَقَالُوا مَا تَشَاءُ فَقُلْتُ أَهْوِ إِلَى الْإِصْبَاحِ آثَرَ ذِي أُثِيرِ

بِأَنَسَةِ الْحَدِيثِ رَضَابٍ فِيهَا بِعِيدِ النَّوْمِ كَالْعَنْبِ الْعَصِيرِ

وَمِنْهَا أَطْعَمْتُ الْآمِرِينَ بِصَرَمِ سَلْمَى وَطَارُوا فِي بِلَادِ الْيَسْتَعُورِ

أى تفرقوا حيث لا يعلم ولا يهتدي لمواضعهم . . . وقال ابن بري معنى البيت ان عروة كان

سبي امرأة من بني عامر يقال لها سلمى ثم تزوجها فمكثت عنده زماناً وهو لها شديد

الحبة ثم انها استزارته أهلها فحملها حتى انتهى بها اليهم فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع

معه وأراد قومها قتله ففنعته من ذلك ثم انه اجتمع به أخوها وابن عمها وجماعة فشرعوا

خبراً وسقوه وسألوه طلاقها فطلعتها فلما صحا ندم على ما فرط منه ولهذا يقول بعد البيت

سَقُونِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكْنَفُونِي عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورِ

أَلَا يَا لَيْتَنِي عَاصَيْتُ طَلَقًا وَجَبَارًا وَمَنْ لِي مِنْ أَمِيرِ

طلعت أخوها وجبار ابن عمها وقيل هما أخوه هو وابن عمه والأمر هو المستشار وقيل

ان أهلها طلبوا منه فداها فقال له أخوه طلق وابن عمه جبار والله لأئن قبلت ما أعطوك

لا نفترق أبداً وأنت على النساء قادر متى شئت وكان قد سكر فأجاب الى فداها فلما صحا

ندم فشهدوا غايه بالفداء فلم يقدر على الامتناع واليستعور في البيت السابق على وزن

•• والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفاً على ذوي القربى ويكون المعنى وآتى المسال على حبه ذوي القربى والصابرين •• قال الزجاج وهذا لا يصلح إلا أن يكون الموفون رفعاً على المدح للمضمرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بمد العطف على الموصول وكان يقوي الوجه الأول •• وأما توحيد الذكر في موضع وجمعه في آخر فلأن من آمن لفظه لفظ الوحدة وإن كان في المعنى للجمع فالذكر الذي أتى بعده موحداً يجري على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين فعلى المعنى •• وقد اختلفت قراءة القراء السبعة في رفع الرأ ولصها من قوله تعالى (ليس البر) فقرأ حمزة وعاصم في رواية حفص ليس البر بنصب الرأ •• وروى هبيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقر البر بالرفع وأوجهان حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فإذا اجتمعا في التعريف تكافأ في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً كما تشكافأ السكرات وحجة من رفع البر أنه لا يكون البر الاسم لشبهه الفاعل أولى لأن ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ألا ترى أنك إذا قلت قام زيد فإن الاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الغلام التأخير فلولا أن الفاعل أخص بهذا التوضع لم يحز هذا كما لم يحز في الفاعل ضرب غلامه زيداً حيث لم يحز في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل موقعه المختص به وحجة من نصب البر أن يقول كون الاسم أن وصلها أولى تشبيهاً بالمضمر في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر فكأنه اجتمع مضمر ومظهر والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر

يفتعلول ولم يأت على هذا البناء غيره وهو موضع قبل حرة المدينة كثير العضاء موحش لا يكاد يدخله أحد والرواية المشهورة في البيت الشاهد

سقوني النساء ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

والنساء بالفتح الشراب المزيل للعقل وبه فسر ابن الاعرابي البيت هنا ورواية سيبويه الخمر كما مر

[قال المرتضي] حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه قال أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي قال قال ابن الكلبي لما كان بمد يوم الهبأة جاور قيس بن زهير العبسي النمر بن قاسط فقال لهم إني قد جاورتكم واخترتكم فزوّجوني امرأة قد أدّ بها الغنى وأذلها الفقر في حسب وجمال فزوّجوه ظبية بنت الكيس النمرى وقال لهم إن في خلالاً ثلاثاً إني غيورٌ وإني غفورٌ وإني آتف ولست أنخر حتى أبدأ ولا أغار حتى أرى ولا آتف حتى أطم فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال إني موصيكم بنخصل وناهيكم عن خصل عايكم بالأناة فإن بها تنال الفرصة وتسويد من لا تعاون بتسويده وعليكم بالوفاء فإن به يعيش الناس وباعطاء من تريدون اعطاه قبل المسألة ومنع من تريدون منه قبل الإلحاح وإجارة الجار على ادمر وتنفيس المنازل عن سيوت الأيامي وخايط الضيف بالعيال وأنهاكم عن الرهان فإن به تكلت مالكاً أخى والبغى فانه قتل زهيراً أبى وعن الإيعطاء في النضول فتمعجزوا عن الحقوق وعن الاسراف في الدماء فإن يوم الهبأة أنزمت العار ومنع الحرم إلا من الأ كفاء فإن لم تصيدوا لها الأ كفاء فإن خير مناحيها القبور أو خير منازلها وأعلموا إني كنت ظالماً مظلوماً ظلمنى بنو بدر بقتلهم مالكاً أخى وظلمتهم بان قتل من لا ذنب له .. [قال المرتضي] رضى الله عنه أما قوله - أنهاكم عن الرهان - فأراد المراهنة في سباق الخيل وذلك أن قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزارى على فرسيه داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والحنفاء .. وقال بعض بني فزارة بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارهاً لذلك وإنما حاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل رجل من بني عبس والخبر في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق وجعلوا الغاية من ^(١) واردات الى ذات الإصاد وجعلوا القصبة في يد رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له حصين ويبد رجل

(١) - الواردات .. هضبات صغار قريبة من جبلة .. وذات الاساد بكسر أوله

وبالدال المهملة على وزن فعال موضع ببلاد بني فزارة حكاه البكري في معجمه

من بنى العشراء من بنى فزارة وملؤا البركة ماء وجعلوا السابق أول الخيل بكرع فيها
ثم ان حذيفة بن بدر وقيس بن زهير أنيا المدى الذي أرسلت الخيل فيه ينظران اليها
والى خروجها فلما أرسلت عارضها فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس ترك الخداع
من أجري من مائة يعني من مائة غلوة فأرسلها مثلاً ثم ركضا ساعة فجعلت خيل حذيفة
تتقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت يا قيس جري المذكيات غلاب فأرسلها مثلاً . .
المذكيات - المسان من الخيل . . وروى غلاب كما يتعالى بالليل ثم ركضا ساعة فتتال حذيفة
انك لا تركض مركضاً سبقت خيلك فقال قيس رويد يعلون الجدد فأرسلها مثلاً . .
وروي يعدون الجدد أي يتعدون الجدد الى الوعث وقد كان بنو فزارة أكنوا بالثنية كميناً
لينظروا فان جاء داحس سابقاً مسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقاً فأمسكوه
ولم يعرفوا الغبراء وهى خلفه مصليّة حتى مضت الخيل وأسهمت من الثنية ثم أرسلوه
فتمطر فى آثارها فجعل يبدرها فرساً فرساً حتى انتهوا الى الغاية مصائباً وقد طرح
الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية سبقها فاستقبلتها بنو فزارة فلطموها ثم صدوها عن
الركبة ثم لطموا داحساً وقد جاء متواليين ثم جاء حذيفة وقيس فى آخر الناس وقد
دفعهم بنو فزارة عن سبقهم ولطموا فرسهم وجرى من الخلف فى أخذ السبق ما قد
شرحته الرواة . . وقد قيل فى بعض الرواية ان الرهان والسبق كان بين حمل بن بدر
وبين قيس وفى ذلك يقول قيس شعراً

كَمَا لَا قَيْتَ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ
وَهُمْ فَخَرُوا عَلَى بَغِيرِ فَخْرِ وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي
وَقَدْ دَافَوْا إِلَيَّ بِفَعْلٍ سَوْءٍ فَأَلَنُونِي لَهُمْ صَعْبَ الْقِيَادِ
وَكُنْتُ إِذَا مُنِيتُ بِخَصْمٍ سَوْءٍ دَافْتُ لَهُ بِدَاهِيَةِ نَادِ

ثم ان قيساً أغار على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله فبلغ بنو فزارة فهموا بالقتال فحمل
الربيع بن زياد العبسى دبة عوف بن بدر مائة عشرأة متلية . . ويقال ان قيساً قتل ابن الحذيفة
يقال له مالك كان حذيفة أرسله يطلب منه السبق فطعنه فدى صلبه وان الربيع بن

زياد حمل ديتيه مائة عشراء فسكن الناس عن القتال ثم ان مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللقطة قريباً من الحاجر ونكح امرأة يقال لها مملكة بنت حارثة من بني غراب من فزارة فباع ذلك حذيفة بن بدر ففسد اليه فرساناً فقتلوه وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر وكانت تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقف على الخبر قال

نَامَ الْخَلِيٌّ وَلَمْ أُغْمَضْ حَارِ	مَنْ سَيِّئُ النَّبَأِ الْجَبِيلِ السَّارِي
مِنْ مِثْلِهِ تَمْشِي النِّسَاءُ حَوَاسِرًا	وَتَقُومُ مُعَوَّلَةً مَعَ الْأَسْحَارِ
مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ	فَلَيَأْتِ نِسْوَتَنَا بَوَجْهِ نَهَارٍ ^(١)
يَجِدُ النِّسَاءُ حَوَاسِرًا يَنْدُبْنَهُ	يَضْرِبْنَ أَوَجْهَهُنَّ بِالْأَسْحَارِ
قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا	فَالْيَوْمَ حِينَ بَدُونَ لِلنُّظَارِ
أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ ^(٢)	تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ إِذْ وَى الْحِجَى	إِلَّا الْمَطِيَّ تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ

(١) قوله * فليأت نسوتنا بوجه نهاري * قال المرزوقي إني لا تعجب من أبي تمام مع تكلفه رم جوانب ما اختاره من الأبيات كيف ترك قوله فليأت نسوتنا وهي لفظة شائعة جداً وأصلحه المرزوقي بقوله وليأت ساحتنا قال التنتازاني وأنا أتعجب من جار الله كيف لم يورده على هذا الوجه وحافظ على لفظ الشاعر دراية مع زعمه ان القراء يقرؤن القرآن برأبهم وأنا أتعجب من انشاد صاحب المعنى هذا البيت يعنى قول الربيع بن ضبيع

ودعنا قبل أن نودعه لما قضى من جماعنا وطرا

أورده هنا مع انه أشنع من بيت الحماسة وأخفش ولقد كان في غنية بما أورده من الكتاب والسنة

(٢) — هكذا رواية البيت وفيه إقواء كما حكاه ابن قتيبة في الشعر والشعراء وأورده شاهداً .. وقال ولو كان ابن زهيرة لاستوى البيت

وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً يَقْذِفْنَ بِالْمُهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ
وَمَسَاعِرًا صَدَأَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلِيَّ الْوُجُوهُ بَقَارِ

فأما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي أبي قيس فاختلف الرواة في سببه فيقال إن هوازن بن منصور كانت توتق الأثوة زهير بن جذيمة ثم تنكز عامر بن صعصعة بعد فهم أذل من يد في رحم فأتت عجوز من هوازن إلى زهير بن جذيمة بسمن في نحي فاعتذرت إليه وشكت السنين اللواتي تابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها أي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضبت من ذلك هوازن وحقده إلى ما كان في صدرها من النغيظ وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر ابن صعصعة أي كثرت فآلى جعفر بن كلاب قتال والله لأجمعان ذراعي وراء عنقه حتى أقتل أو يقتل . . وفي ذلك يقول خالد بن جعفر

أَرِيغُونِي إِرَاغَتَكُمْ فَإِنِّي وَحَذْفَةٌ كَالشَّجَى تَحْتَ الْوَرِيدِ

— حذفة — اسم فرس خالد

مُقَرَّبَةٌ أَوْاسِيهَا بِنَفْسِي وَأُنْخِفُهَا رِدَائِي فِي الْجَلِيدِ
لَعَلَّ اللَّهَ يُمَكِّنِي عَلَيْهَا جَهَارًا مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أَسِيدِ
فَأَمَّا تَتَّقِفُونِي فَاقْتُلُونِي فَمَنْ أَتَّقَفْ فَلَيْسَ إِلَيَّ خُلُودِ

. . . ويقول بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جذيمة لما قتل في غني من قتل بابنه شاس وافي عكاظ فلقبه خالد بن جعفر بن كلاب وكان حدثاً فقال يا زهير أما آن لك أن تشتفي وتكف يعني مما قتل بشاس فأغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم أمكن يدي هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جذيمة ثم أعني عليه فقال زهير اللهم أمكن يدي هذه البيضاء الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقال قريش هلكك والله يا زهير قال أنتم والله الذي لا علم لهم ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير فقتله واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر وكانت ثماضر بنت عمرو بن الشريد امرأة زهير بن

جذيمة وأم ولده فربه أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد فقال زهير لبنيه ان هذا الحمار لطليعة عليكم فأوثقوه فقالت أخته لبنيها أيزوركم خالكم فتوثقوه وقالت له انه ليربني أ كينانك وقروبك والا كينان الغم والقروب السكوت فلا يأخذن فيك ما قال زهير فانه رجل بيذارة غيذارة شنوءة ٥٠ قال الأثرم - البيذارة - الكثير الكلام - والغيذارة - السيئ الخلق ثم حلبوا له وطبأ وأخذوا عليه يميناً ألا يجبر عليهم ولا ينذر بهم أحداً فخرج الحارث حتى أتى بني عامر فقدم الى شجرة يجتمع اليها بنو عامر فالتقى الوطب تحتهما والقوم ينظرون ثم قال أيتها الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن فانظري ما طعمه فقال قوم هذا رجل مأخوذ عليه وهو يخبركم خبراً فذاقوا اللبن فوجدوه حلواً لم يقرص بعد فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة وكان راكباً فرسه حذفة فلقوا زهيراً فاعتنق خالد زهيراً وخرا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بني عامر اقتلوني والرجل واستغاث زهير ببنيه فأقبل اليه ورفاه ابن زهير يشتد بسيفه فضرب خالداً ثلاث ضربات فلم تغن شيئاً وكان على خالد درعان قد ظامر بينهما ثم ضرب جندح رأس زهير فقتله في ذلك يقول ورقاء بن زهير

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْمَى كَالْعَجُولِ ابَادِرُ
فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرَبُ خَالِدًا وَيَمْنَعُنِي مِنْهُ الْجَدِيدُ الْمُظَاهِرُ
فَيَا لَيْتَ أَنِّي يَوْمَ ضَرَبَةٍ خَالِدٍ وَيَوْمَ زُهَيْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تُمَاضِرُ

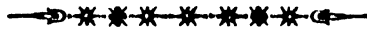
فأما خبر الهباءة فان بني عبس ونى فزارعاً التقوا الى جنب جعفر الهباءة في يوم قاطط فاقتتلوا ولخبرهم شرح طويل معروف استجار حذيفة ومن معه بجعفر الهباءة ليتبرد فيه فهجم عليه القوم فقال حذيفة يا بني عبس فأين العود وأين الأحلام فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق مأثور القول بعد اليوم فأرسلها مثلاً وقتل قرواش بن هني حذيفة ابن بدر وقتل الحارث بن زهير حملاً وأخذ منه ذا النون سيف مالاك بن زهير أخيه وكان حمل بن بدر أخذه من مالاك بن زهير يوم قتل فقال قيس في ذلك

تَعْلَمَنَّ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَفَرِ الْهَبَاءَةِ لَا يَرِيْمُ

ولولا ظلمه ما زلت أبكى عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بذر بنى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فمعوج على ومستقيم

وقال قيس أيضاً

شفيت النفس من حمل بن بذر وسيفي من حذيفة قد شفاني
فإن ألك قد بردت بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني



مجلس آخر ١٥

[تأويل آية] ان سأل سائل عن قوله تعالى (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صمٌّ بكم عمى فهم لا يعقلون) فقال أي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح الناق بالغم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتميز والناق بالغم قد يكون ميمزاً متأملاً محصلاً . يقال له في هذه الآية خمسة أجوبة . أولها أن يكون المعنى مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وسلم وإنذاره فينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لا اشتراكهما في عدم الانتفاع به وجاز أن يقوم قوله تعالى (والذين كفروا) مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب فلان خافك خوف الأسد والمعنى تخوفه من الأسد فأضاف الخوف الى الأسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل قال الشاعر

فلست مسلماً مادمت حياً على زيد بتسليم الأمير

أراد بتسليمي على الأمير ونظار ذلك كثيرة • والجواب اثنائي أن يكون المعنى ومثل
الذين كفروا أكمل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فأضاف الله تعالى المثل الثاني الى الناعق
وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعري وانتصب
العود على الحرباء والمعنى فانتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتأخير لوضوح
المعنى • • وأنشد الفراء

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمٌ مَفْخَرُهُ تَجَلَّى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَهَّرُهُ

معناه تجلى بالعين فقدم وأخر • • وأنشد الفراء

كَانَتْ فَرِيضَةٌ مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّيْنَاءُ فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا • • وأنشد أيضاً

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلِ

أراد ما تزيد مخافة وعلى مخافتي ومثله

كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ

أراد كأن لون سمائه أرضه ومثله

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسَهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ^(١)

أراد مدخل رأسه الظل • • وقال الراعي

(١) قال سيبويه فوجه الكلام في هذا انه على سعة الكلام قل كراهية الانفصال
واذا لم يكن في الجرح هذا الكلام المناسب مبدوء به • • قال الشنتمري الشاهد فيه اضافة
مدخل الى الظل ونصب الرأس به على الاتساع واللقاب وكان الوجه أن يقول مدخل
رأسه الظل لأن الرأس هو الداخل في الظل والظل المدخل فيه ولذلك سماه سيبويه
الناصب في تفسير البيت فقال الوجه أن يكون الناصب مبدوء به • • والمعنى وصف هاجرة
قد ألبأت النيران الى كنسها فترى الثور مدخل رأسه في ظل كناسه لما يجد من شدة
الحر وسائره بارز للشمس

فَصَبَّحَتْهُ كَلَامَ الْغَوْثِ يُوسِدُهَا يَسْتَوْضِحُونَ يَرَوْنَ الْعَيْنَ كَالْأَثَرِ

يريد أنهم يرون الأثر كالعين .. وقال أبو النجم
قَبْلَ دُنُوِّ الْأَفْقِ مِنْ جُوزَائِهِ

فَقَاب .. وقال العباس بن مرداس

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَلَا آلُوهُ إِلَّا مَا يُطِيقُ

أراد فديت بنفسي نفسه .. وقال ابن مقبل

وَلَا تَهَيَّبْنِي الْمَوْمَاةُ أَرْكَبُهَا إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَصْدَاءُ بِالسَّحَرِ

أراد لا أتهيب المومة وهذا كثير جداً . والجواب الثالث أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا أو مثلهم ومثلك يا محمد كمثل الذي ينطق أي مثلهم في الإعراض ومثلك في الدعاء والتنبية والارشاد كمثل الناقع بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء بالأول .. ومثله قوله تعالى (جعل لكم سرايل تقيكم الحر) أراد الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد .. وقال أبو ذؤيب

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لَأَمْرُهَا مُطِيعٌ فَمَا أَذْرِي أَرْشُدُهُ طَلَابُهَا

أراد أُرشدته أم غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر . والجواب الرابع أن يكون المراد ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام التي يعبدونها من دون الله وهي لا تعقل ولا تفهم ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينطق دعاء ونداء بما لا يسمع صوته جملة والدعاء والنداء ينتصبان على هذا الجواب بينق وإلا توكيد للكلام ومعناها الالتقاء . قل الفرزدق
هُمْ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سِيُوفَهُمْ وَضَحَّوْا بِالْحَجَمِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحَرِّمِ

والمعنى هم القوم حيث سلوا سيوفهم . والجواب الخامس أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا في دعائهم للأصنام وعبادتهم لها واستزاقهم إياها كمثل الداعي الذي ينطق بالغنم ويناديهما فهي تسمع دعاء ونداء ولا تفهم معنى كلامه فشبهه من يدعو الكفار من المعبودات دون الله بالغنم من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا نفع عندها فيه ولا

مضرة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وان كانت بينهما مزية ظاهرة لأن الأول يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ويجب أن يكون مصروفاً الى غير الغنم وما أشبهها مما يسمع وان لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء وان لم يفهمهما والأصنام من حيث كانت لا تسمع الدعاء جملة يجب أن يكون داعيها ومناديتها أسوء حالاً من منادي الغنم ويصح أن يصرف الى الغنم وما أشبهها مما يشارك في السماع ويخالف في الفهم والتمييز . . وقد اختلف الناس في ينق فقال أكثرهم لا يقال نعق ينق إلا في الصباح بالغنم وحدها . وقال بعضهم نعق ينق بالغنم والابل والبقر والأول أظهر في كلام العرب . . قال الأخطل يهجو جريراً

فَأَنعَقَ بِضَا نِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَتْنِكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا

ويقال أيضاً نعق الغراب ونفق بالغين المعجمة ^(١) اذا صاح من غير أن يمد عنقه ويحركها فاذا مدها وحركها ثم صاح قيل نعب ويقال أيضاً نعب الفرس ينعب وينعب نعياً ونعياً ونعباناً وهو صوته ويقال فرسٌ منعبٌ أى جواد وناقة نعابة اذا كانت سريعة [تأويل خبر] رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى طَعَامٍ دَعَا لَهُ فَإِذَا بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ صَبِيٌّ يَلْعَبُ مَعَ صَبِيَّةٍ فِي السَّكَةِ فَاسْتَنْتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَامَ الْقَوْمِ فَطَفِقَ الصَّبِيُّ يَفْرُ مَرَّةً هَهُنَا وَمَرَّةً هَهُنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضَاحُكَ فَجَعَلَ أَحَدُ يَدَيْهِ تَحْتَ ذِقْنِهِ وَالْأُخْرَى تَحْتَ فَاسِ رَأْسِهِ وَأَقْنَعَهُ فَقَبَلَهُ وَقَالَ أَنَا مِنْ حُسَيْنٍ وَحُسَيْنٌ مَتَّى أَحَبَّ اللَّهُ مِنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ . . ومعنى - استنتل - تقدم يقال استنتل الرجل استنتلاً وأبرنأ أبرنأً وأبرنذع

(١) قوله نعق الغراب ونفق بالغين المعجمة يعنى ان نعق ونفق بالمهملة والمعجمة سواء وعلى هذا بعض أهل اللغة . . قال الزمخشري والغين أعلى . . وقال الأزهري نعيق الغراب ونعاقه ونغيقه ونعاقه مثل نهيق الحمار ونهاقه ولكن النقاة من الأئمة يقولون كلام العرب نعق الغراب بالغين المعجمة ونعق الراعى بالشاة بالغين المهملة ولا يقال في الغراب نعق ويجوز نعب وهذا هو الصحيح

ابرنذاعاً اذا تقدم هكذا ذكره ابن الانباري . . ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكى في كتاب له قال يقول استنلت الأمر استنلتا اذا استعددت له واستنلت الرجل تفرد من القوم ويقال استنلت أشرف والمعاني متقاربة والخبر يابق بكل واحد منها . . وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه أبرنثاً وأبرنذع أيضاً انه من الاستعداد فاما السكة - فهي المنازل المصطفة والنخل المصطف ومعنى - طفق - ما زال . . قال الشاعر

طَفِقَتْ تَبْكِي واسِعِدْهَا وَكَلَّانَا ظَاهِرُ الْكَمَدِ

وفاس الرأس طرف القمح دوة المشرف على القفا ومعنى - أقنعه - رفعه هكذا ذكر ابن الانباري . . وقال غيره يقال أقنع ظهره أقنعا اذا طاطاه ثم رفعه برفق فأما - الاسباط - فأصلها في ولد اسحاق عليه السلام كالبمايل في بني اسماعيل . . وقال ابن الانباري هم الصبية والصبوة بالياء والواو معاً . . حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد الحكيمى قراءة عليه قال أُملى علينا أبو العباس أحمد ابن يحيى نعلب قال أخبرنا ابن الاعرابى انه قيل لابنة الخُسّ ما مائة من المعز قالت مؤبّل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل لها فما مائة من الضأن قالت قرية لاحمى بها قيل فما مائة من الابل قالت نخ جمال ومال ومنى الرجال قيل لها فما مائة من الخيل قالت طني عند من كانت ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزى المجلس لابن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط غيرها أدلى وان أرسل ولى . . وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابى قال قيل لابنة الخُسّ والخص والخسف كل ذلك يقال ما أحسن شئ قالت غادية في أثر سارية في نفخاء قاوية قال - بنحاء - أرض مرتفعة لأن النبات في موضع مشرف أحسن وقالوا أيضاً نفخاء أى رابية ليس بها رمل ولا حجارة قل والجمع النفاخى ونبت الرابية أحسن من نبت الأودية لان السيل يصرع الشجرة فيذفه في الأودية ثم ياتى عليه الدّم [قال المرتضى] رضى الله عنه ومما يدل ان نبت الرابية أحسن قول الأعشى

ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشَبَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطْلٌ^(١)
 .. وقال كثير

فما رَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةٌ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَا جَثَجَاثُهَا وَعَرَارُهَا^(٢)

(١) قوله ما روضة الخ بعده

يضاحك الشمس منها كوكب شرق معذر بعجم النبت مكتهل
 يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل
 وهي قصيدة مشهورة وأوردنا هذين البيتين لارتباطهما بالبيت قوله - الحزن - بالفتح
 وزاي اسم موضع وهو في الأصل ضد السهل - ومسبل - سائل - وهطل - متتابع
 - ويضاحك - يميل معها حيث مات - وكوكب - معظم الزهر وكوكب كل شيء معظمه
 - وشرق - ريان - وعجم - طويل - ومكتهل - ظاهر النور - والأصل - جمع أصيل
 وهو العشي

(٢) قوله فما روضة الخ بعده وهو جواب ما

بأطيب من أردان عزة موهناً إذا أوقدت بالممدل الرطب نارها
 حكى أنه دخل كثير على سكينه بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت له اخبرني يان أبي
 جمعة عن قولك في عزة وأنشدته البيتين ثم قالت له وهل على الأرض زنجية منتنة
 الابطين توقد بالممدل الرطب نارها إلا طاب ريحها ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس
 ألم ترياني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

وروى من غير هذا الوجه انه خرج يوماً من عند عبد الملك فاعترضته عجوز معها نار
 في روة فقالت من أنت قال صاحب عزة فقالت أنت القائل فما روضة الى آخر البيتين
 قال نعم قالت ويحك اذا أوقد بالممدل الرطب على هذه الروثة وبخرت به أملك العجوز
 الشعثاء كانت كذلك فهلا قلت كما قال امرؤ القيس ألم ترياني الى آخر البيت فناولها
 مطرف خز كان معه وقال استري على ذلك وهذه الحكاية نقلها شمس الدين ابن خلكان
 في تاريخه ثم قال ان بعض مشايخ الأدب قال ليس على كثير شيء فان قوله

نخصاً الحزن للمعنى الذى ذكرنا .. وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال العرب تقول جاءنا بطعام لا ينادى وليده .. اذا جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة ووقع فى أمر لا ينادى وليده يقول لا ندعى اليه الصبيان ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه .. [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وفى ذلك قولان آخران أحدهما عن الأصمى قال أصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلاً لكل شدة ولكل أمر عظيم والقول الآخر عن الكلابي قال أصله من الكثرة والسعة فاذا أهوى الوليد الى شئ لم يزجر عنه حذر الافساد لسعة ما هم فيه ثم صار مثلاً لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعان به فى كل موضع يراد به الغاية وأنشد

لقد شرعت كفاً يزيد بن مزيد شرائع جود لا ينادى وليدها

.. وبالاسناد الذى تقدم عن ابن الاعرابي قال دخل ودقة الأسد على معن بن زائدة الشيباني فقال إن رأيت أكرمك الله أن نضعى من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجلك فانك قد بلغت حالا لو أعتقني الله فيها بكرمك من نصف الرجال بعدك لم يكن كثيراً وإني قد قدمت الرجاء وأحسن اثناء ولزمت الحفاظ ثم أنشأ يقول

يا معن إنك لم تنعم على أحد فشاب نعمالك تنقيص ولا كدر
فأنظر إلي بطرف غير ذي مرض فربما صبح لي من طرفك النظر
أيام وجهك لي طاق بخبرني إذا سكت بما تخفى ويضمّر
ومن هوائك شفيع لي بغفلي وإن نأيت وإن قلت بي الذكر
قد كنت أثرت عندي مرة أثراً فقد تقارب عفو ذلك الأثر
فاجبر بفضلك عظماً كنت تجبره وأجمع بفضلك ما قد كاد ينتشر

• اذا أوقدت بالمثل الرطب نارها • نعت لاروضة المذكورة انتهى وهذا جيد لو لم يطلب كثير من المعجوز السرفاته صرفاً بذلك انه ما أراد إلا المعنى المعترض فيكون هذا تصحيحاً لا بيان قصده

مَا نَارَعَ الْعُسْرُ فِي الْيُسْرِ مُذْ عَلِقَتْ كَفَى بِجَبَلِكَ إِلَّا ظُفْرَ الْيُسْرِ
وَقَدْ خَشِيتُ وَهَذَا الدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ بَأَنَّ يُدَالِ لَطُولَ الْجَفْوَةِ الْعُسْرُ
وَإِنْ مَا كَانَ مِنْ عُسْرٍ وَمَيْسَرَةٍ فَإِنَّ حَظَّكَ فِيهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ

فقال معن أو ما كنا اعطيناك شيئاً قال لا قول أما الذهب والفضة فليسنا عندنا ولكن هات تختاً من ثيابي يا غلام فدفعه اليه وقد كان نَحْمَلُ اليه بَابَنَ عِيَّاشٍ وَحَبِيبَ بْنَ بَدِيلٍ فَأَعْطَاهُمَا مَعَهُ تَخْنِينَ وَقَالَ غَرَمْتُ يَا وَدُقَةَ تَخْتِي ثِيَابَ ۰۰ [قال المرتضى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ جَوَاداً شَجَاعاً شَاعِراً وَيَكْفِي أَبُو الْوَلِيدِ وَهُوَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ زَائِدَةَ بْنِ مَطَرٍ بْنِ شَرِيكَ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَطَرٍ وَهُوَ أَخُو الْحَوْفَزَانِ بْنِ شَرِيكَ وَكَانَ مَعْنُ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ هَبِيرَةَ فَلَمَّا قَتَلَ رِثَاءَ مَعْنُ فَقَالَ

أَلَا إِنْ عَمِينَا لَمْ تَجْزُ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بَجَارِي دَمِهَا لَجَمُودُ
عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشُقِّقَتْ جُيُوبٌ بِأَيْدِي مَا تَمَّ وَخُدُودُ
فَإِنْ تُمْسِ مَهْجُورَ الْجَنَابِ فَطَالَمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَوُفُودُ
فَإِنَّكَ لَمْ تَعُدْ عَلَى مُتَمَهِّدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدُ

أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الرَّزْبَازِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي يَوْسُفُ بْنُ بَحْيٍ الْمَنْجَمُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ مَهْرُوبٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدِ بْنِ الْحَكَمِ بْنُ مُوسَى قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ مِنْ أَصْحَابِ بَزِيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَبِيرَةَ وَكَانَ مُسْتَتِراً حَتَّى كَانَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَةِ فَانْهَضَ وَهُوَ مَعْتَمٌ مَتَانٌ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْقَوْمِ وَقَدْ وَثَبُوا عَلَى الْمَنْصُورِ تَقَدَّمَ وَأَخَذَ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ ثُمَّ جَعَلَ يَضْرِبُهُمْ بِالسِّيفِ قَدَامَهُ فَلَمَّا أَفْرَجُوا لَهُ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ قَالَ لَهُ مَنْ أَنْتَ وَيَحْكَ قَالَ أَنَا طَلَبْتُكَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ فَلَمَّا انْصَرَفَ الْمَنْصُورُ حَبَاءً وَكِسَاءً وَرَتَبَهُ ثُمَّ قَلَبَهُ الْيَمِينَ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ مِنَ الْيَمِينِ قَالَ لَهُ هِبْهُ يَا مَعْنُ تَعْطِي مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى أَنْ قَالَ لَكَ

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرَفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ

إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْفَعَالِ فَإِنَّمَا يَوْمُهُ يَوْمٌ نَدَى وَيَوْمٌ طِعَانٍ

فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكن أعطيته على قوله

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَّةِ مَعْلَنًا بِالسَّيْفِ دُونَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ

فَمَنْعْتَ حَوَازَتَهُ وَكُنْتَ وَفَاءَهُ مِنْ وَقَعَ كُلِّ مُهَنْدٍ وَسِنَانٍ

فقال له أحسنت يا معن . . . وفي خبر آخر انه دخل على المنصور فقال له ويحك ما أظن ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلا حقاً قال وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال باغى أنك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألفي دينار وهذا من السرف الذي لا شيء مثله فقال يا أمير المؤمنين إنما أعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي وفضلات رزقي وكففته عن عرضي وقضيت الواجب من حقه على وقصده الي وملازمته لي قل لجمل أبو جعفر ينكت بفضيب في يده الأرض ولم يعاود انقول . . . وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن أبي سعد الورق عن خالد بن يزيد بن وهب ابن جرير عن عبد الله بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان وكان من ولاية الرشيد قال حدثني معن بن زائدة قال كنا في الصحابة سبعمائة رجل فكنا ندخل على المنصور في كل يوم فقت للربيع اجمعاني من آخر من يدخل عليه فة لي لست بأشرفهم فتكون من أولهم ولا بأخسهم نسباً فتكون من آخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال فدخلت على المنصور ذات يوم وعلى دراعة فضفاضة وسيف حنفي أفرع بنعله الأرض وعمامة قد أسدلها من قدامي وخافي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت عند الستر صاح بي يامعن صبيحة أنكرتها فلييته فقال ادن الي فدنوت منه فاذا به قد نزل عن فراشه الى الأرض وجنى على ركبتيه واستل عموداً من بين فراشين واستحال لونه وبدت أوداجه وقال إنك لصاحب يوم واسط لانجوت ان نجوت مني قال قلت يا أمير المؤمنين تلك نصرني لباطلهم فكيف نصرني لحقك قال فقال لي كيف قلت فأعدت عليه القول فما زال يستعبدني حتى رد العمود الي مستقره واستوى متربعا واسفر لونه وقال يامعن ان باليمن هفأة فقات يا أمير المؤمنين لبس لمكتوم رأي وهو أول من أرسلها مثلاً فقال

أنت صاحبي فاجلس قال جلست وأمر الربيع كل من كان في الدار فخرج وخرج الربيع
فقال إن صاحب اليمن قدمهم بالمعصية وإني أريد أن أخذه أسيراً ولا يفوتني شيء من ماله
قلت ولأي اليمن وأظهر إنك قد ضمنتني إليه وأمر الربيع أن يربح عتقي في كل ما احتاج
إليه ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر قل فاستل عهداً من بين فراشين فوق
فيه اسمي وناولنيه ثم دعا الربيع فقال يا ربيع إنا ضممنا هذا إلى صاحب اليمن فأزح
عتقه فيما يحتاج إليه من السلاح والكرع ولا يس إلا وهو راحل قل ثم ودعني
فودعته وخرجت إلى الدهليز فلتفتني أبو الوالي فقال يا معن أعزز علي أن أضم إلى
ابن أخيك قال فقلت له أن لا غضاضة على الرجل يضمه سلطانة إلى ابن أخيه وخرجت
إلى اليمن فأنبت الرجل فأخذته أسيراً وقرأت عليه العهد وقعدت في مجلسه . . . روى
عمر بن شبة قال اجتمع معن بن زائدة مع ابن أبي عاصية وابن أبي حنيفة والضمري
فقال لينشدني كل واحد منكم أمدح بيت قله في فأنشده ابن أبي حنيفة

مَسَحَتْ رَيْبَةً وَجَهَ مَعْنٍ سَابِقاً لَمَّا جَرَى وَجَرَى ذَوُّهُ وَالْأَحْسَابِ

فقال له معن الجواد يعثر فيمسيح وجهه من الغبار والعنار وغيرهما . . . وأنشده الضمري
أَنْتَ أَمْرُؤُ شَأْنُكَ الْمَعَالِي وَذِكْرُ مَعْرُوفِكَ الرَّبِيعُ

ويروى ودون معروفك الربيع

بِشَأْنِكَ الْحَمْدُ تَشْتَرِيهِ يُشِيعُهُ عَنْكَ مَا يُشِيعُ

فقال له ما أحسن ما قلت إلا إنك لم تستمعي ولم تذكرني فمن شاء انتحلها . . . فأنشده ابن
أبي عاصية شعراً

إِنْ زَالَ مَعْنُ بَنِي شَرِيكَ لَمْ يَزَلْ لِنَدَى إِلَى بَلَدٍ بَغِيرِ مُسَافِرِ

ففضله عليهم . . . وروى أنه أتى معن بن زائدة بثلاثمائة أسير فأمر بضرب أعناقهم فقال له
شاب منهم يا أخا شيبان نناشدك الله أن تقتلنا عطاشاً قال استقوهم ماء فلما شربوا قالوا
يا أخا شيبان نناشدك الله أن تقتل أضيافك فقال اطلقوهم . . . وذكر أحمد بن كاهل
أن الخوارج قتل معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة . . . وروى

أن عبد الله بن طاهر كان يوماً عند المأمون فقال له يا أبا العباس من أشعر من قال في خلافة بني هاشم قال أمير المؤمنين أعرف بهذا مني قال قل على كل حال قال عبد الله أشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة

أيا قبرَ معنٍ كنتَ أوَّلَ حفرةٍ من الأرضِ خُطَّتْ لِلسَّحَابَةِ مَضْجَعُهَا
أيا قبرَ معنٍ كيفَ وارتَ جودُهُ وقد كانَ منه البرُّ والبحرُ مَترَعَا
بلى قد وسمتَ الجودَ والجودَ مَيَّتٌ ولو كانَ حياً ضُقتَ حتَّى تصدَّعَا

والأبيات للحسين بن مطير الأسدي وهي تزيد على هذا المقدار وأولها

أليما علي معنٍ فقولاً لقبرِهِ سقتك الفوادي ربنا ثم مرربعا

.. ومنها

فتي عيشٍ في معروفِهِ بعدَ موتهِ كما كانَ بعدَ السَّيلِ مجراهُ مرربعا
فلما مضى معنٌ مضى الجودُ وأتقضى واصبحَ عزنينُ المكارمِ أجدعا

— مجلس آخر ١٦ —

[تأويل آية] ان سأل سائل فقال ما الوجه في قوله تعالى (إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) وفي موضع آخر (وقتلهم الأنبياء بغير حق) وظاهر هذا القول يقتضي ان قتلهم قد يكون بحق .. وقوله تعالى (ومن بدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) .. وقوله (ان الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) .. وقوله (ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) .. وقوله (لا يسألون الناس إلحافاً) . والسؤال عن هذه الآيات كلها من وجه واحد وهو الذي تقدم . الجواب اعلم أن للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهباً مشهوراً عنده من تصفح كلامهم وفهم عنهم مرادهم بذلك المبالغة في النفي وتنا كيدهم .. فن ذلك

قولهم فلان لا يرجي خبره ليس يريدون أن فيه خيراً لا يرجي وإنما غرضهم أنه لا خير عنده على وجه من الوجوه . . . ومثله قلما رأيت مثل هذا الرجل وإنما يريدون أن مثله لم يرق قليلاً ولا كثيراً . . . وقال امرؤ القيس

عَلِي لَا حَبِّ لَا يَهْتَدِي بِنَارِهِ إِذَا سَافَ الْعَوْدُ الدِّيَافِي ^(١) جَرْجَرًا

يصف طريقاً . . . وأراد بقوله لا يهتدى بناره أنه لا منار له فيهتدى به - والعود - المسن من الابل - والديافي - منسوب إلى دياف وهي قرية بالشام معروفة - وسافه - شمه وعرفه . . . والجرجرة - مثل الهدير . . . وإنما أراد أن العود إذا شمه عرفه فاستبده . . . وذكر ما يلعنته فيه من المشقة فجرجر لذلك . . . وقال ابن أحرر

لَا يَفْزِعُ الْأَرْبَ أَهْوَالًا وَلَا تَرَى الضَّبَّ بِهَا يُجْحَرُ

أراد ليست بها أهوال فيزع الأرب . . . وقال النابغة

يَحْفُهُ جَانِبَا نَيْقٍ وَتُتْبِعُهُ مِثْلَ الرُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمْدِ

أراد ليس بها رمد فتكثرت له . . . وقال امرؤ القيس أيضاً

وَصِمُّ حَوَامٍ مَا يَقِينُ مِنَ الْوَجَى كَأَنَّ مَكَانَ الرَّذْفِ مِنْهُ عَلَى رَالٍ

يصف حوافر فرسه . . . وقوله - ما يقين من الوجي - يريد الحفا ويقين أي يتوقن يقال

وقى الفرس ناب المشي فأراد أنه لا وجي بحوافره فيتهين الأرض من أجله - والرال -

فرخ النعام وشبه إشراف عجزه بعجز الرال . . . وقال الآخر

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شَرَسُوفِهِ الصَّفَرُ ^(٢)

(١) - قوله الديافي . . . الرواية المشهورة النباطي

(٢) - قوله لا يغمز الساق من أين النخ شطر هذا البيت الأول محذوف المعجز وعجزه

محذوف الصدر والرواية الصحيحة

لا يتأري لما في القدر يرقبه ولا يعص على شرسوفه الصفر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ولا يزال أمام القوم يقتفر

أراد ليس بساقيه أين ولا وصب فيغمرهما من أجلهما . . . وقال سويد بن أبي كاهل
 مِنْ أَنَاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوهُ الْجَزَعِ
 لم يرد إن في أخلاقهم فحشاً عاجلاً ولا آجلاً ولا جزعاً غير سيئ وإنما أراد نفي الفحش
 والجزع عن أخلاقهم . . . ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع إلى الخنا وهم يريدون أنه
 لا يقرب الخنا لأنني الأسراع حسب . . . وقال الفرزدق وهو يهجو جعفر بن كلاب
 ويعيرهم بقتل منهم أصيبراً في حروبهم فحلت النساء هؤلاء القتل حتى أتيت بهم الحي
 ولم تأت غير أهلها كالتى أتت به جعفر يوماً الهضيبيات غيرها
 أتهمهم يعير لم تكن هجربة ولا حنطة الشام المازيت خميرها

قوله - لا يتأرى - أى لا يجس . يتلبث يقال تأرى بالمكان إذا قم فيه أى لا يلبث لأدراك
 طعام القدر وجملة يرقبه حال من المستتر في يتأرى يدرجه بأن همته ليست في الطعام
 والمشرب وإنما همته في طلب المعالي وليس يرقب نضج ما في القدر إذا هم بأمر له شرف
 بل يتركه أو يمتني - والشر - وف - طرف الضاع - والدفر - دويبة مثل الحية تكون في البطن
 تعترى من به شدة الجوع . . . قل في النهاية في حديث لا عدوى ولا هامة ولا صفر إن
 العرب كانت تزعم أن في البطن حية يقال لها الصفر تسبب الإنسان إذا جاع وتؤذيه
 فأبطل الإسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النبي الذي كانوا يفعلونه
 في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله انتهى
 . . . ولم يرد الشاعر أن في جوفه صفراً لا يعرض على شراءه وإنما أراد أنه لا صفر في
 جوفه فيعرض بصفه بشدة الخلق وصحة البنية . . . وقوله - لا يغمز الساق - لا يحنىها يصف
 جلاله وتحمله لأمشاق - والأين - الأعياء - والوصب - الوجع - والافتقار - بتقديم القاف
 على الماء اتباع الآثار . . . وفي الصحاح وقفرت آثاره أقفره بالضم أى قفوته واقتفرت
 مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للجهول
 ومعناه أنه يفوت الناس فينبع ولا يباحق

يعنى أن العير انما تحمل النمر والطعام الى الحى فحملت عير هؤلاء القنلى وقوله - لم تكن هجربة - أى لم تحمل النمر وذلك لكثرة النمر بهجر نمر قال ولا حنطة الشام المزيث خيبرها ولم يرد ان هناك حنطة ليس فى خيبرها زيت لكنه أراد انها لم تحمل تمرأ ولا حنطة ثم وصف الحنطة بما يجمل فى خيبرها من الزيت وعلى هذا تأويل الآيات التى وقع السؤال عنها لانه تعالى لما قال (ويقتلون النبیین بغير حق) دل على أن قناتهم لا يكون إلا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون عايه من الصفة وهى وقوعه على خلاف الحق وكذلك (من بدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) وقوله تعالى (الذى رفع السموات بغير عمد ترونها) وجهه أيضاً انه لو كان هناك عمداً لرأيتوه فاذا نفى رؤية العمد نفى وجود العمد كما قال لاهندى لما ره أى لا منار له من حيث علم انه لو كان له منار لاهندى به فصار نفى الاهتداء بالنار نفياً لوجود المنار . . . وقوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به) تغايظ وتأكيد فى تحذيرهم الكفر وهو أبان من أن يقول ولا تكفروا به ويجرى مجرى قولهم فلان لا يسرع الى الخنا وقلما رأيت مثله اذا أرادوا به تأكيد نفى الخنا ونفى رؤية مثل المذكور وكذلك قوله تعالى (لا يسألون الناس إلحافاً) أى لا مسألة تقع منهم ومثل الأول (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) والفائدة ان كل منى لها لا يكون إلا قليلاً فصار نفى الثمن القليل نفياً لكل ثم وهذا واضح بحمد الله ومنه

—♦♦♦—

﴿ باب ذكر شئ من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم ﴾

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن وعلة بن جلد بن مالك بن أدد المذحجي ومذحج ميم أم مالك بن أدد نسب ولد مالك اليها وانما سميت مذحج لانها ولدت على أكمة تسمى مذحجاً واسمها مدلة بنت ذي هيمجشان . . قال أبو حاتم السجستاني جمع الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد أتى على ستون ومائة سنة ماصاغت بيميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي مومسة قناعها ولا بحث لصديقي بسر وإني اهل دين شعيب النبي عايه السلام وما

عليه أحد من العرب غيري وغير أحمد بن خزيمه ونعيم بن مرة فاحفظوا وصيقي وموتوا
على شريقتي . . إلهكم فاتقوه بكفيتكم المهم من أموركم ويصلح لكم أعمالكم وإياكم ومعصيته
لا يحل بكم الدمار ويوحش منكم الديار . . يا بني كونوا جميعاً ولا تفرقوا فتكونوا شيعاً
وان موتنا في عزٍّ خير من حياة في ذلٍّ وعجزٍ وكلا هو كائن كائن وكلهم جميع الى تبائن
. . الدهر ضربان فضرب رخاء وضرب بلاء واليوم يومان فيوم حبره ويوم عبره والناس
رجلان فرجل معك ورجل عليك . . وزوجوا الا كفء وليستعلمان في طيهن الماء
وتجنبوا الحقاء فان ولدها الى أفنٍ يكون . . ألا انه لاراحة لقاطع القرابة واذا اختلف
القوم أمكنوا عدوهم وآفة العدا اختلاف الكلمة التفضيل بالحسنة بقي السيئة والمكافأة
بالسيئة الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعماء وقطيعه الرحم توثأ لهم وانتهاك الحرمه
يزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب السكد ويمحق العدد ويخرب البلد والنصيحة تخرج
النصيحة والحقد يمنع الرفد ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرقة يقطع أسباب النعمة
والضمان تدعوا الى التباين ثم أنشأ يقول

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ	وَأَفْنَيْتُ مِنْ بَعْدِ دَهْرِي دُهُورًا
ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ صَاحِبَتُهُمْ	فَبَادُوا وَأَصْبَحَتْ شَيْخًا كَبِيرًا
قَلِيلَ الطَّعَامِ عَسِيرَ الْقِيَامِ	فَدَرَكَ الدَّهْرُ خَطْوِي قَصِيرًا
أَيَّتُ أُرَاعِي نُجُومَ السَّمَاءِ	أَقَلَّبُ أَمْرِي بِطُونًا ظُهُورًا

قوله -ولا صبوت بابنة عم ولا كنة- الصبوة هي رقة القلب والكنة امرأة أخ الرجل
وامرأة ابن أخيه -وأما المومسة- فهي الفاجرة البغي وأراد بقوله انها لم تطرح عنده قناعها
أي لم تبتذل عنده وتنسبط كما تفعل مع من يريد الفجور بها وقوله -فيوم حبره ويوم عبره-
فالخبرة الفرح والسرور والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا تكون إلا من أمر
محزن مؤلم -وأما الأفن- فهو الحق قال رجل أفين اذا كان أحق ومن أمثالهم وجد ان

الرقين ^(١) ينطلي على أفن الأفين أي وجدان المال ينطلي حتى الأحق وواحد الرقين رقة وهي الفضة . وأما قوله - انه صبيحة تجر الفضيحة - فيشبه أن يكون معناه ان النصيح اذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصني الى موعظته فقد افتضح عنده لانه أفضى اليه بسره وباح بمكنون صدره - فأما سوء الرقة - فانه يقال فلان حسن الرقة والتورع أي حسن الطريقة

ومن المعمرين المشهورين المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وانما سمي المستوغر ببيت قاله وهو يَنْشِ الْمَاءَ فِي الرَّبَلَاتِ مِنْهَا نَشِيشَ الرَّضْفِ فِي اللَّبَنِ الْوَغِيرِ

- الربلات - واحدها ربله بفتح و ربله بتسكينها وهي كل لحمه غليظة هكذا ذكره ابن دريد - والرضف - الحجارة المحماة . وفي الحديث كأنه على الرضف - والابن الوغير - لبن يلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب أخذ من وغيره الظهيرة وهي أشد ما يكون من الحر ومنه وغر

(١) قوله وجد ان الرقين الى قوله رقة هذا غير كاف في إيضاحه وأصل رقة ورق تحذف الفاء وعوض عنها هاء التأنيث وجمعت جمع المذكر السالم على طريق الحمل لأن جمع السلامة خاص بالعقلاء وحمل عليه أربعة أنواع . أحدها أسماء جموع لم تستوفى الشروط وهي أولو وعالمون وعشرون وبابه الى التسعين . والنوع الثاني جموع تكسير وهي بنون وآخرون وأرضون وسنون وبابه وهو كل اسم ثلاثي حذفت لامة وعوض عنها هاء التأنيث ولم يكسر ومن هذا النوع رقة ورقين أصله ورق كما قدمنا آنفاً ثم حذفت لامة وعوض عنها هاء التأنيث ولكل منطوق من هذه الشروط مفهوم يخرج فلا يجمع هذا الجمع والنوعان الآخران المالحقان وهما جموع شروط لم تستوف الشروط كأهلون ووابلون وما سمي به من الجمع السالم نحو الزيدون علماً وكذلك ما ألحق به كعليون . وقوله الأفين هو فعيل بمعنى مفعول أي مأفون والأفن بالتحريك ضعف الرأي وقد أفن الرجل وأفنه الله يافنه أفناً وأصله النقص يقال أفن الفصيل ما في ضرع أمه اذا أفنّه

صدر فلان بوغر وغراً اذا التهب من غيظ أو حقد .. وقول أصحاب الأنساب طاش
المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين وأدرك الاسلام أو كاد يدرك أوله .. وقول ابن سلام كان
المستوغر قديماً وبقي بهاء طويلاً حتى قول

واقظ ستمت من الحياة وطواها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة أتت من بعدها مائتان لي وأزدت من عدد الشهور سنينا
هل قد بقي إلا كما قد فاتنا يوم يكر واية تحذونا

وهو القائل

إذا ما المرء ضم فلم يكلم وأودى سمعه إلا ندايا
ولاعب بالعشي بني بنيه كفعل الهر يحترش العظايا
يلاعبهم وودوا لو سقوه من الذيفان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شراباً ولا يسقي من المرض الشفايا

أراد بقوله - فلم يكلم - أي لم يسمع ما يكلم به فاخصر ويجوز أن يريد أنه لم يكلم الناس من
السماع وأعرض عن خطابه لذلك .. وقوله - وأودى سمعه إلا ندايا - أراد أن سمعه
هلك إلا أنه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به .. وقوله - ولاعب بالعشي بني بنيه -
لأنه بالغة في وصفه بالهرم والخرف وأنه قد نشأها إلى ملاعبة الصبيان وأنهم به يشبه
أن يكون خص العشي بذلك لأنه وقت رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها
.. وقوله - يحترش العظايا - أي يصيدها ولاحتراش أن يقصد الرجل إلى جحر الضب فيضربه
بكفه ليحبسه الضب أفني فيخرج إليه فيأخذه يقال حرشت الضب واحترشته ومن
أمناهم هذا أجل من الحرش يضرب عند الأمر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان
الضب .. قال ابن دريد قل الضب لابنه اتق الحرش قل وما الحرش قل اذا سمعت
حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوماً وقع الحفار فقل يا أبت هذا الحرش فقال
هذا أجل من الحرش فجعل مثلاً للرجل اذا سمع الشئ الذي هو أشد مما كان يتوقعه

— والذيفان — السم — والمظليا — جمع عظاية وهي دويبة ^(١) صغيرة

وأحد المعمرين دويد بن زيد بن نهد بن لبت بن أسود بن أسلم بن الخفاف بن قضاة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير .. قال أبو حاتم عاش دويد بن زيد أربعاً وستة وخمسين سنة .. قال ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قل ولا يعد العرب معمرأ إلا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعداً قل لبنيه أوصيكم بالباس شراً لا زحموا لهم عبدة ولا تقبلوهم عبدة قصروا الأعنة وطولوا الأسنة واطعنوا شزراً واضربوا هرباً وإذا أردتم المهاجرة فقبل المهاجرة والمرء يعجز لا محالة بالجد لا بالكد النجلد ولا النبلد والنبية ولا اندنية ولا ناسوا على فائت وإن عثر فقله ولا تخنوا على ظاعن وإن ألف قربه ولا تطعموا فتطعموا ولا تنهوا فخرعوا ولا يكن لكم المثل السوء إن الموصين بنو سهوان إذا مات فارحبوا خط مضجعي ولا تضنوا على برحب الأرض وما ذلك بمؤد إلى روحاً ولكن حاجة نفس خاشرها الشفاق ثم مات .. قال أبو بكر بن دريد في حديث آخر أنه قال

أَلْيَوْمُ يَبْنِي لِدُودَيْ بَيْتِهِ	يَارُبَّ نَهَبٍ صَالِحٍ حَوَيْتُهُ
وَرُبَّ قَرْنٍ بَطَلٍ أَرْدَيْتُهُ	وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوَيْتُهُ
وَمِعْصَمٍ خَضَبٍ ثَنَيْتُهُ	لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَيْتُهُ

(١) قوله والعظاية دويبة صغيرة الخ أهل العالية يقولون عظاءة ونميم يقولون عظاية والجمع عندهم جميعاً العظاء .. قال سيديبه الذين قالوا عظاءة بنوه على العظاء وإلا فقد كان حكمه أن يعتل لأن بعدها الهاء والهاء لازمة .. قال أبو علي فأما قوله • ولاعب بالعشي نجي بنيه • الخ فعلى الضرورة ألا ترى أن بعد هذا البيت بلاعهم ولو ظفروا سقوه كؤوس السم مترعة ولأيا

.. وقال أبو حاتم العظاية مثل الأصبع صحراء غبراء تكون فتراً وشبراً وثلاثاً وهي سم حائها ومنها ذوات لا تضر شيئاً وهي التي في الحشوش تبرق ولا تقتل ولكن الأوزاع تقتل بطلب بقنانهن الأجر

أَوْ كَانَ قِرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

ومن قوله

أَلْقَى إِلَى الدَّهْرُ رَجُلًا وَيَدًا والدَّهْرُ مَا أَصْلَحَ يَوْمًا أَفْسَدًا
بُصْلِحَ مَا أَفْسَدَهُ الْيَوْمَ غَدًا

قوله - اطعنوا شزرًا واضربوا هبرًا - معنى الشزر أن يطعنه من إحدى ناحيتيه يقال قتل
الحبل شزرًا إذا قتله على الشمال والنظر الشزر نظر بمؤخر العين .. وقال الأصمعي
نظر إلى شزرًا إذا نظر إليه من عن يمينه وشماله وطعنه شزرًا كذلك .. وقوله هبرًا
قال ابن دريد يقال هبرت اللحم أهبره هبرًا إذا قطعته قطعًا كبيرًا والاسم الهبرة والهبرة
وسيف هبارٌ وهابرٌ واللحم هبيرٌ ومهبور - والحالة - الحيلة .. وقوله - بالجد لا بالكد -
أي يدرك الرجل حاجته وطالبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدودٌ وإذا كسرت
الجميم فهو الانكماش في الأمر .. وقوله - النجلد ولا النبد - أي تجلدوا ولا تبلدوا
.. وقوله - فطابموا - أي تدنسوا والطَّبعُ الدنس ويقال طبع السيف يطبع طبعًا إذا
ركبه الصدي .. قال نابت قطنة العنكي

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُذْنِي إِلَى طَبَعٍ وَعِفَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي

.. وقوله - ولا نهوا فتخرجوا - قالوه الضعف والخرع والخراعة اللين ومنه سميت الشجرة
الخروع للينها .. وقوله - ان الموصين بنو سهوان - فالموصون جمع موصى وبنو سهوان
ضربه مثلاً أي لا تكونوا بمن تقدم إليهم فسهوا وأعرضوا عن الوصية وقالوا أنه يضرب هذا
المثل للرجل الموتر دمه ومعناه ان الذين يحتاجون أن يوصوا بمخايج اخوانهم هم الذين
يسهون عنها لقلّة عنايتهم بها وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتي .. وقوله - فارحبوا -
أي أوسعوا والرحب السعة - والروح - الراحة .. وقوله في الشعر - ورب غيل -
فالغيل الساعد الممتلئ - والمعصم - موضع السوار من اليد

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن
عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلاب بن وبرة بن تغلاب حلوان بن عمران بن

الحاف بن قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير . . قال أبو حاتم
 حاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة وواقع مائتي وقعة وكان سيداً مطاعاً حاش
 شريفاً في قومه ويقال كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه كان
 سيد قومه وشريفيهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم إلى الملوك وطبيبهم والطب كان في
 ذلك الزمان شرفاً وجازى قومه والجزاة الكهان وكان فارس قومه وله البيت فيهم
 والعدد منهم . . وأوصى بذي فقال يا بني قد كبرت سني وبلغت حرزاً أمن دهرى فأحكمتني
 التجارب والأمور تجربة واختبار فاحتفظوا عني ما أقول وعوه إياكم واخوار عند
 المصائب والتواكل عند النوائب فإن ذلك داعية للغم وشامة للعدو وسوء ظن بالرب
 وإياكم أن تكونوا للآحداث مغترين ولها آمنين ومنها ساخرين فإنه ما سخر قوم قط
 إلا ابتلوا ولكن توقعوها فإنما الإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة فقصر دونه
 ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لا بد أنه مصيبه . . قوله - حرزاً أمن دهرى -
 يريد طويلاً منه والحرس من الدهر العاويل . . قال الراجز في سُنْبِيَّةٍ عَشْنَا بِذَلِكَ حَرْزاً سَأْ
 السنية المدة من الدهر - والتواكل - أن بكل القوم أمرهم إلى غيرهم من قولهم رجل
 وكل إذا كان لا يكفي نفسه وبكل أمره إلى غيره ويقال رجل وكلة تكلة - والغرض -
 كمال نصبت للرمي - وتعاوره - أي تداوله . . [قال المرتضى] رضى الله عنه وقد ضمن ابن
 الرومي في معنى قول زهير بن جناب الإنسان في الدهر غرض تعاوره الرماة فقصر دونه
 ومجاوزه له وواقع عن يمينه وعن شماله ولا بد أن يصيبه أحياناً فأحسن كل الاحسان وهي
 كَفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيَا لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لِيَا لِيَا
 أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مِقَاتِي لِرَامِي الْمَنَايَا تَحْسَبُنِي نَاجِيَا
 غَدَا الدَّهْرُ يَرْمِينِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي وَأَخْلُقُ أَنْ يُصْنِبَ سَوَادِيَا
 وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَزِي وَلَا يَرَى فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا
 أما البيت الأخير فإنه أبدع فيه وأغرب وما علمت أنه سبق إلى معناه لأنه جعل الشباب
 كالليل السائر على الإنسان الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته والشيب مبدئاً لمقاتله

هادياً الى أصابته لضوئه وبياضه وهذا في نهاية حسن المعنى . . وأراد بقوله رماني أصابي
ومثله قول الشاعر

فَلَمَّا رَمَى شَخْصِي رَمَيْتُ سَوَادَهُ وَلَا بُدَّ أَنْ يُرْمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمِي
وكان زهير بن جناب على عهد كليب وائل ولم يكن في العرب أنطق من زهير ولا أوجه
منه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهناً ولم تجتمع قضاة إلا عليه وعلى رزاح بن
ربيعة فسمع زهير بعض نسائه تتكلم بما لا يجوز للمرأة أن تتكلم به عند زوجها فهاها
فقات له اسكت وإلا ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت أراك نسمع شيئاً ولا تفعله
فقال عند ذلك

أَلَا يَالِ قَوْمِي لَا أَرَى النَّجْمَ طَالِمًا وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا حَاجَتِي يَمِينِي
مَعَزَاتِي عِنْدَ الْقَفَا بِعَمُودِهَا تَكُونُ نَكِيرِي أَنْ أَقُولَ ذَرِينِي
أَمِينًا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا أَكُونُ عَلَى الْأَسْرَارِ غَيْرَ أَمِينِ
فَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ حِدَاجِ مَوْطَأٍ مَعَ الظَّمَنِ لَا يَأْتِي الْمَحَلَّ لِحِينِي
وهو القدح

أَبْنِي إِنْ أَهْلَكَ فَقَدْ أَوْرَثْتُكُمْ مَجْدًا بَنِيَّ
وَتَرَكْتُكُمْ أَرْبَابَ سَا دَاتٍ زَنَادُكُمْ وَرِيَّ
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا التَّجِيَّهَ
فَلَقَدْ رَحِمْتُ الْبَازِلَ الْكَوْمَاءِ لَيْسَ لَهَا وَلِيَّهَ
وَخَطَبْتُ خُطْبَةً حَازِمَ غَيْرِ الضَّعِيفِ وَلَا الْعِيَّهَ
فَالَمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتَى فَلْيَهْلِكَنَّ وَبِهِ بَقِيَّهَ
مِنْ أَنْ يَرَى الشَّيْخَ الْبَجَا لَ إِذَا يُهَادَى بِالْعَشِيَّهَ

وهو القائل

لَيْتَ شِعْرِي وَالذَّهْرُ ذُو حَدَثَانِ أَيُّ حَبِينٍ مَنَيْتِي تَلْقَانِي
أَسْبَاتٌ عَلَى الْفِرَاشِ خُفَاتٌ أَمْ بَكَتْنِي مُفْجَعٌ حَرَّانِ

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره

لَقَدْ عَمَرْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي أَحْتَفِي فِي صَبَاحِي أَمْ مَسَاءِ
وَحَقٌّ لِمَنْ أَتَتْ مِائَتَانِ عَامًا عَلَيْهِ أَنْ يَمِلَّ مِنَ الثَّوَاءِ

قوله - معزني - يعني امرأته يقال معزبة الرجل وحليته وزوجته كل ذلك امرأته . . . وقوله

- أُمَيْنَا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ - السر خلاف العلانية والسر أيضاً النكاح قال الخطيئة

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ^(١)

وقال امرؤ القيس

أَلَا زَعَمْتُ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنِّي كَبَرْتُ وَأَلَّا يُحْسِنُ السِّرَّ أَمْثَالِي

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعاً لأنه إذا كبر وهرم تنبيهه النساء أن يتحدث بحضرته

بأسرارهن تهاونا به أو تعويلاً على ثقل سمعه وكذلك هرمه وكبره يوجبان كونه أميناً

على نكاح النساء لعجزه عنه . . . وقوله - حُدَاجٌ - وطأ - الحُدَاجُ مركب من مراكب

النساء والجمع أحداج وحُدُوجٌ - وَالظُّعُنُ - والأظمان الهوادج والظامنة المرأة في الهودج

ولا تكون ظمينة حتى تكون في هودج والجمع ظعائن وإنما خبر عن هرمه وأن موته خير

من كونه مع الظعن في جملة النساء . . . وقوله - زَنَادَكُمُورِيَّةٌ - الزناد جمع زند وزندة وهما

عودان يقدح بهما النار ففي أحدهما فروض وهي تفت قالتي فيها الفروض هي الأنثى

والذي يقدح بطرفه هو الذكر ويسمى الزندة الأب والزندة الأم وكَتَّى بزنادكم ووريه

عن بلوغهم مأربهم تقول العرب وريت بكم زنادى أى بلغت بكم ما أحب من النجح

(١) قوله أتف الأتف من كل شيء أوله يقول يوثرون جارهم بالطعام على أنفسهم

فياً كل صفوة طعامهم قبلهم

والنجاة ويقال للرجل الكريم وارى الزناد - وأما النجبة - فهي الملك فكأنه قال من كل ما نال الفتى قد نلته إلا الملك . . . وقيل النجبة ههنا الخلود والبقاء - والبازل - الناقة التي بلغت تسع سنين فهي أشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجل - والا - والكوماء - العظيمة السنام - والولية - برذعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده - والبجال - الذي يحمله قومه ويعظمونه . . . وقوله - يهادى بالعشيه - أى يماشي به الرجال فيسندونه لضعفه والتهادى المشي الضعيف . . . وقوله - أسباب - فالتسبات سكون الحركة ورجل مسبوت - والخفات - الضعف أيضاً يقال خفت الرجل اذا أصابه ضعف من مرض أو جوع - والمنجع - الذي يجع بولده أو قرابة - والحران - العطشان المنتهب وهو ههنا المحزون على قتلاه . . . وما يروي لزهير بن جنداب

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلُو حَبِيبًا فَكَثُرَ دُونُهُ عَدَدَ اللَّيَالِي
فَمَا سَلَى حَبِيبَكَ مِثْلَ نَاءٍ وَلَا أَبْلَى جَدِيدَكَ كَابْتِدَالٍ

مجلس آخر ١٧

ومن المعمرين ذو الأصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحارث بن ربيعة ابن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عتاب بن إشكر بن عدوان وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن غيلان بن مضر . . . وإنما سمي الحارث عدوان لأنه عدى على أخيه فهم فقتله وقيل بل فقتل عينه وقيل ان اسم ذو الأصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة وبكتي أبا عدوان وسبب لقبه بذي الأصبع ان حبة نهشت أصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين سنة . . . وقال أبو حاتم انه عاش ثلاثمائة سنة وهو أحد حكماء العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان أكرم وروى عنه

لَا يَبْعُدُنْ عَهْدُ الشَّبَابِ وَلَا لَذَاتُهُ وَنَبَاتُهُ النَّضْرُ

لَوْلَا أَوْلَٰئِكَ مَا حَفَّتْ مُتَى عُولِيْتُ فِي حَرَجٍ إِلَى قَبْرِى
هَزَيْتُ أَثِيلَةً أَنْ رَأَتْ هَرَمِي وَأَنْ ائْتَنَحَى لِتَقَادُمِ ظَهْرِي

وكان لذي الأصبع بنات أربع فعرض عليهن أن يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك أحب إلينا ثم أشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منا ما في نفسها فقات الكبرى

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيعُهَا أَشْمُ كَنَصْلِ السَّيْفِ عَيْنُ مُهَنْدٍ
عَلِمْتُ بِأَذْوَاءِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ إِذَا مَا انْتَمَى مِنْ أَهْلِ سِرِّي وَحَتْدِي
ويروى من سر أهلي ومن أصل سري ومحتدى فقلن لها أنت تريدن ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنْاسٍ أُولَى عَدَى حَدِيثُ شَبَابٍ طَيِّبِ الثَّوْبِ وَالْعِطْرِ
ويروى أولى غنى

لَصُوقُ بَأْ كِبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيقَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَيَّ وَتَرِ
ويروى لا ينام على مجرى فقلن لها أنت تريدن فتى ليس من أهلك ثم قالت الثالثة
أَلَا لَيْتَهُ يَكْسِي الْجَمَالَ نَدْبَهُ لَهُ جَفَنَةٌ تَشْقَى بِهَا الْمَعْزُ وَالْجَزُرُ
لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ تَشِينُ فَلَا وَإِنْ وَلَا ضَرَعُ غُمُرُ

فقلن لها أنت تريدن سيداً شريفاً وقلن للرابعة قولي فقات لا أقول فقلن لها يا عدوة الله علمت ما في أنفسنا ولا تعلمينا ما في نفسك فقات زوج من عود خير من قعود فضت مثلاً فزوجهن أربعهن وتركهن حولاً ثم أتى الكبرى فقال يا بنية كيف ترين زوجك قالت خير زوج بكرم الحلياة ويعطي الوسيلة قال فما مالكم قالت خير مال الأبل نشرب ألبانها جرعاً ويروى جزعاً بالزاي المعجمة ونا كل لحمانها مزعاً وتحملنا وضعفتنا معاً فقال يا بنية زوج كريم ومال عظيم ثم أتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك قالت خير

زوج بكرم أهله وينسى فضله قال وما مالكم قات البقر تألف الفناء وتغلا الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء فقال حظيت ورضيت ثم أنى الثالثة فقال يابية كيف زوجك قالت لا سمح بذو ولا بنجیل حكر قال فما مالكم قالت المعز قال وما هي قلت لو آنا نولدها قطعاً ونساختها آدمياً وى آدمياً بالفنج لم نبغ بها نعاء فتالها جدوة مغنية وى جدوة ثم أنى الصغرى فقالت كيف زوجك قالت شر زوج بكرم نفسه وبهين عرسه قال فما مالكم قالت شر مال قال وما هو قالت الضأن جوف لا يشبعن وهم لا ينقعن وصم لا تسمعن وأسر مغويهن يتبعن فقال أبوها أشبه أمراً بعض بزم فضت مثلاً . أما قول إحدى بناته في الشعر - أشم - فلنتم ارتفاع أرنبة الأنف وورودها ويقال رجل أشم وامرأة شماء وقوم شم . . قال حسان بن ثابت

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُمْ شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ

الشم الارتفاع في كل شيء ويحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ما ذكرناه من ورود الأرنبة لأن ذلك عندهم دليل العتق والجابة ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورذائلها وخص الأنوف بذلك لأن الحمية والغضب والأثف يكون فيها ولم يرد طول أنفهم وهذا أشبه بأن يكون مراده لانه قال بيض الوجوه ولم يرد اللون في الحقيقة وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم وجميل أخلاقهم وأفعالهم وما يقول القائل جاءني فلان بوجه أبيض وقد بيض فلان وجهي بكذا وكذا وإنما يعنى ما ذكرناه . . وقول المرأة أشم كنعن السيف يحتمل الوجهين أيضاً وقول حسان من الطراز الأول أي أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم وانهم لم يحدنوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه نجارهم وأصولهم . . وقولها - عين مهند - أي هو المهند بمينه كما يقال هذا بعينه وعين الشيء نفسه وعلى الرواية الأخرى غير مهند أي ليس هو السيف المنسوب الى الهند في الحقيقة وإنما هو يشبهه في مضائه . . وقولها - من سر أهلي - أي من أكرمهم وأخلصهم يقال فلان في سر قومه أي في صميمهم وشرفهم وسر الوادي أطيبه تراباً - والمهند - الأصل . . وقول الثانية - أولى عدى - فإن معناه أن يكون لهم أعداء لأن من لا عدوله هو الفسل الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس وهو

المحمد المعادي ٠٠ وقولها - لصوق بأكباد النساء - يعنى فى المضاجعة ويحتمل أن يكون ارادة فى المحبة وكنت بذلك عن شدة محبتن له وميلهن اليه وهو أشبه ٠٠ وقولها - كأنه خليفة جان - أى كأنه حية للصوفة والجان جنس من الحيات تخفت لضرورة الشعر ٠٠ وقول اثنائية - يكسى الجمال نديه - فالندي هو المجلس ٠٠ وقولها - له حكمت الدهر - تقول قد أحكمته التجارب وجملته حكيماً - والضرع - الضعيف - والفمر - الذي لم يجرب الأمور ٠٠ وقول - الكبرى - بكرم الحليلة ويعطى الوسيلة - فالحليلة هي امرأة الرجل والوسيلة الحاجة ٠٠ وقولها - نشرب ألبانها جرعاً - فالجرع جمع جرعة وهو الماء القليل يبقى فى الاناء ٠٠ وقولها - مزعاً - المزعة البقية من دسم ويقال ماله جرعة ولا مزعة هكذا ذكر ابن دريد الضم فى جرعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جرعة واذا كسرت فينبغي أن يكون نشرب ألبانها جرعاً وتكسر المزعة أيضاً ليزدوج الكلام فنقول ونأكل لحمانها مزعاً قال المزعة من الشحم بالكسر هي القطعة من الشحم والمزعة أيضاً من الريش والقطن وغير ذلك كالنزقة من الخرق والتمزيق انتطيع وانتشبق ويقال انه يكاد يمزع من الغيظ ومزع الصبي فى عدوه يمزع مزعاً اذا أسرع ٠٠ وقوله - مال عميم - أى كثير ٠٠ وقول اثنائية - تودك السقاء - من الودك الذى هو الدسم - وقول اثنائية - نولها فلماً - الفطم جمع فطم وهو المقطوع من الرضاع ٠٠ وقولها - نساخها آدمأ - الأدم جمع إدام وهو الذى يؤكل تقول لو آنا فطمناها عند الولادة لساخناها للأدم من الحاجة لم نبلغ بها نعماً وفى الرواية الأخرى آدمأ من الأديم ٠٠ وقوله - جذرة مغبة - فالجذرة القطعة ٠٠ وقول الصغرى - جوف لا يشبعن - الجوف جمع جوفاء وهي العظيمة الجوف - والهيم - العطاش ولا ينقمن أى لا يروين ٠٠ ومعنى قولها - وأمر مغويتن يتبعن - لأن القطيع من الضأن يميز على قنطرة فتزل واحدة فتقع فى الماء فيقعن كلهن إتباعاً لها والضأن يوصف بالبلادة ٠٠ أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن بونس قال ابن دريد وأخبرنا العكلى عن أبي خالد عن الهيثم بن عدي عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما قدم عبد الملك بن مروان

الكوفة بعد قتل مصعب بن الزبير دعا الناس على أخذ فرائضهم فأثبناه فقال بمن القوم فقلنا
من جديلة فقال جديلة عدوان قلنا نعم فتدخل عبد الملك

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ^(١)
بَنَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يَزْعُوا عَلَى بَعْضٍ
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْمُؤَفُونَ بِالْفَرَضِ
وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يَنْقُضُ مَا يَقْضِي
وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيرُ النَّاسَ فِي السَّنَةِ وَالْفَرَضِ

ثم أقبل على رجل كنا قدمناه أمانا جسيم وسيم فقال أياكم يقول هذا الشعر فقال
لأدرى فقلت أنا من خلفه بقوله ذو الأصبع فتركني وأقبل على ذلك الجسيم فقال وما
كان اسم ذو الأصبع فقال لأدرى فقلت أنا من خلفه حرثان فأقبل عليه وتركني
فقال لم سمى ذو الأصبع فقال لأدرى فقلت أنا من خلفه نهشته حبة في أصبعه فأقبل
عليه وتركني فقال من أياكم كان فقال لأدرى فقلت أنا من خلفه من بني ناج فأقبل
على الجسيم فقال كم عطاؤك قال سبعمائة ثم أقبل على فقال كم عطاؤك قلت أربعمائة فقال

(١) اختلف في العذير ففهم من جملة مصدر أو بمعنى العذر وهو مذهب سيبويه
ومنه من جملة بمعنى عاذر كعلم وعالم والمعنى عنده هات عذرك واحضر عاذرك وامتنع
أن يجعله بمعنى العذر لأن فعلا لا يبنى على المصدر إلا في الأصوات نحو الصهيل والنهيق
والنبيح والأولى مذهب سيبويه لأن المصدر يطرد وضعه موضع الفعل بدلا منه لأنه
اسمه ولا يطرد ذلك في اسم الفاعل وقد جاء فعيل في غير الصوت كقولهم وجب القلب
وجيأ إذا اضطرب والمعنى يصف ما كان من تفرق عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس عيلان
وتشتتهم في البلاد مع كثرتهم وعزتهم في البلاد لكثرة ساداتهم وبني بعضهم على بعض
فيقول من يعذرهم في فعاهم أو من يعذرني منهم وقوله كانوا حبة الأرض أي كانوا
يتقى منهم لكثرتهم وعزتهم كما يتقى من الحبة المنكرة

يا بن الزعزعة حط من عطاء هذا ثلاثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطائي سبعمائة وعطاؤه أربعمائة وفي رواية أخرى انه لما قل من أيكم كان فقال لأدري فقلت أنا من بني ناج الذي يقول فيهم الشاعر

فَأَمَّا بَنُو نَاجٍ فَلَا تَذْكُرُونَهُمْ وَلَا تُتَبِعَنَّ عَيْنِكَ مَنْ كَانَ هَالِكًا
إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لِتُصْلِحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ رَهَيْبُ لَا أُسَلِّمُ ذَلِكَ

ويروى ما أحاول

فَأُضْحِي كَظْهِرِ الْمَوْجِبِ سَنَامُهُ تَحُومُ عَلَيْهِ الطَّبِيرُ أَحَدَبَ بَارِكَا
وَقَدْ رَوَيْتَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ لَذِي الْأَصْبَعِ أَيْضًا وَمِنْ أَبْيَاتِ ذِي الْأَصْبَعِ السَّائِرَةِ قَوْلُهُ
أَكَاثِرُ ذَا الضَّغْنِ الْمُبِينِ مِنْهُمْ وَأُضْحِكَ حَتَّى يَبْدُو النَّابُ أَجْمَعُ
وَأَهْدِنُهُ بِالْقَوْلِ هَذَا وَلَوْ بَرَى سَرِيرَةً مَا اخْفَى لَبَاتٍ يَفْزَعُ
وَمَعْنَى أَهْدِنُهُ أَسْكِنُهُ وَمِنْ قَوْلِهِ أَيْضًا
إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بَأْخَرِينَا

ويروى شرائره

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بَنَا أَفْتِقُوا سَيَلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
وَمَعْنَى - الشَّرَائِرُ - هَهُنَا التَّقْلِيلُ يَقَالُ أَلْقَى عَلَيْهِ شَرَائِرَهُ وَجَرَامِيزَهُ أَيْ ثَقَلَهُ وَمِنْ قَوْلِهِ
ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُّوا إِلَيَّ وَرَحَّبُوا بِالْمُقْبِلِ
وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا حَمَلْتُ حِمَالَةً وَاقْتَيْتُهُمْ فَكَأَنِّي لَمْ أَحْمِلِ
وَمِنْ قَوْلِهِ وَهِيَ الْمَشْهُورَةُ

لِي ابْنُ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخْتَلِفَانِ فَأَقْلِيهِ وَيَقْلِينِي
أُزْرِي بَنَا أَنَا شَالَتْ نَعَامَتُنَا فَخَالَنِي دُونَهُ وَخَلَّتْهُ دُونِي^(١)

(١) يقال أزرى به إذا قصر وزري عليه إذا عابه . . وقوله شالت نعامتنا أي تفرق

لَا إِبْنَ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ
عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي^(١)
إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ
عَنِ الضُّيُوفِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأُذُنِ بِمُنْطَلَقٍ
بِالْفَاحِشَاتِ وَلَا أَغْضِي عَلَى الْهُونِ
مَاذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحِمٍ
أَلَا أَحَبَّكُمْ إِنْ لَمْ تَحِبُّونِي

أمرنا واختلف يقال عند اختلاف القوم شالت نعماتهم وزف رالهم والرال فرخ التمام وقيل يقال شالت نعماتهم اذا جلوا عن الموضع والمدى تنافروا فصرت لا أطمئن اليه ولا يطمئن اليّ ويقال ألقوا عصاهم اذا سكنوا واطمأنوا . وقال الزمخشري شالت نعماتهم أي تفرقوا وذهبوا لأن النعمة موصوفة بالخفة وسرعة الذهاب والهرب ويقال أيضاً خفت نعماتهم وزف رالهم وقيل النعمة جماعة القوم

(١) قوله أفضلت ضمن فضلت معنى تجاوزت في الفضل فلهذا تمدى بمن ولولا النضمين لقال أفضت على لأنه من قولهم أفضلت على الرجل اذا أوليته فضلاً وأفضل هذه تعدى بعلى لأنها بمعنى الانعام أو انه من قولهم أعطى وأفضل اذا زاد على الواجب وأفضل هذه أيضاً تعدى بعلى يقال أفضل على كذا أي زاد غايه فضله ومراده من ذكر النضمين ان عن ليست بمعنى على خلافاً لابن السكيت وابن قتيبة ومن تبعهما فأنهم قالوا عن نائبة عن على والأولى أن يكون أفضل من قولهم أفضل الرجل اذا صار ذا فضل في نفسه فيكون معناه ليس لك فضل تنفرد به عنى وتخوزه دوني فيكون لضمينه معنى الانفراد تعدى بمن فتأمل - والديان - القيم بالأمر المجازي به وتخزوني تسوسني سياسة وتخزوني بالخاء والزاي المجمعتين مضارع خزاء خزوا بالفتح ساسة وقهره وملكه وأما الخزي بالكسر وهو الهوان والذل فالفعل منه كرضى ويحتمل تخزوني الرفع ويكون التقدير ولا أنت ملكي فتسوسني ويحتمل النصب والفتحة حينئذ مقدرة كما في قوله

* أبي الله أن أسوء بأمر ولا أب * وليس بضرورة بقول الله ابن عمك الذي ساواك في الحسب ومائلك في الشرف فليس لك فضل تنفرد به عنه ولا أنت مالك أمره فتصرف به على حكمك ومراده بان العم نفسه فلذلك رد الاخبار بلفظ المتكلم

يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرِبَكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةَ اسْقُونِي
فَأَنْتُمْ مَعَشَرُ زَيْدٍ عَلَيَّ مِائَةٍ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ طُرًّا وَكِيدُونِي
لَا يَخْرُجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَأْيِيَّةٍ وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي

قوله - شالت نعمائنا - معناه تنافرنا فصرت لا أطعمن اليه ولا يطعمن اليّ يقال شالة نعمامة القوم اذا أجلوا عن الموضع . . وقوله - لاه ابن عمك - قال قوم أراد لله ابن عمك . . وقال ابن دريد أقسم بالله ابن عمك . . وقوله - عني - أي على - والديان - الذي يلي أمره ومعنى - فنخزوني - أي تسوسوني - والهون - الهوان . . وقوله - أضربك حتى تقول الهامة اسقوني - قال الأصمعي العطش في الهامة فأراد أضربك في ذلك الموضع أي على الهامة حتى تعطش وقال آخرون ان العرب تقول ان الرجل اذا قتل خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقوني اسقوني فلا تزال كذلك حتى يؤخذ بشاره وهذا باطل ويجوز أن يعنيه ذو الأصبع على مذاهب العرب . . وقوله - لا يخرج القسر مني غير مأْيية - والقسر القهر أي ان أخذت قسراً لم أزد إلا إباءاً

ومن المعمرين معديكرب الحميري من آل ذى رعين . . قال ابن سلام وقال معديكرب

الحميري وقد طال عمره

أَرَانِي كُلَّمَا أَفْنَيْتُ يَوْمًا أَتَانِي بَعْدَهُ يَوْمٌ جَدِيدُ
يَعُودُ بَيَاضُهُ فِي كُلِّ فَجْرٍ وَيَأْتِي لِي شَبَابِي مَا يَعُودُ

ومن المعمرين الربيع بن ضبع الغزاري ويقال انه بقي الى أيام بني أمية وروى انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له ياربيع أخبرني ما أدركت من العمر والمدى ورأيت من الخطوب الماضية فقال أنا الذي أقول

هَذَا أَنَا ذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَذْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلِدِي حُجْرًا

فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي قال وأنا انقل

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ وَالْفَتَاءُ

قال قد رويت هذا من شعرك وأما غلام وأبيك ياربيع لقد طلبك جد غير عارف فصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى وعشرين ومائة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام . . قال اخبرني عن فتية من قريش متواطئ الاسماء قل بل عن أبيهم شئت قال اخبرني عن عبد الله بن العباس قال فهم وعلم وإعطاه جذم ومقرى ضخم قال اخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب ريحها ابن مسها قيل على المسلمين ضرها قال فاخبرني عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعمر بخدر منه الصخر قل للدرك ياربيع ما أعرفك بهم قال قرب جوارى وكثر استخباري . . [قال المرتضى] رضى الله عنه ان كان هذا الخبر فيشبه أن يكون سؤال عبد الملك له انما كان في أيام غفاته لافي أيام ولايته لأن الربيع بقول في الخبر عشت في الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية ويقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

أَلَا أبلغُ بَنِي ربيعٍ	فأشرارُ البَينِ لَكُمُ فِدَاءُ
بأنِّي قد كبرتُ ودَقَّ عَظمي	فَلَا تشغلكُم عني النِّساءُ
فإنَّ كَنائِي لِنِساءِ صِدقٍ	وما آلا بَنِي وَلَا أَساؤُا
إِذَا كانَ الشِّتاءُ فأذِفُونِي	فإنَّ الشَّيخَ يَهْدِمُهُ الشِّتاءُ
وأما حينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرٍ	فَسِرْبَالٌ خَفِيفٌ أَوْ رِداءُ
إِذا عاشَ الفَتى مائتين ^(١) عاماً	فقد ذَهَبَ اللَّذَازَةُ والفتاءُ

(١) قوله مائتين عاماً كان الوجه حذف النون وخفض عام إلا أنها شئت للضرورة بالعشرين ونحوها مما يثبت نونه وينصب ما بعده . . وصف في البيت هرومه وذهاب مروءته ولذته وروى أودى بدل ذهب بمعنى انقطع وهلك والفتاء مصدر الفتى وروى سبعين عاماً ولا ضرورة فيه على هذا وهي رواية لأصل لها يعلم من الأبيات ومن ترجمة صاحبها

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة

أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ قَدْ حَسِرَا إِنَّ نَدَّ عَنِّي فَقَدْ ثَوَى عَصْرَا
وَدَعَانَا قَبْلَ أَنْ نُودَّعَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ جَمَاعِنَا وَطَرَا
هَآ أَنَا ذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَذْرَكَ عَصْرِي وَمَوْلَدِي حُجْرَا
أَبَا أَمْرِي الْقَيْسَ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيَّاتَ هَيَّاتَ طَالِ ذَا عُمْرَا^(١)
أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا
وَالذُّبَّ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَزْتُ بِهِ وَحَدِي وَأَخْشَى الرِّيحَ وَالْمَطْرَا
مِنْ بَعْدِ مَا قُوَّةُ أُسْرُوبَهَا أَصْبَحْتُ شَيْخًا أَعَالِجُ الْكِبَرَا

قوله - عطاء جندم - أي سريع وكل شيء تسرعت فيه فقد جندمته وفي الحديث اذا
أذنت فترسل واذا أقمت فاجندم أي أسرع - والمقرى - الاناء الذي يقرى فيه - ٥٥٤ وقوله
- فما آلا بني ولا أساؤا - أي لم يقصروا والآلي المنصر



— مجلس آخر ١٨ —

ومن المعمرين أبو الطاهر حان القيني واسمه حنظلة بن الشرقى من بني كندانة بن القين

قال أبو حاتم عاش مائتي سنة فمات في ذلك

حَنَنْتَنِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَانِلٌ يَذْنُو لِصَيْدِ
قَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَأَسْتُ مُقَيِّدًا أَنِّي بَقِيْدِ

وروى التميمي بدل اللذاذة والتخييل التكبر وعجب المرء بنفسه وروى بدله المسرة

والمروءة أيضاً والفق الشاب وقد فنى بالكسر يفنى بالفتح فنى فهو فنى السن بيتن الفناء

(١) قوله طل ذَا عُمْرًا هو تعجب أي ما أطول هذا العمر

ويروى قريب الخطو . . قال أبو حاتم حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين وينشد أيضاً

تَقَارَبَ خَطُورُ جِلِكَ يَاسُوبَدُ وَقَيْدَكَ الزَّمَانُ بَشَرَ قَيْدِ

وهو الغائل

وَإِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ قَامَ صَاحِبُهُ
نَجْمٌ سَمَاءً كُلَّمَا غَابَ كَوَ كَبُ بَدَى كَوَ كَبُ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَا كِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ ثَابِقَهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مُسَوِّدًا تَسِيرُ الْمَنَا يَا حَيْثُ سَارَتْ رَكَابُهُ

ومعنى البيتين الأولين يشبه قول أوس بن حجر^(١)

إِذَا مُقَرَّمٌ مِنَّا ذَرَى حَدَّنَابِهِ تَحْمَطُ فِينَا نَابُ آخَرٍ مُقَرَّمِ

ولطفيل الغنوى مثل هذا وهو

كَوَا كِبُ دَجَنٍ كُلَّمَا تَقَضَّى كَوَ كَبُ بَدَى وَأُنْجَلَتْ عَنْهُ الدُّجْنَةُ كَوَ كَبُ
وقد أخذ الخزيمي هذا المعنى فقال

إِذَا قَمَرٌ مِنَّا تَفَوَّرَ أَوْ خَبَا بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ

ومثل ذلك

خِلَافَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِينَا وَرِاثَةٌ إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ

ومثله

إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ أَقَامَ عُمُودَ الدِّينِ آخَرُ سَيِّدِ

وكان مزاحماً المعقبلي نظر إلى قول أبي الطمحان

(١) - أوس بن حجر بفتح حين وليس في أسماء الأشخاص على هذا البناء غير هذا

أَضَاءُ لَهُمْ أَجْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ

في قواه

وُجُوهُ لَوْ أَنَّ الْمَذْلُجِينَ أَعْتَشَوْا بِهَا صَدَعَ عَنِ الدُّجَى حَتَّى تَرَى الْأَيْلَ يَنْجَلِي

وبقارب ذلك قول حجة بن المضرب الكندي

أَضَاءُ لَهُمْ أَجْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ لِنُورِهِمُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالْبَدْرُ

وأنشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بقي أبي الطمعمان

مَنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهُ بَنَى سِنَانٌ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيُّ بِهِمْ أَضَاؤًا

هُمْ حَلُّوا مِنْ الشَّرَفِ الْمُعْلَى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤَا

فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ

وأبو الطمعمان القائل

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِي ابْنِ عَمِّكَ إِحْنَةٌ فَلَا تَسْتَثْرِهَا سَوْفَ يَبْدُو دَفِينُهَا

وهو القائل

إِذَا شَاءَ رَاعِيهَا اسْتَقَى مِنْ وَفِيعَةٍ كَمَيْنِ الْغُرَابِ صَفَوُهَا لَمْ يُكَدِّرْ

— والوقبة — المستنقع في الصخرة للماء ويقال للماء إذا زل من صخرة فوقه في بطن أخرى

ماء الوقائع وأنشد لذي الرمة

وَلِنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَنَّا النَّحْلِ مَمْرُوجًا بِمَاءِ الْوَفَائِعِ

ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل

ماء المفاصل وأنشدوا لأبي ذؤيب

مَطَافِيلُ أَبْكَارُ حَدِيثُ تِتَاجِهَا تُشَابُ بَمَاءِ مِثْلِ مَاءِ الْمَفَاصِلِ

وأنشد أبو محم السعدي لأبي الطمعمان

بُنِيَ إِذَا مَا سَامَكَ الذُّلُّ فَاهِرٌ عَزِيزٌ فَبَعْضُ الذُّلِّ أَبْقَى وَأَحْرَزُ

وَلَا تَحْمِ مِنْ بَعْضِ الْأُمُورِ تَعَزُّزًا فَقَدْ يُورِدُ الذَّلَّ الطَّوِيلَ التَّعَزُّزُ

وهذان اليتان برويان لعبد الله بن معاوية الجمفرى . . وروى لأبى الطمحان أيضاً في مثل هذا المعنى

يَا رَبِّ مَظْلَمَةٌ بَوْمًا لَطَيْتُ بِهَا تَمْضِي عَلَى إِذَا مَا غَابَ نُصَارِي
حَتَّى إِذَا مَا نَجَلَتْ عَنِّي غِيَابَتُهَا وَثَبْتُ فِيهَا وَثُوبَ الْمُخْدِرِ الضَّارِي

ومن المعمرين عبد المسيح بن بُقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس ابن حبان بن بُقيلة وُبُقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحارث وانما سمي بُقيلة لأنه خرج في برد بن أخضرين على قومه فقاتلوا له ما أنت إلا بُقيلة فسمي لذلك . . وذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما انه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة وأدرك الاسلام فلم يسلم وكان نصرانياً وروى ان خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة ونحمن منه أهلها أرسل اليهم ابثوا الى رجلاً من عقلائكم وذوى أنسابكم فبعثوا اليه بعبد المسيح بن بُقيلة فأقبل يمشي حتى دنا من خالد فقل أنهم صباحاً أيها الملك قال قد أغنانا الله عن نحيبتك فن أين أنصى أترك أيها الشيخ قال من ظهر أبى قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال فلام أنت قال على الأرض قال فسيم أنت قال في نياي قل أنفعل لا نفعل قال أي والله وأقيد قل ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال خالد ما رأيت كاليوم قط إني أسأله عن الذي ويخو في غيره قال ما أجبتك إلا عما سألت فاسأل عما بدا لك قال أعرب أنتم أم نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال فحرب أنتم أم سلم قال بل سلم قال فما هذي الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجي الحليم فنهايتهم قال كم أنى لك قال خمسون وثلاثمائة سنة قال فما أدركت قال أدركت سفن البحر في السماوة في هذا الجرف ورأيت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكناتها على رأسها لا تزود إلا رغيماً حتى تثنى الشام ثم قد أصبحت خراباً يباباً وذلك دأب الله في العباد والبلاد قل ومعه سم ساعة يخله في كفه فقال له خالد ما هذا في كفتك قال هذا السم قال ما تصنع به قال ان كان عندك ما يوافق قومي وأهل بلدى حدثت الله وقبلته وان كانت الأخرى لم أكن أول من

ساق اليهم ذلاً وبلاءً أشربه فأستريح من الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته
فأخذه ثم قال بسم الله وبالله رب الأرض والسما الذي لا يضر مع اسمه شيء فشربه فتجلمته
غشية ثم ضرب بذقه في صدره طويلاً ثم هرق فأفاق كأنما نشط من عقال فرجع
ابن بُقيلة الى قومه فقال جثتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره صانعوا القوم
وأخرجوهم عنكم فان هذا أمر ممنوع لهم فصالحوهم على مائة ألف درهم وأنشأ يقول

أَبَعَدَ الْمُنْدَرِينَ أَرَى سَوَاءً يَرْوَحُ بِالْخَوَزَنْقِ وَالسَّيْدِينَ

أَبَعَدَ فَوَارِسِ النُّعْمَانِ أَرَى مَرَاعِي نَهْرٍ مُرَّةً فَالْحَفِيرِ

تَحَامَاهُ فَوَارِسُ كُلِّ قَوْمٍ مَخَافَةَ ضَيْغَمٍ عَالِي الزَّيْثِرِ

فَصِرْنَا بَعْدَ هَلِكِ أَبِي قُبَيْسٍ كَمِثْلِ الشَّاءِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

يريد أبا قابوس فصفر و يروي كمثل المعز

تَقَسَّمْنَا الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ عَلَانِيَةً كَأَنِّي سَارِ الْجَزُورِ

نُودِيَ الْخَرْجُ بَعْدَ خَرَجِ كِسْرَى وَخَرَجَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ

كَذَلِكَ الدَّهْرُ دَوَلَّتُهُ سَجَالُ فَيَوْمٌ مِنْ مَسَاةٍ أَوْ سُورِ

ويروي ان عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقيلة قال

لَقَدْ بَنَيْتُ لِلْحَدَثَانِ قَصْرًا لَوْ أَنَّ الْمَرْءَ تَنَمَّعَهُ الْحُصُونُ

طَوِيلِ الرَّأْسِ أَفْعَسَ مَشْخَرًا لِأَنْوَاعِ الرِّيَّاحِ بِهِ أُنِينُ

ومما يروي لعبد المسيح بن بُقيلة

وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنَّ قَدْ أَقْلَ فَمَجْفُوٌّ وَمَحْقُورُ

وَهُمْ بَنُونَ لَأَمٍّ إِنْ رَأَوْا نَشْبًا فَذَلِكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَحْقُورُ

وهذا يشبه قول أوس بن حجر

بَنِي أُمٍّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرُونَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْأُمِّ جَجَفَلَا

وَهُمْ لِمَقْلٍ الْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ وَإِنْ كَانَ مُحْضًا فِي الْعُمُومَةِ مُخَوَّلًا

وذكر ان بعض المشايخ من أهل الحيرة خرج الى ظهرها بمخبط دبراً فلما احتقر موضع الأساس وأمن في الاحتفار أصاب كهشة البيت فدخله فإذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة أنا عبد المسيح بن بقبلة

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ حَيَاتِي وَلِئْتُ مِنَ الْمُنَى فَوْقَ الزَّيْدِ
وَكَاغَحْتُ الْأُمُورَ وَكَافَحَتْنِي وَلَمْ أَحْفَلْ بِمُفْضِلَةٍ كَكُودِ
وَكِدْتُ أَنْالُ فِي الشَّرَفِ الثَّرِيًّا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ

ومن المعمرين النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد^(١) الله بن عدس بن ربيعة ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبكفي أبا ليل .. وروى أبو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي أسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله
تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرُ يَهْجُ عَلَى الْجَوَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرَّقٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ أَقْفَرَا
كَهَوْلٍ وَفَتْيَانٍ كَانَ وَجُوهُهُمْ دَنَا بِرُءُوسِهِمْ شَيْفَ فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا
فهذا يدل على أنه كان عند المنذر بن محرق والنابغة الذبياني كان مع الهمان بن المنذر ابن محرق .. قوله - شيف - يعني جلي والمشوف المجلوه .. ويقال ان النابغة غبر ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأص - بهان وكان ديوانه بها وهو الذي يقول

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأِنِّي مِنْ الْفَتْيَانِ أَيَّامَ الْخُنَانِ

(١) قوله اسمه قيس اختاف في اسمه فقبيل قيس كما هنا وقيل عبد الله بن قيس وقيل حبان بن قيس بن عمرو بن عدس بن ربيعة وانما سمي النابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية ثم أقام مدة نحو ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فيه فسمي النابغة

— أيام الخنـان— أيام كانت للعرب قديمة حاج بها فيهم ^(١) مرض في أنوفهم وحلقهم
 مَضَتْ مِائَةٌ لِعَامٍ وَلِذَتْ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ
 فَأَبْقَى الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِنِّي كَمَا أَبْقَى مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي
 تَفْلَلُ وَهُوَ مَا تُورُ جُرَّازُ إِذَا أَجْتَمَعَتْ بِقَائِمِهِ الْيَدَانِ
 وقال أيضاً في طول عمره

لَبِستُ أَنَسًا فَأَفْنَيْتَهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسًا
 ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ أَفْنَيْتَهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَأَسَا

— المستأس— المستعاض .. وروى عن هشام بن محمد الكلبي انه عاش مائة وثمانين سنة
 .. وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر ان النابغة الجعدي عاش مائتي سنة
 وأدرك الاسلام وروى له

قالت أمامة كم عَمِرْتَ زَمَانَةً وَذَبَحْتَ مِنْ عَتَرٍ عَلَى الْأَوْثَانِ

— العترة— شاة تذبح لأسمائهم في رجب في الجاهلية

وَلَقَدْ شَهِدْتُ عُكَاظَ قَبْلِ مَحَلِّهَا فِيهَا وَكُنْتُ أَعْدُ مِلْفَتِيَانِ
 وَالْمُنْذِرَ بْنَ مُحَرَّرٍ فِي مَلِكِهِ وَشَهِدْتُ يَوْمَ هَجَائِنِ النِّعْمَانِ
 وَعَمِرْتُ حَتَّى جَاءَ أَحْمَدُ بِالْهَدْيِ وَقَوَارِعِ تَتْلِي مِنَ الْقُرْآنِ
 وَلَبِستُ مِلَ إِسْلَامٍ ثَوْبًا وَاسِعًا مِنْ سَيْبٍ لَا حَرِمٍ وَلَا مَنَانِ

وله أيضاً في طول عمره

الْمَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَمِيشَ وَطُولُ عَيْشٍ قَدْ يَضُرُّهُ

(١) قوله حاج بها فيهم .. الخ المعروف ان الخنـان على وزن غراب زكام يأخذ
 الابل في مناخرها وتموت منه .. وقال الأصمعي كان الخنـان داء يأخذ الابل في
 مناخرها وتموت منه وكانت أيام الخنـان على عهد المنذر بن ماء السماء وكانوا يؤرخون بها

تَفَنَّى بِشَاشَتِهِ وَيَسْقَى بِمَدِّ حُلُوِّ الْعَيْشِ مَرْهُ
وَتَتَابَعُ الْأَيَّامِ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئًا يَسْرُهُ
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتَ وَقَائِلِ اللَّهِ دَرُّهُ

ويروى ان النابغة الجعدي يفتخر ويقول أنبت النبي صلى الله عليه وسلم فأنشدته

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ مَجْدَنَا وَجَدُّوْنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فقال عليه الصلاة والسلام أين المظهر يا أبا ليلى قلت الجنة يا رسول الله فقال أجل ان شاء الله ثم أنشدته

فَلَا خَيْرَ فِي جَهْلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرًا

فقال عليه الصلاة والسلام لا يفيض الله فاك .. وفي رواية أخرى لا يفيض فوقه فيقال ان النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم يسقط له سن ولا ضرس وفي رواية أخرى قال فرأينته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثاية تنبت له أخرى مكانها وهو أحسن الناس نفراً - ترف - معنى تبرق وكان الماء يقطر منها .. [قال المرتضي] رضى الله عنه ومما يشاكل قول الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه وسلم أين المظهر يا أبا ليلى وان كان يتمضمض العكس من معناه ماروي من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان مستغنياً من فعل الجحاف السلمي وانه أنشده

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبُشْرِ وَفَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكِي وَالْمَعُولُ
فَإِنْ لَمْ تُغَيِّرْهَا قُرْبَشٌ بِمِثْلِهَا يَكُنْ عَنْ قُرْبَشٍ مُسْتَمَازٍ وَزَحَلٌ^(١)

(١) قوله يكن عن قريش الخ سبب هذين البيتين ان بني تغلب رھط الأخطل قتلوا عمير بن الحباب السلمي فاتفق ان قدم الأخطل على عبد الملك بن مروان والجحاف ابن حكيم السلمي جالس عنده فأنشده

أَلَا سَائِلَ الْجَحَافِ هَلْ هُوَ نَائِرٌ بَقَتْلَى أُصِيدَتْ مِنْ سَلِيمٍ وَعَامِرٍ

بخرج الجحاف مفضباً بجر مطرفه فقال عبد الملك للأخطل ويحك أغضبتني وأخلفتني

فقال له عبد الملك الى أين يا ابن اللغناء فقال الى النار فقال لو قلت غيرها قطعتم
لسانك .. فقلوه الى النار تخافن حسن على البديهة كما تخافن الجمعدى بقوله الى الجنة وأول
قصيدة الجمعدى الذى ذكرنا منها الأبيات

خليلي غصاً ساعةً وتهجراً ولوما على ما أحدث الدهرُ أو ذراً
ولا تسألاً إن الحياة قصيرةٌ فطيراً لروعات الحوادث أو قرأ
وإن كان أمرٌ لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبراً
ألم تعلم أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشيء ولي وأذبراً
لوى الله علم الغيب عن ماسواءه ويعلم منه ما مضى وتأخراً

وفىها يقول

وجاهدت حتى ما أحس ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثم تفوراً

أن يجلب عليك وعلى قومك شراً فكتب الجحاف عهداً لنفسه من عبد الملك ودعا
قومه للخروج معه فلما حصل بالبشر قال لقومه قسقى كذا فقاتلوا عن أحسابكم أو
موتوا فأغاروا على بنى تغلب بالبشر وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ثم قال الجحاف يجيب الأخطل
أبا مالك هل لمتنى إذ حضنتنى على النار أم هل لمتنى فبك لا نمتى
متى تدعني أخرى أجبك بمنزلها وأنت امرؤ بالحق لست بقائم

فقدم الأخطل على عبد الملك فأنشده لقد أوقع الجحاف البيتين .. وروي من غير هذا
الوجه ان عبد الملك دخل عليه الجحاف بن حكيم السلمي فقال عبد الملك أتعرف هذا
يا أخطل قال ومن هو قال الجحاف فقال الأخطل ألا سائل الجحاف البيتين حتى فرغ
من القصيدة وكان الجحاف يأكل رطباً فجعل النوى يتساقط من يده غيضاً فأجابه فقال
بلى سوف نبكيهم بكل مهند ونبكي عميراً بالرماح الشواجر

ثم قال يا ابن النصرانية ما ظننتك تجترى على بمنزل هذا ولو كنت مأسوراً لك فحم
الأخطل خوفاً فقال عبد الملك أنا جار لك منه فقال يا أمير المؤمنين هبك أجرتنى

يريد إني كنت بالشام وسهيل لا بكاد يرى هناك وهذا بيت معين وفيها يقول
 ونحن أناسٌ لا نُعوِّدُ خيلنا إذا ما التقينا أن تُحمِدَ وتنفرا
 ونُكرِ يومَ الرُّوعِ ألوانَ خيلنا من الطَّمنِ حتى نَحسِبَ الجونَ أحمرًا
 وليسَ بمَعروفٍ لنا أن نردَّها صحاحًا ولا مُستنكرًا أن تُعقَّرًا
 أخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال
 أنشدنا محمد بن سلام وغيره للنايفة الجمدي

تلومُ علي هلك البعيرَ ظمِئني وكنتُ على لومِ العواذِلِ زاريا
 أَلَمْ تَعلِمي أني رزِئتُ محارِبًا فما لكِ مِنْهُ اليَوْمَ شينًا ولا ليا
 ومن قبله ما قد رزِئتُ بوَحوحٍ وكانَ ابنُ أُمي والخليلُ المُصافيَا
 فتى كملتُ أخلاقُه غيرَ أَنَّهُ جَوادٌ فما يُبقي من المالِ باقيا

منه في البقطة فمن يجبرني منه في اليوم ثم قام الجحاف ومشي يجبر ثوبه وهو لا يعقل حتى
 دخل بيتاً من بيوت الديوان فقال للكاتب اعطني طوماراً من طوامير اليهود فأناؤه
 بطومار وليس فيه كتاب فخرج الى أمهائه من القيسية فقال ان أمير المؤمنين ولأني
 صدقات بكر وتغلب فلحقه زهاء ألف فارس فسار حتى أتى الرصافة ثم قال لمن معه
 ان الأخطل قد أسمعني ما علمتم ولست بوال فمن أحب أن يغسل عنه العار فليصحبني
 فاني قد آليت ان لا أغسل رأسي حتى أوقع بيني تغلب فرجموا غير ثلاثمائة فارس لباته
 فصبح الرحوب وهو ماء لبني جنم بن بكر رهط الأخطل فصادف عابه جماعة كثيرة
 من تغلب فقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ الأخطل وعليه عباءة وسنخة فظنوه عبداً
 وسئل فقال أنا عبد فخلوا سبيله فخنس أن يراه من يعرفه فرمى بنفسه في جب فلم
 يزل فيه حتى انصرفت القيسية فدجا وقتل أبوه غوث وأسرف الجحاف في القتل
 وشق البطون عن الأجنة وفعل أمراً عظيماً فقدم الأخطل على عبد الملك وأنشده
 لقد أوقع الجحاف النخ

فَتِي كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلِيٌّ أَنْ فِيهِ مَا يَسُوهُ الْأَعْدَايَا

و بروی فوق نمّ فيه مایسر

أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدَيْنِ مَمِيدٌ إِذَا الْمِزْخُ لِلْجِذَاءِ صَبَحَ غَادِيَا

— السميع مدع۔ السيد • • • وما يروى له أيضاً

عَمِيلَةٌ أَوْ مِنْ هَلَالِ بْنِ عَامِرٍ
إِذَا ابْتَسَمَتْ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ دُونَهَا
بِذِي الرِّمْتِ مِنْ وَادِي الْمِيَاهِ خِيَامُهَا
أَضَاءَ دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ابْتِسَامُهَا

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق بن غالب عن الجعدي فقال صاحب خلتان يكون عنده خمار فوافي بألف دينار ومطرف بدينار . . قال الأصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام أهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب ثم أشد له

سَمَّاكَ هُمْ وَلَمْ تَطْرَبِ
وَقَالَتْ سُلَيْمِي أَرَى رَأْسَهُ
وَذَلِكَ مِنْ دَفْعَاتِ الْمُنُونِ
أَتَيْنَ عَلِيَّ إِخْوَةٌ سَبْعَةٌ
وَبَتَّ يَثْرٌ وَلَمْ تَنْصِبِ
كِنَاصِيَةَ الْفَرَسِ الْأَشْهَبِ
فَفِيئِي إِلَيْكَ وَلَا تَعْجَبِي
وَعُذْنَ عَلِيَّ رُبْعُ الْأَقْرَبِ

ثم يقول بعدها

فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ بَرْدَ الْجَنَّةِ نِجْدَانِ فِي مَدْخَلٍ طَيِّبٍ

فلان كلامه حتى لو ان أبا الشمقمق قال هذا كان ردياً ضعيفاً .. قال الأصمى وطريق الشعر اذا أدخلته في باب الخير لَأَنَ الْأَرَى إِلَى حَسَّانِ بْنِ نَابِتٍ كَانَ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ فَلَمَّا أُدْخِلَ شَعْرُهُ فِي بَابِ الْخَيْرِ مِنْ مَرَاتِنِي النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَحُزَّةُ وَجُمْفَرٍ وَغَيْرِهِ لَأَنَ شَعْرُهُ



مجلس آخر ١٩

مسألة تتعلق بما ذكرناه ان سأل سائل فقال كيف يصح ما أوردتموه من تطاول الأعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيراً من الناس يشكر ذلك ويحمله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل اليه وفيهم من ينزل من انكاره درجة فيقول انه وان كان جازاً من طريق القدرة والأمكن فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقاً للعادات وان العادات اذا وثق الدليل بانها لا تخرق إلا على سبيل الابانة والدلالة على صدق نبي من الأنبياء علم ان جميع ما روي من زيادة الأعمار على العادة باطل مصنوع لا يلتفت الى مثله . الجواب قيل له أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة وأخرجه من باب الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة وما المقتضي لدوامه اذا دام وانقطاعه اذا انقطع علم من جواز امتداده ما علمنا والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حياً وغير حي حياً وان شئت أن تقول هو استمرار الحي الذي لكونه على هذه الصفات ابتداء حياً وانما شرطنا الاستمرار لانه يتعذر أن يوصف من كان حاله واحدة حياً بان له عمراً بل لا بد من أن يراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار وان قل وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حي أو يكون لكونه حياً ابتداء لثلاث يلزم عايه القديم تعالى لانه تعالى جلت عظمتة ممن لا يوهف بالعمر وان استمر كونه حياً وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى وفيما نحتاج اليه الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل إلا تحت مقدوره كالرطوبة وما يجري مجراها ففي فعل القديم تعالى الحياة وما يحتاج اليه من البنية وهي مما يجوز عليه البقاء وكذلك ما يحتاج اليه فليست تنفي إلا بضد يطرأ عليها أو بضد ينفي ما يحتاج اليه والأقوى انه لا ضد لها في الحقيقة وانما ادعى قوم بانه لا يحتاج اليه ولو كان للحياة على الحقيقة لم نحل بما قصدناه في هذا الباب فهما لم يفعل القديم تعالى ضدها أو ضد ما يحتاج اليه ولا نقض منا نافي بنية الحي استمرار كون الحي حياً ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه محبباً لانه تعالى قادر على أن يفعلها حالاً خالاً ويوالي

بين فعلها وفعل ما تحتاج اليه فيستمر كون الحي حياً فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الانسان فليس مما لا بد منه وانما أجرى الله تعالى العادة بان يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك ولا تأثير للزمان على وجهه من الوجوه وهو تعالى قادر على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله اذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل وانما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد ان استمرار كون الحي حياً موجب على طبيعة وقوة لهما مبلغ من المادة متى انتهت اليه انقطعنا واستحال أن تدوما ولو أضافوا ذلك الى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة . . فأما الكلام في دخول ذلك في العادة وخروجه عنها فلا شك فان العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متفاوتة تعد الزيادة عليها خارقاً للعادة إلا أنه قد ثبت ان العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً ويجب أن يراعى في العادة اضافتها الى من هي عادة له في المكان والوقت وليس يمتنع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدريج حتى يصير حدونه خارقاً للعادة بغير خلاف وأن يكثر الخارق للعادة حتى يصير حدونه غير خارق لها على خلاف فيه واذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها ثم تناقص ذلك على تدريج ثم صارت عادتنا الآن جارية بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة وهذه جملة فيما أردناه كافية



باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي تسميها قوم المسكتة

اعلم ان أجوبة المحاورة والمناظرة انما تستحسن وتؤثر اذا جمعت مع الصواب سرعة الحضور فكمن جواب أتى بعد لائي وبعد تقاعس لم يكن له في النفوس موقع ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع وان كان المتناقل أعرق في نسب الإصابة وآخذ بأطراف الحجة ولهذا قيل أحسن الناس جواباً وأحضرهم قريش ثم العرب وان الموالي تأتي أجوبتها بعد فكرة وروية . . وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان فقال سحر العبدى لماوية بن أبي سفيان وقد سأله عن البلاغة فقال أن يصيب فلا يخطئ ويسرع

فلا يبطل ثم اختصر ذلك فقال لا يخطئ ولا يبطل... ولطول الفكرة والاصراق في الرواية
 مذهب وأوان لا يحمد فيها التسرع والتعجل كما لا يحمد في أوان السرعة التثاقل والتأيد
 وإنما تحمد السرعة في أجوبة المحاور والمناظرة وتراد الفكرة والرواية للآراء المستخرجة
 والأمور المستنبطة التي على الإنسان فيها مهلة وله في تأملها فسحة ولا عيب عليه معها
 في اطالة التأمل وإعادة التصفح ولهذا قال الأحنف بصفين أغبوا الرأي فإن ذلك يكشف
 لكم عن محضه... وقال عبد الله بن وهب الراسي لما أراد الخوارج على الكلام حين
 عقدوا له لاخير في الرأي الفطير والكلام القضيبي... وشوور ابن التوام الرقاني
 فأمسك عن الجواب وقال ما أحب الخبز إلا بأثنا... فأما قولهم ثلاث يعرفن في الأحمق
 سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة بكل أحد فمحمول على اسراعه بالجواب عند
 الرأي والمشاورة والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت أو على الاسراع من غير
 تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم لا إشكال فيه ثم نعود الى ما قصدناه... روى ان
 بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سأله متى يعرف الإنسان ربه فقال اذا عرف
 نفسه... وقال له عليه الصلاة والسلام رجل إنى أكره الموت فقال أنك ما قال نعم قال
 قدّم مالك فإن قلب كل امرء عند ماله... وقال يهودى لأُمير المؤمنين عليه السلام
 ما دفتم نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال عليه السلام إنما اختلفنا عنه لافيه ولكنكم ماجفت
 أقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون...
 وروى انه عليه السلام ما فرغ من دفن النبي صلى الله عليه وسلم سأل عن خبر السقيفة
 فقيل له إن الأنصار قلت منا أمير ومنكم أمير فقال عليه السلام فهل لا ذكرت الأنصار
 قول النبي صلى الله عليه وسلم تقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر
 فيهم والوصاة بهم... وقال له عليه السلام ابن الكواء يا أمير المؤمنين كم بين السماء
 والأرض قل دعوة مستجابة... وقيل له ما طعم الماء فقال طعم الحياة... وقيل له كم بين
 المشرق والمغرب قال مسير يوم للشمس... وأثنى عليه رجل وكان منهما فقال أنا دون
 ما تقول وفوق ما في نفسك... وكان عليه السلام اذا طراه رجل قال اللهم أنك أعلم بي
 منه وأنا أعلم منه بنفسى فاغفر لي ما لا أعلم... أخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني

عبد الواحد بن محمد الحمصيني قال حدثني أبو علي أحمد بن اسماعيل قال حدثني أيوب ابن الحسين الهاشمي قال قدم على الرشيد رجل من الأنصار يقال له نفييع وكان عَرِيضاً قال فحضر باب الرشيد يوماً ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليه السلام على حمارٍ له فتلقاه الحاجب بالبشر والاكرام وأعظمه من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفييع لعبد العزيز من هذا الشيخ فقال أو ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل أبي طالب هذا موسى بن جعفر فقال بما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل بقدر أن يزيلهم عن السرير إنا لن نخرج لأسوانه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هؤلاء أهل بيت قل ما تعرض لهم أحد في خطاب إلا وسموه بالجواب سمته يبقى عارها عليه مدى الدهر قال فخرج موسى بن جعفر عليه السلام فقام اليه نفييع الأنصاري فأخذ بلجام حماره ثم قال له من أنت قال يا هذا ان كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله بن اسمعيل ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضى مشركوا قومي مسلمي قومك أكفاء لهم حتى قالوا يا محمد اخرج البناء أكفاءنا من قريش وان كنت تريد الصيت والاسم فحقن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوة الفرائض بقول اللهم صل على محمد وآل محمد ونحن آل محمد خل عن الحمار قال فخلى عنه ويده ترتعد وانصرف يجزي فقال له عبد العزيز ألم أقل لك .. ويقال ان معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد فقال له أنت أعلم بأميله ونهاره .. وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الخزيمي مدحك لحمد بن منصور أجود من مرانيك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما بون .. ودخل مطيع بن إلياس على الهادي في حياة المهدي فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقيل له مه فقال بهد أمير المؤمنين .. وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب وكان جيد الجواب حاضره فقال أنا خير لك من أخيك فقال عقيل ان أخي آثر دينه على دنياه وانك آثرت دنياك على دينك فأخي خير لنفسه منك وأنت خير لي منه .. وقال له يوماً ان فيكم لشبقة يا بني هاشم فقال هو منّا في الرجال ومنكم في النساء .. وقال له

يوماً وقد دخل عليه هذا عقيل عمه أبو هب فقال عقيل هذا معاوية عمته حمالة الحطب
 وعمة معاوية أمُ . . . ن أمية وكانت امرأة أبي هب . . . وقال له يوماً يا أبا
 يزيد أين ترى عمك أبا هب فقال له عقيل إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجد مفترساً
 عمتك فانظر أيهما أسوأ حالاً الناكح أم المنكوح . . . وقال له ليلة الهرب بصفتين يا أبا
 يزيد أنت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم . . . وقيل لسعيد بن المسيب وقد كُفَّ
 ألا تقدح عينك قال حتى أفتحها على من . . . ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال
 له كبرت يا معن قال في طاعتك قال واليك لتجملد قال على أعدائك قال وإن فيك لبقية
 قال هي لك . . . وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله لأقتلك قتلة يتحدث بها
 بعدك فقال مسلم أشهد أنك لاتدع سوء القتلة ولو لم القدرة لأولى بهما منك . . . وقال
 رجل لمعرو بن العاص لا تفرغن لك قال إذا وقعت في الشغل . . . وقال معاوية لمعرو
 ابن سعيد بن العاص الملقب بالأنشدق الى من أوصى بك أبوك فقال ان أبي أوصى الى
 ولم يوص بي . . . وقال عبيد الله بن زياد بن طبيان لابنه وقد حضرته الوفاة قد أوصيت
 بك فلاناً قاله بعدى فقال يا بُت إذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحى هو الميت . . .
 وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي أنشدني بعض قولك في الحر فأنشده
 كَمِيتٌ إِذَا شَجَّتْ فِي الكَأْسِ وَرَدَّةٌ لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِينَ دَيْبُ

فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرقاع لئن كان نعي لها بذلك رابك لقد رابني
 معرفتك بها . . . ولما أتى معاوية نبي الحسن بن علي عليهما السلام بعث الى ابن عباس
 وهو لا يعلم الخبر فقال ماجاءك خبر من المدينة قال لا قال أنا نبي الحسن وأظهر سروراً
 فقال ابن عباس إذا لاتنسأ ولا يسد حفرتك قال أحسبه قد ترك صبية صفاراً قال كلنا
 كان صغيراً وكبر قال وأحسبه قد بلغ سنأ قال مثل مولده لا يجهل قال معاوية وقال
 قائل أنك أصبحت سيد قومك قال أما وأبو عبد الله الحسين بن علي حي فلا فلما كان
 من غدٍ أتى يزيد بن معاوية ابن عباس وهو في المسجد يعزي مجلس بين يديه جلسة
 المعزى وأظهر حزناً وغماً فلما انصرف أتبعه ابن عباس بصره وقال إذا ذهب آل حرب

ذهب حلم قريش .. وروى ان وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز فأراد فتي منهم الكلام فقال عمر لينكلم أ كبركم فقال الفتي ان قريشاً ل ترى فيها من هو أسن منك فقال له تكلم يافتي .. روى محمد بن سلام الجمحي قل أنشد كثير عبيد الملك بن مروان شعراً

على ابن أبي العاصي دِلاصُ حصينةً أجادَ المسدي نَسجها فأذالها

فقال له هلاً قلت كما قال الأعشى

وإذا تكونُ كتيبةٌ ملمومةٌ شهباءُ يحشي الذائدونَ نهالها
كنتَ المُقدَّم غيرَ لابسِ جنةٍ بالسيفِ تَضربُ مُعلماً أبطالها

فقال له انه وصفه بالخرق ووصفك بالحزم .. ويشبه ذلك ماروي عن أبي عمرو بن العلاء انه لقي ذا الرمة فقال أنشدني قصيدتك

ما بال عينيك منها الدَّمعُ ينسكبُ كأنَّه من كُلِّ فَرِيَةٍ سَرَبُ

فأنشده إياها فلما بلغ الى قوله

تُصْنِي إِذَا شَدَّهَا بِالْكُورِ جَانِحَةً حَتَّى إِذَا مَا أُسْتَوَى فِي غَرْزِهَا تَثِبُ

فقل له عمرو بن العلاء قول الراعي أحسن مما قلت

تَرَاهَا إِذَا قَامَ فِي غَرْزِهَا كَمَثَلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ
وَلَا تُعْجِلُ الْمَرْءَ عِنْدَ النَّزْوِ لِوَهْنِ بَرٍّ كَبْتِهِ أَبْصَرُ

فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وأنا وصفت ناقة سوقة .. وحكي الصولي انه سمع ذا الرمة يئشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل فأما الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو لسع مضافور .. وقوله - تصني - يريد تميل رأسها كأنها تسمع ليست بنفور بل مؤدبة مقومة - والكور - الرحل .. وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة في مدحه للخصيب بن عبد الحميد

فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ بِإِذْنِهِ وَقُرْ

فلم يرض بان وصفها بالاصفاء حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في الأذن لان الثقل السمع يكون اصفاؤه وميله الى جهة الحديث أشد واكثر ٠٠ [قال المرتضى] رضى الله عنه واني لأستحسن القصيدة التي من جملتها البيت الذي أوردناه لأبي نواس لانها دون العشرين بيتاً وقد نسب في أولها ثم وصف المبالغة بأحسن وصف ثم مدح الرجل الذي قصد مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق ورواق يترقق وسهولة مع جزالة والقصيدة

يَا مَنَّةً أَمْتَنَهَا السُّكْرُ مَا يَنْقُضِي مَنِيَّ لَهَا الشُّكْرُ
أَعْطَيْتَكَ فَوْقَ مَنْكَ مِنْ قَبْلِ قَدْ كُنَّ قَبْلَ مَرَامِهَا وَعَزْ
يَتَنَّى إِلَيْكَ بِهَا سَوَالِفُهُ رَشَاءُ صِنَاعَةٍ عَيْنِهِ السَّحَرُ
ظَلَّتْ حُمَيَّا الْكَأْسِ تَنْشِطُنَا حَتَّى تَهْتِكَ بَيْنَنَا السِّتْرُ
فِي مَجْلِسِ ضَحِكِ السُّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِذِيهِ وَحَدَّتِ الْخُمُرُ

٠٠ أما قوله - حلت الخمر - فيحتمل أن يريد به ان ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور النامول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر وملجئاً الى تناولها ورافعاً للخرج فيها على مذهب الشـمراء في المبالغة ويكون فائدة وصفها بأنها حلت المبالغة في وصف الحال بالحسن والطيب ٠٠ ويحتمل أن يكون عقد على نفسه وآلى ألا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع مع محبوبه وكان الاجتماع معه مخرجاً عن يمينه على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم الى أن يأخذوا بنأرهم ويمجري ذلك مجرى قول الشنفرى

حَدَّتِ الْخُمُرُ وَكَانَتْ حَرَامًا وَبِأَيِّ مَا أَلَمَّتْ نُحَلِّ^(١)

(١) نسبة القصيدة التي منها هذا البيت الى الشنفرى وانه رثى بها خاله تأبط شرأ غير صحيحة لأن الشنفرى مات قبل تأبط شرأ ورثاه تأبط شرأ بأبيات مشهورة ومن رواها أبو الفرج الأصبهاني وابن الأنباري وأولها

•• ويحتمل ان يريد بجلت نزلت وأقامت من الحلول الذي هو المقام لامن الحلال فكأنه وصف بلوغ جميع آرايه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التي فيها جميع الاذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه أحد ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالقول يحتمله ولا مانع من أن يكون مراداً وقد قيل انه أراد استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام والوجوه المقدمة أشبه وأقرب الى الصواب والله أعلم

ولقد تجوبُ بي الفلاة إذا صامَ النهارُ وقالتِ العفْرُ

أراد - بصام - وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول - والعفْر - الظباء الاواني في ألوانها حمرة يخالطها كدرة - وقالت - من القائلة وهي وقت نصف النهار لا من النول
شَدْنِيَّةٌ رَعَتْ الْحِمَافَاتُ مِلءَ الْجِبَالِ كَأَنَّهَا قَصْرُ

- الشدنية - من الابل منسوبة الى شدن موضع باليمن يقال لملكه ذو شدن
تَثْنِي عَلَيَّ الْحَاذِينَ ذَا خُصْلٍ تَعْمَالُهُ الشُّذْرَانُ وَالْخَطَرُ

- الحاذ - مؤخر الفخذ - والشذران - رفع الناقة ذنبها من المرح - والخطران - معروف من خطر بخطر - وتعماله - أي عمله

أَمَّا إِذَا رَفَعْتَهُ شَامِذَةً فَتَقُولُ رَذَقَ فَوْقَهَا نَسْرُ

يعنى - بشامذة - أي مبالغه في رفع ذنبها ويقال - رنق - الطائر اذا نشر جناحيه طائراً من غير تحريك

أَمَّا إِذَا وَضَعْتَهُ خَافِضَةً فَتَقُولُ أَرْخَى دُونَهَا سِتْرُ

وَتَسِفُ أَحْيَانًا فَتَحْسِبُهَا مِتْرَسِمًا يَقْتَادُهُ إِثْرُ

معنى - تسف - أي تدني رأسها من الأرض - والمترسم - متبع الرسم ومتأمله ومعنى - يقتاده - أي هو معنى بطلب الأثر موكل بتبعه •• ويقال أثر وأثر وإثر ثلاث لغات

على الشنفرى صوب الغمام ورائح غزير الكلى وصيب الماء باكر
ولأن تأبط شراً ليس بخال للشنفرى

وقد وهم الصولي في تفسير هذا البيت لأنه قال ان أبانواس جمع لأثر آثاراً ثم جمع
الآثار آثاراً ثم خفف فقال إثرٌ وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما أوردناه وانما ذهب عليه
أنه يقال في الأثر إثرٌ

فَإِذَا قَصَرَتْ لَهَا الزَّمَانُ سَمَا
فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لَتُسْمِعَهُ
تَبْرِي لَأَنْ تَقَاضِ أَضْرَّ بِهَا
فَوْقَ الْمَقَادِمِ مُنْطَمٌ حُرٌّ
بَعْضَ الْحَدِيثِ بِأُذُنِهِ وَقُرْ
جَذِبُ الْبُرَى فَخُذْ وَدُهَا صَفْرُ

معنى- تبرى - تنبرى أى تمرض لهذه الاقاض - والاقاض- جمع نقض وهو البعير الذى قد أهزله السفر والكد - والبرى - جمع برة وهي الحلقة التى تكون فى أنف البعير يذلل فيها

يَزْمِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أُمِّ
أَنْتَ الْحَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ
لَا تَقْعُدَا بِي عَنْ مَدَى أُمِّي
وَيَحِقُّ لِي إِذْ صِرْتُ بَيْنَكُمَا
عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ
فَتَدَقَّقَا فَكَلَا كَمَا بَجُرُ
شَيْئًا فَمَا لَدَا بِهِ عُدْرُ
أَنْ لَا يَحِلَّ بِسَاحَتِي قَمَرُ



— مجلیس آخر ۲۰ —

ثم نعود الى ما كنا آخذين فيه من ذكر مستحسن الجوابات .. روى أن رجلا
نظر الى كثير الشاعر وهو راكب وأبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام يمشي فقيل له
أترك وأبو جعفر يمشي فقال هو أمرني بذلك وأنا بطاعته في الركوب أفضل . في في
عصيانى إياه بالمشى .. وروى ان دعاة خراسان صاروا الى أبى عبد الله الصادق عليه
السلام فقالوا له أردنا ولد محمد بن عليّ فقال أولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا لو

أراد الله بنا خيراً كنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله أردت الخروج علينا فقال نحن نذل عايكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دوائكم . . وقال عبد الملك بن مروان لنصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشهر مفلغل واللون مرمد وإنما قربني إليك عقلي فبهه لي . . وقال مروان بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولي منهزماً كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لأسوءك فقال وددت أنك تفدر على ذلك . . وقال يحيى بن خالد لشريك علمنا بما علمك الله يا أبا عبد الله فقال له شريك إذا علمت بما تعلمون علمناكم ما تجهلون . . وقال المأمون لحمد بن عمران بلغني أنك بخيل فقال ما أجدر في حق ولا أذوب في باطل . . وقيل لأبي دؤاد الأيادي ونظر الى بنته تسوس فرسه أهنها يا أبا دؤاد فقال أهنها بكرامتي كما أكرمها بهواني . . ومثل ذلك قول اصراحي لحقه ذل على باب السلطان

أَهْنِ لِهَمْ نَفْسِي لَا تُكْرِمَهَا بِهِمْ وَلَنْ تُكْرِمَ النَّفْسَ الَّتِي لَا تُهَيِّنُهَا

ودخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه فقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك فقال عمارة غصيني ضيعتي فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة ما هو لي بخضم فقال له كيف قال ان كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة . . وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة سلفي حاجتك فقال لا أسأل في بيت الله غير الله . . وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل له ان الله تعالى يقول (قل ان ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تتمعون إلا قليلاً) فقال ذلك القليل نطلب . . وقيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة تراباً وماء فاستحال دوداً وهواماً وقال لأصحابه إني خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقبله كم هو وكم الذكران منه والأنثى ان كان خاقه وكم وزن كل واحدة منهن وليأمر التي تسمي الى هذا الوجه أن ترجع الى غيره فانطلق وهرب . . وقال المأمون للفضل بن سهل إني أخاف عليك أقواماً يعادونك فلا تركب الى إلا في جيش فقال الفضل ما أخاف غيرك فان أمنتني

من نفسك لم يضرني انسان .. وقيل لأبي ثور ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد ابن سلمة بن دينار فقال بينهما في العلم كقيمة ما بين أبييهما من الصرف .. وأراد المأمون تغيبيل السواد وجلس بناظر العمال على ذلك فقام إليه رجل من الدهاقين فقال يا أمير المؤمنين ان الله ولاك علينا بالأمانة فلا تقبلنا فأضرب عن ذلك .. وقال رجل لابن عباس زوجني فلانة وكانت بتيمة في حجره فقال لا أرضاها لك لانها تتشرف فقال الرجل قد رضيت أنا فقال ابن عباس الآن لا أرضاك لها .. وبشبه هذا الخبر من وجه ما رواه المحدثي قال أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المرمي وبين القاسم بن ربيعة الجوشى من بنى عبد الله ابن غطفان فيولي القضاء أنفذهما فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما فقال إياس للشامي أبها الرجل سل عني وعن القاسم فقيمي المصير الحسن وابن سيرين فمن أشارا عليك بتوليته فوله وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ولم يكن إياس بآتيهما فعلم القاسم انه ان سألهما أشارا به فقال للشامي لا تسأل عني ولا عنه فوالذي لا إله إلا هو ان إياساً أفضل مني وأفقه وأعلم بالقضاء قل كنت عندك ممن يصدق انه لينبي لك أن تقبل مني وان كنت كاذباً فما يحل لك أن توابني وأنا كاذب فقال إياس للشامي انك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فأفقدى نفسه من النار أن تعرفه فيها بين حلقها كذب فيها يستغفر الله منها ويخجوا مما يخاف فتنازل الشامي أما اذ قطت لهذا فاني أوليك فاستقضاء (١) .. ولما أمضى معاوية بيعة ولده يزيد جعل الناس بقرظونه فقال يزيد لأبيه ما ندرى

(١) قوله فاستقضاء وفي غير الأصل بعد ان استقضاء فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكى إياس وقال بأبا سعيد باغى ان القضاء ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فتنازل الحسن ان فيما قضى الله تعالى في النبي داود ما يرد قول مولاي ثم قرأ قوله تعالى (ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً) فحمد سليمان ولم يذم داود

أخضع الناس أم يخدموننا فقال يا بني من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته
 .. وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد سمع صوت قصار يقول
 ياليتني كنت غسلاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم فباع ذلك أبا حازم فقال الحمد لله الذي
 جعلهم عند الموت يتنون ما نحن فيه .. وقل الواثق للجاحظ يمانوي فقال لو كان
 الذي أضفتني إليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه فكيف أكون على دينه ..
 وقال ابن عباس للخوارج وقد أرسله أمير المؤمنين إليهم نشدتكم الله أيما أعلم بالتأويل
 والتنزيل علي أم أنتم فقالوا علي فقال أليس تدرّون لعل الذي حكم به فيكم بفضل علمه
 على ما لا تعلمون فرجع أكثرهم .. وقال عتيبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس
 ما منع علي بن أبي طالب أن يجعلك أحدهم الحكمين فقال أما والله لو بعثني لاعتزنت
 مدارج أنفاسه أطير اذا أسف^(١) وأسف اذا طار ولعقدت له عقداً لا تنتقض مريته
 ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدره ومضى أجل والآخرة خير لأمر المؤمنين من
 الدنيا .. وقال أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام لكثير امتدحت عبد الملك بن
 مروان فقال له لم أقل له يا امام الهدى انما قلت يا شجاع وشجاع حية ويا أسد والأسد
 كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم أبو جعفر عليه السلام .. وقلت بنت عبد الله بن
 مطيع لزوجها يحيى بن طلحة ما رأيت ألام من أمحباك اذا أيسرت لزموك واذا أعسرت
 تركوك فقال هذا من كرمهم يأتوننا في حال القوة منا عليهم ويفارقوننا في حال الضعف
 منا عنهم .. وقيل لابراهيم النخعي متى جئت قال حيث احتيج الي .. وروى رجل
 يصلي صلاة خفيفة فقال له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها رياء .. وأخبرنا أبو
 عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي لأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي
 قال تزعم الرواة ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاث لم ير مثله والآت لم
 يسمع بمثله فأراد أن يرى الناس عظم ما فتح ويعرفهم اقدار القوم الذين ظهر عليهم
 فأمر بدار ففرشت وفي صحنها قدور يرتقى اليها بسلايم واذا الحصين بن المنذر بن الحارث

(١) قوله أطير اذا أسف يقال أسف الطائر اذا دنا من الأرض في طيرانه وقيل طام

على الأرض دانياً منها حتى كادت رجلاه يصلانها

ابن وعله الرقائي قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحصين شيخ كبير فلما رآه
عبدالله بن مسلم أخو قتيبة قال لقتيبة أتأذن لي في معاتبته قال لا ترده فانه خبيث الجواب
فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسوّر حائطاً الى امرأة
قبل ذلك فأقبل على الحصين وقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان فقال أجل أسن عمك
عن تسوّر الحيطان قال رأيت هذه القدور قال هي أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب
بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو رآها سمي شبعان ولم يسم عيلان
فقال له يا أبا ساسان أنعرف الذي يقول

عزّلنا وأمرنا وبكر بن وائل تجرّ خصاها تبغني من تحالف

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخينة من يخيب علي غني وباهلة بن يعصروا الرّباب

قال أنعرف الذي يقول

كأن فتاح الأزد حول بن مسمع وقد عرقت أفواه بكر بن وائل

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

فتموم قتيبة أمهم وأبوهم لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

قال أما الشعر فأراك تزوبه ولكن هل قرأ من القرآن شيئاً قال نعم أقرأ منه الكثير
الطيب (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) فأغضبه فقال
والله لقد بلغني ان امرأة الحصين حملت وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ من
هيبته الأولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاماً على فراشي فيقال ابن الحصين كما
يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غبرك . . ولقي شريك
النمري رجلاً من بني نعيم فقال له التميمي بعجبتني من الجوارح البازي فقال له شريك
وخاصة اذا صاد القطا أراد التميمي بقول البازي قول جرير

أنا البازي المطل على نعيم أتيح من السماء له أنصباها

وأراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماج
 تميم بطرق اللوم أهدي من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضللت
 . . وسابر شريك النخيري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت بغلته برذون عمر فقال
 له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها مكتوبة فقال عمر ما أردت ذلك قال شريك
 ولا أنا أردته ظن . . شريك ان عمر أراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير
 فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً^(١)
 وعنى شريك بقوله مكتوبة قوله

لا تأمنن فزارباً خلوت به علي قلو صك وأكتبها بأسيار^(٢)
 يعنى - باكتبها - شدها . . وأنشد أبو تمام الطائي أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي
 ٤ - حه فيها فلما بلغ الى قوله

في حلم أحنف في شجاعة عامر في جود حاتم في ذكاء إياس^(٣)
 فقال له الكندي وكان حاضراً ما صنعت شيئاً قال وكيف قال لأن شعراء دهرنا قد

(١) وهو من قصيدة مشهورة لجرير بن عطية الخطفي بهجو بها الراعي النخيري
 وقومه ويقال لهذه القصيدة الفاضحة والداغمة . . ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير
 فأداموا النظر اليها فقلت قبحكم الله يا بني نمير ما قبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين
 يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر * فغض الطرف إنك من نمير * النخ

(٢) قوله اكتبها بأسيار أى شد حياؤها أي اختتمه بأسيار جمع سير وذلك لأن بني
 فزارة يرمون بغشيان الابل
 (٣) الرواية المعروفة

أقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس
 - عمرو - يعنى به عمرو بن معد يكرب - وإياس - يعنى به إياس بن معاوية قاضياً كان بالبصرة
 بوصف بالذكاء وكان من قوم يظنون الشيء فيكون كما يظنون حتى شهر أمرهم في ذلك
 (٢٧ - أمالي)

تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الي قول أبي العكوك في أبي دلف
 رَجُلٌ أَرَبَّ عَلَى شَجَاعَةٍ عَامِرٍ بِأَسَاءٍ وَغَيْرٍ فِي مُحْيَا حَاتِمٍ
 فأتارق الطائي ثم رفع رأسه وأشد

لَا تَنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مِنْ دُونِهِ مَثَلًا شَرُودًا فِي الْعَدَى وَالْبَاسِ^(١)
 فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْإِقْلَ لِلنُّورِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

(١) قوله لا تنكروا الى آخر البيتين أى لا تنكروا قولي اقدمه كاقدم عمرو
 وذكاؤه كذكاؤه إيس وهو أدكى منه لأن الله تعالى قد شبه نوره بما هو أقل منه اذا
 كان المشبه به من أبلغ ما يعرفه الناس ضوء فقل مثل نوره كشكاة وهي الكوة ليست
 بناقذة وأنحاب النفسير يزعمون ان أصابها حبشي وأما لفظها فيدل على انها عربية من
 شكوت والنبراس المصباح ويقال انه ليس بعربي . . وكان أبو تمام أنشد أحمد بن المعتمد
 هذه القصيدة وإيس فيها البيتان أعني قوله لا تنكروا والبيت الذي بعده فقال يعقوب
 ابن اسحاق الكندي وكان يخدم أحمد الأمير أكبر من كل نبي من شبهته به فعمل
 هذه البيتين وزادها في القصيدة من وقته فعجب أحمد وجميع من حضر من فطنته
 وذكاؤه وأضعف جائزته . . وروى انه لما مدح الخليفة بهذه القصيدة قل له الوزير أنشبه
 أمير المؤمنين باجلال العرب فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأنشد البيتين فقال الوزير
 للخليفة أى شئ طلبه فاعطاه فانه لا يعيش أكثر من أربعين يوماً لأنه قد ظهر في عينيه
 الدم من شدة الفكرة وصاحب هذا لا يعيش الا هذا القدر فقال له الخليفة ما تشتهي
 قال أريد الموصل فاعطاه إياها فتوجه اليها وبقي هذه المدة ومات وهذه القصة لاصحة لها
 أصلاً وروى من غير هذا الوجه ان أبا تمام لما مدح محمد بن عبد الملك الزيات الوزير
 بقصيدته التي منها

ديمة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب
 لو سمعت بقعة لاعظام أخرى لسمي نحوها المكان الجديب

.. وقال ابن هبيرة لأبي دلامة وكان مولى لبني أمية لما ظهرت المسودة لآخذن لك منهم عبداً صالحاً يخدمك فلما علت كلمتهم وفشت دعوتهم قال أبو دلامة ليت الله قبض لي منهم مولى صالحاً أخدمه .. وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك كاملة سوى حقد فيك فقال أنا خزانة تحفظ الخير والشر .. وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى في قوله

وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوَامُ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى وَبَعْضُ السَّجَا يَأْتِسِبُنَ إِلَى بَعْضٍ
فَحَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي أَشَاءَةٍ فَتَمَّ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرَضِ
إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رُبْعَ مَا أَنْتَ زَارِعٌ مِنْ الْبَذْرِ فِيهَا فَهِيَ نَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ
.. وقال الحجاج للحطيط الخارجي ما قول في عبد الملك بن مروان قال ما أقول في رجل أنت خطيئة من خطاياهم قال فهل هممت بي قط قال نعم ولكن حال بيننا بينٌ وقد ر وقد أعطيت الله عهداً ان سأتني لأصدقك ولأن خلعت عنى لأطلبك ولأن عذبتني لأصبرن لك وأمر بقتله .. أما - البين - فهي الأرض الواسعة .. قال ابن مقبل
بَسْرُو حَمِيرَ أَبْوَالِ الْبِغَالِ بِهَا أَنِّي تَسَدَّيْتُ وَهَنًا ذَلِكَ الْبَيْنَا^(١)

قال له ابن الزيات يا أبا تمام انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبديع معانيك ما يزيد حسننا على بهي الجواهر في أجساد الكواعب وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازاة وكان يحضرته فيلسوف فقال له ان هذا الفتى يموت شاباً فقيل له ومن أين حكمت عليه بذلك فتال رأيت فيه من الحدة والذكاء والفتنة مع لطافة الحس وجودة الخاطر ما علمت به ان النفس الروحانية تأكل جسمه كما يأكل كل السيف المهند غمده وكذا كان لأنه مات وقد نيف على ثلاثين سنة

(١) قوله - بسرو حمير - قال الصاغاني والرواية من بسرو حمير لا غير - وتسديت - بفتح التاء على ارادة الخيال ويروى بكسرها وكسر كاف ذلك على ارادة ليلي صاحبة الخيال المذكورة في البيت قبله وهو
لم تسر ليلي ولم تطرق لحاجتها من اهل ديمان إلا حاجة فينا

.. وقبل لأبي العتاهية لما قال

عُتِبُ مَا لِلْخِيَالِ حِينَ يَبْنِي وَمَالِي

خرجت من العروض فقال أنا أكبر من العروض .. وقال عبد الملك بن مروان للهيم
ابن الأسود ما ملك قال قوائم من العيش وغني عن الناس فقيل له لِمَ لَمْ تنبر به فقال
ان كان كثيراً حسدني وان كان قليلاً ازدراني .. واغتاب الأعمش رجلاً من أصحابه
فطلع الرجل على هيئة ذلك فقال له رجل من أصحابه قل له ما قلته حتى لا يكون غيبة
فقال له الأعمش قل له أنت حتى تكون نيمة .. وقال معاوية لعمر بن العاص هل
غششتني مذ نصحتني قل لا قال بلى يوم أشرت على بمبارزة علي وأنت تعلم من هو قال
عمرو دعك رجل عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على إحدى الحسينين إما
أن قتله فنلت قتل الأقران وازددت شرفاً الى شرفك وخلوت بملكك وإما أن قتلك
فتعجل مرافقة الشهداء والصديقين والصالحين قال معاوية لهذه أشد على من الأولى فقال
عمرو فكنت في جهادك من شك فتتوب منه الساعة قال دعني منك الآن .. وقبل
للأحنف بن قيس وقد رأى مسيلة الكذاب كيف هو فقال ما هو بني صادق ولا بمنابي
حاذق .. وروى المبرّد قال قال زياد لأبي الأسود ادؤلي لولا أنك قد كبرت لاستعنا
بك في بعض أمورنا قال ان كنت تريدني للصراع فليس عندي وان كنت تريد رأيي
وعقلي فهما أوفر ما كانا .. وكان أبو الأسود حاضر الجواب جيد الكلام مليح البادرة
.. وروي عن الشعبي انه قال قاتل الله أبا الأسود ما كان أعف أطرافه وأحضر جوابه
دخل على معاوية بالبخيلة فقال له معاوية أ كنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت
صانعاً قال كنت أجمع ألعاً من المهاجرين وأبنائهم ولعاً من الأنصار وأبنائهم ثم أقول
يا معشر من حضر أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من العلفاء فلغنه معاوية وقال الحمد
لله الذي كفناك .. وقد روى ان أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة وقال لأمر
المؤمنين في وقت الحكمين يا أمير المؤمنين لا ترض بأبي موسى فاني قد عجمت الرجل
وبلوته فلبت أشطره فوجدته قريب القعر مع انه يمان وما أدري ما يبلغ نصحه
فابغني فانه لا يحل عقدة إلا عقدت له أشد منها وانهم قد رموك بحجر الأرض فان

قيل انه لا صعبة لي فاجملني ثاني اثنين فليس صاحبهم إلا من تعرف وكان في الخلاف عليهم كالنجم فأبى عليه السلام . . وروى محمد بن يزيد النحوي ان أبا الأسود كان شيعياً وكانوا يرمونه باليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن بربك ولكن الله بربك فقال كذبتم لو كان الله بربنني ما أخطأني . . وقال لهم يوماً يابني قشير ما في العرب أحب الى طول بقاء منكم قلوا ولم ذاك قال لأنكم اذا ركبتم أمراً علمت انه غي فاجتنبه واذا اجتنبتم أمراً علمت انه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فأنشأ يقول

يَقُولُ الْأَزْدَلُونَ بَنُو قُشَيْرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ لَا تَنْسَى عَالِيَا
أَحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَمُبَاسًّا وَحُمَزَةً وَالْوَصِيَّا
أَحِبُّهُمْ لِحُبِّ اللَّهِ حَتَّى أَجِي إِذَا بُعِثْتُ عَلَى هَوِيَّا
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أُصِيبُهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِيٍّ إِنْ كَانَ غِيًّا

فقالوا أشككت يا أبا الأسود فهل ألم تسمعوا الله تعالى يقول (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) أفترى الله شك . . أما قوله - هويًا - فانه لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور ^(١) مثل التقى والهوى والعصى . . قال أبو ذؤيب الهذلي

سَبَقُوا هَوِيَّ وَأَعْتَقُوا إِسْبِيَاهُمْ فَتُخَرَّ مَوَا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ

. . وروى ان أبا الأسود دخل على معاوية فقال له أصبحت جميلًا يا أبا الأسود فلو علمت نعمة تدفع العين عنك فقل أبو الأسود

(١) قوله يقولون ذلك في كل مقصور وأما غيرهم فيبقى الفتحة لزدل على ألف المنصور كمصطفى بفتح الفاء جمع مصطفى بالقصر وأما مصطفى بكسر الفاء فانه جمع مصطفى بالنةص وتسلم ألف النذية من القلب ياء اتفاقاً كسلماي إذ لا موجب لقلبها وقول أبي الأسود هوي أصله هواي فقايت الألف ياء وأدغمها في ياء المتكلم ولا يختص قلب ألف المقصور ياء بالغة هذيل بل حكاه عيسى بن عمر عن قريش وحكاها الواحدي في البسيط عن طي

أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي فَارَقَتْ بِهِ جَتَّهُ كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلَقٍ
لَمْ يَتَرُكَ كَالِي فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذَنَّةَ الْحَدَقِ .

••• وروى انه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل هلم أقاربك في هذا الثوب
فقال ان لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هو قول انما أعطيت به كذا كذا قال انما تحببني
عماً فأمك ••• وروى انه كان ماشياً في طريق فقل له راكب الطريق الطريق فقال له
عن الطريق تعدلني ••• ومرض أبو الأسود فقبل هو أسراً لله فقال ذلك أشدله ••• وقبل
ان امرأة أبي الأسود خاصمته الى زياد في ولدها فقالت أيتها الأمير ان هذا يريد أن
يفلحني على ولدي وقد كان يعتني به وعاء وندي له سقاء وحجرى له فداء فقل أبو الأسود
بهذا تريد أن تغليبني على ابني فوالله لقد حماته قبل أن تحمليه ووضعته قبل أن تضعيه
فقالت ولا سواك حملته خفيفاً وحملته ثقيلاً ووضعته شهوة ووضعته كرهاً فقال له
زياد انها امرأة عاذلة يا أبا الأسود فارتفع إليها فخلق أن نحسن أدبه ••• وقال رجل
لأبي الأسود أنت والله ظرف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل فقال وما
خير ظرف لا يملك ما فيه ••• وسلم عليه اصراحي يوماً فقل أبو الأسود كلمة مقولة فقال
له أأذن في الدخول قال ورايك أوسع لك قول فهل عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال
عياي أحق منك قال ما رأيت الأمم منك قال نسيت نفسك ••• وسأله رجل شيئاً فنعمه
قال ما أصبحت حائماً فقل بلى قد أصبحت حائماً من حيث لا تدري أليس حاتم
الذي يقول

أَمَاوِيٍّ إِمَّا مَا نَعُ فَمُبِينٌ وَإِمَّا عَطَاءٌ لَا يَنْهِنُهُ الزَّجَرُ ^(١)

(٢) قالت ولهذا البيت حكاية عجبية وقعت بين الأصمى وأحد ولد حاتم ••• قال
الأصمى دفعت الى رجل من ولد حاتم بن عبد الله فسألته القرى فقال القرى والله
كثير ولكن لا سيد له فقلت ما أحسب عندك شيئاً فأمر بالجفان فأخرجت مكرمة
بالزيد عليها وذر اللحم وإذا هو جاد في المع فقلت والله ما أشبهت أباك حيث يقول
وأبرز قدرى بالفناء قلبها يرى غير مفضنون به وكثيرها

مجلس آخر ٢١

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة العمري قال لما ولي سليمان بن عبد الملك أني يزيد بن أبي مسلم مولي الحجاج في جامعة وكان رجلاً دميماً تقطعهم العين فلما رآه سليمان قال لعن الله امرأاً أجرتك رسنك وولي ملك فقال يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر عتي مدبر ولو رأيتني والأمر على مقبل لاستعظمت ما استصغرت ولا استجللت ما استعقدت فقال له سليمان أين ترى الحجاج أيهوى في الدار أم قد استقر فقال يا أمير المؤمنين لا نقل كذا إن الحجاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهبة في قلوب الناس وبعد فانه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك الوليد فضمه حيث شئت .. وروى ان خالد بن صفوان فاخر رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون البصرة فقال له العبدري من أنت فقال أنا خالد ابن صفوان بن الأثم فقال له العبدري أنت خالد كمن هو خالد في النار وأنت ابن صفوان وقال الله تعالي (كمل صفوان عليه نراب) وأنت ابن الأثم والصحيح خير من الأثم فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار أتتكم وقد هشمتمك هاشم وأثمتك بنو أمية وخزمتك بنو مخزوم وجمعتمك بنو جمع فأنت عبد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا فقام العبدري محمواً .. وتقدم الأشعث بن قيس الى شريح فقال له الأشعث تعلمني بك يا ابن أم شريح لقد عهدتلك وان شأنك لشوين فقال له شريح أنت اسر لا تعرف النعمة في غيرك وتساها في نفسك .. وروى أبو العينية عن العتي قال دخل الفرزدق على سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال

إليك فرزت منك ومن زيادٍ ولم أحسب دمي لكما حللاً

فقال إلا أشبهه في ذلك فقد أشبهته في قوله

أماوي إماما مالع فبين وإماما عطاء لا ينهه الزجر

فأنا والله مانع مبين فرحلت عنه

فَإِنْ يَكُنِ الْهَجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي فَقَدْ قَتَلْنَا لِسَانَكُمْ وَقَالَ
تَرَى الْغَرَّ الْجَحَاجِجَ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ غَالَا
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَيَّ سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ بِهِ هَلَالًا

فقال له الحطيئة هذا والله أبها الأمير الشعر لآماله به منذ اليوم يا غلام قدمت أمك
الحجاز فقال لا ولكن قدمه أبي .. أراد الحطيئة بقوله قدمته أمك فقد وقعت بها وكنت
معي وأراد الفرزدق بقوله ولكن قدمه أبي أي وقع بأهلك فكنت أنت منه .. وبشبه
ذلك ما روى أن الفرزدق كان يشد شعره يوماً والناس حوله إذ مر به الكميث بن زيد
الأسدی فقال له الفرزدق كيف ترى شعري قال حسنٌ بسنٌ فقال له الفرزدق أيسرك
إني أبوك قال أما أبي فلا أريد به بدلا ولكن يسرنى أن لو كنت أمي فقال الفرزدق
أكنتم هذه على عمك يابن أخي فما مر بي مثلها .. وقيل أن عبد الملك بن مروان ظفر
برجل من بني مخزوم زبيري الرأي فقال له لما حضر مجلسه أليس قد ردك الله على
عقبك فقال الرجل أو من رد اليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبه فوجم عبد الملك
.. وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك يا أبا عبد الله عزلوك عن القضاء وما رأينا
قاضياً عزل فقال شريك هم الملوك يخلعون ويعزلون فعرّض بأن أباه خلّع من ولاية
العمد .. وذكر أبو عبيدة معمر بن النخعي أن الفضل الضبي الراوية وهب لبعض جيرانه
أيام الأضحى أضحية فلما لقى قال كيف وجدت أضحتك قال ما وجدت لها دماً بعرض
بقول الشاعر

وَلَوْ ذُبِحَ الضُّبِّيُّ بِالسَّيْفِ لَمْ تَجِدْ مِنْ اللَّوْمِ لِلضُّبِّيِّ لِحْماً وَلَا دَمًا

.. وروى عن المأمون أنه قال ما أعياني جواب أحد قط مثل جواب ثلاثة .. أحدهم أم
الفضل بن سهل فإني عزيتها عن ابنها وقلت لئن جرعت على الفضل لأنه ولدك فها أنا ذا
ابنك مكانه فقالت وكيف لا أجزع على من جعل منك لي ولداً .. والثاني رجل
حضرته يزعم أنه نبي الله موسى فقلت له إن الله تعالى أخبرنا عن موسى أنه يدخل يده
في جيبه ويخرجها بيضاء من غير سوء فقال له متى فعل ذلك أليس بعد أن لقي فرعون

فاعمل كما عمل فرعون حتى أعمل كما عمل موسى • والثالث ان جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا الى يشكون طاملها فقلت ارضوا بواحد أسمع منه فرضوا برجل منهم فقال في العامل وأ كثر فقلت له كذبت بل هو العفيف الورع العدل فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت يا أمير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين وعينك في العدل فصرفته عنهم •• ودخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاوية فقل له معاوية ما فعل الطرفات يعني طريفاً وطرافاً وطرفة قال قتلوا مع علي بن أبي طالب فقال ما أنصفك ابن أبي طالب قدم بنيك وأخر بنيك فقال عدي بل ما أنصفته أنا أن قُتل وبقيت •• وكتب رجل الى صديق له يقترض منه شيئاً فأجابهُ يشكو ضيق حاله فكذب اليه إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً وإن كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً وإن كنت معذوراً فجعلك الله ملوماً وإن كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً •• وسمع الأحنف رجلاً يقول ما أحلم معاوية فقال لو كان حليماً ما سقاه الحق •• ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم فقال الشعبي ويحك وهل أغمد سيفه وفي قلبه على أحد شيء •• وقال زياد لرجل حضره أين منزلك فقال وسط البصرة قال فمالك من الولد قال تسعة فقبل لزياد ان داره في أقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل داري بين أهل الدنيا والآخرة فمهي وسط البصرة وكان لي عشر بنين فقدمت تسعة منهم فهم لي وبقي واحد لا أدري أهو لي أم أنا له •• وقال رجل لابن سيرين إني وقت فيك فاجعاني في حلٍ فقال ما أحب ان أحلك مما حرم الله عليك •• وخطب الحجاج يوم الجمعة فأطال فقال له رجل ان الصلاة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك فأمر به فحبس فجاءه أهله وشهدوا انه مجنون فقال ان أقر بالجنون أطلقته فقبل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لأقول ان الله ابتلاني وقد طافني •• وحدث الحسن البصري بحديث فقال رجل يا أبا سعيد ممن فقال وما تصنع بمن أما أنت فقد نالكَ عظمته وقامت عليك حجته •• وقيل لعبد الله بن جعفر ونظر اليه بما كس في درهم فقبل له تماكس في درهم وأنت تجود بما تجود به فقال ذاك مالي تجدت به وهذا عقلي بخات به •• وروى ان أبا الميناء محمد بن القاسم البجلي حدث بعض الزبيريين بفضائل أهله فقال له

الزبيرى أتجلب التمر الى حجر فقال له أبو العيناء نعم اذا أجذبت أرضها وعام نخلها . . . وكان أبو العيناء من أحضر الناس جواباً وأجودهم بديهة وأملهم نادرة . . . وحكى عن أبي العيناء قال لما دخلت على المتوكل دعوت له وكلته فاستحسن خطابي وقال لي يا محمد بلغنى ان فبك شرّاً فقلت يا أمير المؤمنين إن يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيء باساءته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية (نعم العبدُ إنه أواب) وقال فى الذم (همّاز مشاء بنعيم . ناع للخير معتدٍ أنهم عتِلَ بعد ذلك زهير) فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَتْنِ دَائِبًا وَلَمْ أَذْمُ الْجَبِيسَ اللَّثِيمَ الْمُدْمَمَا
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْحَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِعَ وَالْفَمَا

وان كان الشر كفعل المقرب تلسع النبي والذمي بطبع لا يتميز فقد صان الله تعالى عبدك عن ذلك . . . وروى انه قال له يوماً إنني لأفرق من لسانك فقال له ان الشريف فروقة ذو إحجام وان الاثيم ذو إمته وإقدام . . . وقال له يوماً وقد دخل عليه اشتقتك والله يا أبا العيناء فقال له ياسيدي انما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل الى مولاه فأما السيد فتى أراد عبده دعاه . . . وروى انه قال له يوماً ما بتى أحد فى مجلسي إلا اغتابك وذمك عند ماجرى ذكرك غيري فقال أبو العيناء

إِذَا رَضِيتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِثَامُهَا

. . . وذكر أبو العيناء قال قال لي المتوكل كيف ترى دارى هذه فقلت رأيت الناس بنو دورهم فى الدنيا وأمير المؤمنين جعل الدنيا فى داره . . . وقال أبو العيناء قال لي المتوكل من أسخى من رأيت ومن أبخل من رأيت فقلت ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد ولا أبخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقال رأيتة بحرم القريب كما بحرم البعيد ويعتذر من الاحسان كما يعتذر من الاساءة فقال أجبث الى من أطرحتة فسخيته والى من أمسكته فبخنته فقلت يا أمير المؤمنين ان الصدق ماهو فى موضع من المواضع أنفق منه بحضرتك والناس يفلطون فيمن ينسبونه الى السخاء فاذا لسب الناس

السخاء الى البرامكة فانما ذلك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد واذا نسبوا الحسن بن سهل وأخاه الفضل الى السخاء فانما ذلك سخاء أمير المؤمنين المأمون واذا نسبوا أحمد بن أبي دؤاد الى السخاء فذلك سخاء أمير المؤمنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى الى السخاء فانما هو سخاؤك فما بال هؤلاء القوم لا ينسبون الى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء قال لي صدقت وسرتي عنه .. وقال له المتوكل ما أشد عليك من ذهاب البصر فقال له فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جلالك .. وقال له يوماً أريدك للجلستي قال لا أطيق ذلك وما أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس من الشرف ولكن أنا رجل محجوب والمحجوب تختلف اشاراته ويخفى عليه إيماؤه ويجوز على أن أتكلّم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم أميز بين هاتين هلكت فقال صدقت .. وروى انه قال له لولا إنك ضيررت لنادمتك فقال ان أعفيتني من رؤية الأهلّة وقراءة نقش الخاتم فإني أصلح .. وقال له المتوكل ماتقول في ابن مكرم والعباس ابن رستم فقل هما الخمر والميسر وإنيهما أكبر من نفعهما قال بلغني إنك تودهما فقال لقد ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة .. وقال له يوماً ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون .. وقال أبو العيناء قال لي المنصور ما أحسن الجواب فقلت ما أسكت المبطل وحير الحق .. وقيل لأبي العيناء ابراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .. وراه رزقان وهو يضحك نصرانياً فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء فقال أبو العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين .. وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا أبو العيناء قال كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي دؤاد ان قوماً من أهل البصرة عادوني وادعوا عليّ دعاوى كثيرة منها إني رافضي فاحتجبت الي ان خرجت عن البصرة الى سر من رأى وألقيت نفسي على ابن أبي دؤاد وكنت نازلاً في داره أجالسه كل يوم وبلغ القوم خبري فشخصوا نحوي الى سر من رأى فنلت له القوم قد قدموا من البصرة بدأ عليّ فقال يد الله فوق أيديهم فقلت ان لهم مكراً فقالوا يكفرون ويكبر الله

والله خير الماكرين فقلت هم كثيرون قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
فقلت له الله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي

لِلّهِ دَرْكٌ أَيْ جُنْهُ خَائِفٍ وَمَتَاعُ دُنْيَا أَنْتَ لِلْحَدَثَانِ
مُتَخَمِّطٌ تَطَأُ الرِّجَالَ غُلْبَةً وَطَاءُ الْفَنَيْقِ دَوَارِجَ الْقِرْدَانِ
وَبِكْبِهِمْ حَتَّى كَأَنَّ رُؤُسَهُمْ مَأْمُومَةٌ تَنْحَطُّ لِلْغُرَبَانِ
وَيُفْرَجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رِتَاجُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ

وقال لابنه الوليد اكذب هذه الأبيات فكتبها بين يديه .. قال الصولي حفظي عن
أبي العيناء الصموت الكلابي على انه رجل وقال وكيع حفظي انها للصموت الكلابية
على انها امرأة .. ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل فأنشأ عليه فأمر له بعشرة
آلاف درهم وقال والله ما استكثر كثيرك أيها الأمير ولا استقل قبلك قال وكيف
ذلك قال لا استكثر كثيرك لانك أكثر منه ولا استقل قبلك لانه أكثر من كثير
غيرك .. وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً أعذرني فاني مشغول فقال اذا فرغت
لم أحتج اليك .. وقال له يوماً قد تبيت فيك الغضب يا أبا عبد الله فقال له قد أجل
الله قدرك من غضبي انما يغضب الرجل على من دونه فأما على من فوقه فلا ولكن
أحزنتني قصيرك فسميت حزني غضباً .. ويقال ان صاعد بن مخلد كان من أحسن من
ألم ديناً وأكثرهم صلاة وصدقة فصار الي بابيه أبو العيناء مررات كثيرة بعقب اسلامه
فحجب فقيل له هو مشغول في صلاته فقال أبو العيناء لكل جديد لذة .. ودخل يوماً
الي أبي الصقر بن بلبل في وزراته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرتك عنا فقال سرق حماري
فقال وكيف سرق قال لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان قال هلا اكتريت أو
استمرت أو اشتريت قال قعدت بي عن الشراء لشبي وكرهت منة العواري وذلة المكارى
فوهب له حماراً ووصله .. وأدناه أبو الصقر يوماً ورفع فقال تدبني حتى كأني بعضك
وتبمدني حتى كأني ضدك .. وقال يوماً لعبد الله بن سليمان وقد رفعه أيضاً الي كم
ترفعني ولا ترفع بي رأساً .. وقال له يوماً وقد سأله عن حاله أنها معك مغبوط الظاهر

محروم الباطن .. ويقال ان أبا علي البصير قال لأبي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة في أي وقت ولدت قال قبل طلوع الشمس فقال أبو علي لذلك خرجت شعاعاً من الأضواء لأنه الوقت الذي يستتير فيه السؤال .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني أبو العيناء قال ما رأيت قط أحسن شاهداً عند حاجة من ابن عائشة قالت له يوماً كان أبو عمرو الخزومي يصلك ثم جفئك فقال

فَإِنْ تَنَأَّ عَنَّا لَا تَصِرْنَا وَإِنْ تَعُدَّ تَجِدُنَا عَلَيِ الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ

وقال والله لا أدري لمن هذا البيت فقلت ان ابن سلام روى عن يونس ان الفرزدق لما قال

تَصَرَّمَ مِنِّي وَدُّ بَكْرٍ بَنٍ وَائِلٍ وَمَا خِلْتُ دَهْرِي وَدَّهْمُ يَتَصَرَّمُ
قَوَارِصُ تَأْتِينِي فَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمْلَأُ الْقَطْرُ الْإِنَاءَ فَيُفْعَمُ

وقد كان نزل عليهم حين هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء المعجلي بحبيبه

لَقَدْ بَوَّأْتُكَ الدَّارَ بِكُرْبٍ وَائِلٍ وَرَدَّتْ لَكَ الْأَحْشَاءُ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ
لِيَالِي تَمْنَى أَنْ تَكُونَ حَمَامَةً بِمَكَّةَ يَنْشَاهَا الشِّتَا وَالْمُحَرَّمُ
فَإِنْ تَنَأَّ عَنَّا لَا تَصِرْنَا وَإِنْ تَعُدَّ تَجِدُنَا عَلَيِ الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ

فقل ابن عائشة أنت والله يا بني ممن ستصدق في العلم مخائله وتكثر عابه دلالة .. وقال أبو العيناء يوماً لأبي الصقر بن ببل وهو زائر أنت والله تقرب منا اذا احتجنا اليك وتبعد منا اذا احتجت الينا .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وهذا يشبه قول ابراهيم بن

العباس الصولي

وَلَكِنْ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ وَفِي الْعَهْدِ مَا مَوْنَ الْمَغِيبِ
بَطِيٌّ عَنْكَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْهُ وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مِنَ الْخُطُوبِ

ولعله مأخوذ منه فليس ينكر ذلك لانهما وان اجتمعا في زمان واحد في بعض الأوقات فان أبا العيناء بقي بعد ابراهيم زماناً طويلاً لأن ابراهيم توفي في سنة ثلاث وأربعين

وماثين وأبا العيناء سنة اثنين أو ثلاث وثمانين وماثين وما حكيناه عنه من الكلام قاله
لأبي الصقر في وزارته وكانت بعد وفات إبراهيم بن العباس الصولي بزمان طويل ٥٥
ويشبهه بينا إبراهيم أن يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمك إن ولي ويرضيك مقبلاً
ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأذنى إذا الأمر أعضلاً

ولإبراهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضاً وهو

أسد ضار إذا هيّجته وأب برّ إذا ما قدرا
يَعْلَمُ الْأَبْعَدُ إِنْ أَثَرِي وَلَا يَعْلَمُ الْأَذْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا

ويشبهه أن يكون هذا مأخوذاً من قول الفقعي

إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَارُ لَمْ يُرْ فَقَرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهُ

ومما يشبهه قول أبي العيناء بعينه قول إبراهيم بن العباس أيضاً

فَتَى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغَنَى عَنْ صَدِيقِهِ وَلَا مُظْهِرِ الْبَلْوَى إِذَا النِّعْلُ زَلَّتْ
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَحْتَقِي مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَدَي عَيْنِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

٥٥ وقال المتنخل الهذلي

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرُهُ عَلِي نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ

وهذا البيت الذي رويناه للهذلي من جملة أبيات يرثي بها المتنخل أباه وقيل يرثي أخاه
لعمرك ما إن أبو مالك بَوَّانٍ وَلَا بَضْعِيفٍ قُوَاهُ^(١)

(١) قوله ما إن أبو مالك يورده النحويون على أن الباء تزداد بعد ما النافية المكفوفة

بان اتفاقاً وهذا يدل على أنه لا اختصاص لزيادة الباء في خبر ما الحجازية ٥٥ وقوله لعمرك
ما إن أبو مالك الخ اللام لام الابتداء وفائدتها تأكيد مضمون الجملة وعمرك بالفتح بمعنى
حباتك مبتدأ خبره محذوف أي قسمي وجملة ما إن أبو مالك جواب القسم ٥٥ وأبو مالك

وَلَا بِالَّذِ لَهُ نَازِعٌ يُغَازِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَا

فمعى - نازع - أى خلق سوء - ويغازي - أى يلاحى ويشار
ولكنه هين لئن كعالية الرُفح عَرْدُ نَسَاء^(١)

- العرد - الشديد يقال وترَّ عرْدٌ وعرْدٌ بالنون أى شديد - والنساء - غرق معروف
إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مَطْوَاعَةٌ وَمَهْمَا وَكَلْتَ إِلَيْهِ كَفَاهُ

معنى - سدته - من المساودة التى هى المساررة والسواد هو السرار أيضاً كأنه قال إذا ساررت
طاوئك وساعدك .. وقال قوم انه من السيادة فكأنه قال إذا كنت فوقه سيداً له
أطاعك ولم يحسدك وان وكلت إليه شيئاً كفأك وقوم يمشدونّه إذا نسسته سست مطواعة
هو أبو الشاعر واسمه عويمر لأن المتخلف اسمه مالك بن عويمر ولم يصب ابن قتيبة فى
كتاب الشعراء فى زعمه انه يرى أخاه أبا مالك عويمرا - ووأن - اسم فاعل من وني ونيأ
وونيا من بآني تعب ووعد بمعنى ضعف وفتر وروى بدله واه وهو أيضاً اسم فاعل من
وهي من باب وعد بمعنى ضعف وسقط - والقوى - جمع قوة خلاف الضعف .. قال فى
الصحاح ورجل شديد القوى أى شديد أسر الخلق يريد ان أباه كان جلدأ شهماً لا بكل
أمره الى أحد ولا يؤخره لعجزه الى وقت آخر

(١) قوله كعالية الرمح الخ - عالية الرمح - ما دخل فى السنان الى ثلثه .. ومعنى كونه ليناً
كعالية الرمح انه اذا دعى أجاب بسرعة كعالية الرمح فانه اذا هز الرمح اض - طرب
وانهز للينه بخلافه من الأخشاب فانه لا يتحرك طرفها اذا هزت لصلابتها وبسها .. وقوله
عرْد نساء - العرد - بفتح العين وسكون الراء المهملتين الشديد والضمير لأبى مالك
- والنساء .. قال الأصمعي بالفتح مقصور عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين
ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر فاذا سمعت الدابة انفلقت فخذها بلحمتين عظيمتين
وجرى النساء بينهما واستبان واذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان
وخفى النساء واذا قالوا انه لشديد النساء فانما يراد به النساء نفسه .. وقال السكري أراه
غليظ موضع النساء

ولم أجد ذلك في رواية (١)

أَلَا مَنْ يُنَادِي أَبَا مَالِكٍ أفي أمرنا هو أم في سواه
أبو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ علي نفسه ومُشيعُ غِنَاهُ

— مجلس آخر ٢٢ —

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (سأصرفُ عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يزواكل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الذي يتخذوه سبيلاً) الى غافلين .. فقال ما الجواب عن هذه الآية على ما يطابق العدل فإن ظاهرها كأنه مخالف .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأناه فيها ومنها ما سبقنا به فخرناه واخترنا فيه من المطاعن وأجبنا عما لعله يعترض فيه من الشبهة .. أولها أن يكون عنى بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العز والكرامة الذين يستحقهما من أدى الواجب عليه في آيات الله وأدله وتمسك بها والآيات على هذا التأويل محتمل أن تكون سائر الأدلة وبمحتمل أن تكون معجزات

(١) قوله ولم أجد ذلك في رواية قلت هذه الرواية التي لم يرها المؤلف أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة في مختار أشعار القبائل - وسسته - من سست الرعية سياسة - والمطواع - الكثير الطوع أى الانقياد والتناء لتأكيده المبالغة وعلى هذا التفسير اقتصر السكري وهذا البيت يروى للمتنخل كما تقدم ورواه في مختار أشعار القبائل لذى الأصبع العدواني مع بيتين آخرين وهما

وما إن أسيد أبو مالك بوان ولا بضغيف قواء

ولسكنه هينٌ لينٌ كدابة الرميح عرد نساء

فان سسته سست مطاوعة ومهما وكلت اليه كفاه

وأسيد - بفتح الهمزة وكسر السين المهملة

الأنبياء خاصة وهذا التأويل يطابق الظاهر لأنه تعالى قال (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) فبين أن صرفهم عن الآيات مستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه . . . وثانيها أنه أراد أن يصرفهم تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها الأنبياء عليهم السلام بعد قيام الحجّة لما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لأنه تعالى إنما يظهر هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنه يؤمن عنده من لم يؤمن بما تقدم من الآيات وإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها وصرف الذين علم من حالهم أنهم لا يؤمنون عنها ويكون الصرف على أحد وجهين إما بأن لا يظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينفع بها غيرهم . . . فإذا قيل وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها . . . قلنا الفرق بينهما أن المعجز الأول يجب إظهاره لإزالة العلة في التكليف ولإبناؤه نعم صدق الرسول المؤدّي إلينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا فإذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والإلطف لزاح العلة وكان لاسبيل إلى معرفتها على الوجه الذي يكون عليه لطفاً إلا من قبل الرسول وكان لاسبيل إلى العلم بكونه رسولاً إلا من جهة المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من الشرائع وإظهار المعجز على يده لتعاق هذه الأمور بعضها ببعض ولا فرق في هذا الموضع بين أن يعلم أن المبعوث إليهم الرسول أو بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين أن لا يعلم ذلك في وجوب البعثة وما يجب بوجوبها لأن تعريف المصالح بما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين أن يقع عنده الإيمان أو لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهره من المعجزات بعد قيام الحجّة بما تقدم منها لأنه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في إظهارها فائدة وكانت عبثاً فافترق الأمران . . . فان قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) ومعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك . . . قلنا يمكن أن يكون قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) لم يرد به تعليل قوله تعالى سأصرف بل يكون كالتعليل لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشده لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل الله يتخذوه سبيلاً) لأن من كذب بآيات الله وعدل عن تأملها والاهتمام

بنورها ركب النبي واتخذ سبيلاً وحاد عن الرشـد وضل ضلالاً بعيداً ورجوع لفظة ذلك الى ما ذكرناه أشبه بالظاهر من رجوعها الى قوله سأصرف لان رجوع اللفظ في اللغة الى أقرب المذكورين اليه أولى . . ويمكن أن يكون قوله تعالى كذبوا بلفظ الماضي المراد به الاستقبال ويكون وجهه ان التكذيب لما كان معلوماً منهم لو أظهرت لهم الآيات جمل كأنه قل ذلك بانه متى أظهرنا لهم آياتنا كذبوا ويجرى ما ذكرناه أولاً مجرى قوله تعالى (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) في انه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال . . ونالها أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوتياها من هذه صفته واذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظتين تفيد معنى واحداً . . وليس لأحد أن يقول هل لا قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون والآيات ههنا هي المعجزات التي تختص بها الأنبياء . . فان قيل فأي فائدة في قوله على سبيل التعليل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وأي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وهل لا يوتى الآيات والمعجزات إلا الأنبياء دون غيرهم وان كان ممن لا يتكبر . . قلنا لخروج الكلام مخرج التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من كذب بآيات الله لا يوتى معجزاته لتكذيبه وكفره وان كان قد يكون غير مكذب وينفع من آياته الآيات علة أخرى والتكبر والبني بغير الحق مانع من إتيان الآيات وان منع غيره ويجري هذا مجرى قول النائل أنا لا أود فلاناً لغدره ولا يلزم اذا لم يكن غادراً أن يودّه لانه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجري مجرى السبب وأن يكون بعض الجاهل اعتمد في ذلك الوقت جواز ظهور المعجزات على يد الكفار فأكذبهم الله تعالى بذلك . . ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها الله تعالى في قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمنين والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم والاستخفاف كما تأول أهل الحق الطبع والخطم الذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميزة بين الكافر والمؤمن ويكون سأصرف عنها أي أعدل بها عنهم وأخص بها المؤمنين المصدقين بآياتي وأنبيائي وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا

عنها غافلين) فيكون صرفهم عن هذه الآيات كالمستحسن لتكذيبهم واعراضهم عن آياته تعالى . . وخامسها أن يريد تعالى إني أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها لان من الواجب على الله تعالى أن يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن منه لانه ينتقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) فتكون الآيات ههنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي يحملها الرسل والصرف وان كان متعلقاً في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها مما هو يتعاقب بها فاذا ساغ أن يعلقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن يعلقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحججة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) راجعاً الى ما صرف بل يرد الى ما هو قبله بلا فصل من قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشـد لا يتخذوه سبيلاً) على ما بيناه في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية . . وسادسها أن يكون الصرف ههنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم ان من شهد على غيره بالانصراف عن شيء فجأز أن يقول صرفه عنه كما يقال أ كفره وكذبه وفسقه وكما قال عز من قائل (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) أى شهد عليهم بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) لان الحكم عليهم بما ذكرنا من التسمية يوجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات الله واعراضهم عنها . . وسابعها انه تعالى علم ان الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سيصرفون عن النظر في آياته والايمان بها اذا أظهرها على أيدي رسـله جاز أن يقول سأصرف عن آياتي فيريد سأظهر ما ينصرفون بغير اختيارهم عنه ويجري ذلك مجرى قولهم سأبخل فلاناً وأخطئه أى أسأله ما يبخل ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى إني أفعل فيه البخل وأخطأ والآيات على هذا الوجه جاز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى وجاز أن تكون جميع الأدلة ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا) غير راجع الى قوله تعالى سأصرف بل الى ما قد ذكره لتصح الفائدة . . وثامنها أن يكون الصرف ههنا معناه المنع من ابطال الآيات والحجج

والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججاً فيكون تقدير الكلام إني بما أؤيد من حججي وأحكامه من آياتي وبيداتي صارف للمكذابين المبطلين عن القدح في الآيات والدلالات ومانع لهم مما كانوا لولا هذا الأحكام والتأييد يعترضونه وبغشموه من تمويههم الحق ولبسه بالباطل ويجري هذا مجرى قول أحدنا قد منع فلاناً أعداءه بأفماله الكريمة وطرائقه الممدوحة وأخلاقه المهذبة وصرفهم عن ذمّه وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه . . فان قيل أليس في المبطلين من طعن على آيات الله وأورد الشبهة فيها مع ذلك . . قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر وإنما أراد ما قدمناه وقد يكون النقيض في نفسه مطعوناً عليه وان لم يطعن عليه طاعناً كما قد يكون بريئاً من الطعن وان طعن فيه بما لم يؤثر فيه ألا ترى ان قولهم فلان قد أخرس أعداءه من ذمه وليس يراد به انه منعهم عن التلفظ بالذم وإنما المعنى انه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالاً ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا يرجع الى ما قبله فلا فصل ولا يرجع الى قوله سأصرف . . وناسعها ان الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمته إهلاك عدوهم قال (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) وأراد عز وجل أن يهلكهم ويصطلمهم ويبتاعهم على طريق العقوبة لهم بما كان منهم من النكذيب بآيات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته وبشر من وعده بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى اذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلمهم فقد صرفهم عن آياته من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم وخروجهم عن صفات أهله وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه ان العقوبة لا تكون إلا مضافة للاستخفاف والاهانة كما ان الثواب لا بد أن يكون مقترناً بالتبجيل والتعظيم وإماتة الله تعالى للأثم وما يفعله من بوار وإهلاك لا يقرن اليه مالا بد أن يكون مقترناً الى العقاب من الاستخفاف ولا يخلف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ويمكن أن يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع أن يضم الله الى ما يفعله هؤلاء الكفار المنجبرين من الإهلاك الإلحاح والذم والاستخفاف وبأمرنا بإهلاكهم

وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال وبضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه . . فان قيل ما معنى قوله تعالى (يتكبرون في الأرض بغير الحق) كأن في التكبر ما يكون بالحق . . قلنا في هذا وجهان . أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان على أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق وان هذه صفة لازمة غير مفارقة ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) وقوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق) ولم يرد تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه ومثله قوله تعالى (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير بل أراد به تأكيد القول بأن كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلاً بالإضافة إليها ويكون المتعوض عنها مغبوناً مبخوساً خاسر الصفقة . والوجه الآخر أن في التكبر ما يكون ممدوحاً بأن من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنایا وتباعد عن فعلها وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح سالكاً لطريق الحق والتكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبني والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم والمباهاة لهم ومن كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذى ندب الله إليه وأرشد الى الثواب المستحق عليه ويستحق بذلك الذم والمقت ولهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق فى قوله تعالى فى هذه السورة (قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبني بغير الحق) يحتمل أيضاً هذين الوجهين الذين ذكرناهما فان أريد به البني المذكروه الذى هو الظلم وما أشبهه كان قوله بغير الحق تأكيداً وإخباراً عن انه بهذه صفته وان أريد بالبني الطلب وذلك أصل فى اللغة كان الشرط فى موضعه لان الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق . . فان قيل فما معنى قوله تعالى (وان يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً وان يروا سبيل النفي يتخذوه سبيلاً) وهل الرؤية هنا العلم والادراك بالبصر وهب انها يمكن أن تكون فى قوله تعالى (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) محمولة على رؤية البصر لان الآيات والأدلة مما تشاهد كيف نحمل الرؤية الثانية على العلم وسبيل الرشداً إنما هي طريقه ولا يصح أن يرجع بها الى المذاهب والاعتقادات التى لا يجوز عاينها رؤية البصر فلا بد أذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشداً

لا يجوز أن ينصرف عنه الى طريق الغي لأن العقلاء لا يختارون مثل ذلك . . قلنا
الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه . أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر
ويكون السبيل المذكور في الآية هي الأدلة والآيات لأنها مما يدركه البصر ويسمى
سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد وذريعة الى حصوله ويكون سبيل الغي
هو الشبهات والمخاريق التي ينصبها المبطلون والمدغلون في الدقيق فيوقعوا بها الشبهة على
أهل الايمان وتسمى بأنها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول الغي من
حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر بأهلها انه يصير الى الغي . والوجه الثاني أن
يكون المراد بالرؤية العلم إلا أن العلم لا يتناول كونها سبيلا للرشد وكونها سبيلا للغي
بل يتناولها لا من هذا الوجه ألا ترى ان كثيراً من المبطلين يعلمون مذاهب أهل
الحق واعتقاداتهم وحججهم إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الى الحق فينجبنونها
وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة إلا أنهم يجهلون كونها باطلة
ويعتقدون صحتها بالشبه فيصرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون الله تعالى
وصفهم بالغي وترك الحق مع العلم به . والوجه الثالث أن يكونوا عالمين بسبيل الرشد
والغي ويميزين بينهما إلا أنهم للميل الى أعراض الدنيا والذهاب مع الهوى والشبهات
يعدلون عن الرشد الى الغي ويحجدون ما يعلمون كما أخبر الله سبحانه عن كثير من
أهل الكتاب لانهم يحجدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه . . فان قيل فما معنى قوله
تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) والتكذيب لا يكون في الحقيقة
إلا في الأخبار دون غيرها . . قلنا التكذيب قد يطلق على الأخبار وغيرها ألا
ترى انهم يقولون فلان يكذب بكذا وكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما يقولون يصدق
بكذا وكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا التكذيب ههنا الى أخبار الله تعالى التي
تضمنتها كتبه الواردة على أيدي رسله جاز فتكون الآيات ههنا هي الكتب المنزلة دون
سائر المعجزات . . فان قيل فما معنى ذمه تعالى (ذلك بأنهم كانوا عن آياتنا غافلين)
والغفلة على مذهبكم من فعله لأنها السهو وما جرى مجراه مما يتنافى العلوم الضرورية
ولا تكليف على السامع فكيف يذم بذلك . . قلنا المراد ههنا بالغفلة التشبيه بالغفلة

ووجه التشبيه انهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى والانتفاع بها أشبهت حالهم حال من كان ساهياً غافلاً عنها فأطاق عليهم هذا القول كما قال تعالى (صمّ بكم عمي) على هذا المعنى ولهذا يقول الانسان لمن يستبطئه ويصفه بالاعراض عن التأمل والتبسين أنت ميت وراقدا لا تبصر ولا تسمع وما أشبه ذلك وكل هذا واضح بحمد الله وكرمه واحسانه

تم الجزء الأول ولله الحمد من كتاب أمالي السيد المرتضى  
 * ويليه الجزء الثانى وأوله تأويل خبر ان سأل سائل الخ *
 (والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم)

﴿ فهرس الجزء الاول من كتاب أمالى السيد المرتضى ﴾

(المجلس الاول)

- ٢ تأويل قوله تعالى : واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها الآية
٤ تأويل خبر : من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجزم
٧ مسألة القول بوجوب الاصاح عليه تعالى عند المعتزلة

(المجلس الثانى)

- ٨ تأويل قوله تعالى : يسألونك عن الروح قل الروح الآية
٩ فصل فى قوله تعالى : والارض مددناها وألقينا فيها رواسى الآية
١١ استطراد لتفسير اللحن فى القول المراد به الكناية عند العرب
١٣ تأويل قول على من أحبنا أهل البيت فليعد للفقير جلبابا
١٤ فصل فى ذكر من كان من مشهورى الشعراء ومتقدميهم على مذهب المعتزلة
١٦ مسألة القول بنفى رؤية البارى بالابصار على مذهب المعتزلة

(المجلس الثالث)

- ١٨ تأويل قوله تعالى : فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين
٢٠ تأويل « : واذا أخذ ربك من نبي آدم من ظهورهم الآية
٢٤ تأويل خبر : ليس منا من لم يتغن بالقرآن
٢٨ الكلام على قوله تعالى : وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة

(المجلس الرابع)

- ٣٠ تأويل قوله تعالى : وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله الآية
٣٣ تأويل « : ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود
٣٦ مسألة تتضمن الكلام على المنافع التى عرض الله الاحياء لها

(المجلس الخامس)

- ٣٨ تأويل قوله تعالى : وكذلك أورثناها قوما آخرين
٤١ تأويل خبر : ان أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل
٤٣ استطراد لترجمة الفرزدق وشي من أخباره وأشعاره

(المجلس السادس)

- ٤٩ تأويل قوله تعالى : ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة الآية
- ٥٣ تأويل خبر : مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ما شئت
- ٥٤ تأويل خبر مارية القبطية أم ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم
- ٥٧ استطراد لذكر ما جاء عن العرب فيما يقال عن القمر في الشهر كله
(المجلس السابع)
- ٥٩ تأويل قوله تعالى : ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى الآية
- ٦٢ استطراد لما جاء عن النحويين في أن الألوان والعيوب لا يتعجب منها بلفظ التعجب
- ٦٥ تأويل خبر : تنى الأرض أفلاذ كبدها مثل الأصطوان من الذهب والفضة الخ
- ٦٧ استطراد لذكر الخنساء وشئ من خبرها وشعرها
(المجلس الثامن)
- ٧٠ تأويل قوله تعالى : وجاؤا على قيصه بدم كذب الآية
- ٧٢ تأويل خبر نعم المال أربعون والكثير ستون الحديث
- ٧٦ استطراد لذكر قيس بن عاصم سيد أهل الوبر وطرف من أخباره
- ٧٨ ترجمة أبي دهب الجمحي وشئ من أخباره وشعره
(المجلس التاسع)
- ٨٣ تقرير عن حكمة التكرار الواقع في سورة الكافرين والكلام على تأويل ذلك
- ٨٦ الحكمة في التكرار الواقع في سورة الرحمن ونظائره من كلام العرب
- ٨٨ كلام على الدهريين والزنادقة والمتهمين في صدر الاسلام
- ٨٩ ترجمة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وأخباره في التهنك
- ٩٠ ترجمة حماد الراوية وشئ من أخباره في التهنك
- ٩٢ ترجمة حماد بن الزرقان ٠٠ وحامد مجرد وأخبارهما في التهنك
- ٩٣ ترجمة عبد الله بن المقفع وأخباره في الزندقة وشئ من حكمه وأمثاله
- ٩٥ ترجمة عبد الكريم بن أبي العوجاء واعترافه بالكذب على النبي صلى الله عليه وسلم
- ٩٦ ترجمة بشار بن برد وزندقته وخبره مع واصل بن عطاء المعتزلي
(المجلس العاشر)
- ٩٨ ترجمة مطيع بن إلياس الكنانى وزندقته
- ٩٩ ترجمة يحيى بن زياد بن عبد المدان وزندقته
- ١٠٠ ترجمة صالح بن عبد القدوس وتظاهره بالنبوّة

- ١٠١ ترجمة أبي الحسن علي بن الخليل مولى يزيد بن مزيد الشيباني
- ١٠٣ الكلام على اصول أهل التوحيد والعدل وأنه مأخوذ من كلام سيدنا علي
- ١٠٦ استطراد ل ترجمة الحسن بن أبي الحسن البصري وشيء من أخباره
(المجلس الحادى عشر)
- ١١٣ ترجمة واصل بن عطاء الغزال المعتزلي وأخباره
- ١١٤ مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في القول في المنزلة بين المنزلتين
- ١١٧ ترجمة عمرو بن عبيد المعتزلي الزاهد وأخباره
(المجلس الثانى عشر)
- ١٢٠ دخول عمرو بن عبيد على الخليفة المنصور وخبره معه
- ١٢٤ ترجمة أبي الهذيل العلاف وأخباره وشرح مذهبه
- ١٢٨ استطراد لذكر خبر صحيفة المتلمس وشرح ذلك
(المجلس الثالث عشر)
- ١٣١ ترجمة أبي سهل بشر بن المعتز أحد وجوه النظر وأهل الكلام
- ١٣٢ ترجمة أبي اسحاق ابراهيم بن سيار النظام وشيء من أخباره وأشعاره
- ١٣٤ استطراد للخبر المشهور عن لييد في اختبار بهجاء البقلة وذمها وشرح ذلك
- ١٣٨ ترجمة ابى عثمان عمرو بن بحو الجاحظ ونقف من أخباره وأشعاره
(المجلس الرابع عشر)
- ١٤٣ تأويل قوله تعالى : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الآية
- ١٤٩ خبر قيس بن زهير العبسى ومجاورته النمر بن قاسط بعد يوم الهباءة وشرح ذلك
- ١٥٢ خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسى وشرح ذلك مع خبر يوم الهباءة وشرحه
(المجلس الخامس عشر)
- ١٥٤ تأويل قوله تعالى : مثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الآية
- ١٥٧ تأويل خبر مداعبة النبي صلى الله عليه وسلم الحسين بن على رضى الله عنهم وشرح ذلك
- ١٦٠ استطراد ل ترجمة معن بن زائدة الشيباني وذكر شيء من أخباره
(المجلس السادس عشر)
- ١٦٤ تأويل قوله تعالى : ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق
- باب ذكر شيء من أخبار المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم
- ١٦٧ ترجمة الحارث بن كعب المدحجى المعمر وشرح كلامه

- ١٦٩ ترجمة عمرو بن ربيعة المعروف بالمستوفى المعمر وشرح كلامه
- ١٧١ ترجمة دويد بن زيد المعمر وشرح كلامه
- ١٧٢ ترجمة زهير بن جناب المعمر وشرح كلامه
- (المجلس السابع عشر)
- ١٧٦ ترجمة ذى الأصبع العدواني المعمر وشرح كلامه
- ١٧٧ خبر بنات ذو الأصبع الأربعة وتزويجهن وشرح ذلك
- ١٨٣ ترجمة معديكرب الحميري ٠٠ والربيع بن ضبيع الفزاري المعمرين
- (المجلس الثامن عشر)
- ١٨٥ ترجمة أبي الطمحان القيني المعمر وشرح كلامه
- ١٨٨ ترجمة عبد المسيح بن بقيلة الغساني المعمر وشرح خبره مع خالد بن الوليد في شربه السم
- ١٩٠ ترجمة النافذة الجعدي المعمر وخبر دعائه صلى الله عليه وسلم له
- ١٩٢ استطراد لذكر خبر الجحاف ووقعته بالبشر في قوم الأخطل
- (المجلس التاسع عشر)
- ١٩٦ تقرير للمصنف في رد انكار المنكرين على تطاول الأعمار وامتدادها
- ١٩٧ باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة للتي تسمى المسكنة وتمهيد للمصنف في ذلك
- ٢٠٢ استطراد لشرح قصيدة أبي نواس التي مطلعها « يا منة امنها السكر »
- (المجلس العشرون)
- ٢٠٤ عود لذكر مستحسن الجوابات المسكنة
- ٢٠٧ خبر قتيبة بن مسلم والحسين بن المندر الرقاشي
- ٢١٢ الماثور من الأجوبة المسكنة عن أبي الأسود الدئلي
- (المجلس الحادي والعشرون)
- ٢١٥ خبر صفوان بن الأهم ورجل من بني عبد الدار
- ٢١٧ الماثور من الأجوبة المسكنة عن أبي العيلاء
- ٢٢١ استطراد لذكر شيء من شعري أبي العباس الصولي والمتنخل الهذلي
- (المجلس الثاني والعشرون)
- ٢٢٤ تأويل قوله تعالى ٠٠ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض الآية
- (تم الفهرس)

الجزء الثاني من كتاب

أما إلى السيد الميرضي

الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفي سنة ٤٣٦ هـ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والادب

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

صححه وضبط ألفاظه وعاق حواشيه (السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[تأويل خبر] ٠٠ ان سأل سائل عن الخبر المروى عن عبد الله بن عمر أنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ثم يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك ٠٠ وعما يرويه أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قلب آدمي إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى فاذا شاء أن يثبتته وإن شاء أن يقلبه قلبه ٠٠ وعما يرويه ابن حوشب قال قلت لأُم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقالت قلت يا رسول الله ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا أم سلمة ما من آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل ماشاء أقام وما شاء أزاغ ٠٠ فقال ماتأويل هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه أو ليس من مذهبكم ان الأخبار التي يخالف ظاهرها الاصول ولا تطابق العقول لا يجب ردها والقطع على كذب راويها إلا بعد أن لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل وان كان لها ذلك فبالتكرار أو تعسف ولستم ممن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار فما تأويلها ٠٠ الجواب ان الذي يعول عليه من تكلم في تأويل هذه الأخبار هو أن يقول ان الأصبع في كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضاً الأثر الحسن يقال لفلان على ماله وإبله أصبع حسنة أي قيام وأثر حسن ٠٠ قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس إصبعا

٠٠ وقال طفيل الغنوي يصف غلاماً

كُمَيْتِ كَرُّ كَنِ الْبَابِ أَحْيَى بَنَاتِهِ مَقَالِيَتَهَا فَاسْتَحْشَمْتُهُنَّ إَصْبَعُ

.. وقال لبید بن ربیعہ

مَنْ يَنْسُطِ اللَّهُ عَلَيْهِ إَصْبَعًا بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأْيٍ أَوْلَعًا^(١)
يَمْلَأُ لَهُ مِنْهُ ذَنُوبًا مَثْرَعًا

.. وقال حميد بن ثور

أَغْرُ كُلُّونِ الْبَذْرِ فِي كُلِّ مِنْكِبٍ مِنَ النَّاسِ نُعْمَى تَحْتَدِيهَا وَإِصْبَعُ

.. وقال آخر

وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنٌ ذُو إَصْبَعٍ فِي مَسْهَا وَذُو فِطْنٍ

.. وقال آخر

أَكْرَمُ نَزَارًا وَأَسْقَهُ الْمُشْمَشَعَا فَإِنَّ فِيهِ خَصَلَاتٍ أَرْبَعًا
حَدًّا وَجُودًا وَنَدَى وَأُصْبَعًا

والأصبع في كل ما أوردناه المراد بها الأثر الحسن والعممة فيكون المعنى ما من آدمي إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين .. فان قيل هذا قد ذكر كما حكيمت إلا انه لم يفصل ما النعمتان وما وجه التثنية ههنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى .. قلنا يحتمل أن يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وشأهما لانهما كالجنسين أو كالذويعين وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بان عرفهم بأدلتهم وبراهينهم ما أنعم به عليهم من نعم الدنيا والآخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل والبقاء في النعيم الطويل .. ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالأصبع هو من حيث يشار اليه

(١) أشده في اللسان في مادة ص ب ع

من يجعل الله عليه إصبعاً في الخير أو في الشر بآء بها

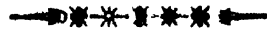
بالأصبع إعجاباً به وتنبهاً عليه وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له به علقة وقد قال قوم في بتي طفيل والراعي أنهما أرادا أن يقولوا بدأ في مكان الأصبع لأن اليد النعمة فلم يمكنهما فعديلا عن اليد إلى الأصبع لأنها من اليد وفي الأصبع التي هي الجارحة ثمان لغات • أصبَع بفتح الألف والباء • وأصبَع بفتح الألف وكسر الباء وأصبَع بضم الألف والباء • وأصبَع بضم الألف وفتح الباء • وأصبوع بضم الألف مع الواو • وإصبَع بكسر الألف والباء • وإصبَع بكسر الألف وفتح الباء • وإصبَع بكسر الألف وضم الباء • وفي هذه الأخبار وجه آخر وهو أوضح مما ذكر وأشبه بمذاهب العرب في ملاحص كلامها وتصرف كتاباتها وهو أن يكون المعنى في ذكر الألف إبع الإخبار عن تيسر تصرف القلوب وتقاييها والفعل فيها عليه جاءت عظمتها ودخول ذلك تحت قدرته ألا ترى أنهم يقولون هذا الشيء في خصري وأصبعي وفي يدي وقبضتي كل ذلك إذا أرادوا تدبُّره وتيسره وارتفاع المشقة فيه والنؤنة وعلى هذا المعنى يتأول المحققون قوله تعالى (والأرضُ جميعاً قبضتهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ مع الويثُ يَمِينِهِ) فكانه صلى الله عليه وسلم لما أراد المبالغة في وصفه بالتدبرة على تقايي القلوب وتصرفها بغير مشقة ولا كلنة وإن كان غيره تعالى بعجز عن ذلك ولا يتمكن منه فقال أنها بين أصبعين من أصابعه كناية عن هذا المعنى واختصاراً للنظر الطويل وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدماً على الوجه الأول ومعتدماً عليه لأنه راضح جلي • • ويمكن أن يكون في الخبر وجه آخر على تسمي ما يترجحه المخالفون من أن الأصبعين هما المخلوقتان من اللحم

(١) لا يخفى أن هذه الأجوبة لا مدخاية لها في السؤال ولو كانت فليس ذلك محلاً له لأن البحث والسؤال ومحامها في معنى تصرفها كيف شاء وإذا شاء أن يثبتته ثبته وإن شاء أن يقلبه قلبه وما شاء أقام وما شاء أزاع وأمثالها في أمثال معنى هذا الحديث الشريف مما هو صريح في الجبر ورفع التكليف فإن هذا هو الداء العضال وموضع انفصام العقول العقال لا في معنى الأصبع وجواز قراءة الأصبوع مما لا يسمن ولا يغنى من جوع اه من هامش الأصل

والدم استظهاراً في الحجة واقامة لها على كل وجه وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب
يشتمل عليه جسمان على شكل الأصبعين بحركة الله تعالى بهما ويقبله بالفعل فيهما
ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله
تعالى وان كانت جميع أفعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة لانه لا يقدر على الفعل فيهما
وتحريكهما منفردين عما جاورهما غيره تعالى فقبل انهما أصبعان له من حيث اخنص
بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره إنما يقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب
من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه وتصريفه ، نرداً مما يجاوزه غيره
تعالى فن أين للمبطلين المناولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم ان الأصابع
ههنا اذا كانت لحماً ودماً فهي جوارح لله تعالى وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد . . وعلى
المناول أن يورد كل ما يحتمله الكلام مما لا تدفعه حجة وان ترتب بعضه على بعض في القوة
والوضوح ونحن نعود الى تفسير ما علمه أن يشته من الآيات التي استشهدنا بها . . أما
قوله - حـدّا وجوداً وندي وأصبعا - فعنى الحد المضاء والنفاذ وقول الآخر
- وأرزننا - ليس فيهن أن - فلأرزنات العصى والأبن العقد . . فأما قول حميد بن ثور
- في كل متك من الناس - فالتكب الجماعة والتكب الساحية . . وأما معنى آيات لبيد فانه
أراد من يسقى الله آليه خيراً أو يعذرف عنه شراً فعل ذلك به وأسبغ له حتى يذهب منتهاه
. . . فأما بيت طغيلة الغنوي فعناه ان هذا الفحل الذي وصفه بانه كيت وانه كركس الباب
لثما به وشده لما ضرب في الابل الى وصفها عاشت أولادها التي هي بناته به . . ان كن
مقاتلة والمثالة التي لا يمش لها ولد فكان هذا منه أنراً جيلاً عليها . . فأما بيت الراعي
فعنى قوله - ضعيف العصا - يريد انه قليل الضرب لها أما لان لا يجوز سداداً وتأوداً
أو لشفته عاين وهذه كناية في نهاية الحسن واختصاراً شديداً لانه قد يجوز أن يكون
ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج الى استعمالها في الضرب فيختارها قوية
ويجوز أن يكون حذف وأراد ضعيف فعل العصا . . وقوله - بادي العروق - يعني عروق
رجله لفسادها من السمي في أثر هذه الابل وأراد - بالأصبع - ان له عليها في جذب
الناس أنراً جيلاً لحسن قيامه وتمهده . . وقد قيل انه انما سمي الراعي لبيت قاله في

هذه القصيدة بعد بيتين من البيت الذي أنشدناه وهو
 لها أمرها حتى إذا ماتت بوات
 بأحقافها مأوى تبوأ مضجعا
 هذا قول الأصمى . . وقال السكري سمي بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضاً
 هذان أخو وطب وصاحب علبة يرى المجذآن يلقي جلاء ومرتعا

وروى عن بعض بني نمير أنه قال اسمي بذلك لقوله
 تبئت مرافقهن فوق مزلّة لا يستطيع بها القراء مقيلا
 فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت والله ما هو إلا راعي إبل فبقيت عليه . . وقال
 محمد بن سلام إنما سمي الراعي لكثرة وصفه الإبل وحسن نعتها واسمه عبيد بن
 حصين بن جندل وكنيته أبو جندل وقيل أبو نوح



مجلس آخر ٢٣

[تأويل آية] . . ان سأل سائل عن قوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك)
 ما المراد بالفس في هذه الآية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله (وبمجردكم الله نفسه) أو
 بخالفه أو يطابق معنى الآيتين والمراد بالفس فيها ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال يقول الله عز وجل إذا أحب العبد لأقربى أحببت لقاءه وإذا ذكرني في
 نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في مالا خير منه وإذا تقرب إلى
 شبرا تقربت إليه ذراداً وإذا تربع إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً أو لا يطابقه . . الجواب
 قلما ان النفس في اللغة لها معان مختلفة ووجوه في التصرف متباينة . . فالنفس نفس الانسان
 وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقهها خرج عن كونه حياً ومنه قوله تعالى (كل نفس
 ذائقة الموت) . . والنفس ذات الشيء الذي يخبر عنه كثرتهم فعل ذلك فلان نفسه اذا
 نولى فعله . . والنفس الأنفة من قولهم ليس فلان نفس أي لا أنفة له . . والنفس
 لإرادة من قولهم نفس فلان في كذا أي إرادته . . قال الشاعر

فَنَفْسَايَ نَفْسٌ قَالَتْ أَنْتَ ابْنُ جَدَلٍ تَجِدُ فَرَجًا مِنْ كُلِّ غَمٍّ تَهَايَا
وَنَفْسٌ تَقُولُ أَجْهَدُ نَجَاكَ فَلَا تَكُنْ كَخَاضِبَةٍ لَمْ يَغْنِ شَيْئًا خِضَابُهَا

ومنهان رجلا قال للحسن البصري يا أبا سعيد لم أحجج قط فنفس تقول لي حج ونفس
تقول لي تزوج فقال الحسن أما النفس فواحدة ولكن لك هم يقول حج وهم يقول
تزوج وأمره بالحج .. وقال الممزق العبدى ويروى لمعمر بن حمار البارقي

أَلَا مَنْ لَعِينٍ قَدْ نَاهَا حَمِيمُهَا وَأَرْقَنِي بَعْدَ الْمَنَامِ هُومُهَا
فَبَاتَتْ لَهَا نَفْسَانِ شَتَّى هُومُهَا فَنَفْسٌ تُعْزِيهَا وَنَفْسٌ تَلُومُهَا

.. وقال النمر بن توبان الكلبي

أَمَّا خَلِيلِي فَإِنِّي لَسْتُ مُعْجَلُهُ حَتَّى يُؤَامَرَ نَفْسِيهِ كَمَا زَعَمَا

نَفْسٌ لَهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ صَالِحَةٌ تُعْطِي الْجَزِيلَ وَنَفْسٌ تَرْضَعُ الْغَنَمَا

أراد أنه بين نفسيين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكفى برضاع الغنم عن
البخل لأن البخيل يرضع اللبن من الشاة ولا يحملها لئلا يسمع الضيف صوت الشخب
فيهتدى إليه ومنه قيل لثيم راضع .. وقال كثير

فَأَصْبَحْتُ ذَا نَفْسَيْنِ نَفْسٍ مَرِيضَةٍ مِنْ النَّاسِ مَا يَنْفَكُ هُمْ يَمُودُهَا

وَنَفْسٍ تُرْجِي وَصَلَهَا بَعْدَ صَرْمِهَا تَجْمَلُ كَيْ يَزْدَادَ غِيظًا حَسُودُهَا

.. والنفس العين التي تصيب الانسان يقال أصابت فلانا نفس أبي عبيد .. وروى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى فيقول بسم الله أَرْثِيكَ وَالله يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُوْذِيكَ
وداء هو فيك من كل عين عائن ونفس نأفس وحسد حاسد .. وقال ابن الاعرابي
النفس التي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان والله حسوداً نفوساً كذوباً
.. وقال عبيد الله بن قيس الرقيات وهو قرشي

يَتَّبِعِي أَهْلَهَا النَّفُوسَ عَلَيْهَا فَعَلَى نَحْرِهَا الرُّقَى وَالتَّمِيمُ

•• وقال مضرس الفقهسي

وَإِذَا مَوَا صُعُودًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنَّْا الْخِيَالُ وَلَا نَفْسُ الْحُسَدِ

•• وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فَأَسْلَمَ سَلِمَتَ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالرَّدَى وَعِثَارِهَا وَوُقِيَتْ نَفْسُ الْحُسَدِ

•• والنفس أيضاً من الدباغ بمقدار الدبغة يقول اعطى نفساً من دباغ أي قدر ما أدبغ به

مرة •• والنفس الغيب يقول القائل إني لا أعلم نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل قوله

تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) أي تعلم غيبي وما عندي ولا أعلم غيبك

•• وقيل ان النفس أيضاً العقوبة من قولهم أحذرك نفسي أي عقوبتي وبعض المفسرين

يحمل قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) على هذا المعنى كأنه يحذركم عقوبته •• وروى

ذلك عن ابن عباس والحسن وآخرين قالوا معنى الآية ويحذركم الله إياه •• وقدروى

عن الحسن ومجاهد في قوله تعالى (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) ما ذكرناه

من التأويل بعينه •• فان قيل ما وجه تسمية الغيب بأنه نفس قلنا لا يمتنع أن يكون

الوجه في ذلك ان نفس الانسان لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجهده في ستره

منزلتها وسمى باسمها ف قيل فيه انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفاء وانما حسن

أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه عليه الصلاة والسلام ولا أعلم ما في نفسك من حيث تقدم

قوله تعالى (تعلم ما في نفسي) ليزدوج الكلام ولهذا لا يحسن ابتداء أن يقول أنا

لا أعلم ما في نفسي الله تعالى وان حسن على الوجه الأول ولهذا نظائر في الاستعمال

مشهورة مذكورة •• فأما الخبر الذي يرويه السائل فتأويله ظاهر وهو خارج على

مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ومعناه ان من ذكرني في نفسه جازيته على

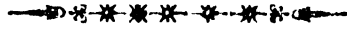
ذكره لي واذا تقرب الي شبراً جازيته على تقربه الي وكذلك الخبر الى آخره فسمى

المجازاة على الشيء باسمه اتساعاً كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ويكررون

ويكرر الله •• الله يستهزئ بهم) •• وكما قال الشاعر

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدُنْ عَلَيْنَا فَتَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

ونظائر هذا كثير في كلام العرب ولما أراد تعالى المبالغة في وصف ما يفعله به من الثواب والمجازاة على تفرقه بالكثرة والزيادة كفى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال باعاً وذراعاً إشارة الى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها



— ﴿﴾ مجلس آخر ٢٤ ﴿﴾ —

[تأويل آية] .. ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا﴾ وكيف يجوز أن تبغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء ومعلوم ان القلب اذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه وعن أى شئ زاعت الأبصار وبأى شئ تعلقت ظنونهم بالله تعالى .. الجواب قيل له في هذه الآية وجوه .. منها أن يكون المراد بذلك انهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم وبوادهم ومن شأن الجبان عند العرب اذا اشتد خوفه أن تنفخ رثته ولهذا يقولون للجبان انتفخ سجره أى رثته وليس يمتنع أن تكون الرثة اذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به الى نحو الخنجرة وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره ورواه الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس .. ومنها قيل ان القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهللع .. قال الشاعر

كَأَنَّ قُلُوبَ أَدِلَّيْهَا مُعَلَّقَةٌ بِقُرُونِ الظُّبَاءِ

.. وقال امرؤ القيس

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قَدَارٍ أَنْ ظَلَمْتُه كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَي قَرْنٍ أُعْفِرَا

ويروى في قدار ظلمته أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالفاق والاضطراب ومفارقة السكون والاستقرار وأما خص الظبي لأن قرنه أكثر تحركاً ونشاطاً واضطراباً لنشاطه ومرحه وسرعته .. وقد قال بعض الناس ان امرأ القيس لم يصف شدة أصابته في

هذا البيت فيابق قوله على قرن أعفرا بالتأويل المذكور بل وصف أما كن كان فيها
مسروراً بمتعمداً ألا ترى الى قوله قبل هذا البيت بلا فصل
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدَتْهُ بِنَازِقِ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطَرَا
فيكون معنى قوله على قرن أعفرا على هذا الوجه انه كان على مكان عال مشرف شبيهه
لارتفاعه وطوله بقرن الغابي وهذا القول لابن الاعرابي والأول للأصمعي .. فأما
قول الآخر

أَلَا قُلَّ خَيْرُ الشَّانِ كَيْفَ تَغَيَّرَا فَأَصْبَحَ يَرْمِي النَّاسَ عَنْ قَرْنِ أَعْفَرَا
فلا يشتمل الا الشدة والحال المذموم ويجوز أن يريد ان الناس فيه غير مطمئنين بل هم
منعجبون قاعون كأنهم على قرن ظبي ويحتمل انه يعلمهم بقرن ظبي كقولك رماه بداهية
ويكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال عن قرن أعفرا وهو يريد بقرن أعفرا وقد ذكر
في هذا البيت الوجهان معاً فيكون .. معنى الآية على هذا التأويل ان القلوب لما اتصل
وجيها واضطربت بلغت الحناجر لشدة القلق .. ومنها أن يكون المعنى كادت القلوب
من شدة الرعب والخوف تباع الحناجر وان لم تباع في الحقيقة فألقى ذكر كادت لوضوح
الأمر فيها وللفظة كادت ههنا للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم

أَتَعْرِفُ رَسْمًا كَالطَّرَازِ الْمُدْهَبِ لَعَمْرَةَ وَحْشًا غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبِ
دِيَارَ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مَنِي تَحَلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرَّكَّابِ

معناه قاربت أن تحل بنا وان لم تحلل في الحقيقة .. وقوله - غير موقف راكب - فيه
وجهان أحدهما انه ليس بموضع يتف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والآخر
أن يكون انه أراد وحش إلا أن راكباً وقف به يعني نفسه .. وقال نصيب

وَقَدْ كَذْتُ يَوْمَ الْحَزْنِ لِمَا تَرَمَّتْ هَتُوفُ الضُّحَى مَحْزُونَةٌ بِالْتَرْنَمِ
أَمُوتُ لِمَبْكَاها أَسَى إِنَّ لَوْعَتِي وَوَجْدِي بِسَعْدَى شَجْوُهُ غَيْرُهُ مُنْجَمِ

معنى - المنجم - الملقع .. وقال ذو الرمة

وَقَفْتُ عَلَى رَنْجٍ لَيْمَةٍ نَاقَتِي فَمَازَلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَاخَاطَبُهُ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَثْبُهُ تُكَلِّمُنِي أَحْبَارُهُ وَمَلَايِبُهُ

وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ووقى أدخلت العرب على كاد جمعاً فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان فيه وجهان أجودها قام عبد الله بعد إبطاء ولاي ومثله قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) أي بعد إبطاء وتأخر لأن وجد ان البقرة عسر عليهم .. وروى انهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدتها ذهباً فقال تعالى (وما كادوا يفعلون) إما لانهم لم يقفوا عليها أو اغلائها وكثرة ثمنها .. والوجه الآخر في قولهم ما يكاد عبد الله يقوم أي ما يقوم عبد الله وتكون لمنظة بكاد على هذا المعنى . طريحة لاحكم لها وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى (إذا أخرج يده لم يكد يراها) أي لم يرها أصلاً لانه عز وجل لما قال (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض) كان بعض هذه الظلمات يحول بين العيون وبين النظر الى اليد وسائر المناظر فيكد على هذا التأويل زيدت للتوكيد والمعنى اذا أخرج يده لم يرها .. وقال قوم معنى الآية اذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر لكثافت الظلمة وترادف الموانع من الرؤية فيكد على هذا الجواب ليست بزايدة .. وقال آخرون معنى الآية اذا أخرج يده لم يرد أن يراها لان ما شاهده من تكاثف الظلمات آيسه من تأمل يده وقرر في نفسه انه لا يدركها ببصره .. وحكى عن العرب أولئك أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم أي أريد أن أنزل عليهم .. وقال الشاعر

كَادَتْ وَكَذَتْ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى

أي أرادت وأردت .. وقال الأفره الأودى

فَإِنْ تَجَمَّعُ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ وَسَاكِنٌ بَاغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

أي أرادوا .. وقال بعضهم معنى قوله تعالى (كذلك كدنا ليوسف) أي أردنا ليوسف .. وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس معناه كذلك صنعنا ليوسف .. ومما يشهد

لمن جعل لفظة يكذ زائدة في الآية . . قول الشاعر

سَرَّ بَعْتُ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَالِكِ سِلَاحِهِ فَمَا أَنْ يَكَاذُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ

أى فما ان يتنفس قرنه ويكاذ . زيدة للتوكيد . . وقال حسان

وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيَّ فَرَاشَهَا فِي جِسْمِ خَزَعْبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ

ومعناه وتكسل أن تجي فراشها . . وقال الآخر

وَالْأَلُومُ النَّفْسَ فِيمَا أَصَابَنِي وَإِلَّا أَكَاذُ بِالَّذِي نَلْتُ أَنْجَحُ

أى لا أنجح بالذى نلت ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً . . وروى عبد

الصمد بن المعدل بن غيلان عن أبيه عن جده غيلان قال قدم علينا ذو الرمة الكوفة

فأنشدنا بالكناسة وهو على راحته قصيدته الحاثية التي يقول فيها

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْذُ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ بَرَحُ

فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة فمكر ساعة ثم قال

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

قال فأخبرت أبى بما كان من قول ذى الرمة واعتراض ابن شبرمة عابه فقال أخطأ

ذو الرمة في رجوعه عن قوله الأول وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عابه هذا كقوله

عز وجل (إذا أخرج يده لم يكد يراها) أى لم يرها . . فأما قوله عز وجل (إن

الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس) فيحتمل أن يكون المعنى فى أريد إخفاءها

لكي تجزي كل نفس بما تسى ويجوز أن تكون زائدة ويكون المعنى ان الساعة آتية

أخفيها لتجزى كل نفس . . وقد قيل فيه وجه آخر وهو أن يتم الكلام عند قوله

تعالى (إن الساعة آتية أكاد) ويكون المعنى أكاد آتي بها ويقع الابتداء بقوله تعالى

(أخفيها لتجزى كل نفس) . . ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابطي البرجمي

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَذْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكَتُ عَلِيَّ عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالَةً

أراد وكذت أفتله فحذف الفعل لبيان معناه . . وروى عن سعيد بن جبير انه كان يقرأ

أَكَادُ أَخْفِيهَا فَمَعْنَى أَخْفِيهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ أَظْهَرُهَا . . قَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ يَصِفُ نُوراً
يَخْفِي التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسْهُنٍ الْأَرْضُ تَحْلِيلُ

أَرَادَ أَنَّهُ يَظْهَرُ التُّرَابُ وَيُسْتَخْرَجُ بِأُظْلَافِهِ . . وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ
فَإِنْ تَذْفَنُوا الدَّاءَ لَا تَخْفَهُ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا تَقْعُدُ

أَيُّ لَا نَظَرَهُ . . وَقَالَ الْبَابُغَةِ

تَخْفِي بِأُظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ يُبْسُ الْكَثِيبِ تَدَاعَى التُّرَابُ فَأَنْهَدَمَا

وَقَدْ رَوَى أَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ أُخْفِيتُ الشَّيْءُ يَعْنِي سِتْرُهُ وَأَخْفَيْتُهُ بِمَعْنَى أَظْهَرْتُهُ وَكَأَنَّ الْقِرَاءَةَ
بِالضَّمِّ تَحْتَمِلُ الْأَمْرَيْنِ الْأَظْهَارَ وَالسِّرَّ وَالْقِرَاءَةُ بِالضَّمِّ لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَ الْأَظْهَارِ وَإِذَا كَانَتْ
بِمَعْنَى الْأَظْهَارِ كَانَ الْكَلَامُ فِي كَادٍ وَاحْتِمَالٍ لِلْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا كَالْكَلَامِ فِيهَا
إِذَا كَانَتْ بِمَعْنَى السِّرِّ وَالتَّغْطِيَةِ . . فَإِنْ قِيلَ قَائِلٌ قَائِلٌ بِمَعْنَى لِقَوْلِهِ إِنِّي أَسْتَرُهَا لِتَجْزِيَ كُلُّ
نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى وَأَظْهَرُهَا عَلَى الْوُجْهِينِ جَمِيعاً وَأَيُّ فُتُوَّةٍ فِي ذَلِكَ . . قَالْنَا الْوَجْهَ فِي هَذَا
ظَاهِرٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِذَا سَتَرَ عَنَّا وَقْتُ السَّاعَةِ كَانَتْ دَوَائِعُنَا إِلَى فِعْلِ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ مُتَرَدِّدَةً
وَإِذَا عَرَفْنَا وَقْتَهَا بَعَيْنُهُ كَمَا مَلَجَثْنٌ إِلَى النَّوْبَةِ بَعْدَ مُقَارَفَةِ الذُّنُوبِ وَنَقْضِ ذَلِكَ الْغَرَضُ
بِالتَّكْلِيفِ وَاسْتِحْقَاقِ الثَّوَابِ بِهِ فَصَارَ مَا أُرِيدُ بِهِ مِنَ الْمَجَازَةِ لِلْمُكَلِّفِينَ بِسَعْيِهِمْ وَاتِّصَالِ
ثَوَابِ أَعْمَالِهِمْ بِمَنْعٍ مِنْ إِبْلَاقِهِمْ عَلَى وَقْتِ انْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَفْظَةً
أَخْفِيهَا بِمَعْنَى الْأَظْهَارِ فَوَجْهُهُ أَيْضاً وَاضِحٌ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا يَقِيمُ الْقِيَامَةَ وَبِقَطْعِ التَّكْلِيفِ
لِيَجْزِيَ كُلَّكَ بِاسْتِحْقَاقِهِ وَيُوفِّيهِ مَا يَحَقُّ الثَّوَابِ ثَوَابَهُ وَيُعَاقِبُ الْمُسِيءَ بِاسْتِحْقَاقِهِ فَوَضَحَ
وَجْهَ قَوْلِهِ تَعَالَى (أ كَادُ أَخْفِيهَا لِتَجْزِيَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى) عَلَى الْمُعْنِيَيْنِ جَمِيعاً [قَالَ
الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ] . . وَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ الْإِنْبَارِيَّ يَطْعُنُ عَلَى جَوَابِ مَنْ
أَجَابَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَاجِرَ) بِأَنَّهُ مَعْنَاهُ كَادَتْ تَبْلُغُ الْحُنَاجِرَ وَيَقُولُ
كَادُ لَا تَضُرُّ وَلَا يَدُ أَنْ يَكُونَ مَنْطُوقاً بِهَا وَلَوْ جَازَ ضَمُّهَا لَجَازَ أَنْ يَقَالَ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
بِمَعْنَى كَادَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُومُ فَيَكُونُ تَأْوِيلُ قَامَ عَبْدُ اللَّهِ لَمْ يَقُمْ عَبْدُ اللَّهِ لِأَنَّ مَعْنَى كَادَ عَبْدُ اللَّهِ
يَقُومُ لَمْ يَقُمْ وَهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَنَظَنُّ أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى الطَّعْنِ فِي هَذَا الْوَجْهِ

حكايته له عن ابن قتيبة لان من شأنه أن يرد كل ما يأتي به ابن قتيبة وان تعسف في الطعن عليه والذي استبعده غير بعيد لان كاد قد تضمن في مواضع ويقتضيها بعض الكلام وان لم تكن في صريحه ألا ترى انه م يقولون أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده وخرجت نفسه ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح وما أشبه ذلك ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ولا بد من اضمار كاد فيه . . . وقال جرير

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا رَضٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُجَيِّبَنَّ قَتْلَانَا

وانما المعنى انهم كدن يقتلنا فهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره وليس يمتنع فأما قوله يجيبين قتلانا فلا يظهر في معناه انهم لم يزلن يفعلن ما قاربنا عنده الموت والقتل من السدود والهجر وما أشبه ذلك وسمى هذه الأمور حياة كما سمي اضدادها قتلاً وقد قيل ان معنى يجيبين قتلانا انهم لم يبدن قتلانا من الدية لان دية القتل عند العرب كالحياة له وقد روى ثم لم يجيب قتلانا وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ضعيف ركيك واذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقل قام فلان بمعنى كاد يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت . . . فأما قوله فيكون تأييل قوله قام عبد الله لم يقم عبد الله خطأ لانه ليس معنى كاد يقوم انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا منه فمن قال قام عبد الله وأراد كاد يقوم فقد أفاد ما لا يفيد . . . وأما قوله تعالى (زَاغَتْ الْأَبْصَارُ) فعناه زَاغَتْ عَنِ النَّظَرِ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ فَلَمْ تَنْتَفِ إِلَّا إِلَى عَدُوِّهَا وَبِحُجُوزٍ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِزَاغَتْ أَي جَارَتْ وَمَالَتْ عَنِ الْقَصْدِ فِي النَّظَرِ دَهْشاً وَخَجْراً . . . فأما قوله تعالى (وَتَنْظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا) معناه انكم تظنون مرة انكم تنصرون وتظهرون على عدوكم ومرة انكم تبتلون وتمتحنون بالنعالية بينكم وبينهم ويجوز أيضاً أن يريد الله تعالى ان ظننوكم اختلفت فظان المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من المعصرة وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم (مَا وَعَدْنَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَّا غُرُوراً) وظن المؤمنون ما طابق وعد الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم في قوله (هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) وكما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها

— مجلس آخر ٢٥ —

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتاً) فقال اذا كان السبات هو النوم فكأنه قال وجعلنا نومكم نوماً وهذا مما لا فائدة فيه ٠٠ الجواب قيل له في هذه الآية وجوه ٠٠ منها أن يكون المراد بالسبات الراحة والدعة ٠٠ وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كلهم كان في يوم الجمعة والفرار من هذا في يوم السبت فسمى اليوم بالسبت للفرار الذي كان فيه ولان الله تعالى أمر بني اسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال قيل وأصل السبات التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلتها من العقص وأرسلته ٠٠ قال الشاعر

وإن سبته مال جثلاً كأنه سداً واهلات من نواسج خشمها

أراد إن أرسلته ٠٠ ومنها أن يكون المراد بذلك القطع لان السبت القطع والسبت أيضاً الخلق يقال سبت شعره سبتاً اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السبئية التي لا شعر عليها ٠٠ قال عنتر

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم

ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتاء وجمعها سباتي فيكون المعنى على هذا الجواب جعلنا نومكم سباتاً أي قطعاً لأعمالكم وتصرفكم ٠٠ ومن أجاب بهذا الجواب يقول انما سمي يوم السبت بذلك لان بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية الى معنى القطع ٠٠ وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة ان الله ابتداء في يوم الأحد وكان الخلق في يوم الأحد والاثني والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول أهل التوراة ٠٠ وقال آخرون ان الابتداء كان في يوم الاثنين الى السبت وفرغ في يوم الأحد وهذا قول أهل الانجيل ٠٠ فأما قول أهل الاسلام فهو ان ابتداء الخلق كان يوم السبت واتصل الى يوم الخميس وجمعت الجمعة عهداً فعلي هذا القول الآخر يمكن

أن يسمي اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الأرض .. فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إن الله تعالى خلق البرية يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد .. ومنها أن يكون المراد بذلك إننا جعلنا نومكم سباتاً ليس بموت لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت فأراد تعالى أن يمتن علينا بأن جعل نومنا الذي يضاهي فيه بعض أحوالنا أحوال الميت ليس بموت على الحقيقة ولا بمخرج لنا عن الحياة والادراك فجعل التأكيده بذكر المصدر قائماً مقام نفى الموت وساداً مسدداً قوله تعالى وجعلنا نومكم ليس بموت .. ويمكن أن يكون في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو أن السبات ليس هو كل نوم وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا يقال فيمن وصفه بكثرة النوم أنه مسبوت وبه سبات ولا يقال ذلك في كل نائم وإذا كان الأمر على هذا لم يجز قوله . وجعلنا نومكم سباتاً) مجرى أن يقول وجعلنا نومكم نوماً .. والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتداً طويلاً ظاهراً وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لأن التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئاً من الراحة بل يصحبهما في الأكثر القلق والازعاج والهموم وهي التي تغلغل النوم وتزوره وفراغ القلب ورخاء البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده وهذا واضح .. [قل المرتضي] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه أولاً ويقول إن ابن قتيبة أخطأ في اعتياده لأن الراحة لا يقال لها سبات ولا يقال سبت الرجل بمعنى استراح وأما ما يعتمد على الجواب الذي ثبنا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة من قولهم سبت المرأة شعرها إن معناه أيضاً القطع لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشداد الذي كان مجموعاً به وقطعه .. والمقدار الذي ذكره ابن الأنباري لا يتدح في جواب ابن قتيبة لأنه لا ينكر أن يكون السبات هو الراحة والدعة إذا كانتا عن نوم وإن لم توصف كل راحة بأنها سبات ويكون هذا الاسم يخص الراحة إذا كانت على هذا الوجه ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أن السبات لا يكون اسماً للراحة عند النوم

والذي يبقى على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ويستشهد على ذلك بشعر أو لغة فإن البيت الذي ذكره بممكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال .. فان قيل فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه أخيراً قلنا الفرق بينهما بين لان ابن قتيبة جعل السبات نفسه راحة وجمله عبارة عنها وأخذ يستشهد على ذلك بالتمدد وغيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة واقعة عنده للامتداد وطول السكون فيه فلا يلزمنا أن يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عليه حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات وليس السبات إياها بعينها على ان في الجواب الذي اختاره ابن الانباري ضرباً من الكلام لان السبت وان كان القطع على ما ذكره فلم يسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السبات ويحتاج في اثبات مثل هذا البناء الى سماع عن أهل اللغة وقد كان يجب أن يورد من أي وجه اذا كان السبت هو القطع جاز أن يقال سبات على هذا المعنى ولم نره فعل ذلك

[تأويل خبر] .. ان قال قائل ما تأويل الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت يعذب ببكاء الحي عليه .. وفي رواية أخرى ان الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه .. وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شعبة أيضاً فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من نوح عليه فانه يعذب بما نوح عليه .. الجواب أنا اذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز قبح من أخذه أحد بذنب غيره وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فلا بد أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة الى ما يطابقها .. والمعنى في الأخبار التي سئلنا عنها ان صحت روايتها انه اذا أوصى موسى بإخيه يناح عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فانه يعذب بالنياحة عليه وليس معصية يعذب بها انه يؤخذ بفعل النواح وانما معناه أن يؤخذ بأمره بها ووصيته بفعلها وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لان الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ويؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم .. قال طبري بن العبد

فَإِنْ مِتُّ فَأَنْعِنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ وَشَقِّي عَلَى الْجَيْبِ يَا أُمَّ مَعْبِدٍ

•• وقال بشر بن أبي خازم لابنته عميرة

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنْ يَنْتِ بَشِيرٍ فَإِنَّ لَهُ بِجَنْبِ الرَّذَمِ بَابَا

ثَوَى فِي مَلْجَدٍ لَا بُدَّ مِنْهُ كَفَى بِالْمَوْتِ ثَأْيِيًّا وَأَغْتَرَابَا

رَهْنٌ بِلَى وَكُلُّهُ فِتْيٌ سَيْبَلَى فَأَذْرِي الدَّمْعَ وَأَنْتَحِي أَنْتَحَابَا

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودى فقال انكم لتبكون عليه وانه ليعذب في قبره •• وقد روى ابن بكار هذا الخبر أيضا عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أخبرت بروايته وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قايب بدر إنما قل عليه الصلاة والسلام ان أهل الميت لي يكون عليه وانه ليعذب مجرمه •• [قال المرتضى] رضى الله عنه يعنى - وهل - أى ذهب وهمه الى غير الصواب يقال وهلت الى الشئ فأنا أهل وهلا اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه أهل وهلا أى نسيته وغلظت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا فزع والوهل الفزع •• فأما - القايب - فهي البرث والجمع القاب •• قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَدْ فَتَنَاهُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلْبِ

أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ

•• وقال آخر يبكي على قتلى بدر من المشركين

فَمَاذَا بِالْقَلْبِ قَلْبِ بَذْرِ مِنَ الْفِتْيَانِ وَالشَّرْبِ الْكَرَامِ

وَمَاذَا بِالْقَلْبِ قَلْبِ بَذْرِ مِنَ الشِّيزِيِّ يُكَلِّلُ بِالسَّامِ

وموضع وهله في ذكر القايب انه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قلب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ثم قال انهم ليسمعون ما أقول فأنكر ذلك عليه وقيل انما قال عليه الصلاة والسلام انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت أقوله لهم هو

الحق واستشهد بقول الله عز وجل (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى) وأهل القلوب جماعة من قريش منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم . . . وروى عن عبد الله ابن مسعود أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قائماً يصلي بمكة وأناس من قريش في حلقة فيهم أبو جهل بن هشام فقال ما يمنع أحدكم أن يأتي الجزور التي نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى إذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث أشقى القوم وأنا أنظر إليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله لو كانت لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة رضوان الله عليها عليه وهي يومئذ صبية حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رؤسهم فأوسعتهم شتماً قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضعك حتى أنه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا عليهم ألقط في أيديهم قال فوالله الذي لا إله غيره ما سمى النبي صلى الله عليه وسلم أحداً إلا وقد رأيت يوم بذري وقد أخذ برجله يجره إلى القليب مقتولا وقوله - فيأخذ سلاها - أي جلدتها التي فيها ولدها مادام في بطنها والجمع الأسلاء . . . وقال ابن حبيب الأسلاء التي فيها الأولاد . . . قال الأخطل

وَيَطْرَحَنَّ بِالثَغْرِ السَّخَالِ كَأَنَّمَا يُشَقِّقَنَّ بِالْأَسْلَاءِ أَرْذِيَةَ الْعَصَبِ

. . . وقال الشماخ

وَالْعَيْسُ دَائِمِيَّةُ الْمَنَاسِمِ ضُمُرٌ يَقْذِفَنَّ بِالْأَسْلَاءِ تَحْتَ الْأَزْكَبِ

. . . قال الفراء سقط في أيديهم من الندامة وأسقط لغتان وهو بغير ألف أكثر وأجود . . . ويمكن أن يكون في قوله يعذب ببكاء أهله وجه آخر وهو أن يكون المعنى إن الله تعالى إذا أعلمه ببكاء أهله وأعزته عليه وما لحقهم بعده من الحزن والحلم تألم بذلك فكان عذاباً له والعذاب ليس بجاري مجرى العقاب الذي لا يكون إلا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيراً بحيث يستعمل الألم والضرر ألا ترى أن القائل قد يقول لمن ابتداء بالضرر والألم قد عذبتني بكذا وكذا كما يقول أضرت بي وآلتني وإنما لم يستعمل

العقاب حقيقة في الايلام المبتدأ من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب

[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أحد يدخله عمله الجنة وينجي من النار قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل يقولها ثلاثاً .. فقال أليس في هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق عليه ومذهبكم بخلاف ذلك .. الجواب قلنا فائدة الخبر ومعناه بيان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو أخرج الى نفسه وقطع الله تعالى واد المعونة والالطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من النار فكأنه عليه الصلاة والسلام أراد ان أحداً لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يعنه الله تعالى عليه ولا لطف له فيه ولا أرشده اليه وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه .. فأما الثواب فما نأبى القول بأنه تفضل بمعنى ان الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداء وانما يجب عليه ما أوجبه على نفسه فالثواب مما كان أوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين والالطاف وكلما يجلبه ويوجبه التكليف ولولا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب .. فان قيل فقد سمي الرسول عليه الصلاة والسلام ما يفعل به فضلاً فقال إلا أن يتغمدني الله برحمته منه .. وفضل قلنا هذا يطابق ما ذكرناه لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه الذي ذكرناه وان حملنا قوله عليه الصلاة والسلام برحمته منه وفضل على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي أيضاً فضل وتفضل لان سببها غير واجب .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام يتغمدني الله فعناه يسترني يقال غمدت السيف في غمده اذا سترته .. قال الشاعر

نَصَبْنَا رِمَاحًا فَوْقَهَا جَدُّ عَامِرٍ كَظَلِ السَّمَاءُ كُلُّ أَرْضٍ تَغْمَدًا

— فالجد — هنا البخت والحظ وشبهه ما قسم لعامر من الغاية والظفر بظل السماء الذي يستر كل شيء ويظهر عليه .. أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن حنيفاء قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قراءة عليه قال أملي علينا أبو العباس أحمد

ابن يحيى نعلب النحوي قال أخبرنا ابن الاصرابي قال يقال للقوم اذا دعوت عليهم بهرم
الله والمهور هو المكروب وأنشدنا

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاءِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَثْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا نَحْبُهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ

[قال المرتضى] .. رضى الله عنه وقد قيل في معنى قوله بهر أغبر هذا الوجه .. أخبرنا
أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني أحمد بن يحيى الصولي قال حدثنا
القاسم بن اسماعيل قال حدثنا الثوري عن أبي عمر الأسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء
يقول عمر بن ربيعة حجة في العربية وما أخذ عليه شيء الا قوله - ثم قالوا تحبها قلت بهراً -
وله فيه عذر ان أراد الخبر لا الاستفهام كأنهم قالوا أنت تحبها على جهة الاخبار منهم -
لا الاستفهام فوكده هو إخبارهم بجوابه فهذا حسن وبهراً يجوز أن يكون أراد نعم حباً
بهري بهراً ويكون أيضاً بمعنى عقرأ وتعساً ودعا عليهم إذ جهلوا من حبه لها ما لا يجهل
مثله .. وأنشد أبو عمرو بن العلاء

لَحَا اللَّهُ قَوْمِي إِذْ يَدْعُونَ مُهْجَتِي بِجَارِيَةِ بَهْرًا لَهُمْ بَعْدَهَا بَهْرًا

.. قال أبو عمرو يكون بهراً بمعنى ظاهراً يريد حباً ظاهراً من قولهم قرء باهر .. وقد
روى بعض الرواة انه قال - قيل لي هل تحبها قلت بهراً - والرواية الأولى هي المشهورة
واعلم من روى ذلك فرب هذه الرواية من اللحن وهذان البيتان لعمر بن عبد الله بن
أبي ربيعة الخزومي من جملة أبيات منها

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بَأْنِي ضِغْتُ دُرْعَاءٍ جَزِهَا وَالْكِتَابِ
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
سَلَبَتْنِي عَجَاجَةُ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلَوْهَا بَمَا يَحِلُّ أَغْتِصَانِي
أَزْهَقْتُ أُمَّ نَوْفَلٍ إِذْ رَعَتْهَا مُهْجَتِي مَا لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ

حِينَ قَالَتْ لَهَا أَجِيبِي فَقَالَتْ مَنْ دَعَانِي قَالَتْ أَبُو الْخَطَّابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَاءِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسٍ كَوَاعِبِ أَنْزَابِ
ثُمَّ قَالُوا تَحْبِسُهَا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ

والثريا هي التي عفاها عمر أموية وقد اختلف في نسبها ف قيل انها الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر أبو عبد شمس وقيل انها الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر وذكر الزبير بن بكار ان الثريا هي بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن الحارث بن أمية الأصغر وانها أخت محمد بن عبد الله المعروف بأبي جراب العبلي الذي قتله داود بن علي . . وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفاح قال خبرني بلال بن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريا اختصرناه وأوردنا بعضه قال لما سمع ابن أبي عتيق قول عمر - من رسولي الى الثريا باني - قال إياي أراد وبني نوء لا جرم والله لا أذوق أكلاً حتى أشخص اليه لا صاح بينهما فهض ونهضت معه فجاء قوما من بني الدئل بن بكر لم تكن النجائب تفارقهم يكرونها فاكترى منهم راحلتين وأغلى لهم بها فقلت له استوضعهم شيئاً أو دعني أما كسهم فقد استطولوا فقال لي ويحك أما علمت ان المكاس ليس من خلق الله الكرام وركب إحداهما وركبت الأخرى فسار سيراً شديداً فقلت له ارفق على نفسك فان من تريد لا يفوتك فقال ويحك - أبادر جبل الود أن يتقضضا - ومن ملح الدنيا أن يلتئم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلاً غير محرمين فديق على عمر بابه فخرج اليه فسلم عليه فما نزل ابن أبي عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب أصلح يدك وبين الثريا فاني رسولك الذي سألت عنه فركب معه فقدمنا الطائف فقال ابن أبي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمي السفر من المدينة اليك فجئت بك به معترفاً بذنب لم يجنه معتذراً من اساءتك اليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون فصالحته أحسن صلح وكررنا راجعين الى المدينة ولم يقم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة . . وفي الثريا يقول عمر

ابن أبي ربيعة أيضاً لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف المكنى بأبي الأبيض
وقيل بل تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سَهِيلاً عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا أَسْتَقَلْتُ وَسَهِيلٌ إِذَا أَسْتَقَلَّ يَمَانِي

—*~*~*~*~*~*— مجلس آخر ٢٦

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (فغشيه من اليم ما غشيه) فقال
ما الفائدة في قوله ما غشيه وقوله غشيه يدل عليه ويستغنى به عنه لان غشيه لا يكون
إلا الذي غشيه وما الوجه في ذلك .. الجواب قد ذكر في هذا أجوبة .. أحدها
أن يكون المعنى فغشيه من اليم البعض الذي غشيه لانه لم يغشيه جميع ماء بل غشيه
بعضه فقال ما غشيه ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم لم يغرقوا بجميعه وهذا
الوجه حكى عن الفراء وذكره أبو بكر الانباري واعتمده وغيره أوضح منه . واليم هو
البحر .. قال الشاعر

وَبَنِي تَبَعٌ عَلَى الْيَمِّ قَصْرًا عَالِيًا مُشْرِفًا عَلَى الْبُنْيَانِ

.. وثانها أن يكون المعنى فغشيه من اليم ما غشى موسى وأصحابه وذلك ان موسى
عليه الصلاة والسلام وأصحابه وفرعون وأصحابه سلكوا جميعا البحر وغشيه كلهم إلا
أن فرعون وقومه لما غشيه غرقهم وموسى عليه الصلاة والسلام وقومه جعل لهم في
البحر طريق يمشى فقال تعالى فغشى فرعون وقومه من ماء اليم ما غشى موسى وقومه
فنجوا هؤلاء وهلك هؤلاء وعلى هذا الوجه والتأويل تكون الهماء في قوله ما غشيه كناية
عن غير من كفى تعالى عنه بقوله فغشيه لان الأولى كناية عن فرعون وقومه والثانية
كناية عن موسى وقومه .. وثالثها انه غشيه من عذاب اليم وإهلاكه لهم ما غشى
الأمم السالفة من العذاب والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم وإقامتهم على رد أقوالهم

والعدول عن ارشادهم والأثم السالفة وإن لم يغشهم الهلاك والعذاب من قبل البحر فقد غشهم عذاب واهلاك استحقتهما بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم فشبّه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب .. ورابعها أن يكون المعنى فغشهم من قبل اليم ما غشهم من العطب والهلاك فتكون لفظة غشهم الاولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر .. ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو واضح يلقى بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى (ما غشهم) تعظيم الأمر وتغضيبه كما يقول القائل فعل فلان ما فعل وأقدم على ما أقدم اذا أراد التفعيم وكما قال تعالى (وفعلت فعلتك التي فعلت) وما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل هذا هذا وأنت أنت وفي القوم هم هم .. قال الهذلي

رَقُونِي وَقَالُوا يَا خُوَيْلِدُ لَا تَرْغُ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمُ هُمُ

.. وقال أبو النجم

أَنَا أَبُو النَجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي

كُلْ ذَلِكَ أَرَادُوا تَعْظِيمَ الْأَمْرِ وَتَكْبِيرَهُ



— مجلس آخر ٢٧ —

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (نخر عليهم السقف من فوقهم) فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو يفيد . قوله نخر عليهم السقف لان مع الاقتصار على القول الأول لا يذهب وهم أحد الى أن السقف ينخر من تحتهم .. الجواب قيل له في ذلك أجوبة .. أولا أن يكون من بمعنى عن فيكون المعنى نخر عنهم السقف من فوقهم أي خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه فيكون من وعن بمعنى واحد أي من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية

نخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم .. قال الشاعر

أَرْزِي عَلَيْهَا وَهِيَ فَرَعٌ أَجْمَعُ وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَإِصْبَعُ

أراد أرمي عنها لأن كلام العرب رميت عن القوس فأقام على مقام عن ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى نخر عليهم السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر وليس هم تحته .. وثانيها أن يكون على بمعنى اللام والمراد نخر السقف فان على قد تقام مقام اللام .. وحكي عن العرب ما أغيظك على وما أغمك على يريدون ما أغيظك لي وما أغمك لي .. قال الطرماح يصف ناقه

كَأَنَّ مَجْرَاهَا عَلَى ثَفَنَاتِهَا مَعْرَسُ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِالْجَنَاجِنِ^(١)

أراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على .. وقد يقول القائل أيضاً تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد أنه كان تحته فأخبر تعالى بقوله (من فوقهم) عن فائدة لولاء ما فهمت ولجاز أن يتوهم متوهم في قوله نخر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خرب عليه ربه ووقعت عليه دابته وأشباه ذلك .. وللعرب في هذا مذهب طريف لطيف لانهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ألا ترى أنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بدلا من قولهم خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه

(١) - الثفنات - جمع ثفنة بفتح فكسر وهو من البعير ركبته وما مس الأرض من كركته وسعداناته وأصول أخذاه - والمعرس - محل التعريس وهو النزول آخر الليل يريد محل مبيتها وبعده

وقعن اثنتين واثنين وفردة يبادرن تغليساً سمال المداهن

- السمال - جمع سملة وهي بقية الماء في الحوض - والمداهن - جمع مدهن وهي نقر في رؤس الجبال يستنقع فيها الماء وقد سبق الى هذا المعنى ذو الرمة فقال

كان مجراها على ثفناتها معرس خمس من قطا متجاور

وقعن اثنتين واثنين وفردة جريدا هي الوسطى بصحراء جار

(٤ - أمالي ثاني)

جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا من شأنهم اذا قالوا قال
على وروى على فانه يقال في الشر والكذب وفي الخير والحق يقولون قال عتي وروي
عتي ومثل ذلك قوله تعالى (واتبعوا ما تلو الشياطين على ملك سليمان) لانهم لما
أضافوا الشر والكفر الى ملك سليمان حسن أن يقال نتلو عليه ولو كان خيراً لقل
عنه ومثله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) وقوله (نأقولون على الله مالا
نعلمون) .. وقال الشاعر

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مَنِّي لِيَحْيِي فَقَالَ غَشَّشْتَنِي وَالنُّصْحُ ضُرٌّ
وَمَالِي لَا أَكُونُ أَعِيبٌ يَحْيِي وَيَحْيِي طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرٌّ
وَلَكِنْ قَدْ أَتَانِي أَنَّ يَحْيِي يُقَالُ عَلَيْهِ فِي نَفْعَاءَ شَرٌّ
فَقُلْتُ لَهُ تَجَنَّبْ كُلَّ شَيْءٍ يُعَابُ عَلَيْكَ إِنَّ الْحُرَّ حَرٌّ

ومثله قول الفرزدق في عنبة بن سعدان المعروف بعنبة الفيل وقد كان يتبع شعره
وبخطه وبلغه (١)

(١) - قلت - كان عنبة يعيب على الفرزدق مثل قوله

وعض زمان يا بن مروان لم يدغ من المال الامسحتاً أو مجلف

- المسحت - المبدد - والمجلف - الذي ذهبت به السنون وكان الفرزدق لحانة على
جودة شعره وكان فحاشا لا يعترض عليه أحد الا هجاء وقد سأله بعضهم عن رفع مجلف
في البيت فغضب وقال على أن أقول وعليكم أن تحتجوا وأنكر عليه عبد الله بن أبي
اسحاق الحضرمي قوله

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب من نديف القطن منشور

على عمائتنا ناتي وأرحلنا على زواحف نرجى مخها رير

فقال الا قلت (على زواحف نرجها محاسير) فغضب وقال

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

لَقَدْ كَانَ فِي مَعْدَانِ وَالْفِيلِ زَاجِرٌ لِعِنَبَسَةِ الرَّأْوِي عَلَى الْقَصَائِدَا

فقال عليّ ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه .. وثالث الوجوه في الآية أن يكون من فوقهم تأكيداً للكلام وزيادة في البيان كما قال تعالى (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) والقلب لا يكون إلا في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب كثير وفي كلام الأدب أيضاً والله أعلم

[تأويل خبر آخر أيضاً] .. إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن أبي اسحاق الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا القرآن مأدبة لله تعالى فتمعّدوا مأدبته ما استطعتم وان أصفر البيوت ليتناً أصفر من كتاب الله فقال ما تأويله وكيف بيان غريبه .. الجواب - المأدبة - في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو اليه الناس فشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما يكتسبه الانسان من خير القرآن ونفعه وعائدته اذا قرأه وحفظه بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به يقال قد أدب الرجل يأدب فهو أدب اذا دعا الناس الى طعامه وشرا به ويقال للمأدبة المدعاة وذكر خاف الأحمر انه يقال فيه أيضاً مأدبة فتفتح الدال .. قال طرفة العبدى

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى لَا تَرَى الْأَدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

ومعنى - الجفلى - أنه غم بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم .. والنقري إذا خص بها بعضاً دون بعض ومعنى - ينتقر - من النقري .. قال بعض هذيل

وَلَيْلَةٍ يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرِيِّ الْمَثْرِينَ دَاعِيَهَا
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَلَا تَسْرِي أَفَاعِيَهَا

معنى - يصطلى بالفرث جازرها - أن الجازر اذا شق فيها الكرش أدخل يده اشدّة البرد في الفرث مستدفئاً به ومعنى - يختص بالنقري المثرين داعيها - أنه يخص بدعائه الى طعامه الأغنياء الذين بطمع من جهتهم في المكافأة .. وقال الآخر

قَالُوا ثَلَاثَاوُهُ خِصْبٌ وَمَأْدُبُهُ وَكُلُّ أَيَّامِهِ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ

•• وقال الهذلي يصف عقاباً

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جَوْفٍ وَكُرِّهَا نَوَى الْقَسْبِ مُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِبِ^(١)

أراد جمع مأدبة •• وقد روى هذا الحديث بفتح المأدبة •• وقال الأحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم •• وقال غيره المأدبة بفتح الدال مفعلة من الأدب معناه ان الله تعالى أنزل القرآن أدباً للخلق وتقويماً لهم وانما دخلت الهاء في مأدبة ومأدبة والقرآن مذكر لمعني المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس •• وكما قال عنزة

وَالْكَفَرُ مَحْبُثَةٌ لِنَفْسِ الْمُنْعِمِ

وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة التشبيه بالهداية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة •• ويقال لطعام الاملاك وليمة ولطعام الخنثان العذيرة ولطعام الزفاف العرس ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من السفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذي تطعمه النفساء نفسها الخرسة •• قال الشاعر

اِذَا النَّفْسَاءُ لَمْ تَخْرُسْ بِيَكْرِهَا غُلَامٌ أَوْلَمْ تَسْكِتْ بِحَتْرِ فَطِيمِهَا

— الحتر — الشيء القليل •• وقال آخر

كُلُّ الطَّعَامِ تَشْتَهِي رَبِيعُهُ الْعِرْسُ وَالْإِعْذَارُ وَالنَّقِيعَةُ

ويروى الخرس •• وينشد أيضاً في النقيعة قول الشاعر

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُؤُسَهُمْ ضَرْبَ الْقِدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ

— القدار — الجزار — والقدام — جمع قادم •• وقال أبو زيد يقال لطعام الاملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الخنثان الاعذار والعذيرة •• وقال الفراء

(١) — القسب — بفتح فسكون اليابس من التمر

الشيدخي طعام الاملاك والوليمة طعام العرس .. وقال أبو زيد يقال من النقيعة نفعت .. وقال الفراء منها أنفقت .. وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعمل به قدام الغداء

السلفة والالهة لَهَنُوا ضيفكم أى أطعموه الهنة .. قال الشاعر

عَجِزْتُ عَارِضُهَا مُنْفَلْتُ طَعَامُهَا الْإِهْنَةُ أَوْ أَقْلُ

.. وقال ابن السكيت يقال فلان يأكل الوجبة اذا كان يأكل في اليوم واللييلة أكلة

.. قال بشار

فَاسْتَنْعِ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ فِيهِ لِأَمْرِي ذَهَبٌ

.. وقال ابن السكيت قل الأصمى لرجل أسرع في سيره كيف كان سيرك قال كنت آكل الوجبة وأنجو الوقعة وأعرّس اذا فجرت وأرتحل اذا أسفرت وأسير الوضع وأجتنب اللع فجتنبكم لمسى سبع .. قوله - أنجو الوقعة - معناه أقضي حاجتي مرة في اليوم وهو من النجو .. وقوله - أسير الوضع - فالوضع سير فيه بعض الاسراع واللعب سير أشد منه وأراد انه يجتنب الشديد من السير كراهة أن يقف ظهره قبل أن يبلغ الأرض التي يقصدها يقال شر السير الحقيقة أى السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته .. قال الشاعر

إِذَا مَا أَرَذْتَ الْأَرْضَ ثُمَّ تَبَاعَدَتْ عَلَيْكَ فَضَعَّ رَحْلُ الْمَطِيِّ وَأَنْزَلَ

أى استرح حق تقوى على السير وان جهدت نفسك لم تقطع أرضاً ولم تبقى ظهراً وهذا من أبيات المعاني التي يسأل عنها والذي قيل فيه ما ذكرناه .. ويمكن أن يكون معنى البيت اذا بعدت عليك الأرض فدعها واسل عنها كما يقال دواء ماعزٍ معالجه الصبر وما جرى مجرى ذلك من ألفاظ التسلية والأمر بالعدول عن تتبع ما صعب من الأمور .. وقال الآخر في معنى البيت الأول

يُقَطَّعُ بِالنُّزُولِ الْأَرْضَ عَنْهَا وَبُعْدُ الْأَرْضِ يَقْطَعُهُ النَّزُولُ

وقوله - لمسى سبع - أي لمساء سبع ليال .. ويقال للذي يحضر طعام القوم من غير أن يدعاه اليه الوارش والوروش وقول العامة طفيلي مولى لا يوجد في العتيق من كلام

العرب وأصل ذلك أن رجلاً يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفقد ولية من غير أن يدعى إليها فطفيل لا وارث طفيلي تشبها بطفيل هذا في وقته .. ويقال للذي يحضر الشراب من غير أن يدعى إليه واغل .. قال امرؤ القيس

فاليوم فاشرب غير مستحقبٍ إثمًا من الله ولا واغلٍ

ويقال لما يشربه الوغل .. قال الشاعر

إِنْ أَكْثَرْتَ شَرَبَ الْوَغْلِ وَلَا يَسْلَمُ مِنِّي الْبَعِيرُ إِنْ نَشَرَ

وقوله صلى الله عليه وسلم ان أصفر البيوت لبينا صفر من كتاب الله معناه أخلا البيوت - والصفر - عند العرب الخالي من الآنية وغيرها .. ويمكن في قوله مأدبة وجه آخر وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعاء الخلق إليه وأمرهم بالاجتماع عايه فسماء عايه الصلاة والسلام مأدبة لهذا الوجه لأن المأدبة هي التي يدعى الناس إليها ويجتمعون عايتها وهذا الوجه يخالف الأول لأن الأول تضمن ان وجه التشبيه من حيث النفع العائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو الى المأدبة بما يصيبه من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن ان التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء اليه والارشاد الى اصابته وليس يبعد أن يريد عليه الصلاة والسلام بالخبر المعنيين معاً فلا تنافي بينهما .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كُنَّا فِي مَجْلِسِ الْأَصْمَعِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِي فَقَالَ أَيْنَ عَهْدُكُمْ فَأَشْرَنَا إِلَى الْأَصْمَعِيِّ فَقَالَ لَهُ مَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ

لَا مَالٌ إِلَّا الْعِطَافُ تَوَزَّرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ وَأَبْنَةُ الْجَبَلِ
لَا يَرْتَقِي الزُّرْفِيُّ ذِلَازِيهِ وَلَا يُعَدِّي نَعْلِيهِ مِنْ بَلَلٍ

.. فقال الأصمعي

عُصْرَتُهُ نُظْفَةٌ تَضُمُّهَا لَصَبٌ تَلْقَى مَوْضِعَ السَّبَلِ
أَوْ وَجِبَةً مِنْ جَنَازَةٍ أَشْكَلَةٍ إِنْ لَمْ يَرُعْهَا بِالْقَوْسِ لَمْ تُنَلِّ

قال فادبر الاعرابي وهو يقول لم أر كاليوم رجلاً .. قال ابن دريد انما وصف رجلاً خائفاً في رأس جبل يقول لا مال له إلا العطف وهو السيف تؤزره أم ثلاثين يعني كمنانة فيها ثلاثون سهماً وابنة الجبل يعني القوس لأنها تعمل من شجر الجبال مثل النبع وغيره .. وقوله - لا يرتقى النز في ذلأذله - لأنه في رأس جبل فلا نز هناك يتعاقب بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعتدي نعليه عنهما - والعصرة - الملجأ - والنطفة - الماء المجموع في صخر أو غيره من بقية ماء المطر - والاصب - الشق في الجبل أضيق من الابهب وأوسع من الثقب - والسبل - المطر - والوجبة - أن يأكل كل يوم مرة - والأشكل - الصدر الجبلي واحده أشكلة .. يقول فهذه النطفة والوجبة من الأشكلة عصرناه .. وقوله - ان لم برعها بالقوس - يعني انها لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس .. [قال المرتضي] رضى الله عنه وانما جعل الأصمعي انشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها لأنه بعد أن يعرفها ولا يعرف معناها والأعرابي انما سأل عن المعنى فأقام انشادها لها مقام تفسيرها واستغنى الأعرابي بذلك وعلم باتمامه للأبيات معرفته بمعناها وكان الأصمعي كثيراً اذا أنشد شيئاً من الشعر ينشد في معناه في الحال .. فمن ذلك أن اسحاق بن ابراهيم الموصلي أنشده يوماً لنفسه

إذا كانت الأحرار أصلياً ومنصبي وقام بنصري حازم وأبن حازم
عطست بأنفٍ شامخٍ وتناولت يدَي الثُّريّا قاعدًا غير قائم

.. قال فلما فرغت من انشادهما أنشدني بعقب ذلك

ألا أيها السائلي جاهلاً لتعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام - بنى عامر فروعي وأصلي قرينش المعجم

قال فجاء والله بالشعر الذي نحوته وعملت بيتي عليه .. وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال ما أنشدت الأصمعي شيئاً قط إلا أنشدني مثله كأنه أعدّه لي فأنشدته يوماً للأعشي

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَعَلَّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعَلَّقْتُ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ

فأنشدني من وقته

قَتَلْتُكَ أُخْتُ بَنِي لُؤَيٍّ إِذْ رَمَتْ وَأَصَابَ نَبْلُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا

وَأَعَارَهَا الْحَدَثَانُ مِنْكَ مَوَدَّةً وَأَعَارَ غَيْرُكَ وَدَّهَا وَهَوَاهَا

وذكر أبو العيناء قال كان الأصمعي إذا سمع انساناً ينشد شعراً في معنى أنشد في ذلك المعنى من غير أن يريه أنه أراد أن ينشده رجل قول القطامي

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَا مِمَّا الْمُخْطِئُ الْهَبْلُ

فأنشد هو قول قعنب الفزاري

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَفْغُو لَا يَعْدَمُ عَلَى الْغِيِّ لَأَمَّا^(١)

وروى ميمون بن هارون قال سمعت اسحاق بن ابراهيم يقول أنشدت الأصمعي قول الأعشى طلباً أن ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم لا يرضى بمثل هذا

إِنْ تَرْكَبُوا فَرُكُوبَ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُهُ نُزُلُ

فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبي

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْخَيْلَ يَوْمَ طَرَادِهَا بِسَلِيمٍ أَوْ ظِفَةِ الْقَوَائِمِ هَيْكَلِ^(٢)

فَدَعَوْا نَزَالَ فِكُنْتُ أَوَّلَ نَازِلٍ وَعَلَامَ أَرْكَبُهُ إِذَا لَمْ أَنْزِلِ

وروى عن اسحاق بن ابراهيم أيضاً أنه قال دخل على يوماً الأصمعي وعندي أنخ للعماني الراجز حافظ راوية فلما دخل عبث به أخو العماني فقال له من هذا قال هو

(١) نسبه هنا الى قعنب الفزاري ونسبه غيره من أهل الادب الى المرقش الاصفر

وهو عمرو بن حرمة أو ربيعة بن سفيان على اختلاف فيه

(٢) - أوظفة - جمع وظيف ككريم وهو مستدق الذراع والساق من الخيل

والابل - والهيكل - الضنعم المشرف - ونزال - اسم فعل أمر بمعنى انزل

الباهلى الذي يقول

فما صحفةٌ مأدومةٌ باهالةٍ بأطيبٍ من فيها ولا أقطرَ رطبٍ^(١)

فقال له قبل أن يستتم الكلام هو على كل حال أصلح من قول أخيك العماني

يا رُبَّ جاريةٍ حوزاءٍ ناعمةٍ كأنَّها عومةٌ في جوفِ رافودٍ^(٢)

قال اسحق فقلت له أكنت أعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر بي شيء إلا وأنا أعرف منه طرفاً

[تأويل آية أخرى] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود هنيرٌ ابن الله

وقالت النصراني المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) ومعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه .. الجواب قلنا القول يحتمل معنيين في لغة العرب .. أحدهما القول باللسان .. والآخر بالقلب فالقول الذي يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقالوا أقول عبد الله خارجاً ومتى تقول محمد منطلقاً يريدون متى تظن .. قال الشاعر

أما الرّحيلُ فدُونَ بَعْدِ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا

أراد متى تظن الدار .. وقال الآخر

أَجْهَالًا تَقُولُ بَنِي لُؤَيٍّ لَعَمْرُأَيْبِكَ أَمْ مَتَجَاهِلِينَا

(١) - الصحفة - قصعة دون الجفنة وفوق المثقلة - والاهالة - الشحم أو

ما أذيب منه أو الزيت أو كل ما أئتم به - والاقط - بفتح فكسر وقد يسكن شيء يتخذ من الخبيض الغنمي .. يريد بهذا التعريض بني باهالة قوم الاصمعي وانهم اذا استحسنوا شيئاً شبهوه بشيء من المأكولات

(٢) - العومة - دوية - والرافود - دن كبير أو طويل الاسفل مطلي داخله

بالقار .. يريد به ان رطط العماني يستطيبون حتى الخبائث والحشرات ويشبهون بها ما يستحسن

أراد تظن بنى لوى . . . وقال توبة بن الحمير

أَلَا يَا صَنِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَقُولُهَا لَوْ أَنَّ طَرِيدًا خَانَفًا يَسْتَجِيرُهَا

تُخَبِّرُ إِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتُنْعَمُ لِيْلَى أَنْ يُفَكَّ أُسِيرُهَا ^(١)

أراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى (بأفواههم) قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو أطلق القول ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يتوهم المعنى الآخر . . . ومما يشهد بذلك قوله تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) فلم يكذب تعالى قول ألسنتهم لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق بل كذب ما يرجع إلى قلوبهم من الاعتقادات . . . ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى بأفواههم أن القول لا برهان عليه وأنه باطل كذب لا يرجع فيه إلا إلى مجرد القول باللسان لأن الإنسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وإنما يكون قوله حقاً إذا كان راجعاً إلى برهان فيكون إضافة القول إلى اللسان يقتضي ما ذكرناه من الفائدة وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه هكذا تقول وليس الشأن فيما تقوله وتنفوه به وتقلب به لسانك فكأنهم أرادوا أن يقولوا هذا قول لا برهان عليه فأقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وإنما يقولون كذا بأفواههم مقام ذلك والمعنى أنه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع فيه إلا إلى اللسان . . . ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في

(١) هكذا أنشد البيت هنا وفي غيره من كتب الأدب

اظن بها خيراً وأعلم أنها ستنعم يوماً أو يفك أسيرها

وهذه الرواية أنسب وأقرب إلى المعنى ومنها يعلم أن قوله في البيت الذي قبله -
ألا يا صني النفس - إنما هو خطاب لنفسه على سبيل التجريد وتلك عادة لهم مشهورة في
نظمهم ونثرهم - والبيتان من قصيدة له طويلة حبيبة أولها

نأتمك بليلى دارها لا تزورها وشطت نواها واستمر مريرها

يقول رجال لا يضررك نأها بل كل ما شفت النفوس يضرها

ذلك التأكيّد فقد جرت به عادت العرب في كلامها وما تقدم من الوجهين أولى لأن حمل كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة

[تأويل آية أخرى] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) فقال أي معنى لرد الأيدي في الأفواه وأي مدخل لذلك في التشكيب بالرسل عليهم السلام ٠٠ الجواب قلنا في ذلك وجوه ٠٠ أولها أن يكون إخباراً عن القوم بأنهم ردوا أيديهم في أفواههم حاضين عليها غيظاً وحنقاً على الأنبياء عليهم السلام كما يفعل المتنوع لغيره المبالغ في معاندته ومكايده وهذه عادة معروفة في المغيظ المحنق انه يعض على أصابعه ويفرك أنامله ويضرب باحدى يديه على الأخرى وما شاكل ذلك من الأفعال ٠٠ وثانيها أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذبين والهاء التي في الأفواه للرسل عليهم السلام فكأنهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم الى أفواه الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم ٠٠ وثالثها أن تكون الهاء جميعاً يرجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم مشيرين اليهم بذلك الى الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد من أن يسكت غيره ويمنعه عن الكلام من وضع أصبعه على في نفسه ٠٠ ورابعها أن يكون المعنى فردوا القوم بأيدي أنفسهم الى أفواه الرسل أي انهم كذبوهم ولم يصغوا الى أقوالهم فالهاء الأولى للقوم والثانية للرسل والأیدی انما ذكرت مثلاً وتأكيّداً كما يقول القائل أهلك فلان نفسه بيده أي وقع الهلاك به من جهته لا من جهة غيره ٠٠ وخامسها أن المراد بالأيدي الذم والهاء الثانية للقوم المكذبين والتي قبلها للرسل والتقدير فردوا بأفواههم نعم الرسل أي ردوا وعظهم وإنذارهم وتنبههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعماً عليهم ٠٠ ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التي في الأيدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظة في على معنى الباء جائز لقيام بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيّت عنك ورضيت عليك ٠٠ وحكي في لغة طيّ أدخلك الله بالجنة يريدون في

الجنة فيعبرون بالباء عن معنى في كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بنى عن الباء . قال الشاعر
وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ

أراد وارغب بها فحمل في على الباء . . وسادسها وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر وزعم أنه أولى من غيره قال المضمرون في قوله أيديهم الرسل وكذلك المضمرون في أفواههم والمراد باليد هنا مانطق به الرسل من الحجج والبيّنات التي ذكر الله تعالى أنهم جاؤا بها قومهم واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضاً وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك شاهد من كلامهم والذي أتى به الأنبياء قومهم هو الحجة والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع على اسم اليد ولما كان مانعظ به الأنبياء قومهم وينذرونهم به إنما يخرج من أفواههم فردوه وكذبوه قيل أنهم ردوا أيديهم في أفواههم أي أنهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للرسل اليهم كما تأوله بعض المفسرين وذكر أن معناه أنهم عضوا عليهم أناملهم غيظاً لأن رافع يده إلى فيه والعاض عليها لا يسمى راداً ليده إلى فيه إلا إذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردّها . [قال المرتضى] رضى الله عنه وليس ما استنكره أبو مسلم من رد الأيدي إلى الأفواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده إلى فيه وإلى وجهه وعاد فلان يقول كذا ورجع يفعل كذا وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه ولو لم يسغ هذا القول تحقياً لساغ تجوزاً واتساعاً وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها فإن تجوزها واستعاراتها أكثر على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك الفعل شيئاً بعد شيء وتكرر منهم فلهاذا جاز أن يقول ردوا أيديهم في أفواههم لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب إذا صرنا إلى مراده

[تأويل خبر] . . روى أن مسلماً الخزاعي ثم المصطلق قال شهدت رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطفاي

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أُمْسِيتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَايَا تُؤَافِي كُلَّ إِنْسَانٍ

وَأَسْلَكَ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُخْتَشِعٍ حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي^(١)

فَكُلُّ ذِي صَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَانِي

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ بِكُلِّ ذَلِكَ يَا تَيْكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لأسلم فبكي مسلم فقال ابنه يا أبت ما يبكيك من مشرك مات في الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فما رأيت مشركة تلقفت من مشرك خيراً من سويد .. قوله - ما يمني لك الماني - معناه ما يقدر لك القادر .. قال الفراء يقال منى الله عليه الموت أى قدر الله عليه الموت .. وقال يعقوب منك الله بما يسرك أى قدر الله لك ما يسرك وأنشد

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَى إِلَى جَدَثٍ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ^(٢)

.. قال ابن الأعرابي ساقه المنى أى ساقه القدر .. وأنشد ابن الأعرابي

مَنْتَ لَكَ أَنْ تُلَاقِيَنِي الْمَنَايَا أَحَادَ أَحَادَ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ^(٣)

معناه قدرت لك .. وقال أبو عبيدة في قوله تعالى (من نطفة اذا تمنى) معناه اذا تخلق وتقدر .. وقال بعض أهل اللغة انما سمي منى لما يمني من ثواب الله أي يقدر فيه وقيل أيضاً لما يمني من الدم .. وقيل انما سمي بذلك لأن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما انتهى قال له الملك تمن قال أتمنى الجنة فسمى منى لذلك ومنى يذكر ويؤنث والتذكير أجود .. قال الشاعر في التذكير

سَقَى مِنِّي ثَمَّ رَوَاهُ وَسَاكِنَهُ وَمَنْ ثَوَى فِيهِ وَاهِي الْوَذْقِ مُعْتَبِقُ

(١) - مختشع - من الخشوع وهو الذل والمسكنة يقول إن من سلك طريقه الذي

يليق به سلوكه ولم يتجاوز به الى ما لا يليق به قضى عمره في عز ورفعة حتى يوافي أجله

(٢) - الجدث - القبر - ويوزى يحتمل ويعمل من أوزى داره اذا جعل حول

حيطانها الطين - والاهاضب - جمع هضبة وهي المشرف من الارض

(٣) - أحاد أحاد - يعنى واحداً واحداً وهما ممنوعان من الصرف للعهد

٠٠ وقال آخر في التأييد

لِيَوْمِنَا بِنْيَ إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسْرَ مِنْ يَوْمِنَا بِالْعَرْجِ أَوْ لَلِ

فأما قوله - فالخير والشر مقرونان في قرن - فالقرن الحبل وأراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد يصيب الانسان في الدنيا خيراً صرفاً ولا شر فيه فلهذا قال انهما مقرونان في قرن ويجوز أيضاً أن يريد أن لسرعة قلب الدنيا وإبدالها الخير بالشر كأن الخير والشر مقرونان مجتمعان معاً لتقارب ما بينهما ٠٠ فأما - الجديدان - فهما الليل والنهار وهما أيضاً الأجساد والملوان والفتيان والردفان والعصران ٠٠ قال الشاعر

إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ تَفْسُدُ النَّاسُ

٠٠ وقال آخر

وَأَنْطَلُهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمَلَّنِي وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ^(١)

وقال أبو عبيدة ويقال الليل والنهار إنسابات ٠٠ وأنشد ابن الاعرابي

وَكُنَّا وَهُمْ كَأَنِّي سَبَاتٍ تَفَرَّقَا سَوَى ثَمَّ كَانَا مِنْجِدًا وَتَهَا مِيَا

ويقول للفداء والعشى القرنان والبركان والصرعان ٠٠ أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد العكيمي قال أُمِّي عَلِينَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى النُّحْوِيُّ قَالَ أَنْشَدَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِرَفِيعِ الْوَالِيِّ

كَذَبْتُكَ مَا وَعَدْتُكَ أَمْسَ صَلَاحُ وَعَسَى يَكُونُ لِمَا وَعَدْتَ نَجَاحُ

بُرُؤٌ مِنَ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمْ وَصَحَّاحُ

أَصْلَاحُ إِنَّكَ قَدْ رَمَيْتَ نَوَافِدَا وَجَوَائِفَا لَيْسَتْ لَهُنَّ جِرَاحُ

(١) - أنطله - بالنون أى أمطله وقد روى بالميم أيضاً والمعنى انه لا يزال يسوفه

من يوم الى يوم ومن وقت الى آخر حتى يرضى بنصف ماله عليه من الدين وأنه راغم

ولقد رَأَيْتُكَ بِالْقَوَادِمِ لَمَحَةً وَعَلَى مِنْ سَدَفِ الْعَشِيِّ رِيَا حُ

معنا رباح ههنا أى على وقت من العشى ومثله رواح وقوم يروونه بالكسر وليس بشيء

مَا كَانَ أَبْصَرَ نِي بَغْرَاتِ الصَّبَا وَالْيَوْمَ قَدْ بَشَفَعْتُ لِي الْأَشْبَا حُ

ومشي بجنب الشخص شخص مثله وَالْأَرْضُ نَائِيَةُ الشُّخُوصِ بَرَا حُ

حلق الحوادث لَمَتِي قَدَرَكْنِي لِي رَأْسًا يَصِلُ كَأَنَّهُ جَمَّاحُ

وَذَكَا بِأَصْدَاغِي وَفَرْنِ ذَوَابْنِي قَبَسُ الْمَشِيبِ كَأَنَّهُ مِصْبَا حُ

قال كأنه جماح من املاسه - وجماح - سهم أو قصبة يحمل عليها الطين ثم يرمى بها الطير
وبهذا الاسناد لبعضهم

أَرَى النَّاسَ لِلصَّعْلُوكِ حَرْبًا وَلَا أَرَى لَدَيْ نَشَبٍ إِلَّا خَلِيلًا مُصَافِيَا

أَرَى الْمَالَ يَغْنَى ذَا الْوُصُومِ فَلَا يَرَى وَيُدْعَى مِنَ الْأَشْرَافِ مَنْ كَانَ غَابِيَا

- الصعلوك - الفقير وهو أيضاً القرضوب والسهروت - والوصوم - العيوب -
وبهذا الاسناد لعقيل بن علفه

إِنِّي لِيَحْمَدُنِي الْخَلِيلُ إِذَا أُجْتَدَى مَالِي وَيَكْرَهُنِي ذَوُو الْأَضْغَانِ

وَأَيَّتُ تَحْلَجْنِي الْهُمُومُ كَأَنِّي دَلُّو السَّقَاةَ تُمَدُّ بِالْأَشْطَانِ^(١)

وَأَعِيشُ بِالْبَلَلِ الْقَلِيلِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ الرُّمُوسَ مَصَارِعُ الْفِتْيَانِ

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن منصور قال أخبرني محمد بن موسى عن دعلج بن علي قال قال لي عقيل بن علفه وذكر الأبيات الثلاثة وزاد فيها

(١) - تحلجني - من حلجت القطن اذا ميزت حبه عن شعره ورواه ابن الاعرابي بالخاء

من خلجه الهم شغله - وتمد - ترفع - والاشطان - جمع شطن وهو جبل البثر - والرموس -

جمع رمس وهو القبر يقول إن الموت كائن لا عمالة فالقليل من العيش والكثير سباني

ولقد عَلِمْتُ لَنْ هَلَكْتُ لِيَذْكُرُنَّ قَوْمِي إِذَا عَلَنَ النَّجِيُّ مَكَانِي

[قال المرتضى] رضى الله عنه وكان عقيل بن علفة مع قوة شعره جيد الكلام حكيم الألفاظ .. وروى المدائني قال قال عبد الملك بن مروان لعقيل بن علفة المرى ما أحسن أموالكم فقال ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضلاً قال ثم ليها قال مواريثنا قال فأياها أشرف قال ما استفدناه لوقعة خوات نعماً وأفادت عزاً قال فما مبالغ عزكم قال ما لم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا به منناً وأبقينا به ذكراً قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منا عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف الرجل قومه .. وروى انه قيل لعقيل بن علفة قد عنت بناتك أفما تخشى عليهن الفساد قال كلا إني خلفت عندهن الحافظين قبل وماها قال الجوع والعري أجمعين فلا بأشرن وأعريهن فلا يظهرن .. وقال له عبد الملك يوماً مالك تهجو قومك قال لأنهم أشباه الغنم اذا صبح بها رفعت واذا سكت عنها رنعت قال انما تقول البيت والبيتين قال حسبي من القلادة ما أحاط بالعنق .. فأما معنى - علفة - اسم أبيه .. قال ابن الاعرابي قال العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الرهز من البقل وغيره .. وقال أبو سعيد السكري العلفة ضرب من أوعية بزر بعض النبات مثل قشرة الباقلاء واللوبيا وهو الغلاف الذي يجمع عدة حب .. وقيل ان عقيل كان يكنى بأبي الوليد وكان عقيل غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة .. وروى أبو عمرو بن العلاء انه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول

إني وإن سيقَ إليَّ المهرُ ألفٌ وعبدانٍ وذوؤُ عَشْرُ

أحبُّ أصهاري إليَّ القبرُ

وذكر الأصمعي ان عقيلاً كان لغيرة اذا رأى الرجل يتحدث الى النساء أخذه ودهن أرقاعه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه في قرية النمل فلا يعود الى محادثتهم .. وروى الأصمعي قال كان عقيل بن علفة في بعض سفره ومعه ابنة العلس وابنته الجرباء فأنشأ يقول

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَعْدٍ وَرُبَّمَا عَلِي عَجَلٍ نَاطِحْنَهُ بِالْجَاهِجِ^(١)
 نِمِ أَقْبَلْ عَلَى ابْنِهِ فَقَالَ أَجْزِ يَا عَالِمَسْ فَقَالَ
 وَأَصْبَحَنْ بِالْمَوْمَةِ يَحْمِلُنَ فِتْيَةً نَشَاوَى مِنْ إِذْ لَاجٍ مِيلَ الْعَاهِمِ
 نِمِ أَقْبَلْ عَلَى ابْنِهِ فَقَالَ أَجْزِ يَا جِرْبَاهُ فَقَالَ

(١) - دير سعد - بين بلاد غطفان والشام وقد أخرج الضحاك هذه الحكاية بإسقاط
 ما ذكر هنا ونحن نذكرها تنبيها للفائدة .. قال خرج عقيل بن علفه وحنامة وابنته
 الجرباه حتى أتوا بنتا له ناكحا في بني مروان بالشامات ثم انهم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض
 الطريق قال عقيل بن علفه

قَضَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَعْدٍ وَطَالَمَا عَلَى عَرَضٍ نَاطِحْنَهُ بِالْجَاهِجِ
 إِذَا هَبَطْتَ أَرْضًا يَمُوتُ غَرَابُهَا بِهَا عَطَشًا أَعْطَيْنَهُمْ بِالْخَزَائِمِ
 نِمِ قَالَ أَنْفَذَ بِجَنَامَةٍ فَقَالَ جَنَامَةٌ
 فَأَصْبَحَنْ بِالْمَوْمَةِ يَحْمِلُنَ فِتْيَةً نَشَاوَى مِنْ إِذْ لَاجٍ مِيلَ الْعَاهِمِ
 إِذَا عَلِمْتَ غَادِرُهُ بِتَنُوفَةٍ تَذَارِعَنْ بِالْأَيْدِي لآخر طاسم
 نِمِ قَالَ أَنْفَذَى بِأَجْرِبَاهُ فَقَالَ

كَأَنَّ الْكُرَى سَقَاهُمْ صِرْخَدِيَّةً عَقَارًا تَمْطِي فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ
 فَقَالَ عَقِيلُ شَرِبَتْهَا وَرَبَّ الْكَعْبَةِ لَوْلَا الْإِمَانُ لَضُرِبْتَ بِالسَّيْفِ تَحْتَ قَرَطُكَ أَمَا وَجَدْتَ
 مِنَ الْكَلَامِ غَيْرَ هَذَا فَقَالَ جَنَامَةٌ وَهَلْ إِسَاءَاتُ إِنَّمَا أَجَادَتْ وَلَيْسَ غَيْرِي وَغَيْرُكَ فَرَمَاهُ عَقِيلُ
 بِسَهْمٍ فَاصَابَ سَاقَهُ وَأَنْفَذَ السَّهْمَ سَاقَهُ وَالرَّجُلُ ثُمَّ شَدَّ عَلَى الْجَرْبَاهِ فَعَقَرَ نَاقَتَهَا ثُمَّ حَمَلَهَا
 عَلَى نَاقَةٍ جَنَامَةٌ وَتَرَكَهَ عَقِيرًا مَعَ نَاقَةِ الْجَرْبَاهِ ثُمَّ قَالَ لَوْلَا أَنْ تَسْبِي بَنُو مِرَّةٍ لِمَا عَشْتُمْ
 خَرَجَ مَتَوَجِّهًا إِلَى أَهْلِهِ وَقَالَ لَيْتَنِي أَخْبَرْتُ أَهْلَكَ بِشَأْنِ جَنَامَةٍ أَوْ قُلْتُ لَهُمْ أَنَّهُ أَصَابَهُ غَيْرُ الطَّاعُونَ
 لَا قَتْلُكَ فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَى أَهْلِ أَيْبَرٍ وَهُمْ بَنُو الْفَقِينِ نَدِمَ عَقِيلُ عَلَى فِعْلِهِ بِجَنَامَةٍ فَقَالَ لَهُمْ
 هَلْ لَكُمْ فِي جُزُورٍ أَنْ كَسَرْتُمْ قَالُوا نَعَمْ قَالَ فَالْزَمُوا أَثَرَهُ هَذِهِ الرَّاحِلَةُ حَتَّى تَجِدُوا الْجُزُورَ وَخَرَجَ
 الْقَوْمُ حَتَّى اسْتَهَوْا إِلَى جَنَامَةٍ فَوَجَدُوهُ قَدْ أَنْزَفَهُ الدَّمُ فَاحْتَمَلُوهُ وَتَقَسَّمُوا الْجُزُورَ وَأَنْزَلُوهُ

كَأَنَّ الْكَرَى سَقَاهُمْ صَرَخْدِيَّةً عَقَارًا تَمَشَّتْ فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ

قال فأقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفنيها بهذه الصفة حتى شربتها فوثب عليه
إخوتها فقاتلوه دونها ثم رماء أحدهم بسهم فانتظم نخذه .. فقال عقيل

إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْدَّمِ مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ

وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يَقُومُ شَذِشْنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

الشذشنة - الطبيعة والسجية وقيل الشبه وهذا مثل اجتنابه عقيل وقد قيل قبله ولعقيل

وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كَلْبِسْتَهُ يَوْمًا أَجَدُّ وَأَخْلَقَا

وَكُنْ أَكْبَسَ الْكَيْسِيِّ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ

وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَقِيِّ فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

—•••— مجلس آخر ٢٧

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (والى الله ترجع الأمور) فقال

كيف يصح القول بأنها رجعت عليه وهي لم تخرج عن يده .. الجواب قلنا قد ذكر

في ذلك وجوه .. أولها ان الناس في دار المحنة والتكليف قد يفترون بعضهم ببعض

ويعتقدون فيهم انهم يملكون جر المنافع اليهم وصرف المضار عنهم وقد يدخل عليهم

الشبه لتقصيرهم في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد قوم الأصنام وغيرها من

عليهم وما لجوه حتى يرى والحفوه بقومه فلما كان قريباً منهم نفى

أيمذر لاحتينا ويلعين في الصبا وما هن والفتيان الاشقائق

فقال له القوم انما أفلت من الجراحة التي جرحك أبوك آتفا وقد طودت ما يكرهه

فامسك عن هذا ونحوه اذا لقيناه لا يلهوكم منه شر وعز فقال انما هي خطرة خطرت

والراكب اذا سار نفسي

المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ويعبد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة ويضيف كل هؤلاء أفعال الله عز وجل فيهم الى غيره فاذا جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا الى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وأيقن الكل انه لا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله فردوا اليه أمورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا ان الذي كانوا عليه من عبادة غيره وتأمله للضر والنفع غرورٌ وزور فقال الله تعالى (والى الله ترجع الأمور) لهذا المعنى . . والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيقى وقد تقول العرب قد رجع على من فلان مكروه بمعنى صار الى منه ولم يكن سبق الى قبل هذا الوقت وكذلك يقولون قد عاد على من زيد كذا وكذا وان وقع منه على سبيل الابتداء . . قال الشاعر

وإن تكن الأيام أحسن مرّةً إلى فقد عادت لهنّ ذنوبُ

أى صارت لها ذنوبٌ لم تكن من قبل بل كان قبلها إحسان فحمل الآية على هذا المعنى شائع جازٍ تشهد له اللغة . . والوجه الثالث إنما قد علمنا ان الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أموراً نقطع بانقطاع التكليف وإفضاء الأمر الى الدار الآخرة مثل ما ملكه المولى من العبيد وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك فيجوز أن يريد الله تعالى برجوع الأمر اليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتملكه الى أن يكون هو وحده مالكها ومديرها . . ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بها ان الأمر ينتهي الى أن لا يكون موجود قادر غيره وبغضى الأمر في الانتهاء الى ما كان عليه في الابتداء لأن قبل انشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد إفنائهم هكذا يصير وتكون الكناية برجوع الأمر اليه عن هذا المعنى وهو رجوع حقيقى لأنه عاد الى ما كان عليه متقدماً . . ويحتمل أيضاً أن المراد بذلك ان الى قدرته تعود المقدورات لأن ما أفناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى إيجاد لعوده الى ما كان عليه وان كان لا يصح في مقدورات البشر وان كانت

باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدور القدر باستحالة العود اليها من حيث لم
يجر فيها التقديم والتأخير وهذا أيضاً حكمه تعالى المتفرد به دون غيره من سائر القادرين
والله أعلم بما أراد.

مجلس آخر ٢٨

[تأويل آية] .. ان سأل سائل عن قوله تعالى (ليس البر أن تأتوا البيوت من
ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) فقال أي معنى لذكر البيوت
وظهورها وأبوابها وهل المراد بذلك البيوت المسكونة على الحقيقة أو كنى بهذه اللفظة
عن غيرها فان كان الأول فما الفائدة في إتيانها من أبوابها دون ظهورها وان كانت كناية
فبينوا وجهها ومعناها .. الجواب قيل له في الآية وجوه .. أولها ما ذكر من أن الرجل
من العرب كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخر البيت
ولم يدخل من بابه تطيئراً فدلهم الله تعالى على أن هذا من فعاهم لا بر فيه وأمرهم من
التقى بما ينفعهم ويقرهم اليه وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطيئير وقال
لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أي لا يمدى شيء شيئاً .. وقال عليه الصلاة
والسلام لا يورد ذو حاجة على مصحٍّ ومعنى هذا الكلام ان من لحقت إبله آفة أو مرض
فلا ينبغي أن يوردها على إبل لغيره صحاح لأنه متى فعل ذلك باحق الصحاح مثل هذه
العامة اتفاقاً لا لأجل العدوى ولم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول انما لحق إبلي
هذه الآفة من تلك الابل وهي أعدت إبلي فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا
إبزول المائمه بين الفريقين والظن القبيح .. وثانيها ان العرب ^(١) إلا قريشاً ومن ولده

(١) قوله ان العرب الا قريشاً الحقت ليس كذلك وانما الذين كانوا يتحامون دخول
البيوت من أبوابها وهم محرمون الا حامس وهم قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في
الجاهلية وانما سموا بذلك لتحمسهم في دينهم أي تشدهم وقد صح ان النبي صلى الله
عليه وسلم أقبل ليدخل بيت بعض نسائه وهو محرم ومعه بعض أصحابه فلما دخل النبي صلى

قريش كانوا اذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من أهل الوبر واذا كانوا من أهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من أبواب البيوت فهاهم الله تعالى عن ذلك وأعلمهم انه لا معنى له وانه ليس من البر وان البر غيره .. وثالثها وهو جواب أبي عبيدة معمر بن النخعي ان المعنى ليس البر بان تطالبوا من غير أهله وتلتبسوه من غير بابه وأتوا البيوت من أبوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عند أهله .. ورابعها وهو جواب أبي علي الجبائي أن يكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل وأراد ليس البر أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته لأن إتيانه من خلاف جهته يخرج الفعل عن حد الصواب والبر الى الانتم والخطأ وبين البر والتقوى وامر بآتيان الأمور من وجوهها وان تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً لأن العادل عن الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه .. وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى وأتوا النساء من حيث أمركم الله والعرب تسمي المرأة بيناً .. قال الشاعر

مالي إذا أنزعها صأيتُ أكبر غيرني أم يئتُ

أراد بالبيت المرأة .. ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي علي الجبائي والجواب عن أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الأعرابي

إني عَجِبْتُ لَأَمِّ الْعَمْرِ إِذْ هَرَبْتُ مِنْ شَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ
مَا شِقْوَةُ الْمَرْءِ بِالْإِقْتَارِ يُقْتَرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِإِكْثَارِ
إِنَّ الثَّمَنِيَّ الَّذِي فِي النَّارِ مَنْزِلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ

الله عليه وسلم تأخر الرجل فقال له عليه الصلاة والسلام مالك لا تدخل فقال أنا أحسى فقال وأنا كذلك ففسخ بفعله وقوله ما كانت عليه قريش ومن أخذ مأخذها

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ يُزَيِّنُ لِي شَتْمَ الْعَشِيرَةِ أَوْ يُذْنِي مِنَ الْعَارِ
 وَخَيْرِ دُنْيَا يُنْسِي الْمَرْءَ آخِرَةَ وَسَوْفَ تَبْدُو إِلَى الْجِبَارِ أَسْرَارِي
 لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحَبُّ مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلَا أَكْثَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي
 فقوله - لا أدخل البيت أحبو من مؤخره - يحتمل أن يريد به إني لا آتي الأمور من
 غير وجهها على أحد الأجوبة في الآية .. ويحتمل أيضاً إني لا أطلب الخير إلا من أهله على
 جواب أبي عبيدة .. ويحتمل وجهاً آخر وهو أن يريد إني لا أقصد البيت للريبة
 والفساد لأن من شأن من يسي إلى أفساد الحرم ويقصد البيوت للريبة أن يعدل عن
 أبوابها طلباً لاختفاء أمره فكأنه نفى عن نفسه بهذا القول القبيح وتنزه عنه كما تنزه
 بقوله - ولا أكسر في ابن العم أظفاري - عن مثله وأراد أنه لا يبدأ ابن العم مني السوء
 ولا يتألم بشيء من جهتي فأكون كأنني قد جرحته بأظفاري وكسرتها في لحمه وهذه
 كنايةات بابغة مشهورة للعرب .. ويجري مجرى هذه الأبيات ويقاربهما في المعنى
 وحسن الكناية قول هلال بن خنم

وَإِنِّي لَمَعَفٌ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي لَمَشْنُوهُ إِلَى اغْتِيَابِهَا
 إِذَا غَابَ عَنْهَا بِعَمَلِهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا زَوْراً وَلَمْ تَنْبَحْ عَلَيَّ كَلَابُهَا
 وَمَا أَنَا بِالْدَّارِي أَحَادِيثَ يَنْتَهَا وَلَا عَالِمًا مِنْ أَيْ حَوْكٍ ثِيَابُهَا
 وَإِنْ قَرَّابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلَاهُ وَيَكْفِيكَ عَوْرَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد جمعت هذه الأبيات فقرأ عجيبة وكنايةات بابغة لأنه
 نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال الغيبة لأنها أدنى إلى الريبة
 وأخص بالهمة فقال - ولم تنبح علي كلابها - أراد إني لا أطرقها لبلا مستغنياً متكرراً
 فتكرني كلابها وتنبحن وهذه الكناية نجري مجرى قول الشاعر المتقدم .. لا أدخل
 البيت أحبو من مؤخره وقد روى ولم تأنس إلى كلابها وهذا معنى آخر كأنه أراد
 أنه ليس بكثير الطروق لها والغشيان لمنزلها فتأنس به كلابها لأن الألس لا يكون إلا

مع المواصلة والمواورة .. وقوله - وما أنا بالداري أحاديث بيتها - أراد به أيضاً التأكيد في نفي زيارتها وطروقها عن نفسه لأنه إذا أدمن الزيارة صرف أحاديث بيتها فإذا لم يزرها وصارها لم يعرف .. ويحتمل أن يريد إني لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول فنزه نفسه عن ذلك .. وقوله - ولا عالم من أي حوك ثيابها - كناية ملبعة عن أنه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها .. وبالسناد المتقدم لحارثة ابن بدر القداني

إذا الهمُّ أُمْسِي وهو دَاءٌ فَأَمْضِهِ ولست بمُضْيِهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ
ولا تُتَزَلْنَ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي إذا همٌّ أَمْرًا عَوَّقَتْهُ عَوَازِلُهُ
فما كلُّ ما حاولته الموتُ دُونَهُ ولا دُونَهُ أَرْصَادُهُ وَحَبَائِلُهُ
ولا الفَتَكُ مَا آمَرْتَ فِيهِ وَلَا الَّذِي تُحَدِّثُ مَنْ لَا قِيَتَ أَنْتَ فَاعِلُهُ
وما الفَتَكُ إِلَّا لَأَمْرِي ذِي حَفِظَةٍ إذا مالَ لَمْ تَرَعْدْ عَلَيْهِ خِصَائِلُهُ
ولا تَجْعَلْنَ سِرًّا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَتَقْعُدَ إِنْ أَفْشَى عَلَيْكَ تَجَادِلُهُ
ولا تَسْأَلِ الْمَالَ الْبَخِيلَ تَرَى لَهُ غِنًى بَعْدَ ضَرٍّ أَوْرَثَتْهُ أَوَائِلُهُ
أَرَى الْمَالَ أَفْيَاءَ الظَّلَالِ فَتَارَةً يُوَوِّبُ وَأُخْرَى يَخْتَلُ الْمَالَ خَاتِلُهُ

.. معنى - آمرت - شاورت - والخصائل - كل لم يجمع وقد روبنا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذي ذكرناه .. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثني الفضل بن محمد عن أبي المنهال المهلب قال من الأبيات السائرة قول حارثة بن بدر القداني

لَعَمْرُكَ مَا أَبْقَى لِي الدَّهْرُ مِنْ أَخٍ حَفِيٍّ وَلَا ذِي خِلَّةٍ لِي أَوْاصِلُهُ
وَلَا مِنْ خَلِيلٍ لَيْسَ فِيهِ غَوَائِلُهُ فَشَرُّ الْأَخْلَاءِ الْكَثِيرُ غَوَائِلُهُ

وَقُلْ لِفُؤَادٍ إِنْ نَزَى بِكَ نَزْوَةٌ مِنْ الرُّوعِ أَفْرِخَ أَكْثَرَ الرُّوعِ بِاطِلُهُ

معنى - أفرخ - أي أسكن يقال أفرخ روعه إذا سكن
وما كلُّ ما حاولته الموت دُونُهُ

وذكر البتین اللذين بعده وزاد

وَكُنْ أَنْتَ تَزْعِي مِرَّ نَفْسِكَ وَأَعْلَمَنْ إِذَا مَا قَتَلْتَ الشَّيْءَ عِلْمًا فَبُحْ بِهِ
بَأَنَّ أَقَلَّ النَّاسِ لِلْسِرِّ حَامِلُهُ وَلَا تَقُلْ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ جَاهِلُهُ

ومما يستحسن لحارثة بن بدر الغداني قوله

لَنَا نَبْعَةٌ كَانَتْ تَقِينَا فُرُوعَهَا وَوَأَنَا لَتَسْتَحْلِي الْمَنَايَا نُفُوسُنَا
وَقَدْ بَلَغَتْ إِلَّا قَلِيلًا عُرُوقَهَا وَتَتْرُكُ أُخْرَى مَرَّةً لَا نَذُوقَهَا
وَشَيْبَ رَأْسِي قَبْلَ حِينَ مَشِيدِهِ رَعُودُ الْمَنَايَا يَبْنِنَا وَبُرُوقَهَا

قوله - لنا نبعه كانت تقينا فروعها - مثل ضربه وانما أراد عشيرته وأهل بيته .. وقد روى هذه الأبيات علي بن سايان الأخفش عن أبي العباس نعلب وزاد فيها

رَأَيْتُ الْمَنَايَا بِأَدِيَاتٍ وَعُودًا إِلَى دَارِنَا سَهْلًا الْيُنَا طَرِيقَهَا
وَقَدْ قَسَمْتُ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ مِنْهُمَا فَرِيقٌ مَعَ الْمَوْتِي وَعِنْدِي فَرِيقَهَا
وَيَبْنِي رَجَى النَّفْسِ مَا هُوَ نَازِحٌ مِنَ الْأَمْرِ لَا قَتَ دُونَهَا مَا يَعْوَقُهَا

.. وروى أبو العيناء قال أنشد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأولى فقال
عبد الله لمن هذا يا شعبي قال لحارثة بن بدر فقال نحن أحق بهذا نم أمر للشعبي بأربعمائة
دينار .. ومن مستحسن قول حارثة

وَلَقَدْ وَلِيتُ إِمَارَةً فَرَجَعْتُهَا فِي الْمَالِ سَالِمَةً وَلَمْ أَتَمَوْلِ
وَلَقَدْ مَنَعْتُ النَّصِخَ مِنْ مُتَقَبِّلٍ وَلَقَدْ رَفَذْتُ النَّصِخَ مَنْ لَمْ يَقْبَلِ

فَبِأَيِّ لَمْسَةٍ لَامَسِ لَمْ أَلْتَمِسْ وَبِأَيِّ حِيلَةٍ حَائِلٌ لَمْ أَحْتَلِ
يَا طَالِبَ الْحَاجَاتِ يَرْجُو نُجْحَهَا لَيْسَ النَّجَاحُ مَعَ الْأَخْفِ الْأَعْجَلِ
فَأَصْدُقْ إِذَا حَدَّثْتَ تُكْتَبُ صَادِقًا وَإِذَا حَافَتَ مُمَارِيًا فَتَحَلَّلِ

معنى - تكتب صادقاً - أى تكون عند الله صادقاً • وقوله - فتحلل - أى استن
وَإِذَا رَأَيْتَ الْبَاهِشِينَ إِلَى الْعُلَى غُبْرًا أَكْفَهُمْ بَرِيثٌ فَأَعْجَلِ

معنى - الباهشين - المادين أيديهم إلى الشيء المهشين له

وَأَحْذَرْ مَكَانَ السُّوءِ لَا تَحُلْ بِهِ وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنْزِلٌ فَتَحَوَّلِ
وَإِذَا ابْنُ عَمِّكَ لَجَّ بِعُضِّ لَجَاجَةٍ فَانْظُرْ بِهِ عِدَّةً وَلَا تَسْتَعْجَلِ^(١)
وَإِذَا أَفْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشِّعًا تَرْجُو الْفَوَاضِلَ عِنْدَ غَيْرِ الْمُفْضَلِ
وَأَسْتَعِنْ مَا أَغْنَاكَ رَبُّكَ بِالْغِنَى وَإِذَا تَكُونُ خَصَاصَةً فَتَجَمَّلِ

• • وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب عليه فقبل لزياد أن هذا قد غلب عليك وهو مشتهر بالشراب فقال زياد كيف لي بطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق لم تصطك ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ولا تأخر عني فلويت عني إليه ولا أخذ على الشمس في شتاء قط ولا الروح في صيف قط ولا سألته عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره فلما مات زياد جفاه عبيد الله ابنه فقال له حارثة أيها الأمير ما هذا الجفاه مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله إن أبا المغيرة قد كان برع بروعاً لا يلحقه معه عيب

(١) - اللجاجة - الخصومة - وانظر - انتظر - يقول إذا خاصمك قريبك

ولج في خصومتك فانظر رجوعه إليك وإقلاعه عن خصومتك ولا تستعجل عليه في مقابلته بمثل ما بدأك به أو فانظر به نازلة تشغله عنك وتكف عنك غائلته

(٧ - أمالي)

وَأَنَا حَدَّثْتُ وَأَنَا أُنْسِبُ إِلَى مَنْ يَغْلِبُ عَلَيَّ وَأَنْتَ رَجُلٌ تَدِيمُ الشَّرَابَ فَفِي قُرْبِكَ
وُظْهِرَتْ مِنْكَ رَائِحَةُ الشَّرَابِ لَمْ أَمِنْ أَنْ يَظُنَّ بِي فَدَعِ الشَّرَابَ وَكُنْ أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَى
وَأَخْرَجَ فَتَنَالَ لَهُ حَارِثَةُ أَنَا لَا أَدْعُهُ لِمَنْ يَمْلِكُ ضَرْبِي وَنَفْسِي أَفَادَعُهُ لِلْحَالِ عِنْدَكَ قَالَ
فَاخْتَرِ مِنْ عَمَلِي مَا شِئْتَ قَالَ تَوَلَّيْنِي رَامَ هَرَمِزٍ فَانْهَارَ أَرْضَ عِدَاتٍ وَشَرَفَ فَاذْهَبْ بِهَا شَرَاباً
وَصَفَّ لِي فَوَلَّاهُ إِتْيَاهَا فَلَمَّا شَبِعَهُ النَّاسُ ٥٠ قَالَ أُنْسِبُ بِنِ أَبِي أُنَيْسٍ وَقَبِيلُ ابْنِ أَبِي
إِبَّاسِ الدُّثَلِيِّ

أَحَارِ بْنِ بَذْرِ قَدْ وُلِّيتَ إِمَارَةً فَكُنْ جُرُذًا فِيهَا تَخُونُ وَتَسْرِقُ
وَلَا تَحْقُرَنَّ يَا حَارِثُ شَيْئًا وَجَدْتَهُ فَحَظُّكَ مِنْ مُلْكِ الْعِرَاقِ نِسْرَقُ^(١)
وَبَاهٍ تَمِيمًا بِالْغِنَى إِنْ لَلِغْنَى لِسَانًا بِهِ الْعِيُّ الْهَيُوبَةُ يُنْطِقُ
فَإِنَّ جَمِيعَ النَّاسِ إِمَامًا مُكَذِّبُ يَقُولُ بِمَا تَهْوَى وَإِمَامًا مُصَدِّقُ
يَقُولُونَ أَقْوَالَ وَلَا يَعْلَمُونَهَا فَإِنْ قِيلَ هَاتُوا حَقِّقُوا لَمْ يُحَقِّقُوا

وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدثلي وأنه كتب بها إلى حارثة لما ردت إليه سرقة
وزاد فيها

وَكُنْ حَازِمًا فِي الْيَوْمِ إِنْ الَّذِي بِهِ يَجِيءُ غَدًا يَوْمٌ عَلَى النَّاسِ مُطْبِقُ
وَلَا تَعْجَزَنَّ فَالْعَجْزُ أَوْطَأُ مَرْكَبٍ وَمَا كُلُّ مَنْ يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ يُرْزَقُ
إِذَا مَا دَعَاكَ الْقَوْمُ عَدُوَّكَ آكِلًا وَكُلُّ حَارٍ أَوْ جُعٍ لَسْتُ مِمَّنْ يُحَقِّقُ

ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله

جَعَلَكَ إِلَهُ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ فَقَدْ قُلْتَ مَعْرُوفًا وَأَوْصَيْتَ كَافِيَا

(١) سرقة - بضم أوله وتشديد ثانيه كورة من كور الأهواز ومدنها دوق

أَشْرَتَ بِأَمْرِ لَوْ أَشْرَتَ بغيرِهِ لَا لَفَيْتَنِي فِيهِ لِأَمْرِكَ عاصِياً^(١)

•• ويقال ان حارثة بن بدر والأحنف بن قيس قد دخلا على ابن زياد فقال لحارثة أى الشراب أطيب وكان يهتم فقال برة طاساريه واقطة عنويه وسمنه عنزيه وسكرة سوسيه ونطفة مسرقانيه فقال للأحنف يا أبا بحر ما أطيب الشراب قال الخمر قال وما يدريك ولست من أهلها قال رأيت فيها خصلتين عرفت انها أطيب الشراب •• ولحارثة بن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد اختصاصه كان بأبيه

أَهَانُ وَأُقْصَى ثُمَّ تَنْتَصِحُونِي وَأَيُّ إِمْرِي يُعْطِي نَصِيحَتَهُ قَسْرًا
رَأَيْتُ الْأَكْفَ الْمُصْلِتِينَ عَلَيْكُمْ مِلَاءً وَكَفَى مِنْ عَطَايَاكُمْ صَفْرًا
وَإِنِّي مَعَ السَّاعِي إِلَيْكُمْ بِسَيْفِهِ إِذَا أَحْدَثَ الْأَيَّامُ فِي عَظَمِكُمْ كَسْرًا
مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَتَمَنَّوْا الَّذِي لِي لَمْ أُسْتَطِغْ لَكُمْ صَبْرًا

•• وقال يعاتبه

وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَ مَا مَرَّيْتُ لَهُ الدُّنْيَا بِسَيْفِي فَدَرَّتِ
إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُؤَادٍ أَتَتْ بِهِ دَعَانِي وَلَمْ أَذْعَ إِذَا مَا أَقَرَّتِ
إِذَا هِيَ مَا أَحْلَوْلَتْ مَحَاقٍ مَقْسَمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرَّتِ

— زبنته — أى دفعته عن ان يحلبها — والفواق — اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين •• ومعنى — أقرت — تركته يحلبها •• ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير يعاتب معاوية وسروان وأهل بيته من جملة قصيدة وهي أبيات قوية جداً

(١) — قلت — أورد هذه الحكاية ياقوت الحموى في كتابه معجم البلدان وذكر

بقى بدر المذكورين هنا وزاد بعدهما بيتا واحدا وهو

ستلقى أخا يصفيك بالود حاضرا ويوليك حفظ الغيب ما كان ناشيا

عَطَاؤُكُمْ لِلضَّارِّينَ رِقَابَكُمْ وَنُدْعَى إِذَا مَا كَانَ جَزْأَ الْكِرَاكِ^(١)
أُنْحَنُ أَخْوَكُمْ فِي الْمَضِيقِ وَسَهْمُنَا إِذَا مَا قَسَمْتُمْ فِي الْخِطَاءِ الْأَصَاغِرِ

— الخطاء — سهام صغار

وَنَدَى يُكْمُ الْأَذْنَى إِذَا مَا قَسَمْتُمْ وَنَلْقَى بَشْدَى حِينَ نَسْأَلُ بِاسِرٍ^(٢)
وَإِنْ كَانَ فِينَا الذَّنْبُ لِلنَّاسِ مِثْلُهُ أُخِذْنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ نَاهٍ وَأَمِرِ

أى من قبل أن نهى عنه أو نوهمر باجتنابه

وَإِنْ جَاءَكُمْ مِنْ غَرِيبٍ بِأَرْضِكُمْ لَوَيْتُمْ لَهُ يَوْمًا جُنُوبَ الْمَنَاخِرِ
فَهَلْ يَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ إِلَّا كَفَعْلِكُمْ هَوَانَ السَّرَاةِ وَابْتِغَاءَ الْعَوَاطِرِ
وغيرَ نفسي عَنْكُمْ مَا فَعَلْتُمْ وَذِكْرُ هَوَانَ مِنْكُمْ مُتَظَاهِرِ
جَفَاؤُكُمْ مِنْ عَالِجِ الْحَرْبِ عَنْكُمْ وَأَعْدَاؤُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَابِ وَعَاشِرِ
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ هَوَايَ وَوَدِّكُمْ وَقُلْ فِي فَوَادٍ قَدْ تَوَجَّهَ نَافِرِ

ولحارث يرني زياداً

لَهْفِي عَلَيْكَ لِلْهَفَةِ مِنْ خَائِفٍ يَبْنَى جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ مُجِيرُ
أَمَّا الْقُبُورُ فَأَيْنَهُنَّ أَوَانِسُ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِّيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَالنَّاسُ فِيهِ كَلْهُمْ مَا جُورُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

(١) — جز — قطع — والكراكر — جمع كركرة بالكسر وهي رحي زور البعير
أوصدر كل ذي خف أو الجماعة من الناس كفى بذلك عن الحرب

(٢) — باسر — أي جاف لا لبن فيه ٥٥ ومنه بسر الحاجة أي طلبها قبل أوانها

•• [قال المرتضى] رضى الله عنه وأظن أبا تمام الطائي نظر الى قول جارثة بن بدر
 * ردت سنائعه اليه حياته * فى قوله

أَلَمْ تُمْتْ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مَذْزَمَنٍ فَقَالَ لِي لَمْ يُمْتْ مَنْ لَمْ يُمْتْ كَرَمُهُ

وأخبرنا على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن يعني ابن
 أخي الأصمعي عن عمه قال مر حارثة بن بدر الغداني ومعه كعب مولاة فجعل لا يمر
 بمجلس من مجالس تميم إلا قالوا مرحباً بسيدنا فقال كعب ما سمعت كلاماً قط هو
 أقر لعيني وألذ في سمعي مما سمعته اليوم فقال حارثة ولكنى ما سمعت كلاماً قط هو
 أكره اليّ منه ثم قل

ذَهَبَ الرَّجَالُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِي بِالسُّوِّدِ

وهذا البيت يقال انه لحارثة لا انه تمثّل به •• وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني
 عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد قال قال الكنانى مر حارثة بن بدر بالأحنف
 ابن قيس فقال لولا انك مستعجل لشاورتك قال له أجل كانوا يكرهون أن يشاور
 الجائع حتى يشبع والظلمآن حتى ينقع والمضل حتى يجد والغضبان حتى يرضى والمحزون
 حتى يفيق



— ﴿ مجلس آخر ٢٩ ﴾ —

[تأويل آية] •• ان سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله
 سريع الحساب) فقال أى تمدح فى سرعة الحساب وليس بظاهر وجه المدحة فيه
 •• الجواب قلنا فى ذلك وجوه •• أولها أن يكون المعنى انه سريع الحساب للعباد على
 أعمالهم وان وقت الجزاء قريب وان تأخر ويجري مجرى قوله تعالى (وما أمرُ الساعة
 إلاّ كلمح البصر أو هو أقرب) وانما جاز أن يعبر عن المجازاة أو الجزاء بالحساب لأن

ما يجازى به العبد هو كفو لفعله وبمقداره فهو حساب له اذا كان مائلاً مكافئاً .. وما يشهد بان في الحساب معنى المكافأة قوله تعالى (جزاء من ربك عطاء حساباً) أى عطاء كافياً ويقال أحسبني الطعام بحسبني إحساباً اذا كفاني .. قال الشاعر

واذ لا ترى في الناس حسناً يفوتها وفي الناس حسناً لو تأملت محسباً

معناه كاف .. وثانها أن يكون المراد أنه عز وجل يحاسب الخلق جميعاً في أوقات يسيرة ويقال ان مقدار ذلك حلب شاة لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل يكلمهم جميعاً ويحاسب كلهم على أعمالهم في وقت واحد وهذا أحد ما يدل على أنه تعالى ليس بجسم وأنه لا يحتاج في فعل الكلام الى آلة لأنه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين وإن كان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة كما ان جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفترون في الكلام الى الآلات .. وثالثها ما ذكره بعضهم من ان المراد بالآية انه سريع العلم بكل محسوب وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والاحصاء في أكثر أمورهم أعلمهم الله تعالى انه يعلم ما يحسبون بغير حساب وإنما سمي العلم حساباً لأن الحساب إنما يراد به العلم وهذا جوابٌ ضعيف لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ولو سمي بذلك لما جاز أيضاً أن يقال انه سريع العلم بكذا لأن علمه بالاشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة .. ورابعها ان الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسأل في وقت واحد سؤالات مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه عند دعائه ومسائلته ما يستوجه بمقدار فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس اطال العدد واتصل الحساب فأعلمنا تعالى انه سريع الحساب أى سريع القبول للدعاء بغير احساس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما بحث الخلقون للحساب والاحصاء وهذا جواب بني أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على

ذلك بما يكون حجة فيه وإلا فلا طائل فيها ذكره . . . ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقتهم عليها وتكون الفائدة في الاخبار بسرعته الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى (سريع العقاب) وليس لأحد أن يقول فهذا هو الجواب الأول الذي حكيموه وذلك ان بينهما فرقاً لأن الأول مبني على أن الحساب في الآية هو الجزاء والمكافأة على الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة المعروفة والمقابلة بالأعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يفضي الحساب اليه . . . وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي عليّ الجبائي في اعتماده إياه بان قال مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجراً ولا هو مما يتوعد بمثله فيجب أن يكون المراد الاخبار عن قرب أمر الآخرة والمجازاة على الأعمال . . . وهذا الجواب ليس أبو عليّ المبتدي به بل قد حكى عن الحسن البصري واعتمده أيضاً قطرب ابن المستنير النحوي وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له لأنه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد وليس كذلك لأنه قال تعالى (فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) فلا شبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب وراجعاً الى الذين يقولون ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أو يكون راجعاً الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيباً مما كسبوا فلا يكون وعيداً خالصاً بل إما أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووعيداً على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى (والله سريع الحساب) على تأويل من أراد قصر الزمان وسرعة الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المعاسبة على أعمال العباد والاحاطة بخيرها وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة لأن من علم بانه يحاسب بأعماله ويوقف على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح وعمل ورغب في فعل الواجب

فهذا ينصر الجواب وان كنا لا ندفع ان في حمل الحساب على قرب المجازاة وقرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً في الطاعات وزجراً عن المقتبحات فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونسق الآية إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردود



مجلس آخر ٣٠

[تأويل آية] ٠٠ ان سأل سائل عن قوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فقال أى تمدح في الاعطاء بغير حساب وقد يكون المعطي بحساب أجزل عطية من المعطي بغير حساب ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ أولها أن تكون الفائدة انه تعالى يرزق من يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب ههنا راجع الى المرزوق لا إليه تعالى كما يقول القائل ما كان كذا وكذا في حسابي أى لم أومله ولم أقدر انه يكون وهذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف لان الرزق اذا لم يكن محتسباً كان أهناً له وأحلاً ٠٠ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه في تفسير هذه الآية انه قال عني بها أموال بني قريظة والنضير فانها نصير اليكم بغير حساب ولا قتال على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها ٠٠ وثانيها انه تعالى يرزق من يشاء رزقاً غير مضيق ولا مقتر بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون نفى الحساب فيه نفياً للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب تسمى العطاء القليل محسوباً ٠٠ قال قيس بن الخطيم

أَنْى سَرَيْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ
مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تَوْتَيْنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مُحْسُوبِ

٠٠ وثالثها أن يكون المعنى انه يرزق من يشاء من غير حساب أى من غير طلب للمكافاة أو اراغة فائدة تعود اليه أو منفعة ترجع عليه لان من شأن أهل الدنيا أن يعطوا ليكافؤوا ولينفعوا ولهذا يقال فيمن يقصد بالعطية الى هذه الأمور فلان يحاسب الناس

فبما يعطيهم ويناقشهم فيها يوصله اليهم وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور من عطاياء
سبحانه جاز أن يقول انه يرزق من يشاء بغير حساب .. ورابعها ما أجاب به قطرب
قال معنى الآية يعطى العدد الكثير لا ما يضبطه الحساب أو يأتي عليه العدد لأن مقدوره
تعالى لا يتناهي وخزائنه لا تنحصر ولا يصح عليه النفاذ وليس كالمعطي منا الألف
من الألفين والعشرة من المائة لان مقدار ما يتسع له ويتمكن منه محدود متناه ولا
تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه .. وخامسها أن يعطي عباده في الجنة من النعيم
واللذات أكثر مما استحقوا وأزيد مما وجب لهم لمحاسنته إليهم على طاعتهم كما قال
تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) وكما قال
عز وجل (إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم) وكما قال تعالى
(ليوثهم أجورهم ويزيدهم من فضله) .. وسادسها أن يكون المعطي منا غيره شيئاً
والرازق سواء رزقاً قد يكون له ذلك فيكون فعله حسناً لا يسأل عنه ولا يؤاخذ به
ولا يحاسب عليه وربما لم يكن له ذلك فيكون فعله قبيحاً يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى
الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح وما ليس له أن يفعله بنفى الحساب عنه
وأنبأ أنه لا يرزق ولا يعطى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم وتجري
الآية مجرى قوله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وإنما أراد انه تعالى من
حيث وقعت أفعاله كلها حسنة غير قبيحة لم يجوز أن يسأل عنها وإن سئل العباد عن
أفعالهم لأنهم يفعلون الحسن والقبيح معاً .. وسابعها ان الله تعالى اذا رزق العبد واعطاه
من فضله كان الحساب عن العبد ساقطاً من جهة الناس فليس لأحد أن يقول له لم
رزقت ولا يقول لربه لم رزقته ولا يسأله ربه عن الرزق وإنما يسأله عن انفاقه في الوجوه
التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى ولذلك قال تعالى
(بغير حساب) .. وثامنها أن يكون المراد بمن يشاء أن يرزقه من أهل الجنة لانه
يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ولا العدد والاحصاء من حيث لانه
له ولا انقطاع للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر (فأولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب)

[تأويل خبر] ٥٠٠ ان سأل سائل عن الخبر الذي يروي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال توضعوا مما غيرت النار ٥٥ فقال ما المراد بالوضوء ههنا ومذهبكم ان مس ما غيرته النار لا يوجب الوضوء ٥٥ الجواب ان معنى توضعوا أى نظفوا أيديكم من الزهومة لانه روى ان جماعة من الأعراب كانوا لا يغسلون أيديهم من الزهومة ويقولون فقدما أشد علينا من ريحها فأمر عليه الصلاة والسلام بتنظيف الأيدي ٥٥ فان قيل كيف يصح أن تحملوا الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف الشرعي الى الأفعال المختصة بدلالة ان من غسل يده أو وجهه لا يقول بالاطلاق توضعوا متى سلم لكم أن الوضوء أصله من النظافة لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه الصلاة والسلام خص بالعرف الشرعي وحمله عليه أولى من حمله على اللغة ٥٥ قلنا ليس ننكر أن يكون اطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة الى عرف الشرع والمختص بالأفعال المعينة وكذلك المضاف منه الى الحدث أو الصلاة وما أشبههما ٥٥ فأما المضاف الى الطعام وما جرى مجراه فباق على أصله ألا ترى انهم لو قالوا توضعوا من الطعام ومن الغمرة أو توضعوا للطعام لا يفهم منه إلا الغسل والتنظيف واذا قالوا توضعوا اطلاقاً أو توضعوا من الحدث أو للصلاة فهم منه الأفعال الشرعية فليس ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل لانه كما يجوز انتقال اللفظة من فائدة في اللغة الى فائدة في الشرع على كل وجه كذلك يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب كثير من الناس الى أن اطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة الى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وان كان مقيداً باقياً على ما كان عليه في اللغة ٥٥ ويبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن انه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللحم وانما أراد غسل اليدين بغير شك ٥٥ وروى عن قتادة أنه قال غسل اليد وضوء ٥٥ وروى عكرش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل وغسل يده ومسح بببل يده وجهه وذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء مما مست النار على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل حال الى الأفعال الشرعية المختصة لصح أن نعملها في الخبر على خلاف ذلك ونردها الى أصلها بالأدلة وان كان الأولى لولا الأدلة أن نحمل على

مقتضى الشرع فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل كتف شاة وقام فصلى ولم يتوضأ ٠٠ وروى عطاء عن أم سلمة قالت قربت جنباً مشوباً الى النبي صلى الله عليه وسلم فأكل منه وصلى ولم يتوضأ ٠٠ وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول^(١) لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا أنه لا ظاهر له ٠٠ فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضأة التي هي الحسن فلما كان من غسل يده ونظفها قد حسنها قبل وضأها ويقال فلان وضىء الوجه وقومٌ وضاء ٠٠ قال الشاعر

مَسَامِيحُ الْفَعَالِ ذَوُو أُنَاةٍ مَرَّاجِيحٌ وَأَوْجُهُمْ وَضَاءٌ^(٢)

والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك أيضاً التوضأ ٠٠ والوضوء بفتح الواو اسم ما يتوضأ به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم المصدر ومثله التوقد وقد يجوز أن يكون الوقود بفتح الواو المصدر وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا حسن القبول فجعلوا القبول مصدراً وهو مفتوح الأول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم إلا معنى

(١) - قلت - الخبر الأخير وهو ما رواه جابر أنه كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما مست النار يدل دلالة صريحة على أن المراد بالوضوء في الحديث السابق وهو توضؤاً مما غيرت النار الوضوء الشرعى الذى هو عبارة عن غسل الاعضاء المعلومه وان الوضوء مما مست النار كان مشروعاً ثم نسخ وكل ما ذكر من كونه صلى الله عليه وسلم أكل مما ناله النار ولم يتوضأ محمول على ما بعد النسخ وهذا هو الصحيح ولا حاجة لمجعل السيد رحمه الله ولا يناقض هذا مذهب أحد ممن يقول بعدم مشروعية الوضوء مما مست النار

(٢) - الفعال - بكسر الفاء جمع فعل خيراً كان أو شراً فان فتحوا الفاء أرادوا ما هو من أفعال الخير فقط - والأناة - السكينة والنزودة - ومرارجيح - يقال يريد أنهم لا يطيشون فى كل ما ينزل بهم

المصدر وحده .. قال جرير

أَهْوَيْ أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وَفُودًا أُمُّ بِالْجُنَيْنَةِ مِنْ مَدَافِعِ أَوْدَا^(١)

.. وقال آخر

إِذَا سَهِيلٌ لَاحَ كَالْوُفُودِ فَرَدًّا كَشَاةِ الْبَحْرِ الْمَطْرُودِ

.. وقال آخر

وَأَجَعْنَا بِكُلِّ يَفَاعٍ أَرْضٍ وَفُودَ النَّارِ لِلْمُتَنَوِّرِينَ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال أتيت عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود يوماً في منزله فإذا هو مغبط ينفع فقلت له مالي أراك هكذا قال دخلت على عاملكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه عبد الله بن عمرو ابن عثمان فسلمت فلم يردّ عليّ السلام فقلت

أَلَا فَأَبْلَغَا عَنِّي عِرَاكَ بَنَ مَالِكٍ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَبْلَغْ أَبَا بَكْرٍ
فَقَدْ جَعَلْتَ تَبْدُوشُوا كُلُّ مِنْكُمَا فَإِنَّكُمَا بِي مُوقِرَانِ مِنَ الصَّخْرِ
وَطَاوَعْتُمَا بِي غَادِرًا ذَا مُعَاكَةٍ لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْزَى وَمَا مِثْلُهُ يُورِي

يقال - معك - به وسدل به إذا تعرض به لشئ

فَلَوْلَا أَتَيْتُمَا اللَّهَ اتِّقَايَ فَيَكُمَا لَلْمُنْكَمَا لَوْ مَا أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ
فَمِسَاتُرَابِ الْأَرْضِ مِنْهَا خُلِقْتُمَا وَفِيهَا الْمَعَادُ وَالْمَقَامُ إِلَى الْحَشْرِ
وَلَا تَانَفَا أَنْ تُغْشِيَا فَتُكَلَّمَا فَمَا حُشِيَ الْأَقْوَامُ شَرًّا مِنَ الْكِبَرِ

(١) - الجنينة - تصغير جنة وهي البستان روضة نجدية - وأود - بضم فسكون

أحد منازل تميم بنجد - ومدافع - جمع مدفع وهو مسيل الماء إلى الوادي

- ولو شئت أدلى فيكما غير واحدٍ علانية أو قال عندي في السر^(١)
 معناه لو شئت اغتابكما عندي غير واحد
 فإن أنا لم أمر ولم أنه عنكما ضحك له حتى يلج ويستشري^(٢)
 وكيف تريد أن ابن سبعين حجة علي ما أتى وهو ابن عشرين أو عشرين
 لقد علمت دلو كما دلو حول من القوم لا رخص المراس ولا نزر^(٣)

قال ابن شهاب فقلت له مثلك برحمك الله مع نسكك وفضلك وفهمك يقول الشعر فقال ان المصدر اذا نفث برى وانما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن جرم وكانا صديقه كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما .. وقد جاءت رواية أخرى ان أبا بكر بن عمرو بن جرم وعراك بن مالك كانا يجتازان على عبيد الله فلا يسلمان عليه فقال الأبيات يخاطبهما بها .. وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة

إذا كان لي سر فحدثته العدى وضاق به صدري فللناس أعذر
 هو السر ما استودعته وكتمته وليس بسر حين يفسو ويظهر

.. وأشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة بن مسعود

أواخي رجالاً لست مطلع بعضهم على سر بعض إن صدري واسع
 اذا هي حلت وسط عود بن غالب فذلك ود نازح لا اطالع

(١) - أدلى - يقال أدلى فلان في فلان اذا قال فيه قولاً قبيحاً .. يقول لو شئت

لسلعت عايكما الناس فسيبوكما سرأ وعلانية ولكنى امسك عنكما اتقاء لله فيكما

(٢) - يستشري - بمعنى يلج أى يتوغل في الأمر ويغرق فيه .. ومنه قيل للخوارج

الشراة اتوغلهم في المروق من الطاعة ومخالفة الجماعة

(٣) - حول - شديد الاحتمال ومثله حول كعرد وحوله كهمة وحوالى بفتح

الحاء وضمها .. يقول انكما وقعتما مع من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما

كَتُومٍ لِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ أَضَالُهُ
وَعْتَبَةٌ فَجَدًّا لَا تَنَالُ مَصَانِعُهُ

تَلَاةٌ حَيَّازِيْمِي عَلَى قَلْبِ حَازِمٍ
بَنِي لِي عَبْدُ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْعُلَى

والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمي

عَلَى سِرٍّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي جَمَاعُهَا

وَفَتِيَانٍ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلَعٌ بَعْضِهِمْ

وما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله

فَبَادِيهِ مَعَ الْخَافِي يَسِيرُ

تَغْلَلْ حُبُّ عَتَمَةٍ فِي فَوَادِي

وَلَا حَزَنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ

تَغْلَلْ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ

هُوَ أَكْ فَلَيْمَ فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ

شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ

أَطِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ

أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُ الْمَهْدَ مِنْهَا

وَلَكِنِّي إِلَى وَصَلٍ فَقِيرُ

غَنَى النَّفْسِ أَنْ أَزْدَادَ حُبًّا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

مَا حَاطَهَا الْمَاءُ كَوَلُ وَالْمَشْرُوبُ

أَحَلَّتْ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحَلَّةً

وأخذه المتنبي في قوله

نَدِيمٌ وَلَا يُفْضَى إِلَيْهِ شَرَابُ

وَلِلْسِرِّ مِنِّي مَوْضِعٌ لَا يَنَالُهُ

وكان العباس بن الأحنف ألم به في قوله

اسْمَاكَ وَالتَّوْحِيدَ فِي سَطْرِ

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَى وَسْطُهُ

•• وقال صاحب اسماعيل بن عباد

سَطْرَيْنِ قَدْ خُطَّ بِلاَ كَاتِبِ

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَوْا وَسْطُهُ

وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ

الْمَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي •• ولعبيد

الله بن عبد الله بن عتبة

لَعَمْرُ أَبِي الْمُحْصِنِ أَيَّامَ نَلْتَقَى
يَعُدُّونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَتَيْتُهَا
فَإِنْ يَكُنِ الْوَاشُونَ أَغْرَوْا بِهِ جِرْهَا
لِمَالًا نُلَاقِيهَا مِنَ الدَّهْرِ أَكْثَرُ
وَيَنْسُونَ مَا كَانَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَهْجُرُ
فَإِنَّا بِتَجْدِيدِ الْمَوَدَّةِ أَجْدَرُ

ومن مستحسن قوله من غزله

لَعَمْرِي لَنْ شَطَّتْ بِعَتَمَةٍ دَارُهَا
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ
أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بِشَارٍ فَقَصَرَ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ
وَيُصْبِحُ مُخْزُونًا وَيُنْسِي بِهِ
لَقَدْ كُنْتُ مِنْ وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلِيحٌ^(١)
وَيَحْسِبُ أَنِّي فِي الشِّيَابِ صَحِيحٌ
وَلَيْسَ يَدْرِي مَا لَهُ عِنْدَكَ

محضر مجلس آخر ٣١

[ثأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام
(قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن
نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) ٠٠ فقال^(٢) أليس هذا صريحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن

- (١) - شطت - بعدت - ووشك - قرب - وأليح - أخاف وأجذر ٠٠ يقول
ان ارتحلت غنا وفارقنا فقد كنت أنتظر ذلك وأتوقعه وأخوف منه قبل أن يقع
(٢) - قلت - أصل الاشكال في الآية ينبنى على مذهب المعتزلة ان الله جل شأنه
لا يريد الا الحسن وان غير الحسن لا يشاؤه ولا يريد مذهب أهل السنة ان كل ما يقع
في الكون من خير او شر فهو مراد لله تعالى وعلى هذا المذهب فلا اشكال في الآية بل هو
هي شاهدة له

يفعل الكفر والقيبح لأن ملة قومه كانت كفراً وضلالاً وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله . . الجواب قيل له في هذه الآية وجوه . . أولها أن يكون الملة التي عنها الله إنما هي العبادات الشرعية التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي منسوخة عنهم ولم يعن بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادات فيه والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة من حيث تبعث المصالح والألطف والمعلوم من أحوال المكلفين فكأنه قال إن ملتكم لا نعود فيها مع علمنا بأن الله قد نسخها وأزال حكمها إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمنزلها فنعود إليها وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيم عنها وإن كانت ضلالاً وكفراً فقد كان يجوز فيها هو مثلها أن يكون إيماناً وهدى بل فيها أنفسهم قد كان يجوز ذلك وليس تجري هذه الأفعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز أن يكون إلا قبيحاً . . وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز أن يتعبدهم الله تعالى بتلك الملة مع قوله (قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) . . فيقال له لم ينف عودهم إليها على كل حال وإنما نفي العود إليها مع كونها منسوخة منبياً عنها والذي علقه بمشيئة الله تعالى من العود إليها هو بشرط أن يأمر بها ويتعبد بمنزلها والجواب مستقيم لا خال فيه . . وثانيها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوم أنه لا يشاؤه وكل أمر عاقب بما لا يكون فقد نفي كونه على أبعد الوجوه وتجرى الآية مجرى قوله تعالى (لا يدخلون الجنة حتى بلغ الجمل في سم الخياط) وكما يقول القائل أنا لا أفعل كذا حتى يبيض القار أو يشيب الغراب . . وكما قال الشاعر

وحتى يوثب القارطان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائه^(١)

(١) - القارطان - يذكر بن عزة وعامر بن رهم وكلاهما من عزة خرجا في طلب الفرط وهو نمر السنط فلم يرجعا فضربت العرب بغيتتهما المثل ويقال انهما مرا بواد مبيت فيه عسل فقال أحدهما لصاحبه لو نزلت فأنبتنا منه بشئ فربط نفسه بحبل وتدلى حتى بلغ أسفل الوادي فلما أخذ من العسل حاجته قال لصاحبه ارفعني فقال له لا ارفعك

والقارطان لا يؤوبان أبداً وكليب لا ينشر أبداً فكأنه قال ان هذا لا يكون أبداً .. وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من أن في الكلام تقديماً وتأخيراً وان الاستثناء من الكفار وقع لامن شعيب فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار (لنخرجك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا إلا أن يشاء الله أن تعودوا في ماتنا) ثم قال حاكياً عن شعيب عليه الصلاة والسلام وما يكون لنا أن نعود فيها على كل حال .. ورابعها أن تكون الهاء التي في قوله فيها الى القرية لا الى الملة لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ويكون تأخير الكلام إنا سنخرج من قريبتكم ولا نعود فيها إلا أن يشاء الله بما يجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود اليها .. وخامسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يردكم الى الحق فتكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لانه لما قال تعالى حاكياً عنهم أو لتعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة لحسن أن يكون من بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة .. فان قيل الاستثناء بالمشيئة انما كان بعد قوله (وما يكون لنا أن نعود فيها) فكأنه قال ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب .. قلنا هو كذلك إلا أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلا أن يشاء الله أن نتفق في الملة بان ترجعوا أنتم الى الحق .. فان قيل فكان الله تعالى ما شاء أن ترجع الكفار الى الحق .. قلنا بل قد شاء ذلك إلا أنه ما شاء على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا الى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجرى بالتكليف اليه ولو شاء على كل حال لما جاز أن لا يقع منهم فكان شعيباً عليه الصلاة والسلام قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبداً الا أن يشاء الله أن يلجئكم الى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لانه لو أطلق

أو تزوجني أختك وكان له أخت بهواها فقل له ليس هذا وقته فتركه ومضى ثم هلك في منصرفه الى أهله ولم يوقف لهما على خبر - وكليب - هو الذي قتله جساس فهاجت بمقتله الحرب التي تسمى حرب البسوس

أنا لا نتفق أبداً ولا نصبر ملتصقين واحدة لنوهم متوهم ان ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه له بالمشيئة هذا الوجه ويجري قوله تعالى (إلا أن يشاء الله) مجرى قوله تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) .. وسادسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا وبخلى بينكم وبينه فنعود الى إظهارها مكرهين ويقوى هذا الوجه قوله تعالى (أولو كننا كارهين) .. وسابعها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا باظهار ملتصقكم مع الإكراه لان اظهار كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال اذا تعبد الله تعالى باظهارها وقوله (أولو كننا كارهين) يقوى هذا الوجه أيضاً .. فان قيل فكيف يجوز من نبى من أنبياء الله أن يتعبد باظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع .. قلنا يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكانه قال وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي باظهار ملتصقكم على سبيل الإكراه وهو جائز غير ممتنع

[تأويل خبر] .. روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الصدقة ما أبت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول .. الجواب قد قيل في قوله خير الصدقة ما أبت غنى قولان .. أحدهما ان خير ما تصدقت به ما فضل عن قوت عيالك وكفائتهم فاذا خرجت صدقتك عنك الى من أعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك عنها ومثله في الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى .. وقال ابن عباس في قوله تعالى (ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) قال ما فضل عن أهلك .. والجواب الآخر أن يكون أراد خير الصدقة ما أغنيت به من أعطيت عن المسئلة أي تجزول له في العطية فيستغنى بها ويكف عن المسئلة وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم فيدفعها الى رجل واحد محتاج فيستغنى بها ويكف عن المسئلة فذلك أفضل من أن يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم .. والتأويل الأول يشهد له آخر الخبر وهو قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له الحديث الآخر أيضاً انما الصدقة عن ظهر غنى .. وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى .. قال قوم يريدان اليد المعطية خير من الآخذة وقال آخرون ان العليا هي الآخذة والسفلى هي المعطية .. قال ابن قتيبة ولا أرى

هؤلاء إلا قوماً استطابوا السؤال فهم محتجون للدناءة ولو كان هذا يجوز لقبول ان المولى من فوق هو الذى أعنتق والمولى من أسفل هو الذى أعنتق والناس انما يعلمون بالعطايا لا بالسؤال . . [قال المرتضى] رضى الله عنه وعندي^(١) ان معنى قوله عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من الوجهين جميعاً وهو أن تكون اليد هنا هي العطية والنعمة لان النعمة قد تسمى يدأ في مذهب أهل اللسان بغير شك فكأنه صلى الله عليه وسلم أراد ان العطية الجزيلة خير من العطية القليلة وهذا حث منه صلى الله عليه وسلم على المكارم وتخصيص على اصطناع المعروف بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً . . ويشهد لهذا التأويل أحد التأويلين المتقدمين في قوله ما أبقت غنى وهذا أشبه وأولى من أن تحمل على الجارحة لان من ذهب الى ذلك وجعل العطية خيراً من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطي ولفظة خير لا تحمل إلا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب . . وأما من جعل الآخذة خيراً من العطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً مع انه قد قال قولاً شنيعاً وعكس الأمر على ما قال ابن قتيبة . . فان قيل كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت غنى وهي لا تبقى غنى إلا بعد أن تنقص من غيرها واذا كانت العطية التي هي أجزل أفضل فذلك لا تبقى غنى والتي تبقى غنى ليست

(١) - قوله وعندي أن معنى قوله عليه الصلاة والسلام الخ هذا التأويل بعيد جداً فان قوله في الحديث العليا خير من السفلى لا يدل على أن المراد باليد النعمة ولو كان المراد هذا الوصفها بكونها حقيرة وجليلة أو كبيرة وصغيرة والظاهر أن المراد باليد الجارحة وأما قوله بعد في دفع هذا ان هذا لا يستمر لان فيمن يأخذ من هو خير عند الله ممن يعطي فبعد تسليم محتم لا يسلم على عمومته وليس المراد في الحديث بكون اليد العليا خيراً من السفلى انها كذلك من جميع الوجوه حتى يلزم ما قال وانما المراد أفضليتها من حيث كونها معطية ومفضولة الآخذة من حيث كونها آخذة فلا ينافي هذا أن تكون الآخذة خيراً من المعطية من وجه آخر

الجزيلة وهذا تناقض . . قلنا أمانا ويلنا فطابق للوجهين المذكورين في قوله ما أبقت غنى
 لان من تأول ذلك على أن المراد بها المعطي وان خير العطية ما أغنته عن المسئلة
 فالمطابقة ظاهرة ومن تأوله على الوجه الآخر وحل ما أبقي الغنى على المعطي وأهله
 وأقاربه فتأويلنا أيضاً مطابق له لانه قد يكون في العطايا التي تبقى بعدها الغنى على
 الأهل والأقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه الصلاة والسلام خير الصدقة ما أبقت
 غنى بعد إخراجها والعطية الجزيلة التي يبقى بعدها غنى خير من القليلة فدمح عليه
 الصلاة والسلام بعد إبقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل . . أخبرنا
 أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا أبو عبيد الله الحكيم قال أُملي علينا
 أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال أنشدنا ابن الاعرابي لناث قطنة العتيكي

يا هِنْدُ كَيْفَ بَنَصَبِ باتِ يَكْنِي	وعائِرٍ في سَوادِ العَيْنِ يُؤْذِنِي ^(١)
كَأَنَّ لِيْلِي وَالْأَضْدَادَ هاجِدَةً	لَيْلُ السَّلَامِ وَأَغْنِي مَنْ يُدَاوِنِي
لَمَّا حَنِي الدَّهْرُ مِنْ قَوْسِي وَعَذَّرَنِي	شَيْبِي وَقَاسَيْتُ أَمْرَ الْفَلْظِ وَاللَّيْنِ
إِذَا ذَكَرْتُ أَبَا غَسَّانَ أَرْقَنِي	هَمٌّ إِذَا عَرَّسَ السَّارُونَ يُشْجِنِي
كَانَ الْمَفْضَلُ عِزًّا فِي ذَوِي يَمَنِ	وَعِصْمَةٌ وَثِمَالًا لِلْسَّاكِينِ
غَيْثًا لَذِي أَرْزَمَةِ غَبْرَاءَ شَاتِيَةٍ	مِنْ السَّنِينَ وَمَأْوَى كُلِّ مِسْكِينِ
إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلِي لَوْ شَهِدْتَهُمْ	فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ لَمْ يَصْلَوْا بِهَادُونِي
لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِذْ لَمْ يَجْنِ بَعْدَهُمْ	حَرْبًا تَتَى بِهِمْ قَتْلِي فَتَشْفِينِي

(١) - النصب - الهم والتعب وانما سكنه لضرورة الشعر - والعائِر كل ما أعلَّ
 العين من رمد أو قذي

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ وَعَفَّةٌ مِنْ قُورِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي^(١)
وَأَنْظُرُ الْأَمْرَ يَعْنِينِي الْجَوَابُ بِهِ وَلَسْتُ أَنْظُرُ فِيمَا لَيْسَ يَعْنِينِي
لَا أَزْكِبُ الْأَمْرَ تُزْرِي بِي عَوَاقِبُهُ وَلَا يُعَابُ بِهِ عِرْضِي وَلَا دِينِي
لَا يَغْلِبُ الْجَهْلُ حُلِيَّ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ وَلَا الْعِصْيَةُ مِنْ ذِي الضَّغْنِ تُكْبِينِي
كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَمَانِي لَوْ قَصَدْتُ لَهُ لَمْ يَأْخُذِ النَّصْفَ مِنِّي حِينَ يَرْمِينِي

•• [قال المرتضى] أدام الله علوه وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة وبداخل أبياتاً له على هذا الوزن وهي التي يقول فيها

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلُقِي إِنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أَسْمَعِي إِلَيْهِ فَيَعْنِينِي تَطْلُبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يَعْنِينِي^(٢)
كَمْ قَدْ أَفْذْتُ وَكَمْ أَتَلَفْتُ مِنْ نَشَبٍ وَمِنْ مَعَارِيضِ رِزْقٍ غَيْرِ مَمْنُونٍ

(١) - الطبع - الذل وفي الحديث أعوذ بالله من طمع يفضي الى طبع - والعفة - بالضم بقية الابن في الضرع بعدما امتص أكثره •• يقول ان القليل يغني عن الكثير فلا خير في طمع يفضي الى ذل

(٢) يقول ان الرزق مقسوم لن يفوت الانسان منه ما قسم له - ويحكى أن عروة هذا وفد على عبد الملك بن مروان مسترفدا فلما دخله عليه قال له من أنت فتسبح له فقال عبد الملك ألسنت القائل (لقد علمت وما الاشراف من خاقي) الابيات فأطرق ملياً ثم خرج من فوره ذلك فركب ناقته وخرج الى الحجاز ثم ان عبد الملك سال عنه فقبل انه سافر فقدم على ما كان منه وقال انه شاعر ولسنا نأمن أن ينالنا من لسانه شيء فأرسله اليه بصلة جزيلة فوافاه الرسول بها حين وافى منزله بالمدينة فقال للرسول قلب لاير المؤمنين كيف رأيت صدقه في قوله

فَمَا أَشْرْتُ عَلَىٰ يُسْرِ وَمَا ضَرَعْتُ نَفْسِي لِخُلَّةٍ غُسْرِ جَاءَ يَلُونِي ^(١)
 خِيَمِي كَرِيمٌ وَنَفْسِي لَا تُحَدِّثُنِي أَنْ الْإِلَٰهَ بِلَا رِزْقٍ يُخَالِنِي
 وَمَا أَشْتَرْتُ بِمَا لِي قَطُّ مَكْرُمَةً إِلَّا تَيَقَّنْتُ أَنِّي غَيْرُ مَغْبُونٍ
 وَلَا دُعَيْتُ إِلَىٰ مَجْدٍ وَمَعْمَدَةٍ إِلَّا أَجَبْتُ إِلَيْهِ مَنْ يُنَادِينِي
 لَا أَتَغْنَىٰ وَصَلَّ مَنْ يَبْنِي مُفَارِقَتِي وَلَا أَلِينُ لِمَنْ لَا يَتَغْنَىٰ لِي
 إِنِّي سَيَعْرِفُنِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ وَلَوْ كَرِهْتُ وَأَبْدُو حِينَ يُخْفِينِي
 فَغَطَّنِي جَاهِدًا وَأَجْهَدًا عَلَيَّ إِذَا لَأَقَيْتَ قَوْمَكَ فَأَنْظُرْ هَلْ تُغَطِّينِي ^(٢)

وقوم يخططون فيروون قوله - لقد علمت وما الاشراف من خلقي - بالسين غير المعجمة وذلك خطأ وانما أراد بالاشراف اني لا استشرف وأتطلع على ما فاتني من أمور الدنيا ومكاسبها ولا تتبعها نفسي . . [قال المرتضي] رضى الله عنه ولي أبيات في معنى بعض أبيات قطنة وعروة بن أذينة التي تقدمت وهي من جملة قصيدة طويلة خرجت عن منذ أُنقِ عشرة سنة والابيات

تَعَاقَبَنِي بُوْشُ الزَّمَانِ وَخَفَضُهُ وَأَدْبَنِي حَرْبُ الزَّمَانِ وَسَلْمُهُ
 وَقَدْ عَلِمَ الْمَغْرُورُ بِالذَّهْرِ أَنَّهُ وَرَاءَ سُرُورِ الْمَرْءِ فِي الدَّهْرِ غَمُهُ

(١) - أشرت - من الاشر وهو البطر - وضرعت - من الضراعة وهي الذل

(٢) وذكر الأصفهاني في الأغاني لعروة زيادة عما ذكره السيد رحمه الله في هذه

الابيات وهي

كم من فقير غنى النفس تعرفه وكم غنى فقير النفس مسكين
 وكم أخ لي طوي كدحاً فقلت له ان انطواء لك عني سوف يطوبني
 اني لا أبصر فيما كان من أربي وأكثر الصمت فيما ليس بعيني

وما المرء إلا نهب يوم ليلة
يعلله بزُد الحياة يمسه
وكان بعيداً عن منازعة الردى
ألا إن خير الزاد ماسد فاقة
تخب به شهب الفناء ودُهمه
ويغتره روح النسيم يشمه
فألقته في كف المنيّة أمه
وخير تلادي الذي لا أجمه^(١)

وإن الطوي بالعز أحسن بأفتى
وإني لأنهى النفس عن كل لذة
وأعرض عن نيل الثريا إذا بدا
أعف وما الفحشاء عني بعيدة
وما العف من ولي عن الضرب سيفه
ولكن من ولي عن السوء حزمه
إذا كان من كسب المذلة طعمه
إذا ما ارتقى منها إلى العرض وصمه
وفي نيله سوء المقال وذمه
وحسبي في صدة عن الأمر إثمه
ولكن من ولي عن السوء حزمه

ولي في معنى قوله وما الاشراف من خلقي

ما خامر الرزق قلبي قبل فجأته
كم قد ترادف لم أحفل زيادته
ولا بسطت له في النائبات يدي
ولو تجاوزني مافت من عضدي
إن أسخط الأمر أذكر عنه مضطرباً
وإن أرد بدلاً من مذهب أجيد

ومعنى - ما خامر الرزق قلبي - أي لم أتمنه ولا تطلعت الى حضوره ولا خطر لي ببال

(١) - الفاقة - الحاجة - والتلidan - التلاد من المال وهو ماورثه الانسان من آبائه والطارف وهو ما اكتسبه واستحدثه بسعيه غلب أحدهما على الآخر فتناهما به يقول خير المال ماسد الفاقة وما زاد على ذلك فهو فضل وزيادة وهذا كة ولهم خير الزاد ما بلغك المحل وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق وقوله وخير تلادي يريد به ان خير مال الانسان ما أنفق منه وأعطى لا ما ادخر وجمع

تنزهاً وتنعماً والوجه في تخصيص نفي بسط اليد بالنوائب لأنها يضرع عندها في الأكثر المتنزّه ويطلب المتعفف فمن لزم الزاخرة مع الحاجة وشدة الضرورة فهو الكامل المروّة ومعنى البيت الثماني ظاهره •• فأما الثالث فالمراد به إتي من إذا كره شيئاً تمكن من مفارقتها والنزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتقصّر قدرته عن استدراك ما يحب بما يكره •• وفيه فائدة أخرى وهي أنني ممن لا تملك العادات وتقتاده الأهواء بل متى أردت مفارقة خلق إلى غيره وعادة إلى سواها لم يكن ذلك على متعذراً من حيث كان لرأيي على هواي السلطان والرجحان •• أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثني عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال كان عروة بن أذينة نازلاً مع أبي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَّهَا	خَلَقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَايَ لَهَا
فِيكَ الَّذِي زَعَمْتَ بِهَا فَكَلَّأَهَا	أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ حُبُّكَ فَوْقَهَا	يَوْمًا وَقَدْ ضَحَّيْتَ إِذَا لَا ظِلَّهَا ^(١)
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ	شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفُؤَادِ فَسَلَّهَا
بِإِضَاءِ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا	بِلِبَاقَةٍ فَأَادَقَهَا وَأَجَلَّهَا ^(٢)

(١) هكذا هو هنا وقد نسب هذه الابيات لبعض أهل الادب الى المجنون وأنشد

البيت هكذا

اني لا اكنتم في الحشامن حبها وجدا لو أصبح فوقها لا ظلها

وأنشد بعده

وببيت نحت جوانحي حب لها لو كان تحت فراشها لا ظلها

(٢) - اللبقة - الحسنة الدل - وادقها - أى أدق خصرها - وأجلها - أى أجل

عجزتها أى جعلها عظيمة فالكلام على التوزيع وارجاع كل شيء الى ما يناسبه

لَمَّا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا لِي حَاجَةً أَخْشَى صُؤْبَتَهَا وَأَزْجُو ذُلِّهَا
 مَنَعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَبَهَا
 فَدَنَا فَقَالَ لَعَلَّهَا مَعْدُورَةٌ فِي بَعْضِ رِقَبَتِنَا فَقُلْتُ لَعَلَّهَا

•• قال عروة بن عبيد الله خفاه في أبو السائب المخزومي يوماً فسلم على وجلس إلى فقالت له بعد الرحب به ألك حاجة يا أبا السائب فقال أو كما تكون الحاجة أبيات لعروة ابن أذينة بلغني أنك سمعتها منه قلت أي أبيات قال وهل يخفى القمر • ان التي زعمت فؤادك ملها • فأنشدته فقال ما يروي هذه إلا أهل المعرفة والفضل هذا والله الصادق الود الدائم العهد لا الهذلي الذي يقول

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضْنُ وَأَرْغَبُ

لقد عدا الأعرابي طوره وإنى لا رجو أن يغفر الله لابن أذينة في حسن الظن بها وطلب العذر لها فعدوت له بطعام فقال لا والله حتى أروى هذه الأبيات فلما رواها وثب فقالت له كما أنت يغفر الله لك حتى تأكل فقال والله ما كنت لأخلط بمحبتي لها وأخذي إياها غيرها وانصرف •• [قال المرتضى] رضى الله عنه والهذلي الذي عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندل الهذلي •• وقول عروة - باكرها النعيم - أراد انها لم تعش إلا في النعيم ولم تعرف الا الخفض وانها لم تلاق بؤساً فتخشع وتضرع ويؤثر ذلك في جمالها وتمامها والبكور هو التقديم في كل وقت •• وكان عروة بن أذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والزهادة •• وروى ان سكينه بنت الحسين عليهما السلام مرّت به فقالت يا أبا عامر أنت الذي تقول

إِذَا وَجَدْتُ أَوْ أَرَا الْحُبَّ فِي كَبْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ أَبْتَرِدُ
 هَبْنِي بَرْدَتْ يُبْرِدِ الْمَاءَ ظَاهِرُهُ فَمَنْ لِنَارٍ عَلَيَّ الْأَحْشَاءُ تَتَقَدُّ

•• وأنت القائل

قَالَتْ وَأَبْثَثْتُهَا وَجَدِي فُبِحَتْ بِهِ قَدْ كُنْتُ عِنْدِي تُحِبُّ السِّتْرَ فَاسْتَرِ

أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا غَطَىٰ هَوَاكَ وَمَا أَتَقَىٰ عَلَيَّ بَصَرِي

قال نعم قالت هن حرائر وأشارت الى جواربها ان كان خرج هذا من قلب سليم .. وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى لعروة

كَأَنَّ خُزَامِي طَلَّةً صَابَهَا النَّدَىٰ
إِذَا اقْتَرَبْتُ سَعْدِي لَهَجَتْ بِحَبِّهَا
وَكَذْتُ لِذِكْرَاهَا أَطِيرُ صَبَابَةً
فَنِي أَيُّ هَذَا رَاحَةً لَكَ عِنْدَهَا
وَعَادَ الْهَوَىٰ مِنْهَا كَظَلٍّ سَحَابَةٍ
وَفَارَةَ مِسْكٍ ضُمَّتْهَا ثِيَابُهَا
وَإِنْ تَعْتَرِبُ يَوْمًا يَرُوكَ اغْتَرَابُهَا
وَعَالَبَتْ نَفْسًا زَادَ شَوْقًا غِلَابُهَا
سِوَا لَعَمْرِي نَأْيُهَا وَأَقْتَرَابُهَا
الْأَحْتِ يَبْرُقُ ثَمَّ مَرَّةً سَحَابُهَا

[قال المرتضي] رضى الله عنه وهيات هذا البيت الأخير من قول كثير

وَإِنِّي وَتَهْيَامِي بَعْزَةٌ بَعْدَ مَا
لِكَ الْمَرْ تُجِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابٌ مُنْجَلٍ
تَخَلَّتْ مِمَّا يَنْنَسَا وَتَخَلَّتْ
تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْمَتِيلِ أَضْمَحَلَّتْ
رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتْ

.. وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هفان قال أشعر أبيات قبلت في الحسدة والدعاء لهم بالكثرة أربعة .. فأولها قول الكمي بن زيد

إِنِّي يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُهُمْ
فَسَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ
أَنَا الَّذِي يَحْسُدُونِي فِي حُلُوقِهِمْ
لَا يُنْقِصُ اللَّهُ حُسَادِي فَإِنَّهُمْ
قَبِيلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظًا بِمَا يَحْسُدُ
لَا أُرْتَقِي صَدْرًا عَنْهَا وَلَا أَرِدُ
أَسْرُ عِنْدِي مِنَ اللَّائِي لَهُ الْوَدَدُ

.. وقال عروة بن أذينة

لَا يَبْعِدُ اللَّهُ حُسَادِي وَزَادَهُمْ
حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءٍ فِي مَكْنُونٍ

إِنِّي رَأَيْتُهُمْ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ أَجَلٌ قَدَرًا مِنَ اللَّائِي يُحِبُّونِي

.. وقال نصر بن سيار

إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَيَّ مَا بِي وَمَا بِهِمْ فَمِثْلُ مَا بِي لِعَمْرِي جَرَّي الْحَسَدَا

.. وقال معن بن زائدة

إِنِّي حُسِدْتُ فَرَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مُحْسُودٍ
مَا يُحْسَدُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ بِالْعِلْمِ وَالظُّرْفِ أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد لحظ البحري هذا المعنى في قوله

مُحْسَدٌ بِخِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ وَلَيْسَ يَفْتَرِقُ النِّعْمَاءُ وَالْحَسَدُ

وأظن أبا العتاهية أخذ قوله

كَمْ عَائِبٍ لَكَ لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَهُ وَلَمْ يَزِدْكَ لَدَيْنَا غَيْرَ تَزْيِينٍ
كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يَنْدِي مُحَاسِنُكُمْ وَصَفَافِيَمَدَحُكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِينِي
مَا فَوْقَ حُبِّكَ حَبَّالَسْتُ أَعْلَمُهُ فَلَا يَضُرُّكَ أَنْ لَا تَسْتَزِيدَنِي

من قول عروة بن أذينة

لَا بُعْدُ سَعْدِي مَرِيحِي مِنْ جَوَى سِقَمٍ إِذَا الْوُشَاةُ لَحَوْا فِيهَا عَصِيَّتُهُمْ
وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله

مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ كَأَنَّهُمْ أَتَنُّوا وَلَمْ يَعْلَمُوا
عِنْدِي وَلَا ضَرُّكَ مُغْتَابُ عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

ولعروة بن أذينة

تُرَوِّعُنَا الْجَنَائِزُ مُقْبِلَاتٍ وَلَنَسْهَوْحِينَ تَحْقِي ذَاهِبَاتٍ

كَرْوَعَةٍ الْأَلْمَغَارِ ذِئْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ

— الثالثة — القطعة من الضأن ٠٠ وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الأعراب فقال
وَنُحْدِثُ رَوَاعَاتِ لَدَى كُلِّ فَرْعَةٍ وَنُسْرِعُ نَسِيَانًا وَمَا جَاءَنَا أَمْنُ
وَإِنَّا وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ رَبِّنَا لَكَ الْبُذْنُ لَا تَذَرْنِي مَتَى يَوْمُهَا الْبُذْنُ

أخذه أبو العتاهية في قوله

إِذَا مَا رَأَيْتُمْ مَيِّتِينَ فَرِعْتُمْ وَإِنْ غَيَّبُوا مِلْنِمَ إِلَى صَبَوَاتِهَا
وَأَخَذَ صِرْوَةً بِنَ أَذِينَهُ قَوْلَهُ

إِنَّ الْفَتَى مِثْلُ الْهَلَالِ لَهُ نُورٌ لِيَالٍ ثُمَّ يَمْتَحِقُ
يَبْلَى وَتُفْنِيهِ الدَّهْوَرُ كَمَا يُبْلَى وَيُنْضَى الْجِدَّةُ الْخَلْقُ

من قول بعض شعراء طي

مَهْمَا يَكُنْ رَيْبُ الزَّمَانِ فَإِنِّي أَرَى قَمَرَ اللَّيْلِ الْمُعَذِّبِ كَالْفَتَى
يَهْلُ صَغِيرًا ثُمَّ يَعْظُمُ ضَوْؤُهُ وَصُورَتُهُ حَتَّى إِذَا مَا هُوَ أَسْتَوَى
تَقَارِبُ يَخْبُو ضَوْؤُهُ وَشَمَاعُهُ وَيَصْحَحُ حَتَّى يَسْتَسِرَّ فَلَا يُرَى
كَذَلِكَ زَيْدُ الْمَرْءِ عِنْدَ انْتِقَاصِهِ يَمُودُ إِلَى مِثْلِ الَّذِي كَانَ قَدْ بَدَى

أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال

الْمَرْءُ مِثْلُ هَلَالٍ عِنْدَ مَطْلَعِهِ يَبْدُو ضُئِيلًا ضَعِيفًا ثُمَّ يَتَسَقُّ
يَزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبَهُ كَرُّ الْجَدِيدِينَ نَقْصَانًا فِيمَ تَحَقُّ

— مجلس آخر ٣٢ —

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (واتبعوا ما نزلوا الشياطين على ملك

سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على
 الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه فلا تكفر
 فيتعلمون منهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله
 ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق
 ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) •• فقال كيف ينزل الله تعالى السحر على
 الملائكة أم كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب
 الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف
 أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله (ولقد علموا لمن اشتراه) ثم قوله (لو كانوا يعلمون)
 •• الجواب قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لا ينعم النظر فيها
 •• أو لها أن يكون ما في قوله (وما أنزل على الملكين) بمعنى الذي فكأنه تعالى أخبر
 عن طائفة من أهل الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب به الشياطين على ملك سليمان وتضيفه
 اليه من السحر فبرأ الله تعالى من قذهم وأكذبهم في قولهم فقال وما كفر سليمان
 ولكن الشياطين كفروا باستعمال السحر والتفريق على الناس ثم قال يعلمون الناس
 السحر وما أنزل على الملكين وأراد انهم يعلمونهم السحر والذي أنزل على الملكين وما
 أنزل على الملكين وصف السحر وما هيته وكيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه
 للناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا أعمال
 القبائح لتجنبها لئلا نواقعها لأن الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه واقدموا
 على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطلاعه على
 كيفيته ثم قال وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنه يعني الملكين ومعنى يعلمان
 يعلمان والعرب تستعمل لفظة علمه بمعنى أعلمه •• قال القطامي

تَعَلَّمْ أَنْ بَعْدَ النَّبِيِّ رُشْدًا وَأَنْ لِّشَابِكَ الْغَيْرِ انْقِشَاعًا

•• وقال كعب بن زهير

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُذْرِكِي وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخَذِ بِالْيَدِ

ومعني تعلم في البيتين معنى اعلم والذي يدل ان المراد ههنا الاعلام لا التعليم قوله وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر أى انهما لا يعرفانه صفات السحر وكيفيته إلا بعد أن يقولوا انما نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما كان محنة بحيث ألقيا الى المكلفين أمراً لينزجروا عنه وليتجنبوا من مواقعه وهم اذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر باستعماله ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا اليك فانه انما ألقى اليك واطلعت عليه لتجنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وان كان الممكان ما ألقياه اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم لما قصدوا بتعلمه أن يفعلوه ويرتكبوه لأن يجتنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضرراً عليهم . . . وثانيها أن يكون ما أنزل موضعه موضع جرّ فيكون معطوفاً بالواو على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين ومعنى ما أنزل على الملكين أى معهما وعلى ألسنتهما كما قال تعالى (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك) أى على ألسنتهم ومعهم وليس بمنكر أن يكون ما أنزل معطوفاً على ملك سليمان وان اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لأن رد الشئ الى نظيره وعطفه على ما هو أولى هو الواجب وان اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة قال الله تعالى (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قبيهاً) وقیم من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج وان تباعد ما بينهما ومثله (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام) فالحرام ههنا معطوف على الشهر أى يسألونك عن الشهر الحرام وعن المسجد الحرام . . . وحكي عن بعض علماء أهل اللغة انه قال العرب تلف الحرفين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره كقوله تعالى (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) وهذا واضح في مذهب العرب كثير التطابق ثم قال (وما يعلمان من أحد حتى يقولوا انما نحن فتنه) والمعنى انهما لا يعلمان أحداً بل ينيان عنه ويبلغ من نهيهما وصدما عن فعله واستعماله

أن يقولاً إنما نحن فتنه فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا كما يقول الرجل ما أمرت فلاناً بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له أنك إن فعلته أصابك كذا وكذا وهذا هو نهاية البلاغة في الكلام والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لأنه استغنى بقوله (وما يعلمان من أحدٍ حق يقولاً إنما نحن فتنه) عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولذلك نظر في القرآن قال الله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض) فلولا الاختصار لكان شرح الكلام بقوله ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله ولو كان معه إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ومثله قوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب) أي فيقال للذين اسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم وأمثاله أكثر من أن تورد . ثم قال تعالى (فيتعلمون منها ما يفرقون به بين المرء وزوجه) وليس يجوز أن يرجع الضمير في هذا الجواب إلى الملكين وكيف يرجع إليهما وقد نفى عنها التعليم بل يرجع إلى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم أيضاً ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله ولكن الشياطين كفروا فدل كفروا على الكفر والعطف عليه مع السحر جائز وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك قوله تعالى (سيدكر من يخشى ويتجنبها الأشتى) أي يتجنب الذكرى الأشتى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيدكر . . ويجوز أيضاً أن يكون المعنى فيتعلمون منهما أي بدلا مما علمهم الملكان ويكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر إلى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا كذا وكذا أي بدلا منه . . وكما قال الشاعر

جَمَعَتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَاءَ وَعُلْبَةً وَصَرَآ لَأَخْلَافِ الْمَرْهَمَةِ الْبُزْلُ^(١)

- (١) - الصر - شد خلف الناقة بالخيوط لئلا تحلب والناقة ضرورة - والاخلاف - جمع خلف وهو للناقة كالنبدى للمرأة - والمزهمة - السمان الكثيرة الشعم ومثله الزهم . . قال زهير القائد الخليل منكوبا دوابرها منها الشنون ومنها الزاهق الزهم
- والبزل - جمع بزل وهو البعير إذا انشق نابه وذلك إنما يكون في السنة التاسعة

وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكَرَامِ نَمِيمَةٌ وَسَعِيًّا عَلَى الْجَارِ الْمُجَاوِرِ بِالْمَحَلِّ

يريد جمعت مكان الخيرات ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة . . وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان . . أحدهما أن يكونوا يفرون أحد الزوجين ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجة الآخر المؤمن المقيم على دينه فيفارق بينهما اختلاف النحلة والملة . . والوجه الآخر أن يسعون بين الزوجين بالنميمة والوشاية والاغراء والتخويه بالباطل حتى يؤول أمرهما الى الفرقة والمباينة . . وثالث الوجوه أن تحمل ما في قوله وما أنزل على الجحد والنفي فكأنه تعالى قال واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولا أنزل الله السحر على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه التفتيم ويكون التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان أساؤهما وإنما ذكرا بعد . . الناس تميزاً وتبييناً ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي عنهما السحر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام الى سليمان بن داود عليه السلام فأكذبهما الله تعالى بذلك ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين كأنه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ ذلك كما ساع في قوله تعالى (وكنتا لعكهم شاهدين) يعنى حكم داود وسليمان ويكون قوله على هذا التأويل وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتنة راجعاً الى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين أو من الانس للتعليمين للسحر من الشياطين والعالمين به ومعنى قولهما إنما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول المماجن من الناس اذا فعل قبيحاً أو قال باطلاً هذا فعل من لا يفاح وقول من لا ينبج والله لا جعلت إلا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على جهة المجون والتهالك ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذى يتضمن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما انزال السحر بقوله وما أنزل على الملكين ويكون قوله وما يعلمان من أحد يرجع

الى قبيلتين من الجن أو الى شياطين الجن والانس فتحسن التثنية لهذا .. وقد روى هذا التأويل الأخير في حمل ماعلى النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين .. وروى عنه أيضاً انه كان يقرأ وما أنزل على الملكين بكسر اللام ويقول . حتى كان العاجان ملكين بل كانا ملكين .. وعلى هذه القراءة فى الآية وجّه آخر وان لم يحمل قوله وما أنزل على الملكين على الجحد والنفي وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ماتلو الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الانزال مضافاً الى الله تعالى وان أطلق لأنه جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال العصاة ويكون معنى أنزل وان كان من الأرض حمل اليهما لا من السماء انه أتى به من نجود البلاد وأعاليها فان من هبط من نجد البلاد الى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى .. فأما قوله تعالى (وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله) فيحتمل وجوهاً .. منها أن يريد بالاذن العلم من قولهم أذنت فلاناً بكذا اذا أعلمته وأذنت لكذا اذا سمعته وعلمته .. قال الشاعر

في سماعٍ يا ذنُّ الشيخ له وحديثٍ مثل ما ذِي مُشارٍ^(١)

.. ومنها أن تكون إلا زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من أحد باذن الله ويجرى مجرى قول أحدنا لقيت زيدا إلا أني أكرمه أى لقيت زيدا فأكرمه .. ومنها أن يكون أراد بالاذن التخلية وترك المنع فكأنه أفاد بذلك ان العباد لن يعجزوه وما هم بضارين أحداً إلا بأن يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء لمنهم بالقهر والقسر زائداً على منهم بالزجر والنهي .. ومنها أن يكون الضرر الذى عني انه لا يكون إلا باذنه وأضافه اليه هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية التي تطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ومعلوم ان الضرر الحاصل عن ذلك من فعل

(١) - الما ذى - العسل الأبيض - ومشار - مجنى .. يقول ان غناها لطيبه وحسنه يستمتع الشيخ الهرم له ويصفى اليه وحديثها لطلالوته ورقته كأنه العسل الجيد والاصمعي يروى هذا البيت مثل ما ذى مشار بالاضافة وفتح الميم قال والمشار الخلية (١١ - أمالي في)

الله تعالى بالعادة لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً وإن كان المعرض للضرر من حيث كان الفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض ٠٠ ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو يحصل عن التفريق بين الأزواج لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام والمعنى أنهم إذا أغووا أحد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر لان الفرقة لم تكن إلا بأذن الله وحكمه لأنه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختافى الأديان فلهذا قال وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بأذن الله والمعنى أنه لولا حكم الله وإذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوى هذا الوجه ما روي أنه كان من دين ساجان تلميه السلام أنه من سحر بانت امرأته ٠٠ فأما قوله تعالى (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) ثم قوله (لو كانوا يعلمون) ففيه وجوه ٠٠ أولها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما نتلوا الشياطين على مملك ساجان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به أنفسهم ٠٠ وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلا أنهم علموا شيئاً ولم يعلموا غيره فكأنه تعالى وصفهم بأنهم علمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلمه كنه ما يصيرون إليه من عقاب الله الذي لا نقاد له ولا انقطاع ٠٠ وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك ولو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب إلا أنه لا يعمل بموجب علمه فحسن أن يقال له مثل هذا القول ٠٠ قال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده

إِذَا حَضَرَ أُنِي قُلْتُ لَوْ تَعَلَّمَانِي أَلَمْ تَعَلَّمَا أُنِي مِنَ الزَّادِ مُرْمِلُ

فنفى عنهما العلم ثم أثبت بقله ألم تعلموا وإنما المعنى في نفيه العلم عنهما أنهم لم يعملوا بما علموا

فكأنهم لم يعلموا . . . ورابعها أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لاحظ لهم فيها مع عملهم القبيح إلا أنهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى (ولبئس ما شئروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ان الذي آثروه وجعلوه عوضاً من الآخرة لا ينم لهم ولا يبقى عليهم وانه منقطع زائل ومضمحل باطل وانما الملك الى المستحق في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

[تأويل خبر] . . . روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار . . . وقد ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر وجوهاً كثيرة كلها غير صحيحة ولا شافٍ وأنا أذكر ما عتمده وأبين ما فيه ثم أذكر الوجه الصحيح . . . قال ابن قتيبة ذهب الأصمعي الى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو أتى في النار لم تحرقه وكفى بالآهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم واحتج على تأويله هذا الحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت أبا امامة يقول اقرؤا القرآن ولا تغرؤنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلباً دعى القرآن . . . قل ابن قتيبة وفي الحديث تأويل آخر وهو ان القرآن لو كتب في جلد ثم أتى في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحرقه النار على جهة الدلالة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ذلك بعده قال وجري هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير ذلك من آياته صلى الله عليه وسلم . . . قال وفيه تأويل ثالث وهو أن يكون الاحراق انما نفي عن القرآن لا عن الإهاب ويكون معنى الحديث لو جعل القرآن في إهاب ثم أتى في النار ما احترق القرآن فكان النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن لأن الله ينسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الاحراق . . . وقال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري راداً على ابن قتيبة معترضاً عليه اعتبرته مقاله ابن قتيبة من ذلك كله فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً . . . أما قوله الأول فيرده ما روي عنه عليه الصلاة والسلام من قوله يخرج من النار قوم بعد ما يحرقون فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل . . . قال وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل أهل الجنة

الجنة وأهل النار النار قل الله عز وجل انظروا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه منها .. قال أبو بكر وكيف يصح قول ابن قتيبة في زعمه ان النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين المسامحين ان الخوارج وغيرهم ممن يلحد في دين الله ويقرأ القرآن أن تحرقهم النار بغير شك واحتجاجه بخبر أبي امامة ان الله لا يعذب قلباً وعى القرآن معناه قرأ القرآن وعمل به فأما من حفظ الفاظه وضيع حدوده فإنه غير واع له .. قال وأما قوله انه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فما روى هذا الحديث أحدث انه كان في دلائله عليه الصلاة والسلام ولو أراد ذلك دليلاً لكان صلى الله عليه وسلم يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه في النار فلا يحترق .. قال وقول ابن قتيبة الثالث لا يحترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير صحيح لان الذي يصح هذا القول بوجوب أن القرآن غير المكتوب وهذا محال لان المكتوب في المصحف هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) ومنه الحديث لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو وانما يريد المصحف .. قال أبو بكر والقول عندنا في تأويل هذا الحديث انه أراد لو كان القرآن في جلد ثم أتى في النار ما أبطلته لانها وان أحرقتة فإنها لا تدرسه اذ كان الله عز وجل قد ضمنه قلوب الأخيار من عباده والدليل على هذا قول الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم فيما روى إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان فلم يرد تعالى ان القرآن لو كتب في نبي ثم غسل بالماء لم ينفسل وانما أراد ان الماء لا يبطله ولا يدرسه اذ كانت القلوب تعيه وتحفظه .. قال ومثل هذا كثير في كتاب الله وفي لغة العرب قال الله تعالى (يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً) فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وانما أراد تعالى ولا يكتمون الله حديثاً في حقيقة الأمر لانهم وان كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه .. [قال المرتضى] رضى الله عنه والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتيبة وابن الانباري جميعاً وهو ان هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والاخبار عن جلالة قدره وعظم

خطره والمعنى انه لو كتب في إهابٍ وألقى في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم تحرقه النار .. ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنسٍ بمذاهبهم وتصرف كلامهم فمن ذلك قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومعنى الكلام إننا لو أنزلنا القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع إشفافاً من شئٍ أو خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف بكم معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلةكم فأنتم أولى بالخشية والاشفاق وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) ومثله قوله تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً) .. ومثله قول الشاعر

أَمَّا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرِيَنِي كَذِكْرِكَ مَا نَهَنَتِ الْعَيْنُ مَذْمَعًا
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ تَضَمَّنَهُ صُمُّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا

.. ومثله

فَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْحَصَى فَلَقَّ الْحَصَى وَبِالرَّيْحِ لَمْ يُسْمَعْ لَهُنَّ هُبُوبُ

.. ومثله

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيَّةٍ نَاقَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِبُهُ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْشُهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَأَعْبُهُ

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفاق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويستزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الأمور لو تأتت ولو كانت مما يسهل ويتيسر لشيء من الأشياء لتسهلت به من أجله .. فأما الجواب الأول للحكي عن ابن قتيبة فالذي يفسده زائد على ما رده ابن الأنباري انه لو كان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي

لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أضرانا بالذنوب لانه اذا آمن حافظ القرآن ومتعلمه
 من النار والعذاب فيها ركن المكنون الى تعلم القرآن والاقدام على القبائح آمين غير
 خائفين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم والمعنى في قول أبي امامة ان الله عز وجل
 لا يعذب قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الأنباري .. فأما جواب ابن قتيبة
 الثاني فمن أين له ان ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وسلم وليس في اللفظ ولا غيره
 دلالة عليه وأقوى ما يبطله انه لو كان كما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين
 رووا جميع معجزاته وضبطوها وفي وجداننا من روى ذلك وجمعه وعنى به غير عارف
 بهذه الدلالة آية إبطال ما توهمه .. فأما جوابه الثالث فباطل لأن القرآن في الحقيقة
 ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حق ينسب الاحتراق الى الجلد دونه واذا كان الأمر
 على هذا لم يكن في قوله ان الالهاب هو المحترق دون القرآن فائدة لأن هذه سبيل كل
 كلام كتب في اهاب أو غيره اذا احترق الالهاب لم يضاف الاحتراق الى الكلام لاستحالة
 هذه الصفة عليه .. ومن أعجب الأمور قول ابن الأنباري وهذا يوجب أن القرآن
 غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان لفظ
 المكتوب هو القرآن ولهذا علق الاحتراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو
 القرآن فاذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنباري فما المانع
 من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان أحداً لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما
 يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يتمتع اضافة الاحتراق الى أحدهما دون
 الآخر وهذا كله تخليط من الرجائين لأن القرآن غير حال في الجلد على الحقيقة وليست
 الكتابة عين المكتوب وانما الكتابة أمانة للحروف فلما أن تكون هي الكلام على
 الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فيحال .. فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله
 لا تسافروا بالقرآن فذلك تجاوز وتوسع وليس يجب أن يجعل اطلاق الألفاظ المحتملة
 دليلاً على اثبات الأحكام والمعاني ومعتضة على أدلة العقول وقد تجاوز القوم بأكثر
 من هذا فقالوا في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان فلم يقتض
 ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في الدفتر وقد بين الكلام في هذا

الباب في مواضع هي أولى به . . فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل أيضاً فيه لانه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كلام وشعر في العالم لانا نعلم ان الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب ما في الصدور ومنه بل يكون ثابتاً بحاله فأى مزية للقرآن في هذا على غيره وأي فضيلة . . فان قال وجه المزية ان غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل باحراق النار والقرآن اذا كان تعالى هو المتولي لا يداعه الصدور لا يتم ذلك فيه . . قلنا الكل سواء لأن غير القرآن انما يبطل باحترق الالهاب المكتوب فيه . . لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ومتى كان بهذا السفة لم يبطل باحترق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحترق ولكنه لا يبطل بهذا الشرط فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وثباته فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من ان البار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتعظيمه . . أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد وأنشدناه عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي عن عمه للحسين بن مطير الأسدي وقال عبد الرحمن قال عمي لو كان شعر العرب هكذا ما أنتم منشده

أَلَا حَبَدَا الْبَيْتَ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ	وَأَنْتَ بَتْلَمَاحٍ مِنَ الطَّرَفِ نَاضِرُهُ
لَأَنَّكَ مِنْ بَيْتٍ لِعَيْنِي مُعْجِبٍ	وَأَمْلَحُ فِي عَيْنِي مِنَ الْبَيْتِ عَامِرُهُ
أَصْدُ حَيَاءٍ أَنْ يَلِمَ بِي الْهَوَى	وَفِيكَ الْمُنَى لَوْلَا عَدُوٌّ أَحَاذِرُهُ
وَفِيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لَوْ تَسْتَطِيعُهُ	لَمَاتَ الْهَوَى وَالشَّوْقُ حِينَ تَجَاوِرُهُ
فَإِنْ آتَاهُ لَمْ أَنْجُ إِلَّا بَظْنَةً	وَإِنْ يَأْتِهِ غَيْرِي تَنْطَبِي جَرَّائِرُهُ ^(١)

(١) - تنط - تربط وتعلق أي تسند - والجرائر - جمع جريرة وهي الذنب . . بقول ان آت هذا البيت رماني الناس بظنونهم وان آتاه غيري أضيف الي أي قال

وكان حبيب النفس للقلب واترا
فإن تكن الأعداء أحموا كلامه
أحبك يا سلمى علي غير ريبة
ويا عاذلي لولا نقاسة حبها
بنفسي من لا بد أني هاجر
ومن قد لجأه الناس حتي اتقاهم
أحبك حبا لن أعنف بعده
لقدمات قبلي أول الحب فانقضي
كلامك يا سلمى وإن قل نافي
ألا لا أبالي أي حي تحملوا

وكيف يحب القلب من هو واتره
علينا فإن تحمي علينا مناظره
ولا بأس في حب تعف سرائره^(١)
عليك لما باليت أنك خائره
ومن أنافي الميسور والعسر ذا كره
يغضي إلا ما تجب ضمائره^(٢)
حبا ولكني إذا ليم غادره
ولومت أضحى الحب قدمات آخره^(٣)
فلا تحسبي أني وإن قل حاقره
إذا ائخذ البرقاء لم يخل حاضره^(٤)

الناس إنه مرسل من قبلي لمراسلة من فيه

(١) - الريبة - الظنة والهمة . يقول أحبك حبا لا يخالعه سوء ولا يظن فيه شر . . . وقوله - ولا بأس في حب تعف سرائره - أي تعف سرائر صاحبه فاضاف السرائر للعب توسعا وانما هي للمحب ومثله في القرآن الكريم عيشة راضية أي راض صاحبها .
(٢) - لجأه - لأمه واللاحى اللام في الشؤ المعنف عليه . . . وقوله - الا ما تجب ضمائره - يريد به أنه يظهر للناس كراهتي وبغضي لكف أسنتهم عنه وليس في قلبه الاحبتي .
(٣) - يريد أن محبته لها ذهبت بسيرة من تقدمه من المحبين وانه لن يأتي بعده من يذكر بالمحبة وان حبه لن يضارعه حب من تقدمه ومن يأتي بعده .

(٤) - تحملوا - يروى بدله تفرقوا - والبرقاء - اسم موضع في بادية الجزيرة . . . يقول انه لا يبالي رحيل من رحل من الناس اذا كان هذا الموضع عامرا بأهله لم يرحلوا

وأنشد ابن الأعرابي لابن مطير:

لعمرك بأليت الذي لا تطوره
تقلب في الإخوان حتى عرفتهم
فلا أصرم الخيلان حتى يُصارِموا
فإنك بعد الشر ما أنت واجد
أحب إلينا من بلاد تطورها^(١)
ولا يعرف الإخوان إلا خيرها
وحتى يسيروا سيرة لا أسيرها
خليلاً مديماً سيرة لا يديرها

معنى - يديرها - يقلبها مرة هنا ومرة هنا

وإنك في عين الأخلاء عالم
فلاتك مغروراً بمسحة صاحب
وما الجود عن فقر الرّجال ولا الغنى
وقد تغدّر الدنيا فيضحى غنيها
وكائن ترى من حال دنيا تغيرت
ومن طامع في حاجة لن ينالها
بأن الذي يحفى عليك ضميرها
من الود لا تدرى علام مصيرها
ولكنه خيم الرّجال وخيرها
فقيراً ويفنى بعد بؤس فقيرها
وحال صفاً بعد اكدار غديرها
ومن يأنس منها أتاها يسيرها

لأنهم هم الذين يحبهم ويشفق من رحيلهم... وفي بعض كتب الأدب بعد هذه الأبيات
وبالبرق أطلال كأن رسوها قراطيس خط الحبر فيهن ساطره
أبت سرحة الانماد الاملاحة وطيبا اذا مانبتها اهتز ناضره

(١) - لطوره - نحوم حوله... يقول ان البيت الذي تجنبه وتحاماه خوف الوشاة
أحب إلينا من البلاد التي نأثيها اذ لم يكن من نهوى فيها... ومثل هذا قول الاحوص
يا بيت عاتكة الذي اتزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل
اني لا منجك الصدود وإننى قسا اليك مع الصدود لا ميل

(١٢ - أمالي لي)

وَمَنْ يَتَّبِعْ مَا يُعْجِبُ النَّفْسَ لَمْ يَزَلْ مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلٍ شَيْءٍ يَضِيرُهَا
فَنَفْسُكَ أَكْرَمُ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَمَالِكَ نَفْسٍ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا^(١)

[قال المرتضي] رضى الله عنه ولى في معنى قول ابن مطير - وقد تغدر الدنيا -

والبيت الذى بعده من جملة قصيدة

وَكَيْفَ آتَى نَسْ بِالذُّنْيَا وَلَسْتُ أَرَى
نَصَبُوا إِلَيْهَا بِأَمَالٍ مُخَيَّيَةٍ
فِي وَخْشَةِ الدَّارِ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا قَلْبِي لَهَا وَطَنٌ
إِلَّا أَمْرًا قَدْ تَعَرَّى مِنْ عَوَارِيهَا
كَأَنَّنَا مَا نَزَى عِقْبَى أَمَانِيهَا
كُلُّ أَعْتَبَارٍ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ يَأْوِيهَا
وَقَدْ رَأَيْتُ طُلُولًا مِنْ مَغَانِيهَا

.. وأخبرنا أبو عبد الله المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد

ابن يحيى ثعلب للحسين بن مطير

لَقَدْ كُنْتُ جُلْدًا قَبْلَ أَنْ تُوقِدَ النَّوَى
وَلَوْ تَرَكْتُ نَارَ الْهَوَى لَتَصَرَّمْتُ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي
فَقَدْ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا
عَلِي كَبِدِي نَارًا بَطِيئًا خُمُودُهَا
وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا
إِذَا قَدُمْتُ أَحْزَانُهَا وَعُهُودُهَا
عَهْدُ الْهَوَى تُؤَلِي بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا
عَذَابٍ ثَنَائِيهَا عِجَافٍ قِيُودُهَا^(٢)

(١) - يقول ان النفس لا تميل بطبيعتها الا الى الشرور فمن اطاع نفسه واناها مشتهاها

وقع في شرور كثيرة وقادته الى ما يضره

(٢) - مرتجة الارداف - يريد ان اردافها ضخمة فهي اذا تحركت اضطربت اردافها

- وهيف - جمع هيفاء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن - وعجاف - جمع عجناء وهي

النخعة وهذا الجمع شاذ فان الفعل وفعلاء لا يجمع على فعال الا انهم بنوه على سنان

يعنى انها عجاف اللثات وأصول الاسنان وهي قيودها ٠٠ قال أبو العباس ثعلب عجاف
بالخفض لحن لانه ليس من صفة النساء وسبيله أن يكون نصباً لانه حال من الثنايا
مُخَصَّرَةٌ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عَهْدَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهُ عُقُودُهَا
وَصُفْرٌ تَرَاقِيهَا وَحُمْرٌ أَكْفَهَا وَسُودٌ نَوَاصِيهَا وَيَبِضٌ خُدُودُهَا

وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة أكفها من الخضاب
يُمَيِّنُنَا حَتَّى تَرُفَّ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُرَامِي بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

أخذ ٠٠ قوله مخصرة الأوساط البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة
وَتَزِيدِينَ طَيْبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا إِنْ تَمَسَّيْهِ أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا
وَإِذَا الدَّرُّ زَانَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَا
وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذي ذكرناها للحسين بن مطير وروى
له أيضاً ويشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءُ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
هَلِ اللَّهُ عَافٍ عَنْ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ أَمْ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَغْفُ عَنْهَا مُعِيدُهَا

وأنشد أبو محكم لابن مطير

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ لَسْتُ بَارِحًا أَحْبَبْتُكَ حَتَّى يَغْمِضَ الْعَيْنَ مَغْمِضُ
وَحُبُّكَ بَلَوِي غَيْرَ أَنْ لَا يَسْرُثْنِي وَإِنْ كَانَ بَلَوِي أَنَّنِي لَكَ مَبْغِضُ
إِذَا أُنَارُضْتُ النَفْسَ فِي حُبِّ غَيْرِهَا أَتَى حُبُّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَعَرَّضُ
فِيَا لَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَيَّ الشَّوْقِ مُقْرِضُ

لأنهم قد يبنون الشيء على ضده كقولهم عدوة بالهاء لمكان صدقة وعجاف لا مانع من
جمعه صفة للمرأة وإن أنكره ثعلب

ويشبه أن يكون أخذ قوله إذا أنارُضت النفس في حب غيرها من قول رجل من قزارة
 وأعرضُ حتى يحسبَ الناسُ أننا بِيَ الْهَجْرِ لَا وَاللَّهِ مَا بِي لِكَ الْهَجْرِ
 ولكن أروضُ النفسَ أنظرُ هل لها إِذَا فَارَقْتُ يَوْمًا أَحْبَبْتُهَا صَبْرُ
 أو من قول نصيب

وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي كَثِيرًا وَآتَقِي عَدُوًّا وَأَسْتَبْقِي الْمَوَدَّةَ بِالْهَجْرِ
 وَأُنْذِرُ بِالْهَجْرِ أَنْفُسِي أَرُوضُهَا لَا أَعْلَمُ عِنْدَ الْهَجْرِ هَلْ لِي مِنْ صَبْرٍ
 ويشبه أن يكون أخذه قوله فياليتني أقرضت جلدًا صباقي البيت من قول بعض العرب
 رَمَى قَلْبُهُ الْبَرْقُ الْمَلَالِي رَمِيَّةً يَجْنُبُ الْحِمَا وَهَنَا فَكَادَ يَهَيِّمُ
 فَهَلْ مِنْ مُعِينٍ طَرَفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ فَإِنْ نَسَانُ عَيْنَ الْعَامِرِ يَكْلِمُ^(١)
 وللحسين في هذا المعنى ما رواه المبرد

وَلِي كَبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مِنْ يَبِيْعُنِي بِهَا كَبَدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ
 أبا النَّاسِ وَيَبِ النَّاسِ لَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحٍ
 وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال

مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنُهُ تَبْكِي بِهَا أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ
 وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله العكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال
 حدثنا محمد بن حميد قال كنا عند الأصمعي فأنشده رجل أبيات دُغْبَل
 أَيْنَ الشَّبَابُ وَآيَةً سَلَكَ لَا أَيْنَ يُطَلَبُ طَلٌّ بَلْ هَلَكَا
 لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

(١) - يقول انه يريد عينا غير عاشقة لينظر بها الى ديار أحبته فان طرفه مجروح
 سقيم من العشق لا يستطيع أن ينظر به

أَسْلَمُ مَا بِالشَّيْبِ مَنْقُصَةٌ لَا سُوْقَةٌ تُبْقِي وَلَا مَلِكَا
قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْكَ مُشْتَرَكَا
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَوْمَكُمَا يَا صَاحِبَيَّ إِذَا دَمِي سَفَكَا
لَا تَأْخُذَا بِظِلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي أَشْتَرَكَا

قال فاستحسنها كل من في المجلس وأكثر التعجب من قوله - ضحك المشيب برأسه فبكي - فقال الأصمعي انما أخذ قوله هذا من ابن مطير في قوله

أَيْنَ أَهْلُ الْقَبَابِ بِالْذَّهْنَاءِ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْأَحْسَاءِ
جَاوَرُونَا وَالْأَرْضُ مُلْبَسَةٌ نَوْرًا لَأَقَاحِي تُجَادُ بِالْأَنْوَاءِ^(١)
كُلَّ يَوْمٍ بِأَفْجَوَانٍ جَدِيدٍ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ

وقد أخذه أيضاً مسلم بن الوليد صريع الغواني في قوله

مُسْتَعْبِرًا يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِي الشَّيْبِ

•• [قال المرتضي] رضى الله عنه ولا يبي الحجناء نصيب الأصفر مثل هذا المعنى وهو قوله فبكي الغمام به فأصبح روضه جذلان يضحك بالحميم ويزهر

ولابن المعتز مثله

أَلَحَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ طَحْيَاءٍ دِيمَةٍ إِذَا مَا بَكَتْ أَجْفَانُهَا ضَحِكَ الزَّهْرُ

ولابن دريد مثله

تَبَسَّمَ الْمَرْبُ وَأَنْهَلَتْ مَدَامِعُهُ فَأَضْحَكَ الرَّوْضَ جَفْنُ الضَّاحِكِ الْبَاكِ

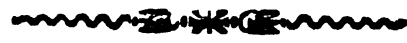
(١) - الدهناء - أرض من منازل تميم بنجد متسعة إذا أخصبت ربت العرب جميعا

لسعها - والاحساء - ماء لغني ويروى البيت الاول

أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْاحْسَاءِ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الْاطْوَاءِ

وغازَلَ الشَّمْسَ نَوْرٌ ظَلَّ يَلْحَظُهَا بعينِ مُسْتَعْبِرٍ بِالدَّمْعِ ضَحَّاكٍ
وروى عن أبي العباس المبرد انه قال أخذ ابن مطير . . تضحك الأرض من بكاء السماء
من قول دكين الزاجر

جَنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكَّى وَضَحَكَ الْمَرْئُ بِهِ حَتَّى بَكَى



— مجلس آخر ٣٣ —

[تأويل آية] . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) . . الجواب قلنا قد ذكر وجهان مطابقان للحق . . أحدهما أن يكون الراسخون في العلم معطوف على اسم الله تعالى فكأنه قال وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم وانهم مع علمهم به يقولون آمنا به فوق قوله يقولون آمنا به في موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين آمنا به كل من عند ربنا وهذا في غاية المدح لهم لأنهم إذا علموا ذلك بقلوبهم وأظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم بأداء الواجب عليهم . . والحجة لمن ذهب إلى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الأول وتقديره أن يكون قوله يقولون آمنا بالله على هذا التأويل لا ابتداء له مثل قوله (ما آفأ الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى) إلى قوله (شديد العقاب) فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا النفي فقال (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) إلى قوله الصادقون وقال في الذين تبوءوا الدار والایمان فهم الأنصار يحبون من هاجر إليهم ويؤثرون على أنفسهم وقال فيمن جاء بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان فهذه الآيات تدل على أنه لا ينكر في آية الراسخون في العلم أن يكون قوله يقولون آمنا به حالا مع العلم بتأويله

المتشابه فلو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله والذين هاجروا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا في أنه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمناً به فان الصورتين واحدة ٠٠ ومما يستشهد به على ذلك من الشعر قول يزيد بن مفرغ في عبد له كان يسمى برداً بابه ^(١) ثم ندم عليه

(١) قلت كان من حديث يزيد في بيعه غلامه برداً انه كان صاحب زياد بن أبي سفيان فلم يحمده وأتى ابنه عباداً فرأى منه ما يكره وكان عباد طويلاً اللحية عريضها فركب ذات يوم وابن مفرغ معه في موكبه فهبت ريح فتفشت لحيته فقال ابن مفرغ
ألا ليت اللحي كانت حشيشاً فترعاها خيول المسلمين
فبان ذلك عباداً فخذ عليه وجفاه فقال ابن مفرغ

ان تركي ندى سعيد بن عثمان فقي الجود ناصري وعديدي
واتباعي اخا الرضاعة واللاؤم لنقص وفوت شأور بعيد
قلت والليل مطبق بعراء ليتني مت قبل ترك سعيد
يريد سعيد بن عثمان بن عفان فانه استصحب يزيداً هذا حين ولي خراسان فلم يصحبه
وعدل عنه الى زياد فلما قال ذلك أخذه عبيد الله بن زياد فحبسه وعذبه وسقاه الزبد في
النبيذ وحمله على بعير وقرن به خنزيرة وأمشاء بطنه مشياً شديداً فكان يسيل ما يخرج منه
على الخنزيرة فتصمى فكلما صامت قال ابن مفرغ

ضجت سمية لما مسها القرن لا تجزي إن شر الشيمة الجزع
وسمية أم زياد ٠ ثم ان عبيد الله بن زياد دس اليه قوماً يقتضونه ويستعدون عليه فأمر
ببيع ما وجد له في اعطاء غرمائه فكان فيما بيع له غلام يقال له برد يعدل عنده ولده
وجارية يقال لها الاراكة فقال في بزد الابيات التي ذكرها صاحب الكتاب وقال في
الاراقة وفيه

يا برد مامسنا دهر أضربنا من قبل هذا ولا بغناله ولدا
أما الاراكة فكانت من محارمنا عيشاً لذياً وكانت جنة رغدا
لولا الدعي ولولا ما تعرض لي من الحوادث ما فارقتها أبداً

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتْنِي مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَهُ
أَوْ بَوْمَةً تَدْعُو صَدًا بَيْنَ الْمُشَقَّرِ فَأَلِيَمَامَهُ
الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي الْغَمَامَةِ

فعطف البرق على الريح ثم اتبعه بقوله يلمع فكأنه قال والبرق أيضاً يبكيه لامعاً في غمامه أي في حال لمعانه ولو لم يكن البرق معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة... ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما تقدم واثبات العلم بالمتشابه لهم ان قوله يكون يقولون آمناً به استئناف جملة استغنى فيها عن حرف العطف كما استغنى في قوله يقولون ثلاثة رابعهم كلامهم ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس في الجملة الأولى فيستغنى به عن حرف العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسناً ينزل الملتبس منزلة غير الملتبس... والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله والراسخون في العلم مستأنفاً غير معطوف على ما تقدم ثم أخبر عنهم بأنهم يقولون آمناً ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأول لانه قد يسمى تأوُّلاً قال تعالى (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله) المراد بذلك لا محالة المتأول والمتأول الذي لا تعلمه العلماء وان كان تعالى عالماً به كنهحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب وتعيين الصغائر الى غير ذلك فكأنه قال وما يعلم تأويل جميعه على المعنى الذي ذكرناه إلا الله والعلماء يقولون آمناً به وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه وقوّاه وضعف الأول بان قال قول الراسخين في العلم آمناً به كل من غند ربنا دلالة على استسلامهم لانهم لا يعرفون تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم ولأن ما ذكره من وقت القيامة ومن التمييز بين الصغائر والكبائر هو من تأويل القرآن اذ كان داخلاً في خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك... وليس الذي ذكره بشئ لانه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه آمناً به على الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن انهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به وما المنكر من أن يظهر الانسان بلسانه الايمان بما يعلمه ويحققه فأما قوله ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن فذلك انما يكون تأويلاً للقرآن اذا حملت هذه اللفظة على التأويل

لا على الفائدة والمعنى وأما اذا حملت على انه وما يعلم معنى التشابه وقائده إلا الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه أن يقول ان حمل التأويل على التأول أظهر من حمله على المعنى والفائدة لأن الأمر بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى أظهر وأكثر في الاستعمال، وأشبه بالحقيقة على أنه لو قيل ان الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى من قوله من قبل انه لو كان المراد بالتأويل التأول لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص التشابه بذلك دون المحكم مع -نى لان في متأول المحكم كإخباره عن الثواب والعقاب والحساب مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله ولكنه الا الله تعالى فأى معنى اتخصيص التشابه والكلام يقتضى توجهه نحو التشابه ألا ترى الى قوله (وأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) نخص التشابه بالذكر والأولى أيضاً أن يكون المراد بلفظة تأويله الثانية هو المراد بلفظة تأويله الأولى وقد علمنا ان الذين فى قلوبهم زيغ انما اتبعوا تأويله على خلاف معناه ولم يطلبوا لتأويله الذى هي متأوله والوجه الأول أقوى وأرجح . . ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه على أن يكون قوله والراسخون فى العلم مستأنفاً غير معطوف ويكون المعنى وما يعلم تأويل التشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله وهذا صحيح لان أكثر التشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لأدلة العقول فيذكر التأول جميعاً ولا يقطع على مراد الله منها بعينه لان الذى يلزم مثله ذلك أن يعلم فى الجملة أن لا يرد من المعنى ما يخالف الأدلة وان قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية فى الجواز والموافقة للحق وليس فى تكليفنا أن نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى الذين تبين احتمالهما لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فنقطع على أنه تعالى لم يردده ومنها وجوه تطابق الحق فنعلم فى الجملة انه قد أراد أحدها ولا نعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى التشابه فان أكثرها يحتمل وجوهاً والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح ولا يحتمل سواء ويكون قوله تعالى من بعد والراسخون فى العلم يقولون آمناً به أى صدقنا بما نعلمه مجملًا ومفصلاً من المحكم والتشابه وان الكل من عند ربنا وهذا وجه واضح . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا محمد بن أبى الأضر قال (١٣ - أمالى فى)

أنشدنا محمد بن يزيد لأبي حبة النخري وهي أبيات مخنارة

وخبرك الواشون أن لا أحبكم بلى وستور الله ذات المحارم
أصد وما الصد الذي تعرف فيه عزاء بنا إلا أجتراع العلاقم
حياء وبغيا أن تشيع نعمة بنا وبكم أف لأهل النمام
وإن دما لو تعلمين جنته على الحي جاني مثله غير سالم
أما إنه لو كان غيرك أزلت صعاد القنا بالراعفات اللهازم
ولكنه والله ما طل مسلما كبيض الثنايا واضحات الملاغم

قال نعلب - الملاغم - ما حول الفم . . وقال المبرد واضحات الملاغم يريد العوارض
. . وقوله - ما طل مسلما - أي أبطل دمه

إذا هن ساقطن الحديث حسبته سقوط حصي المرجان من سلك ناظم
ويروى ساقطن الأحاديث للفني . . ويروى أيضا ساقطن الحديث كأنه

رمين فأقصذن القلوب فلا ترى دما مائرا إلا جوى في الحيازم

[قال سيدنا رضى الله عنه] . . ومن مستحسن ماضى في هذه القصيدة قوله

كأن لم أبرح بالعيون وأقتل بتفتير أبصار الصّحاح السقائم^(١)
ولم أله بالحدث الألف الذي له غدائر لم يحرم من فار اللطائم^(٢)

(١) - أبرح - من برج به الأمر إذا لقي منه شدة والبرح الشدة - وتفتير - من الفتور وهو انكسار العين - والسقائم - جمع سقيمة وهي المريضة ولم يرد أنها سقيمة من مرض وإنما أراد أن بها من الضعف والفتور ما بالمريض وإن لم تكن مريضة

(٢) - الحدث - الصغير السن - والألف - العظام الفخذين - والغدائر - جمع غديرة وهي الخصلة من الشعر - والفار - جمع فأرة يريد فأرة المسك - واللطائم - جمع لطيمة وهي المسك

إِذَا اللَّهُ يُطِينِي وَإِذَا اسْتَمِيلُهُ بِمَحْلُولِكَ الْفُؤَدَيْنِ وَحَفِ الْمَقَادِمِ ^(١)
وَإِذَا أَنَا مُنْقَادٌ لِكُلِّ مُقَوِّدٍ إِلَى اللَّهِ حَلَّافِ الْبَطَالَاتِ آثِمِ

وروى ابن حبيب مفود ومعنى - حلاف البطالات - أى حلاف في البطالات
مُهِنُ الْمَطَايَا مُتْلِفٌ غَيْرَ أَنِّي عَلَيَّ هَلَكٌ مَا أَتَلَفْتُهُ غَيْرَ نَادِمِ
أَرَى خَيْرَ يَوْمٍ الْخَسِيسِ وَإِنْ عَلَا بَنَى اللَّؤْمُ لَمْ أَحْفَلِ مَلَامَةً لَا تَمِ
- خير يومى الخسيس - أى أحب يومى الى الذى هو أخس عند أهل الرأى والعقل .
وأنشد أبو اسحاق ابراهيم بن سيف بن الزيايدي لأبى حية واسمه هينم ^(٢) بن الربيع
تَرَحَّلَ بِالشَّبَابِ الشَّيْبُ عَنَّا فَلَيْتَ الشَّيْبُ كَانَ بِهِ الرَّحِيلُ
وَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ لَنَا خَلِيلًا فَقَدْ قَضَى مَا رَبَّهُ الْخَلِيلُ
لَعَمْرُأَيِ الشَّبَابُ لَقَدْ تَوَلَّى حَمِيدًا مَا يُرَادُّ بِهِ بَدِيلُ

(١) - يطيينى - يستميلنى - والمحلولك - الحالك اللون أى الذى لونه أسود
- والفؤدان - ثنية فؤد وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن وناحية الرأس - والوحف -
الشعر الكثير الأسود - والمقادم - جمع قادمة وهو الناصية

(٢) قلت ذكره بعض الأدباء فقال كان أبو حية يروي عن الفرزدق وكان كذاباً
قال يوماً رميت طيبة فلما خرج السهم ذكرت بالطيبة حببية لى فشددت خلف السهم
حتى أخذت بقذذه . . وكان جباناً قال جاره اطلعت عليه يوماً وبيده سيف له قد انتضاء
يسمى لعاب المنية ليس بينه وبين الخشب فرق وهو واقف على باب داره يقول إيهأ
أيها المغتر بنا والمجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب
المنية الذى سمعت به ضربته لا تخاف نبوتها أخرج بالفعو عنك لأدخل بالعقوبة عليك
انى والله ان أدع قيساً تملأ الأرض خيلاً ورجلاً يا سبحان الله ما أكثرها وأطيبها ثم
فتح الباب فإذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذى مسخك كلباً وكفانا حرباً

إِذِ الْيَآمُ مُقْبِلُهُ عَلَيْنَا وَظِلُّ أَرَاكِةِ الدُّنْيَا ظَلِيلُ
وَأَنشد المبرد قال أنشدنا أبو عثمان المازني لأبي حبة

زَمَانَ الصَّبَا لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَعْنَ لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقِصَارَا
زَمَانَ عَلَى غُرَابٍ غُدَافُ فَطِيرُهُ الدَّهْرُ عَنِّي فَطَارَا
فَلَا يَبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغُرَابَ وَإِنْ هُوَ لَمْ يُبْقِ إِلَّا أَدِّكَارَا
كَأَنَّ الشَّبَابَ وَلَذَاتِهِ وَرَيْقَ الصَّبَا كَانَ ثَوْبًا مُعَارَا
وَهَازِئَةً أَنْ رَأَتْ لَمَّتِي تَلَفَعَ شَيْبٌ بِهَا فَاسْتَدَارَا
وَقَلَّدَنِي مِنْهُ بَعْدَ الْخِطَامِ عِذَارًا فَمَا أُسْتَطِيعُ أَعْتِدَارَا
أَجَارَتْنَا إِنَّ رَبَّ الزَّمَانِ قَبْلِي نَالَ الرَّجَالِ الْخِيَارَا
فَأِمَّا تَرَى لَمَّتِي هُكْذَا فَأَسْرَعْتَ فِيهَا لِشَيْبِي النَّفَارَا
فَقَدْ أَرْتَدِي وَحَفَةً طَلَّةً وَقَدْ أَبْرَزُ وَالْقَتِيَّاتِ الْخِفَارَا

أما قوله - على غراب غداف - فأراد به الشباب والشعر الأسود . ويشبه أن يكون مأخوذاً من قول الأعشى

وَمَا طَلَابُكَ شَيْئًا لَسْتَ تُذَرِكُهُ إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الْجَهْلِ قَدْ وَقَعَا
ولأبي حبة من قصيدة أولها

أَلَا يَا اسْلَمَى أَطْلَالَ خَنَسَا وَأَنعَمِي

وَخَنَسَاءُ مَخْنَصِ الْوِشَاحِينَ مَشِيهَا إِلَى الدَّوْحِ أَقْتَارُ خُطْيِ الْمُتَجَشِّمِ^(١)

(١) قوله - مخنص الوشاحين - أي هيفاء الوشاح ثنية وشاح وهو أديم عريض ترصعه المرأة بالجواهر فتشده بين عاتقها وكسحها فإذا قالوا مخنص الوشاح أو غرني الوشاح أرادوا أنها

أَلِمَّا بِسَلَمِي قَبْلَ أَنْ تُزِي النُّوْمَى بِطَافِذَةٍ نَبَضَ الْفُؤَادِ الْمُتِمِّ
يَقِفُ عَاشِقًا لِمِ يَبْقُ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ وَلَا عَقْلِهِ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
فَقُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لَا يَرُخْ صَحِيحًا فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِهِ فَالْمِمْ
فَأَلَقْتَ قِنَاءَ دُونِهِ الشَّمْسُ وَأَتَقَّتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولِينَ كَفَّ وَمِعْصَمِ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلْتَهُ وَأَتَقَّتْنَا بِالْيَدِ^(١)

ولقوله - وقان لها سرّاً فدينك لا يرح - خبر وهو ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقراني قال اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب أمر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين القاسم ابنه وسمع شيئاً من أهاجيه فقال لأبي الحسين قد أحببت أن أرى ابن روميك هذا فدخل يوماً عبيد الله إلى أبي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فأنشده وخطبه فرآه مضطرب العقل جاهلاً فقال لأبي الحسين بينه وبينه أن لسان هذا أطول من عقله ومن هذه صورته لا تأمن عقاربه عند أول عتب ولا يفكر في عاقبته فأخرجه عنك فقال أخاف حينئذ أن يعلن ما يكتمه في دولتنا وبذيعه في تمكنا فقال يا بني إني لم أرد بإخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت أبي حية النميري

هيفاء محل الوشاح - وأفتار - من أفتى في النفقة إذا ضيق فيها - والمتجشم - المتكاف للشيء . . يقول أنها تمشي مشى إدلال كما يمشو من لا يستطيع المشى

(١) - النصيف - المنز - واتقنا باليد - أي حات بيننا وبين النظر إليها بوضعها معصمها على وجهها يصف بذلك المتجردة امرأة النعمان بن المنذر وكان النابغة يجلس إلى النعمان ويناديه فدخلت المتجردة يوماً على النعمان وعنده النابغة وهي لا تعلم بمكانه فلما وقع بصرها عليه اضطربت واستحييت وسقط مئزرها فتناولته بيدها وسترت وجهها باليد الأخرى ويقال أنها وضعت معصمها على وجهها فستره فلم يستبين منه شيء

فَقُلْنَا لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكَ لَا يَرُخُ سَلِيمًا وَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَأَلَمِي

حدث القاسم ابن فراس بما جرى وكان أعدى الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير أمزه الله أشار بان يقتال حتى يستراح منه وأنا أكيفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فات .. قال الباقطاني والناس يقولون ما قتله ابن فراس وإنما قتله عبيد الله .. قال ابن الرومي لما رجع الى داره وقد دب السم في أعضائه شعراً

أَشْرَبُ الْمَاءِ إِذَا مَا تَلْتَهَبُ نَارُ أَحْشَائِي لِإِطْفَاءِ الْهَبِ
فَأَرَاهُ زَائِدًا فِي حُرْقَتِي فَكَانَ الْمَاءُ لِلنَّارِ حَطَبَ

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما بفضل النخلة من التكليف وسلامته من التزبد وبعده من الاستعانة قول أبي حبة

رَمَتْنِي وَسَتَرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمُ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتَهَا وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنِّضَالِ قَدِيمُ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وقد روى هذان البيتان لنصيب في غير رواية المبرد قال المبرد يقول رمتني وأصابني بمحاسنها ولو كنت شاباً لرميت كما رمت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح .. وأما الاستعانة فهي أن يدخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليصحح وزناً أو نظماً .. قال ومما يختار من قول أبي حبة أيضاً

الْأَحْيَ مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لَبَسْنَ الْبَلَى مِمَّا لَبَسْنَ الْإِلْيَا^(١)
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمَلُّ التَّقَاضِيَا

(١) قوله - من أجل الحبيب - روى بدله من بعد الحبيب - والمغانى - جمع مغنى وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم طعنوا عنه وقوله - لبسن البلى - يريد أن طول العهد واختلاف العصرين عليها أخلق جدتها وطمس رسومها

ويقال ان أحسن ما وصف به المسواك قول أبي حبة

لقد طال ما أعييت راحلة الصبا وعللت شيطان الغوي المشوق
وداويت قرح القلب منهنّ بالمنا وباللحظ لو يبدلنه المتسرق
وساقيني كأس الهوى وسقيتها رفاق الثنايا عذبة المترق
وخمصانة تفرّ عن متنصّد كنور الأفاحي طيب المتدوّق

ويروي عن متنق يعنى نقرأ على نسق واحد لا اختلاف فيه

إذا مضت بعد امتناع من الضحى أنا يب من عود الأراك المخلّق
سقت شعث المسواك ماء غمامة فضيضاً بجروطوم المدام المروق

الامتناع - الارتفاع يقال منع النهار وأمنع اذا طال - والمخلق - الذي علق به الخلق
والطيب من يدها . . وقال بعضهم عن بالخلق المملس - والفيض - الذي سال من
الغمامة أى كاه فض - والخرطوم - سلاف الخمر وهو أول ما يخرج من غير عصر ولا دوس
وإن ذقت فاهاً بعد ما سقط الندى بمطفي بجنداة رداح المنطق

- البجندة - الضخمة - والرداح - العظيمة الأرداف

شممت العرار الطلّ غبّ هميمه ونور الخزامى في الندى المترق

- العرار - بهار البر - والطل - الغض الطري - والهميمة - مطر لئ . . وأخبرنا المرزباني

قال حدثني علي بن هارون بن علي قال سمعت أبي وقد ذكر قول أبي حبة

نظرت كأني من وراء زجاجة الى الدار من فرط الصباية أنظر
بعينين طورا يفرقان من البكا فأعشى وطورا يحسران فأبصر

فقال لو اعترضني ملك نجب طاعته ويلزم الانقياد لأمره فقال أى شعر أجود وأولى
بان يستحسن ولم يفسح لي في أن أميز المدح من الفخر والهجاء من التشبيب وسائر أصناف
الشعر ومذاهب الشعراء فيه لما عدلت عن هذين البيتين . . ويقال ان أبا أحمد عبيد

الله بن عبد الله بن طاهر أجاز يبق أبي حية هذين بقوله
 فَلَا مَقْلَتِي مَا غَامَرَ الْمَاءُ تَنْجَلِي وَلَا دَمْعَتِي مِنْ مَكْمِدِ الْوَجْدِ تَقْطُرُ
 وَلَا بِي حِيَّة

مِنْ الْمُنْكِياتِ الْجِلْدِ حَتَّى كَأَنَّمَا يَسْحُ بِعَيْنَيْهِ الدُّمُوعَ شَعِيبُ
 -الشعيب- مزادة من آدمين شعب أحدهما بالآخر

لِيَالِي أَهْلَانَا جَمِيعًا وَحَوَّلْنَا سَوَائِمُ مِنْهَا رَائِحٌ وَغَرِيبُ
 وَإِذْ يَتَجَنَّبُ الذُّنُوبَ وَمَا لَنَا إِلَيْهِمْ لَوْلَا وَدُّهُنَّ ذُنُوبُ
 وَلَا بِي حِيَّة

أَصْدُ عَنْ الْبَيْتِ الْحَبِيبِ وَإِنِّي لِأَصْنِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي أَتَجَنَّبُ
 أَزُورُ بُيُوتًا غَيْرَهُ وَلَا أَهْلَهُ عَلِي مَاعِدًا عَنْهُمْ أَعَزُّ وَأَقْرَبُ
 وَقَطَعَ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ مَعَشَرٌ غَضَابٌ وَهَلْ فِي أَحْسَنِ الْقَوْلِ مُغْضِبُ
 وَإِنْ لَأَمْنِي يَا أُمَّ عَمْرٍ وَنَمِيمَةٌ يَدِبُ بِهَا يَنْبِي وَيُنْكَ عَقْرَبُ
 وَمَا يَنْنَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا بِذَلِكَ الْأَلَى يُولُونَ مَا يَتَرْتَبُ
 حَدِيثًا إِذَا لَمْ يَخْشَ عِيًّا كَأَنَّهُ إِذَا سَاقَطَتْهُ الشَّهْدُ بَلْ هُوَ أَطِيبُ
 لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ مِنَ الْمَوْتِ كَادَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ تَذْهَبُ
 وَقُلْتُ لَهَا مَا تَأْمُرِينَ فَاِنْنِي أَرَى الْبَيْنَ أَذْنِي رَوْعُهُ يَتَرَقَّبُ

قال محمد بن يحيى الصولي ولا أحسبه في قوله لو أنك تستشفى به بعد سكرة إلا تتبع
 قول توبة بن الحمير

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلَةَ سَلَّمْتُ عَلِيَّ وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَاحُ
 لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَى الْيَهَاصِدِيَّ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

[قال المرتضي] رضى الله عنه وأول من سبق الى هذا المعنى فأحسن الاغنى في قوله
 غَهْدِي بِهَا فِي الْحَيِّ قَدَّرَتْ صَفَرَاءُ مِثْلَ الْمَهْرَةِ الضَّامِرِ
 لَوْ أَسْنَدَتْ مَمِيتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا وَاعْجَبًا لَلَيْتِ النَّاشِرِ

ومعنى الناشر - المنشور يقال أنشر الله الميت فنشروه وهو ناشر بمعنى منشور مثل ماء دافق
 فهو مدفوق . . وقال بعض أصحاب المعاني ان الجارية التي وصفها أيضاً هي ميتة بمعنى
 أنها ستموت فيكون المعنى ان الناس عجبوا من أن يكون من يموت كيف ينشر الموتى
 ومن قال هذا أجاز نشر الله الموتى بمعنى أنشر والقول الأول أظهر وما نظن الاغنى
 عن غيره

مجلس آخر ٣٤

[تأويل آية] . . ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام
 (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) . . فقال لم خمس اليوم بالقول
 وانما أراد العفو عنهم في جميع مستقبل أوقاتهم . . الجواب قلنا في هذه الآية وجوه
 أربعة . . أولها انه لما كان هذا الوقت الذي أشار اليه هو أول أوقاته التي كشف فيها
 نفسه لهم وأطلعهم على ما كان يستره عنهم من أمره أشار الى الوقت الذي لو أراد الانتقام
 لابتدأ به فيه والذي عني فيه عنهم لم يراجع الانتقام . . وثانيها أن يوسف عليه السلام لما
 قدم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما ارتكبوه وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه
 ولا يفتضح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم (لا تريب عليكم اليوم) أى قد انقطع عنكم
 توبيخي ومضى عندي ولائقي عند اعترافكم بالذنب وكان ذكر اليوم دلالة على انقطاع
 المعاقبة والتوبيخ وعلى ان الأوقات المتصلة باليوم تجري مجراء في زوال الغضب وتتمام
 (١٤ - امالي ني)

العفو وسقوط الموافقة لهم على ما سلف منهم . . . ونالها ^(١) ان ذكر اليوم المراد به الزمان والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالي والأيام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره قد كنت تستحسن شرب الخمر فاليوم وفقت لتركها ومقتها يريد في هذا الزمان ولا يريد يوماً واحداً بعينه ومثله قد كنت تقصر في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما يعجزك مسألة ولا تتوقف عن جواب يريد باليوم باقي الزمان كله . . . وقال امرؤ القيس

حَلَمْتُ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ أَمْرًا عَنْ شُرْبِهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ
فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِنَّمَا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ ^(٢)

لم يقصد يوماً بعينه . . . ومثله

الْيَوْمَ يَرْحَمُنَا مَنْ كَانَ يَغْبِطُنَا وَالْيَوْمَ نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا

(١) - قلت هذا هو الجواب الصحيح وایضاح ذلك ان العرب اذا أطلقت الليل قائما يريدون به سواد الليل من حين تغرب الشمس الى طلوع الفجر الثاني واذا أطلقت اليوم فقد تريد به بياض النهار كما اذا قالوا جالست فلانا يوما وقد تريد به مطلق الوقت أى ساعة من ليل أو نهار كما في قوله صلى الله عليه وسلم تلك أيام الهرج أى وقته وفرقان ما بين ذلك انهم اذا قرنوا به من الافعال ماله استمرار أرادوا منه بياض النهار كالجلسة والمحادثة ونحوها مما يسوعب وقتاً طويلاً واذا قرنوا به من الافعال ما ليس له استمرار بل هو من الافعال الآنية أرادوا به مطلق الوقت وعلى هذا الآية وما استشهد به المصنف من الشواهد الشعرية

(٢) - الواغل - الذي يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة فأما الذي يأتى الولاثم من غير دعوة لبأكل فيسمى وارشا وراشنا والناس يسمونه طفيليا نسبة الى طفيل وهو رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن غطفان كان يأتى الولاثم من غير ان يدعى اليها وكان يقول وددت ان الكوفة كلها بركة مصهرجة فلا ينحنى علي منها شيء

•• وقال لييد

وما الناسُ إِلَّا كالدِّيارِ وأهلِها بها يومَ حَلُّوها وغُدوًا بَلَاقُ

كل ذلك لا يراد بذكر اليوم والغد فيه الا جميع الأوقات المستقبلية •• ورابعها أن يكون المراد لا تثريب عليكم البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان المعنى غفر الله لكم اليوم •• وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة ان الدعاء لا ينصب ما قبله •• فأما معنى التثريب فان أبا عبيدة قال :هنا لا شغب ولا معاينة ولا إفساد ••

وقال الشاعر

فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوًا غَيْرَ مُثَرِّبٍ وَتَرَكْتُهُمْ أَمِقَابِ يَوْمِ سَرَمَدٍ

•• وقال أبو العباس ثعلب يقال ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه •• وقال بعضهم وهو ابن مسلم التثريب مأخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في الاوم والتعنيف والتقصي الى أبعد غاياتها

[تأويل خبر] •• روى أبو عبيد الله القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة

عن هشام بن حسان وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كسب الرمازة •• وقال أبو عبيد قال حجاج الزمارة الزانية وقال مثل هذا مثل حديثه الآخر انه نهى عن كسب البغي •• قال أبو عبيد وقال غير حجاج هي الرمازة بتقديم الراء قال وقول حجاج أثبت عندنا لانهم كانوا يكرهون إيمانهم على البغاء فأنزل الله (ولا تكرر هوا فتيتكم على البغاء ان أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) قل فالعرض هو كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه •• قال أبو عبيد ولا أعلم بم أخذت الرمازة غير أبي وجدتها مفسرة في الحديث •• وقال ابن قتيبة الأمر على ما ذكر أبو عبيد إلا ما أنكره على من زعم انها الرمازة لأن الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك لانها ترمز أى تسمى بعينها وحاجبها وشفتيها •• قال الفراء وأكثر الرمز بالشفيتين ومنه قوله تعالى (أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) فالرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار إسماء لها أو كالاسم ولذلك قيل لها

هلوك لانها تهلاك على الفراش أو على الرجل ثم صار إسماً لها دون غيرها من النساء وإن تهالكت على زوجها وقيل لها خرنع للينها وتثنيتها ثم صار ذلك إسماً لها دون غيرها من النساء وإن لانت وتثنت ونحوه قوله لم للبعير أعلم لشق في مشفره الأعلى ثم صار كالاسم له وكذلك قوله لم للذئب أزل للرسخ ثم صار كالاسم له والمرمزة لاتكاد تملن بالكلام انما تومض أو ترمز أو تصفر .. قال الشاعر

رَمَزَتْ إِلَيَّ مَخَافَةً مِنْ بَعْلِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُو هُنَاكَ كَلَامُهَا

.. وقال الأخطل

أَحَادِيثُ سَدَّاهَا ابْنُ حَذْرَاءَ فَرَقَدَ وَرَمَازَةٌ مَالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُهَا

.. وقال الراجز

يَوْمِئِذٍ بِالْأَعْيُنِ وَالْحَوَاجِبِ إِيْمَاضُ بَرْقٍ فِي عَمَاءٍ نَاضِبٍ^(١)

— والعماء — السحاب — والناضب — البعيد .. وقال بعضهم انما قيل للفاجرة حبة من القُحَاب وهو السعال قال وأحسبه أراد أنها تتعجج أو تسعل ترمز بذلك .. قال وباغنى عن المفضل انه كان يقول في قول الناس أجبن من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة فهو يخاف كل شيء .. وأما الأصمعي فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما وصف بالجن لانه ليس من الجوارح .. وقال ابن قتيبة ولا أرى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميث بن زيد الأسدي

أَزْجُولَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي إِخَائِكُمْ كَلْبًا كَوْزَهَاءَ تَقْلِي كُلَّ صَفَّارٍ^(٢)
لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آيَتَهَا مِنْ قَابِسٍ شَيْطَانٍ الْوَجْعَاءُ بِالنَّارِ

(١) أنشده في اللسان في مادة زم ر يومضن بالعين والحواجب — والمعنى واحد —

(٢) — الورهاء — المرأة الحقةاء — وتقلي — تكرر وتبغض — وآيتها — أي علامتها

يريد ان ذلك كان علامة بينها وبين خليلها اذا جاء يريدها — والوجعاء — الاست — وشيط — يقولون شيط فلان اللحم اذا دخنه بالنار ولم ينضجه وشيط الطامي الرأس والكرع

وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها به وصفر لها فأنته فشيطنها بميسم فلما أعاد الصفر قالت قد قلينا كل صفار تريد أنا قد عففتنا وأطرحنا كل فاجر .. وقال ابو بكر محمد بن القاسم الانباري والاختيار عندى الزمارة معجزة الزاي على ما قال أبو عبيد لحجج ثلاث .. احدها من اجماع أصحاب الحديث على الزمارة .. والحجة الثانية ان الفاجرة سميت زمارة لانها تحسن نفسها وكلامها والزمر عند العرب الحسن .. قال عمرو ابن أحرر الباهلي يصف شراباً وغناء

دَنَانِ حَنَّانٍ بَيْنَهُمَا رَجُلٌ أَجَشُّ غِنَاؤُهُ زَمَرُ

.. قال الأصمعي معناه غناؤه حسن كأنه مزامير داود .. والحجة الثالثة انهم سموا الفاجرة زمارة لمهانتها وقلة ما فيها من الخير من قولهم نعمة زمرة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل زمر المروءة اذا كان قليلها .. قال ابن أحرر

مُطْلَنَفْتًا لَوْنُ الْحَصَى لَوْنُهُ يَحْجُرُ عَنْهُ الذَّرُّ رِيَشُ زَمَرٍ

— المطنفي — الأصوق بالأرض — والذر — النمل — والزمر — القليل .. فسمي البغي زمارة على وجه الذم لها والتصغير لشأنها كما قيل لها فاجرة لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال .. قال ليبيد

فَإِنْ تَتَقَدَّمَ تَفَشَّ مِنْهَا مُقَدَّمًا غَلِيظًا وَإِنْ أَخَّرْتَ فَالْكَفْلُ فَاجِرٌ^(١)
أي مائل — والكفل — كسائه يوضع على ظهر البعير يوقى من العرق .. [قال المرتضى]

اذا أشعل فيهما النار حتى يتشيط ما عليهما من الشعر والصوف ومنهم من يقول شوط (١) قالت قال ليبيد ذلك يخاطب عمه أبا مالك وكان وقع بينهما ما يوجب العتب وقبل هذا البيت

فَنَلْتَ أزدجر أحناء طيرك واعلمن بانك إن قدمت رجلك عائر

فأصبحت أنى تأتها تلبس بها كلا مركبها تحت رجليك شاجر

— أزدجر — أزجر — وأحناء طيرك — أى جوانب طيشك — والشاجر — المختلف

رضى الله عنه ولا أرى لاحدي الروايتين على الأخرى رجحاناً لأن كل واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن الى مثله ولكل منهما مخرج في اللغة وتأويل يرجع الى معنى واحد لان الرمازة بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة الى معنى الفجور ومن رواها بالزاي المعجمة فالمرجع في معناها الى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الانباري فلا ولي أن يثبتنا متساويين ويكون الراوى مختيراً بينهما .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى أنعلب عن ابن الأعرابي للمضرب وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى

وما زلت أزجو نفع سلمي ووُدّها وتبعدُ حتى أبيض مني المسامحُ

وحتي رأيت الشخص يزادُ مثاهُ اليه وحتى نصف رأسي واضحُ

علاً حاجي الشيبُ حتي كأنّه ظباء جرت منها سنيح وبارحُ ^(١)

(١) يقول ان الشيب انتشر في حواجبا فكانه الظباء البيضاء انتشرت في الصحراء في كل صوب - والسامح - ما ولاك ميامنه - والبارح - ما ولاك ميامره .. قال ابن ربي والعرب تختلف في العيفه يعني في التبعين بالسامح وانتشام بالبارح فأهل نجد يتبعون بالسامح قال ذو الرمة

خابلي لا لاقيتها ما حبيبتي من العابر الا السامحات وأسعدا

وقال النابغة

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذاك تنساب الغراب الاسود

وقال كثير وهو حمجازي يتشام بالسامح

أقول اذا ما الطير مرّت مخيفة سوانحها تجري ولا أستثيرها

هذا هو الاصل ثم قد يستعمل النجدى لغة الحمجازي فن ذلك قول عمرو بن قبيصة وهو نجدى

فبين على طير سنيح نحوسه واشام طير الزاجرين سنيحها

وَهَزَّةُ أَظْمَانٍ عَلَيْهِنَّ بِهِجَةٌ مَلَبْتُ وَرَيْعَانُ الصَّبَا بِي جَائِحُ
فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنِي كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَزْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَبْنِنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمُطَيِّ الْأَبَاطِحِ
وَشُدَّتْ عَلَيَّ حُذْبُ الْمَهَارِيِّ رِجَالُنَا وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِحُ
فَقَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَاسِيلِ وَازْتَمَتْ بَيْنَ الصَّخَارِيِّ وَالصَّفَاحِ الصَّحَاصِحُ

وَأَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ

قَصَدْتُ بِعَيْنِي شَادِنٍ وَتَبَسَّمْتُ بِجَمَاءٍ عَنْ غُرٍّ لَهْنٌ غُرُوبُ
جَرَى الْإِسْحَلُ الْأَحْوَى عَلَيْهِنَّ أَوْجَرَى عَلَيْهِنَّ مِنْ فَرْعِ الْأَرَاكِ قَضِيبُ

.. أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصُّوْلِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا
مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْبَلْغَمِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو حَاتِمٍ قَالَ سَمِعْتُ الْأَصْمَعِي يَقُولُ سَمِعْتُ الرَّشِيدَ
يَقُولُ قَلْبُ الْعَاشِقِ عَلَيْهِ مَعَ مَعْشُوقِهِ فَقُلْتُ لَهُ هَذَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ

حِزَامِ الْمَذْرِيُّ لِعَفْرَاءٍ

وَإِنِّي لَيَعْرِوْنِي لِذِكْرِكَ رَوْعَةٌ لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَيْبُ
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبْهَتَ حَتَّى لَا أَكَادُ أَجِيبُ
وَأَصْرَفُ عَنْ دَارِي الَّذِي كُنْتُ عَارِفًا وَيَعْزُبُ عَنِّي عِلْمُهُ وَيَغِيبُ
وَيُضْمِرُ قَلْبِي غَدْرَهَا وَيُعِينُهَا عَلَيَّ فَمَا لِي فِي الْفُؤَادِ نَصِيبُ

فَقَالَ الرَّشِيدُ مَنْ قَالَ هَذَا وَهَمًّا فَاقُولُهُ عِلْمًا وَلِلَّهِ دَرْكٌ يَا أَصْمَعِي فَإِنِّي أَجِدُ عِنْدَكَ
مَا تَنْضِلُ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ .. قَالَ الصُّوْلِيُّ فَأَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَقَالَ

يَهِيمُ بِمَجْرَّاتِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ وَفِيهَا غَزَالٌ فَاتِرُ الطَّرْفِ سَاحِرُهُ
يُوَازِرُهُ قَلْبِي عَلَيَّ وَلَيْسَ لِي يَدَانِ بَيْنَ قَلْبِي وَعَلَيَّ يُوَازِرُهُ

وأشار إليه أيضاً في قوله

قلبي الي ما ضَرَّنِي دَاعِي يُكْثِرُ أَحْزَانِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
وَأَخَذَهُ سَهْلُ بْنُ هَرُونَ الْكَاتِبُ فَقَالَ
أَعَانَ طَرَفِي عَلَى جَسَمِي وَأَعْضَائِي
وَكُنْتُ غَرًّا بَمَا تَجَنَّى عَلَيَّ يَدِي
.. وقال البحتري

ولست أُعْجِبُ مِنْ عِصْيَانِ قَلْبِكَ لِي يَوْمًا إِذَا كَانَ قَلْبِي فِيكَ يَعْصِينِي
وروي أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال لنا الأصمعي يوماً ما أحسن
ما قيل في صفة امرأةٍ عجْزاءٍ خمسانةٍ فأنشده قول الأعشى
صَفْرُ الْوِشَاحِينَ مِلْهُ الدَّرْعِ بِهَكْنَةٍ إِذَا تَأَتَتْ يَكَاذُ الْخَصَرِ يَنْخَزِلُ
وأنشد قول علقمة بن عبدة
صَفْرُ الْوِشَاحِينَ مِلْهُ الدَّرْعِ خَرَعَةٌ كَأَنَّهَا رَشَاءٌ فِي الْبَيْتِ مَلْزُومٌ
وأنشد قول ذي الرمة

تَرَى خَائِفَهَا نِصْفًا قَنَازَةً قَوِيمَةً وَنِصْفًا نَقَاً يَرْفُجُ أَوْ يَتَرَمَرُمُ
فقال أحسن ما قيل فيه قول أبي وجزة السعدي

أَذْمَاءُ عَيْطَلَةٍ يَكَاذُ رِدَاؤُهَا يَقْوَى وَيُشْبَعُ مَا أَخْبَ إِزَارُهَا

قال عكرمة ومثله قول الحارث بن خالد المخزومي

غَرَّانُ سَمِطُ وَشَاحِيهَا قَلَقُ رِبَّانُ مِنْ أَرْدَافِهَا الْمُرْطُ

.. وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العينة قال حدثني الأصمعي
قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان وقد حزن

عليه حزناً شديداً ولم يطعم ثلاثاً فأنشدته لابن أراكَةَ الذنقي

لعمري لئن أتبت طرْفَكَ ماضِي من الدهر أوساق الحِمَامِ إلى القَبْرِ
لتستفدن ماءَ الشَّوْنِ بِأَسْرِهِ وإن كنت تمرّين من ثَبَجِ البَحْرِ
فقلت لعبدِ اللَّهِ إذْ حنَّ بِأَكْيَا تعرّ وماء العَيْنِ مِنْهُمْ يُجْرِي
تبين فإن كان البُكَارُ دَها لِكَا على أَحَدٍ فَأُجْهِدْ بِكَأكَ على عَمْرٍو
ولا تبك ميتاً بعدَ مَيِّتٍ أَحْبَهُ عليّ وعبّاسُ وآلُ أبي بَكْرٍ

قال فأمر جنيء بالطعام فأكل من ساعته . . قوله - حن باكياً - معناه رفع صوته بالبكاء
وقل قوم الحنين بالخاء معجمة من الأنف والحنين من الصدر وهو صوت يخرج من
كل واحد منهما . . وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن
يزيد النهوي قال سمعت الثوري يقول دخلنا مع الأصمعي إلى اسماعيل بن جعفر
ليلة في حاجة فأنشده الأصمعي أبيات ابن هرمة

أتيناكَ نَرْجُو حَاجَةً وَوَسِيلَةً لَدَيْكَ وَقَدْ تَحْطَى لَدَيْكَ الْوَسَائِلُ
وَنَذْكُرُ وَدًّا شَدَّهُ اللَّهُ بَيْنَنَا على الدهر لم تَذِيبِ إِلَيْهِ الْغَوَائِلُ
فاقسم ما أكتبَا زنادك قَادِحُ ولا أكذبت فيكَ الرَّجَاءُ الْقَوَائِلُ
ولا أرجعت ذَا حَاجَةٍ عَنْكَ عَلَّةٌ ولا عاق حُرّاً عاجلاً مِنْكَ آجِلُ
ولا لآمَ فيكَ الْبَاذِلُ الْوَجْهَ نَفْسُهُ ولا أَحْتَكَمْتُ فِي الْجُودِ مِنْكَ الْمَبَاخِلُ

لم يزد على هذه الأبيات فقضي حاجته وأجاب مسئلته . . [قال المرتضى] رضي الله عنه
ويشبه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله * ولا كذبت فيك الرجاء القوائيل * من قول
الحزين الكناني في زيد بن علي بن الحسين عليه السلام

فلما ترَدَّى بِالْحَمَائِلِ وَأَنْتَنِي يَصُولُ بِأَطْرَافِ الْقَنَاءِ وَالذَّوَابِلِ

تَبَيَّنَتِ الْأَعْدَاءُ أَنَّ مَنَاةَ يُطِيلُ حَنِينَ الْأُمّهَاتِ الثَّوَاكِيلِ

تَبَيَّنَ فِيهِ مَبْسَمُ الْعَزِّ وَالتَّقَى وَلَيْدَا يَنْدَى بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَابِلِ

.. وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البلخي قال حدثنا أبو حاتم عن الأصمعي قال قال الرشيد يوماً لأصمعي أتعرف للعرب اعتذاراً وندماً ودع النابغة فإنه يحتاج ويعتذر فقلت ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي فإنه هجا أوس بن حارثة بن لام فأسره بعد ذلك فأراد قتله فقالت له أمه وكانت ذات رأي والله لا يحا هجاءه لك إلا مدحه إليك فعني عنه .. فقال بشر

وَإِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنِّي لَنَادِمٌ وَإِنِّي إِلَى أَوْسِ بْنِ لَامٍ لَتَائِبٌ

فَهَبْ لِي حَيَاتِي وَالْحَيَاةُ لِقَائِمٌ يَسْرُكُ فِيهَا حِينَ مَا أَنْتَ وَاهِبٌ

وَإِنِّي إِلَى أَوْسٍ لِيَقْبَلَ تَوْبَتِي وَيَعْرِفَ وَدَّتِي مَا حَيَّيْتُ لِرَاغِبٌ

سَأَفْخُو بِمَذْحِ فَيْكِ إِذَا نَصَادِقُ كِتَابِ هِجَاءٍ سَارَ إِذَا أَنَا كَاذِبٌ

فقال الرشيد للأصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها .. وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم أحفل بهما ثم قال قلت هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب فاني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر فأقبل على مسرور الكبير فقال يامسرور كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء قال عيسى هذا بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد وأقبل على عيسى وقال والله لتهطين الأصمعي سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار فوجم عيسى وأنكر فقلت في نفسي جاء موضع البيتين وأنشدت الرشيد

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ مُعَبِّسًا وَجَدَّاهُ فِي الْمَاضِينَ كَعَبٍّ وَحَاتِمٍ

فَكَشَفَهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ فَإِنَّمَا يُكْشِفُ أَخْبَارَ الرِّجَالِ الدَّرَاهِمُ

قال فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور اعطه على بيت مال السرور ألفي دينار فأخذت

﴿ مجلس آخر ٣٥ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى ﴿ خلق الانسان من عجل سأل سائل سأل سائل ﴾ .. الجواب قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها .. أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الانسان بكثرة العجلة وانه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور طبعاً باستدناؤه ما يجلب اليه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت إلا من نومٍ وما خلق فلان إلا من شر أرادوا كثرة وقوع الشر منه وربما قالوا ما أنت إلا أكل وشرب وما أشبه ذلك .. قالت الخنساء تصف بقرة

تَرْزَعُ مَا غَفِلْتُ حَتَّى إِذَا ادَّكَّرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ

وانما أرادت ماد كراه من كثرة وقوع الاقبال والاذبار منها ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر ﴿ وكان الانسان عجولاً ﴾ ويطابقه أيضاً قوله تعالى ﴿ فلا تستعجلون ﴾ لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من شأنهم فعلها توبيخاً لهم وتقريراً لهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال وقادريين على التثبت والتأيد .. وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرهما من أن في الكلام قبلاً والمعنى خالق العجل من الانسان واستشهد على ذلك بقوله تعالى ﴿ وقد بلغني الكبير ﴾ أي قد بلغت الكبير وبقوله تعالى ﴿ ما إن مفاخه لتنوء بالعصبة ﴾ والمعنى ان العصبة تنوء بها وتقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعري استوى العود على الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود وبقول الأعشى

لِحَقْوَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ وَأَنْ تَعَامِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوَفَّقٌ

يريد أن الموفق لمعان .. وبقول الآخر

على العباآتِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانُ أَوْ بَلَغَتْ سَوَاتِمَهُمْ هَجَرُ

والمعنى ان السَّوَاتِ هي التي بلغت هجر .. وبقول خدّاش بن زهير

وَتُرْكَبُ خَيْلٌ لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشْفَى الرِّمَاحُ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحِمْرِ^(١)

يريد تشفى الضباطرة بالرماح .. وبقول الآخر

يَمْشِي بِهِ عُوْذُ النَّعَاجِ كَأَنَهَا عَذَارَى مُلُوكٍ فِي بَيَاضِ ثِيَابٍ^(٢)

يريد في ثياب بيض .. وبقول الآخر

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السَّرْبَالِ آخِذُهُ فَرَدًّا نَحْزُ عَلَى أَيْدِي الْمُفِيدِينَا

يريد حسرت السربال عن كفي .. وبقول الآخر وهو ابن أحر

وَجُرْدٌ طَارَ بَاطِلُهَا نَسِيلًا وَأَحْدَثَ قَوْمُهَا شِعْرًا اقْصَارًا

أراد نسيلها باطلا .. وبقول الآخر

وَقَسَوْرَةٌ أَكْتَفَاهُمْ فِي قِسِيمٍ إِذَا مَا مَشَوْا لَا يَعْمُرُونَ مِنَ النِّسَا

أراد قسيمهم في أكتافهم .. وبقول الآخر

وَهُنَّ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَعَانِ^(٣)

أي الاخلاف والولعان منهم .. ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التقاضى عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له وما المعنى والفائدة في قوله تعالى (خلق العجل من

(١) - الهوادة - اللين وما يرجي به صلاح الأمر - والضباطرة - جمع ضبطر

وضوטר وهو الضخم العظيم

(٢) - عوذ - جمع عاذ وهي الحديثة النتاج من الغلباء وكل أنثى - والنعاج - جمع

نمجة وهي البقرة الوحشية

(٣) - صدره * خلافة العينين كذابة المنى * - والإخلاف - خلف الوعد

- والولعان - الكذب يقال ولع يلع ولعاً ولعاً إذا كذب

الانسان) أنريدون بذلك ان الله تعالى خاق في الانسان العجلة وهذا لا يجوز لان العجلة فعل من أفعال الانسان فكيف يكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك ما جاز أن ينههم عن الاستعجال في الآية فيقول (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) لانه لا ينههم عما خلقه فيهم . . فان قالوا لم يرد انه تعالى خاقها لكنه أراد كثرة فعل الانسان لها وانه لا يزال يستعملها . . قيل لهم هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة الى القلب والتقديم والتأخير واذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا اليه . . وقد ذكر أبو القاسم الباقى هذا الجواب في تفسيره واختاره وقواه وسأل نفسه عليه فقال كيف يجوز أن يقول فلا تستعجلون وهو خلق العجلة فيهم وأجاب بانه قد اعطاهم قدرة على مخالطة طبائعهم وكفها وقد يكون الانسان مطبوعاً عليها وهو مع ذلك مأمور بالثبوت قادر على أن يجانب العجلة وذلك تخلق في البشر لشهوة التسكح وأمرهم في كثير من الأوقات بالامتناع منه وهذا الذى ذكره البلخى تصريح بان المراد بالمجل غيره وهو الطبع الداعي اليه والشهوة المتناولة له ويجب أيضاً أن يكون المراد بمن ههنا في لان شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الانسان وانما تكون مخلوقة فيه وهذا تجوز على تجوز وتوسع على توسع لان القلب أولاً مجاز ثم هو من بعيد المجاز وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر واقامة من قام في كذلك على انه تعالى اذا نههم عن العجلة بقوله عز وجل (فلا تستعجلون) أى معنى لتقديم قوله خلقت شهوة العجلة فيهم أو الطبع الداعي اليها فيهم على ما عبر به البلخى وهذا الى أن يكون عذراً لهم أقرب منه الى أن يكون حجة عليهم وأيسر الأحوال أن لا يكون عذراً ولا احتجاجاً فلا يكون لتقديمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير اضافة اليه عز وجل والجواب الأول أوضح وأصح . . ونالها جواب روى عن الحسن قال يعنى بقوله من عجل أى من ضعف وهي النطفة المهيئة الضعيفة وهذا قريب ان كان في اللغة شاهد على ان العجل عبارة عن الضعف أو معناه . . وراى بها ما حكى ان أبا الحسن الأخفش أجاب به وهو أن يكون المراد ان الانسان خلق من تعجيل الأمر لانه تعالى قال (إنما أمرنا شيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون)

•• فان قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون •• قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطأوا أعلمهم تعالى أنه ممن لا يعجزه شيء إذا أَرَادَهُ ولا يمتنع عليه وإن من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مؤنة بأن قال له كن فكان مع ما فيه من بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل ناظر لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات •• وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن العجل الطين فكانه تعالى قال خلق الإنسان من طين كما قال تعالى في موضع آخر (وبدأ خلق الإنسان من طين) واستشهد بقول الشاعر

وَالْبَنُّ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

ووجدنا قومًا يعطون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف أن العجل هو الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن العجل الحماة ولم يستشهد عليه إلا أن البيت الذي أوردناه يمكن أن يكون شاهداً له وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابي وخالف في شيء من ألفاظه فرواه

وَالْبَنُّ فِي الصَّخْرِ الصَّمَاءِ مِنْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ

وإذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى (فلا تستعجلون) على نحو ما ذكرناه وهو أن من خلق الإنسان مع الحكمة الظاهرة فيه من الطين لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات أو يكون المعنى أنه لا ينبغي لمن خلق من الطين المهيمن وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسُل الله وآياته وشرائعه لأنه تعالى قال قبل هذه الآية (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكركم) •• وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عايه السلام ومعنى من عجل أي من سرعة من خلقه لأنه لم يخلق من نطفة ثم من عاقلة ثم من مضغة كما خلق غيره وإنما ابتدأ الله تعالى ابتداءً وأنشأه أنشأه فكانه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له وأنه عز وجل يرى عباده من آياته وبيناته أولاً وأولاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم •• وسابعها ما روي عن مجاهد وغيره أن الله تعالى خلق آدم

بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب الشمس ٠٠ وروى
 ان آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت الى اعالي جسده ولم يبلغ أسافله قال
 يارب استعجل بخاقي قبل غروب الشمس ٠٠ وثانها ما روى عن ابن عباس والسدي
 ان آدم عليه السلام لما خلق وجمعت الروح في أكثر جسده ونب عجلان مبادرا الى
 أثمار الجنة ٠٠ وقال قوم قد همم بالوثوب فها معنى قوله (خلق الانسان عجولا)
 وهذه الأجوبة الثلاثة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام دون غيره
 ٠٠ [قال المرتضي] رضي الله عنه وإني لأستحسن لمسكين الدارمي قوله

وَرُبَّ أُمُورٍ قَدْ بَرَيْتُ لِحَآءِهَا	وَقَوَّمتُ مِنْ أَصْلَابِهَا ثُمَّ رُعْتُهَا
أَقِيمُ بَدَارَ الْحَزْمِ مَا لَمْ أَهْنُ بِهَا	فَإِنْ خَفْتُ مِنْ دَارِهَا أَنَا تَرَكْتُهَا
وَاصْلِحْ جُلَّ الْمَالِ حَتَّى تَخَالَنِي	شَحِيحًا وَإِنْ حَقَّ عَرَانِي أَهْنُهَا
وَلَسْتُ بُولَاجِ الْبُيُوتِ لِفَاقَةِ	وَلَكِنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتُ عَنْهَا وَلَجْتُهَا
أَيِّدْتُ عَنْ لِيذْلَاجٍ فِي الْحَيِّ نَائِمًا	وَأَرْضُ بِلِذْلَاجٍ وَهَمٍّ قَطَعْتُهَا
أَلَا يَبْهَتُ الْجَارِي سَنِيحًا وَبَارِحًا	تَعْرِضُ نَفْسًا لَوْ أَشَاءَ قَتَلْتُهَا
تُعَارِضُ فُخْرَ الْفَاخِرِينَ بِعَصْبَةٍ	وَلَوْ وُضِعَتْ لِي فِي إِيَّاءٍ أَكَلْتُهَا
وَإِنَّ لَنَا رُبْعِيَّةَ الْمَجْدِ كُلِّهَا	مَوَارِثُ آبَاءِ كِرَامٍ وَرَثْتُهَا
إِذَا فَصُرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ عَنِ الْعُلَا	مَدَدْتُ لَهَا بَاعًا عَلَيْهَا فَتَلْتُهَا
وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْعَلَا فَأَجَبْتُهُ	وَدَعَوَةَ دَاعٍ لِلصَّدِيقِ خَذَلْتُهَا
وَمَكْرُمَةٍ كَانَتْ رِعَايَةً وَالِدِي	فَعَلَّمْنِيهَا وَالِدِي فَفَعَلْتُهَا
وَعُورَاءَ مَنْ قِيلَ أَمْرِي ذِي قَرَابَةٍ	تَصَامَمْتُ عَنْهَا بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعْتُهَا
رَجَاءَ غَدٍ أَنْ يَعْطِفَ الرَّحْمُ يَنْنَا	وَمَظْلَمَةٍ مِنْهُ يُجَنِّبِي عَرَكَتُهَا

أَذَامَا مُورُ النَّاسِ رَثَتْ وَضِيعَتْ وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ زَمَمْتُهَا
وَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ لَمْ أَزِمْ حُرَّةً وَلَمْ تَأْتِنِي يَوْمَ سِرِّ فُخْتِهَا
وَلَا قَاذِفُ نَفْسِي وَنَفْسِي بَرِيثَةٌ وَكَيْفَ أَعْتَذَرِي بَعْدَ مَا قَدْ قَذَفْتُهَا

أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو ذَرٍّ الْقُرَاطِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ
ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ صَالِحٍ الْأَزْدِيُّ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ حَدَّثَهُ
قَالَ قَالَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ

وَلَسْتُ أَذَامَا سَرَّيَ الدَّهْرُ ضَا حِكَا وَلَا خَاشِعًا مَا عِشْتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ
وَلَا جَاعِلًا عَرْضِي لِمَالِي وَقَايَةً وَلَكِنْ أَتَى عَرْضِي فَيُحْرِزُهُ وَفَرِي
أَعْفُ لَدَى عُسْرِي وَأُبْدِي تَجَمُّلاً وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعْفُ لَدَى الْعُسْرِ
وَإِنِّي لَا أَسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِرًا صَدِيقِي وَاخْوَانِي بَأَن يَعْلَمُوا قَرِي
وَأَقْطَعُ إِخْوَانِي وَمَا حَالَ عَهْدُهُمْ حَيَاءً وَإِعْرَاضًا وَمَا بِي مِنْ كِبَرٍ
فَإِنْ يَكُ عَارًا مَا أَتَيْتُ فَرُبَّمَا أَتَى الْمَرْءَ يَوْمَ السُّوءِ مِنْ حَيْثُ لَا يَذَرِي
وَمَنْ يَفْتَقِرْ يَعْلَمْ مَكَانَ صَدِيقِهِ وَمَنْ يَنْحَى لَا يَعْلَمُ بَلَاءَ مِنَ الدَّهْرِ

وَمِنْ مَسْنَعِينَ قَوْلِهِ

إِنْ أَذْعَ مَسْكِينًا فَمَا قَصَّرْتُ قِذْرِي يُبُوتُ الْحَيَّ وَالْخَذِرُ

قِيلَ إِنَّ مَسْكِينًا لَيْسَ بِاسْمِهِ وَإِنَّمَا اسْمُهُ رَبِيعَةٌ وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقَوْلِهِ

وَسُمِّيتُ مَسْكِينًا وَكَانَتْ لِحَاجَةً وَإِنِّي لِمَسْكِينٍ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ^(١)

(١) سَمَاءُ فِي كِتَابِ الشُّعْرَاءِ رَبِيعَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ أُنَيْفٍ مِنْ بَنِي دَارِمٍ وَقَالَ كَانَ فِي

زَمَنِ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ الْقَائِلُ فِيهِ

الْبَيْتُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلَهَا نَشِيرُ الْقَطَا لِبَلَا وَهْنٍ هَجُودُ

ومعنى - قصرت قدرى - أى سرت يريد أنها بارزة لا تمجها السواتر والحيطان

مَا مَسَّ رَحْلِي الْعَنْكَبُوتُ وَلَا جَذَيَاتُهُ مِنْ وَضَعِهِ غُبْرُ

وهذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لأن العنكبوت انما تنسج على مالاتنا

الأيدي ولا يكثر استعماله - والجديات - جمع جدية وهي باطن دقة الرحل

لَا آخُذُ الصَّبْيَانَ الثَّمَمَ وَالْأَمْرُ قَدْ يُغْرِي بِهِ الْأَمْرُ

يقول لا أقبل الصبي وأنا أريد التعرض بأمة ومثله لغيره

وَلَا أَتْلِي لَذِي الْوَدَعَاتِ صَوْتِي لِأَلْهِيهِ وَرِيَّتَهُ أَرِيدُ^(١)

وأنشد ابن الاعرابي مثله

إِذَا رَأَيْتَ صَبِيَّ الْقَوْمِ يَلْتَمُهُ ضَخَمُ الْمَنَاكِبِ لَا عَمَّ وَلَا خَالَ

على الطائر الميمون والجد صاعد لكل اناس طائر وجدود

إذا المنبر الغسرى خلى مكانه فاب أمير المؤمنين يزيد

.. وأنشد له

وَإِذَا الْفَاحِشُ لَا تِي فَاحِشاً فَمَا كَمْ وَافَقَ الشَّنَّ الطَّبَقَ

انما الفحش ومن يعتاده كغراب السوء ما شاء نطق

أَوْ حَمَارِ السَّوِّءِ أَنْ أَشْبَعْتَهُ رَمَحَ النَّاسِ وَأَنْ جَاعَ نَهَقَ

أَوْ غَلَامِ السَّوِّءِ أَنْ جَوَّعْتَهُ سَرَقَ الْجَارِ وَأَنْ يَشْبَعَ فَسَقَ

أَوْ كَغَيْرِي رَفَعْتَ مِنْ ذَيْلِهَا ثُمَّ أَرْخَفْتَهُ ضَرَاراً فَأَنْزَقَ

أيها السائل عما قد مضى هل جديد مثل ملبوس خلق

(١) قوله لذي الودعات الخ: ذو الودعات الطفل لانهم يعلقون عليه الودع: ومعنى

وريبته أريد أي لا أريد ريبة أمه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ومثل هذا يحفظ

ولا يقاس عليه لتختلف الشرط: والبيت من جملة أبيات لعقيل بن علفة المرى الجاني المشهور

(١٦ - أمالي ثاني)

فَاحْفَظْ صَبِيَّكَ مِنْهُ أَنْ يُدْنِسَهُ وَلَا يَغْرُنْكَ يَوْمَ كَثْرَةِ الْمَالِ

رجع الى تمام القصيدة

وَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَرَكْتُ وَمَا يَبْنِي وَيَبْنِي لِقَائِهِ سَتْرُ
وَمُخَاصِمٍ قَاوَمْتُ فِي كَبَدٍ مِثْلَ الدَّهَانِ فَكَانَ لِي الْعُذْرُ
وَأَعَابَنِي قَوْمِي بَنُو عَدُسٍ وَهُمْ الْمُلُوكُ وَخَالِي الْبَشَرُ^(١)
عَمِّي زُرَّارَةٌ غَيْرُ مُتَحَلٍّ وَأَبِي الَّذِي حُدِّثَتْهُ عَمْرُو
فِي الْمَجْدِ غُرَّتْنَا مَبِينَةٌ لِلنَّاظِرِينَ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ
لَا يَزْهَبُ الْجِيرَانُ غَدَرَتْنَا حَتَّى يُوَارِيَ ذِكْرَنَا الْقَبْرُ
لَسْنَا كَأَفْوَامٍ إِذَا كُحِلَتْ إِحْدَى السِّنِينَ فَجَارُهُمْ تَمْرُ
أَيَّ يَسْتَحْلِي الْغَدْرَ بِهِ كَمَا يَسْتَحْلِي التَّمْرَ

مَوْلَاهُمْ لَحْمٌ عَلَى وَضَمٍّ تَنْتَابُهُ الْعُقْبَانُ وَالنَّسْرُ
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ وَآلِيهِ قَبْلِي يُنْزَلُ الْقَدْرُ

يقال كان له امرأة تماظه فلما قال ذلك قالت له أجل انما نارك وناره واحدة لانه أوقد ولم توقد والقدر ينزل اليه قبلك لانه طبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه^(٢)

(١) قوله قومي بنو عدس : كل عدس في العرب بضم العين وفتح الدال لإلإعديس

ابن زيد هذا فانه مضموم العين والدال

(٢) ويروى من غير هذا الوجه انه كانت لمسكين امرأة وكانت فاركا كثيرة الخسومة والمماظة له فوقفت عليه وهو ينشد حتى اذا بلغ ناري ونار الجار البيت : قالت له صدقت والله يجلس جارك فيطبخ قدره فتصطلي بناره ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بجذائه كالكلب فاذا شبع أطعمك أجل والله ان القدر لنزل اليه قبلك فاصبر عنها فلما بلغ

ماضِرْ جَارِي إِذْ أَجَاوِرُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِيَنْتَه سَتْرُ

قال ويقال انها قالت له في هذا البيت أيضاً أجل ان كان له ستر هنكته

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ

وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرْ

وأنشد عمر بن شبة لمسكين أيضاً

لَا تَجْعَلَنِي كَأَقْوَامٍ عَلِمْتَهُمْ لَا يَظْلِمُوا لَبَةً يَوْمًا وَلَا وَدَجًا

أَنِي لَا غَلَاهُمْ بِاللَّحْمِ قَدْ عَلِمُوا نِيًّا وَأَزْخَصَهُم بِاللَّحْمِ إِذْ نَضِجَا

أَنَا ابْنُ قَاتِلِ جُوعِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا إِذَا السَّمَاءُ كَسَتْ آفَاقَهَا رَهْجًا

يَا رَبُّ أَمْرَيْنِ قَدْ فَرَجْتُ بَيْنَهُمَا إِذَا هُمَا نَشَبَا فِي الصَّدْرِ وَأَعْتَلَجَا

أَدِيمُ خُلُقِي لِمَنْ دَامَتْ خَلِيقَتُهُ فَأَمْزُجُ الْحُلُوءَ حَيًّا نَالِمَنْ مَزَجَا

وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَا هِيَّةَ إِذَا الْكُؤَاكِبُ كَانَتْ فِي الدُّجَا سُرْجَا

مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَأَكْرَهُهُ إِلَّا سَيَجْعَلُ لِي مِنْ بَعْدِهِ فَرَجَا

مَامَدَ قَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى شَرَفٍ إِلَّا رَأَوْنَا قِيَامًا فَوْقَهُمْ دَرَجَا

وأنشد أبو العباس نعلب له

أَصْحَاكِ ضَيْفِي قَبْلَ إِنْزَالِ رَحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَكَانُ جَدِيدُ

وَمَا الْخِصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يُكْثَرُوا الْقَرَى

وَلَكِنَّمَا وَجْهُ الْكَرِيمِ خَصِيبُ

الى قوله : ما ضر جاري الخ البيت فلما قالت له هنكته وثب اليها يضربها وجعل قومه

يضحكون منهما ؛ المماظة شدة الخلق وفظاظته

وروي نعلب أيضاً

لِحَافِي لِحَافِ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ وَلَمْ يُلْهِني عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ
أُحَدِّثُهُ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرِيِّ وَتَعَلَّمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ

ومعنى - أحده ان الحديث من القرى - أي اصبر على حديثه واعلم انه سوف ينام ولا
أعرض بمحادثته فأكون قد محقت قراي والحديث الحسن من تمام القرى ٠٠ وقال
الأصمعي أحسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي

أَلَا أَيُّهَا الْغَائِرُ الْمُسْتَشِيطُ عَلَامَ تَغَارُ إِذَا لَمْ تُغَرَّ
فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خَفَتْهَا وَمَا خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُزَرَ
تَغَارُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وَهَلْ يَفْتَنُ الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ
فَإِنِّي سَأَخْلِي لَهَا يَدَيَّهَا فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرُ
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَدَّهَا فَلَنْ يُعْطِيَ الْوَدَّ سَوْطُ مُمَرَّ
وَمَنْ ذَا يُرَاعِي لَهُ عَرْسَهُ إِذَا ضَمَّهُ وَالْمَطِيُّ السَّفَرُ

[قال رضي الله عنه] وكان مسكين كثير الالهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله

وَإِنِّي أَمْرٌ لَا آلَفُ الْبَيْتَ قَاعِدًا إِلَى جَنْبِ عَرْسِي لَا أَفَرِّطُهَا شَبْرًا
وَلَا مُقَسِّمٌ لَا أَبْرَحُ الدَّهْرَ يَنْتَهَا لِأَجْمَلَهُ قَبْلَ الْمَاتِ لَهَا قَبْرًا
إِذَا هِيَ لَمْ تُحْصَنَ أَمَامَ قِبَابِهَا فَلَيْسَ بِمُنْجِيهَا بِنَائِي لَهَا قَصْرًا
وَلَا حَامِلِي ظَنِّي وَلَا قِيلُ قَائِلٍ عَلَيَّ حَائِطٍ حَتَّى أُحِيطَ بِهَا خُبْرًا
فَهَبْنِي أَمْرًا رَاعَيْتُ مَا دُمْتُ شَاهِدًا فَكَيْفَ إِذَا مَا سِرْتُ مِنْ يَدَيْهَا شَبْرًا

واللهد أبو العبناء عن أبي العالبة لمسكين

—*~*~*~*

— مجلس آخر ۳۶ —

[تأويل آية]: إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام (ولقد همت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) فقال هل يسوغ ما تأول بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسف عليه السلام عزم على المعصية وأرادها وأنه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف عن ذلك بأن رأى صورة أبيه يعقوب عاضاً على إصبعه متوعداً له على مواجهة المعصية أو بأن نودى له بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث . . . الجواب قلنا إذا ثبت بأدلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات أن المعاصي لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك من كتاب أو سنة إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها كما يفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفاً لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه أو لا يجوز ولهذا الآية وجوه من التأويل كل واحد منها يقتضي براءة نبي الله من العزم على الفاحشة وإرادة المعصية . . . أو لها أن الهم في ظاهر الآية متعلق بما لا يصح أن يعلق به العزم أو الإرادة على الحقيقة لأنه تعالى قال (ولقد همت به وهمّ بها) فعلق الهم بهما وذاتهما لا يجوز أن يراد أو يعزم عليهما لأن الوجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن أن يكون ما يتعلق به هم عليه السلام

أما هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما يقول القائل كنت همت بفلان وقد هم فلان بفلان
 أي بان يوقع به ضرباً أو مكروهاً .. فان قيل فأى معنى لقوله تعالى (لولا أن رأى
 برهان ربه) والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها .. قلنا يمكن أن يكون
 الوجه في ذلك أنه لما هم بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه ان أقدم على ما هم به
 أهلكه أهلها أي قتلوه أو أنها تدعي عليه المراودة عن القبيح وتقذفه بأنه دعاها إليه وان
 ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك بعض من لا تأمل له ولا علم بان مثله لا يجوز عليه
 فأخبر الله تعالى بأنه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء يعنى بذلك القتل والمكروه
 الذين كانا يوقعان به لانهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح أو يعنى بالسوء
 والفحشاء ظنهم بذلك .. فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون
 التقدير لولا أن رأى برهان ربه لم بضربها ودفعها وتقديم جواب لولا قبيح غير
 مستعمل أو يقتضي أن تكون لولا بغير جواب .. قلنا أما تقدم جواب لولا فجائز
 وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك غير أننا لا نحتاج إليه في هذا الجواب لأن
 العزم على الضرب والهم بالضرب قد وقع إلا أنه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد
 همت به وهم بدفعها لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف
 والكلام يقتضيه كما خذف الجواب في قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن
 الله رؤوف رحيم) معناه لولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ومثله (كلا لو تعلمون
 علم اليقين لترون الجحيم) معناه لو تعلمون علم اليقين لم تتفاسوا في الدنيا وتتفخروا
 بها .. وقال امرؤ القيس

فلو أنها نفس تموت سويةً ولكنّها نفس تساقط أنفُساً

أراد فلو أنها نفس تموت سويةً لانقضت وفيت خذف الجواب على ان من تأول هذه
 الآية على الوجه الذي لا يابق بنبي الله وأضاف العزم على المعصية إليه لا بد له من تقدير
 جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا أن رأى برهان ربه
 لفعله .. فان قيل قوله هم بها كقوله همت به فلم جماعتهما متعلقاً بالقبيح وهم بها
 متعلقاً بما ذكرتم من الضرب وغيره .. قلنا أما الظاهر فلا يدل على ما تعلق الهم به

والعزم فيها جميعاً وإنما أثبتناهما به بأن يكون متعلقاً بالقبيح لشهادة الكتاب والآثار به وهي ممن يجوز عليها فعل القبيح ولم يؤثر دليل في امتناعه عليها كما أثر ذلك فيه عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله في ضلال مبين) وقوله تعالى (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب) وقوله (الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) وفي موضع آخر (فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) والآثار واردة باطباق مفسري القرآن ومتأوليها على انها همت بالفاحشة والمعصية .. والوجه الثاني في تأويل الآية أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون تلخيصه ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ويجرى ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا أنى تداركتك وقتلت لولا أنى خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصى لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل .. قال الشاعر

فَلَا تَدْعُنِي قَوْيَ صَرِيحاً لِحِرَّةٍ لِأَن كُنْتُ مُقْتُولاً وَيَسْلَمُ عَامِرٌ

.. وقال آخر

فَلَا تَدْعُنِي قَوْيَ لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ لَّئِنْ لَمْ أَعْجَلْ ضَرْبَةً أَوْ أَعْجَلْ

فقدم جواب الشرط في البيتين جميعاً^(١) وقد استشهدنا به أيضاً بقوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لَهَمَّتْ طائفة منهم أن يضلوك) والهم لم يقع لمكان فضل الله ورحمته وما يشهد لهذا التأويل ان في الكلام شرطاً وهو قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) فكيف يحمل على الاطلاق مع حصول الشرط وليس لهم أن يجعلوا جواب لولا محذوفاً

(١) هذا الذي اعتمده يخالف مذهب جمهور البصريين فان جواب الشرط عندهم لا يتقدم فاذا تقدم ما هو جواب في المعنى فهو دال عليه وليس إياه وهو محذوف: وذهب الكوفيون والمبرد وأبو زيد الى جواز تقديمه ولا حذف عندهم في مثل ذلك

مقدراً لأن جعل جوابها موجوداً أولاً: وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا عليها قالوا ولو جاز ذلك لجاز قام زيدٌ لولا عمرو وقصدت لولا بكرٌ وقد بينا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذي ذكره لا يشبهه بما أجزأه وقد يجوز أن يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا وكذا وقد كنت قصدت لولا أن صدني فلان وإن لم يقع قيامٌ ولا قصد وهذا الذي يشبه الآية وليس تقديم جواب لولا بأبعد من حذف جواب لولا جملة من الكلام وإذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزمهم تقديم الجواب جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف .. والجواب الثالث ما اختاره أبو علي الجبائي وإن كان غيره قد تقدمه إلى معناه وهو أن يكون معنى هم بها اشتهاها ومال طبعه إلى مادعته إليه وقد يجوز أن يسمي بالشهوة في مجاز اللغة هما كما يقول القائل فيما لا يشبهه ليس هذا من همي وهذا أهم الأشياء إلى ولا قببح في الشهوة لأنها من فعل الله تعالى فيه وإنما يتعاقب القبيح بتناول المشتى .. وقد روى هذا الجواب عن الحسن البصري قال أما همها فكان أخبت لهم وأما همها فطبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى (لولا أن رأى برهان ربه) متعلق بمحذوف كأنه قال لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل .. والجواب الرابع أن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم ما يقع في الأكثر عنده وعلى هذا لا ينكر أن يكون المراد بهم بها أي خطر بباله أمرها ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها من غير أن يكون هناك هم أو عزم فسمى الخطور بالبال كما من حيث كان لهم يقع في الأكثر عنده والعزم في الأغلب يتبعه وإنما أنكرنا ما ادعاه جهالة المفسرون وعرفوا القصص وقذفوا به نبي الله عليه السلام لما ثبت في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من حيث كان منفراً عنهم وقادحاً في الغرض المجري إليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك لأنه تعالى قال (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء) ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ثم الأخذ فيه والشروع في مقدماته وقوله تعالى أيضاً (إنه من عبادة الخالصين) يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه وحكايته عن النسوة قولهن (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) يدل أيضاً على أنه برىء من القبيح

•• فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفاً لطف الله تعالى له به في تلك الحال أو قبلها اختار عنده الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها ويحتمل أيضاً ما ذكره أبو علي وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك وعلى أن من فعله يستحق العقاب وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له والنداء له بالزجر والتخويف لأن ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض بالتكليف ويقتضى أن لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحاً ولا ثواباً وهذا سوء ثناء على الأنبياء واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم والحمد لله على حسن التوفيق •• روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطماس قال كنت يوماً عند عمي ابراهيم بن العباس فدخل اليه رجل فقربه حتى جلس الى جانبه أو قريباً منه ثم حادته الى ان قال له عمي يا أبا تمام ومن بقي ممن يعتصم به ويلجأ اليه فقال أنت لاعدمت وكان ابراهيم طويلاً أنت والله كما قبل

يَمْدُ نِجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ بَأْ عَلَى سَنَامِي فَالِجٍ يَتَطَوَّحُ
وَيَذِلُّ فِي حَاجَاتٍ مِنْهُ هَوَانٌ وَيُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَقْدَحُ
إِذَا أَعْتَمَّ بِالْبُرْدِ الِيمَانِي خِلَتُهُ هَلَا لَا بَدَأَ فِي جَانِبِ الْإِفْقِ يَلْمَحُ
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرَّجَالِ فَضِيلَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحٌ مَنْ يَتَمَدَّحُ

فقال له ابراهيم أنت تحسن قائلًا وراوياً ومتمثلاً فلما خرج تبعته وقلت له أكتبني الأبيات فقال هي لأبي الجويرية العبدى فخذها من شعره •• وروى عن يحيى بن البحتري قال رأيت أبي يذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بمعان من الشعر فر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فأنشدوا انشادات كثيرة فقال لهم أبي قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال

أَحْسِبُ النَّوْمَ حَكَاكَ إِذَا رَأَيْ مِنْكَ جَفَاكَ
مَنْيَ الصَّبْرِ وَمِنْكَ ۖ هَجْرُ فَأَبْلَغَ بِي مَدَاكَ

بَعُدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَكََا
أَوْ مَا خُطَّ لِعَيْنِي أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ رَأَى كَا
لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَا كَا

قال أبي انه تصرف في معاني من الشعر في هذه الأبيات قال فكتبها عنه جماعة من حضروا والأبيات لابراهيم بن العباس الصولي . . وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال لما بايع المأمون لعلي بن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد وأمر الناس بلبس الخضره صار اليه دعبل بن علي الخزامي وابراهيم بن العباس الصولي وكانا صديقين لا يفترقان فأنشده دعبل

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَخِيٍّ مُقْفَرِ الرَّصَاتِ
وَأَنشده ابراهيم بن العباس الصولي على مذهبهما قصيدة أولها
أَزَالْتُ عِرَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

قال فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت فأما دعبل بن علي فصار بالشطر منها الى قم فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة دراهم فباع حصته بمائة ألف درهم . . وأما ابراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها الى ان مات قال الصولي ولم أقف من قصيدة ابراهيم على أكثر من هذا البيت . . قال وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني أبو العباس أحمد ابن محمد بن الفرات والحسين بن علي الباقطاني قال كان ابراهيم بن العباس صديقاً لاسحاق بن ابراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن فأنسخه شعره في علي بن موسى الرضا عليهما السلام وقد انصرف من خراسان ودفع اليه شيئاً بخطه منه وكانت النسخة عنده الى ان وُتِيَ المتوكل ووُتِيَ ابراهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه وبين أخى زيدان فعزله عن ضياع كانت في يده بجلوان وغيرها وطالبه بماله وألح عليه وأساء مطالبته فدعا اسحاق بعض من يثق به من اخوانه وقال له امض

الى ابراهيم بن العباس فاعلمه ان شعره في علي بن موسى بخطه عندي وبغير خطه والله
لئن استمر على ظلمي ولم يُزل عني المطالبة لأوصلن الشعر الى المتوكل قال فصار الرجل
الى ابراهيم بن العباس فأخبره بذلك فاضطرب اضطراباً شديداً وجعل الأمر الى
الواسطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به وأخذ الشعر منه وأحلفه انه لم يبق
عنده منه شيء فلما حصل عنده أحرقه بحضرته ٠٠ وذكر أبو أحمد بن يحيى بن علي
المنجم ان أباه علي بن يحيى كان الواسطة بينهما ٠٠ قال الصولي وما عرفت من شعر
ابراهيم في هذا المعنى شيئاً إلا أبياتاً وجدت بخط أبي قال أنشدني أخي لعمه في علي
ابن موسى، الرضا عليهما السلام من قصيدة

كفى بفعل امرئ عالم	على أهله عادلاً شاهداً
أرى لهم طارقاً مؤثماً	ولا يشبه الطارف التالداً
يمنٌ عليكم بأموالكم	ويعطون من مئة واحداً
فلا حمد الله مستبصراً	يكون لاعداءكم حامداً
فضلت قسيمك في قعد	كما فضل الولد الوالداً

قال الصولي فنظرت فوجدت علي بن موسى الرضا عليهما السلام والمأمون متساويين
في قعد النسب وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً ٠٠ وروى الصولي ان منشداً أنشد
ابراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع

ربما تكره النفوس من الأم رله فرجة كحل العقال

قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال

ولرب نازلة يضيق بها الفتى	ذرعاً وعند الله منها مخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها	فرجت وكان يظنها لا تفرج

فعجب من جودة بديته ٠٠ وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني
محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القاسم بن اسمعيل أبو ذكوان الراوية قال كنت

بالاهواز أيام الواثق وإبراهيم بن العباس إلى معونتها وخراجها فوصفت له بالأدب
فأمر باحضاري فلما دخلت عليه قرّب مجلسي وقال تسلف أنس المطاولة فإن الاستمتاع
لا يتم إلا به فأنبسطت وتساءلنا عن الأشعار فما رأيت أحداً قط أعلم بالشعر منه فقال
لي ما عندك في قول النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل ملكٍ دونها يتذبذبُ
فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبُ

فقلت أراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خب وهو انه اعتذر الى
النعمان من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه لهم فقال انما فعلت هذا لجفائك بي
فاذا صلحت بي لم أرد غيرك كما ان من أضاءت له الشمس لم يحتج الى ضوء الكواكب
فأني بمغيبين بهذا وبفضيله قال فاستحسن ذلك منه .. وكان إبراهيم بن العباس من
أصدق الناس لأحمد بن أبي داود فغضب على ابنه أبي الوليد من شيء قدمه ومدح أباه
وأحسن في التخلص كل الاحسان فقال

عفت مسأوا تبدت منك واضحة
لئن تقدّم أبناء الكرام به
على محاسن بقاها أبوك لكا
لقد تقدّم أبناء المائم بكا

.. ولا إبراهيم

تمر الصبا صفحاً بساكن ذي الغضا
قريبة عهدٍ بالحبيب وإنما
وبصدع قلبي أن يهب هبوبها
هوئى كل نفس حيث كان حبيبها
تطلع من نفسي اليك نوازع
عوارف أن اليأس منك نصيبها
وأخذ هذا من قول ذى الرمة

إذا هبت الأرواح من كل جانب
هوي تذرّف العيّن منه وإنما
به آل ميّ هاج شوقي هبوبها
هوي كل نفس حيث كان حبيبها

.. ولا إبراهيم

دَنْتَ بَانَسٍ عَنْ تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بَلِيلِي عَنْ دَنُوِّ مَزَارِهَا
وَإِنَّ مَقِيمَاتٍ بِمَنْقَطَعِ اللَّوَى لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلِي وَهَاتِيكَ دَارُهَا

وأخذ ذلك من قول النظار الفقمسي

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرِو قَرِيبَةٌ دَنْتَ بِكَ أَرْضَ نَحْوِهَا وَسَمَاءُهَا
أَلَا إِنَّمَا بُعْدُ الْحَبِيبِ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يُوصَلْ إِلَيْهِ سِوَاهُ

ووجدت بعض أهل الأدب يظن ان ابراهيم بن العباس سبق الى هذا المعنى في قوله

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْتِ تَشَا وَأَبْرَقَ يَمِينًا وَأُرْعَدَ شِمَالًا
نَجَابِكَ لَوْ مَكَاتُ مَنْجَبِ الذُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ يَنَالَ

حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق الى هذا المعنى فأحسن غاية الاحسان فقال

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عَرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عَرْضِكَ إِنَّهُ عَرِضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

— مجلس آخر ٣٧ —

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام

(قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبَبُ الْبَهْنُ)
وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ .. فقال اذا كانت المحبة عندكم هي الارادة فهذا تصریح من يوسف
عليه السلام بارادة المعصية لأن حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله
وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعى اليه من الزنا وقوله من بعد
(وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) يدل على ان امتناعه من القبيح مشروط بمنعهن وصرّفهن
عن كيده وهذا بخلاف مذهبكم لانكم تذهبون الى ان ذلك لا يقع منه تصرف النسوة

عن كبدن أو لم يصرفن .. الجواب قلنا أما قوله عليه السلام (رب السجن أحب اليّ) ففيه وجهان من التأويل .. أولهما ان المحبة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح على الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً لأن السجن انما هو الجسم والأجسام لا يجوز أن يريدوها وانما يريد الفعل فيها والمتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية وانما الأفعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها فادخال القوم يوسف عليه السلام الحبس أو اكراههم له على دخوله معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تناله باستيطانه كان طاعة منه وقربة وقد علمنا ان ظالماً لو أكره مؤمناً على ملازمته لبعض المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكره حسناً وان كان فعل المكره قبيحاً وهذه الجملة تبين أن لا ظاهراً في الآية يقتضي ما ظنوه وانه لا بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم أن يقدروا ما يرجع الى الحبس من الأفعال إلاّ ولنا أن نقدر ما يرجع الى الحبس واذا احتمل الكلام الأمرين ودل الدليل على أن النبي لا يجوز أن يريد المعاصي والقبائح اختص المحذوف المقدر بما يرجع اليه مما ذكرناه وذلك طاعة لا لوم على مریده ومحبه .. فان قيل كيف يجوز أن يقول السجن أحب اليّ وهو لا يحب ما دعوه اليه ومن شأن مثل هذه اللفظة أن تدخل بين ما وقع فيه اشتراك في معناها وان فضل البعض على البعض .. قلنا قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع وان لم يكن في معناها اشتراك على الحقيقة ألا ترى ان من خير بين ما يحبه وما يكرهه جائز أن يقول هذا أحب اليّ من هذا وان لم يحز مبتدئاً أن يقول من غير أن يخير هذا أحب اليّ من هذا اذا كان لا يحب أحدهما جملة وانما سوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر من حيث كان الخير بين الشيئين لا يخير بينهما إلاّ وهما مرادان له ومما يصح أن يريد هما موضوع التخيير يقتضي ذلك وان حصل فيما ليس هذه صورته والمجيب عن هذا متى قال كذا أحب اليّ من كذا محبباً على ما يقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الأمران على الحقيقة يشتركان في تناول محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى (قل أذلك خير أم جنة الخلد) ونحن نعلم أن لا خير في العقاب وانما حسن ذلك لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار

المعاصي على الطاعات وانهم ماركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلا لاعتقادهم أن فيها خيراً ونفعاً قليلاً أذلك خير على ما تظنون وتعتقدونه أم كذا وكذا وقد قال قوم في قوله تعالى (أذلك خير أم جنة الخلد) انما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع كما قال تعالى (خير مستقراً وأحسن مقبلاً) ومثل هذا قد يأتي في قوله تعالى (رب السجن أحب اليّ) لأن الأمرين يعني المعصية ودخول السجن مشتركان في ان لكلٍ منهما داعياً وعليه باعناً وان لم يشتركا في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكاً في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه لأن السجن المصدر فيحتمل أن يريد ان سجنني لهم نفسي وصبري على حبسهم أحب اليّ من مواجهة المعصية ولا يرجع بالسجن الى فعلهم بل الى فعله .. والوجه الثاني أن يكون معنى أحب اليّ أي أهون عندي وأسهل عليّ وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معاً ان فعلت كذا وإلاّ فعل بك كذا وكذا فيقول بل كذا أحب اليّ أي أهون عندي بمعنى أسهل وأخف وان كان لا يريد واحداً منهما وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون انما عني فعلهم به دون فعله لانه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وانما وضع أحب موضع أخف والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .. وأما قوله تعالى (وإلاّ تصرف عني كيدهن أصب إليهن) فليس المعنى فيه على ما ظنه السائل بل المراد متى لم تلتطف لي بما يدعوني الى مجانبة المعصية وتثبتني الى تركها ومفارقتها صبوت وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لاموره وأنه لولا معونته ولطفه مانحاً من كيدهن ولا شبهة في ان النبي انما يكون معصوماً عن القبائح بعصمة الله تعالى ولطفه وتوفيقه .. فان قيل الظاهر خلاف ذلك لأنه قال (وإلاّ تصرف عني كيدهن) فيجب أن يكون المراد ما يمنعهم من الكيد وبدفعه والذي ذكرتموه من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه .. قلنا معنى الكلام وإلاّ تصرف عني ضرر كيدهن والغرض به لانهم انما أجبرين بكيدهن الى مساعدته لهم على المعصية فاذا عصم منها ولطف له في الانصراف عنها فكأن الكيد قد انصرف

عنه ولم يقع به من حيث لم يقع ضرره وما أجرى به اليه ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه الى غرض لم يقع ما قلت شيئاً ولمن فعل ما لا تأثير له ما فعلت شيئاً وهذا بين بحمد الله ومنه

[تأويل خبر] .. إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة طويلة خطبها من يتبع الشمعة يشمع به .. الجواب ان الشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقل شمع الرجل يشمع شموعاً وامرأة شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك .. قال أبو ذؤيب يصف الحمير

بِقَرَارٍ قِيَعَانٍ سَقَاها وَابِلٌ وَاهٍ فَأَنْجَمَ بَرْهَةً لَا يُقْلَعُ^(١)

فَلَبِثْنِ حِينًا يَعْتَلِجْنَ بَرَوْضَةً فَيَجِدُنَّ حِينًا فِي الْعِلَاجِ وَيَشْمَعُ

أراد أن هذا الحمار الذي وصف حاله مع الآن وأنه معهن في بعض القيعان يعارك هذه الآن ومعني - يعتاجن - يعاض بعضهن بعضاً ويتراحن من النشاط فيجد الفعل معهن مرةً وأخرى يأخذ معهن في اللعب فيشمع وفي جد لغتان يجد ويَجْدُ والمفتوح لغة هذيل ويقال فلان جاد مجد على اللغتين معاً .. وقيل ان معنى يشمع في الحمار انه يشم ثم يرفع رأسه فيكشر عن أضراسه فجعل ذلك بمنزلة الضحك .. قال الشماخ

وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ كُنْتُ نَفْسِي إِلَى لَبَاتٍ بِهَكْنَةٍ شُمُوعٍ^(٢)

(١) - القرار - جمع قرارة وهو حيث يستقر الماء - والقيعان - جمع قاع وهو القطعة من الارض الصلبة الطيبة - والوايل - المطر العظيم القطر .. ويروى سقاها صيف وهو مطر الصيف - والواهي - كأنه منشق من شدة انصبابه وكثرة مائه - وأنجم - أقام وثبت - والبرهة - الحين والزمان - والروضة - البقعة يجتمع فيها الماء ينبت فيها البقل والعشب ولا تسمى روضة الا اذا كان بها شجر وماء

(٢) يروى هيكله مكان بهكة وهيكله من النساء العظيمة وهيكلها اختيالها - والشموع - المزاحمة - والهكنة - النارة الغضة وقيل هي الجارية الخفيفة الطيبة الرائحة المليحة الحلوة

.. وقال المشغل الهندي

وَلَا وَاللَّهِ نَادِي الْحَيِّ ضَيْفِي هُدُوءًا بِالْمَسَاءِ وَالْعِلَاطِ
سَأُبْدَاهُمْ بِمَشْمَعَةٍ وَأَنْتِي بِجَهْدِي مِنْ طَعَامٍ أَوْ بَسَاطٍ

أراد بقوله - نادي الحي ضيفي - أي لا ينادونه من النداء بالسوء والمكروه ولا يتلقونه به
يؤثر - والعلاط - من اعططه واعتلط به اذا خاصه وشاغبه ووسمه بالشر وأصله من
علاط البعير وهو وسم في عنقه .. وقيل ان معنى نادي الحي ضيفي من النادى أي
لا يجالسونه بالمكروه والسوء .. ومعنى - سأبدهم بمشمة - أي بلمب وضحك لأن ذلك
من علامات الكرم والسرور بالضيف والقصد الى إيناسه وبسطه .. ومنه قول الآخر
وَرُبَّ ضَيْفٍ طَرَقَ الْحَيَّ سُرَى صَادَفَ زَادًا وَحَدِيثًا مَا اشْتَهَى^(١)
إِنَّ الْحَدِيثَ طَرَفٌ مِنَ الْقَرَى

وروى الأصمعي عن خلف الأحمر قال سنة الاصراب انهم اذا حدثوا الرجل الغريب
وهشوا اليه ومازحوه أيقن بالقرى واذا أضرخوا عنه هرف الحرمان .. ومعنى - أنتي
بجهد من طعامٍ أو بساط - أي اتبع ذلك بهذا .. ومعنى الخبر على هذا أن من كان من
شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم أصاره الله تعالى الى حالة يعبث به فيها
ويستهزأ منه .. ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر وهو ما روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم من يسمع الناس بعمله يشمع الله به والمعنى من يرأى بأعماله ويظهرها تقرباً
الى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم يشهره الله بالرياء ويفضحه ويهتكه .. ويمكن أيضاً في الخبر
الأول وجه آخر لم يذكر فيه وهو ان من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء

(١) قوله ورب ضيف الحق .. البيتان للشماخ يمدح بهما عبد الله بن جعفر رضي الله
عنهما وقبلاهما

انك يا بن جعفر نعم الفقى ونعم مأوى طارق إذا أتى

ورب ضيف الحق

باسمه ولذلك نظائر في القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة فلا ينكر أن يكون المعنى من يتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه قسمي الجزاء على الفعل باسمه وهذا الوجه أيضاً ممكن في الخبر الثاني . . أخبرنا عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال إني لفي سوق ضرية وقد زلت على رجل من بني كلاب كان متزوجاً بالبصرة وكان له ابن فضربه إذ أقبلت عجوز على ناقة لها حسنة البزة فيها باقي جمالٍ فأناخت وعقلت ناقها وأقبلت تنوكاً على محجن لها جلست قريباً منّا وقالت هل من ملشد فقلت للكلابي أبخضرك نى قال لا فألشدتها شعراً لبشر بن عبد الرحمن الأنصاري

وَقَصِيرَةَ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسَهَا لَوْ بَاعَ مَجْلِسَهَا بِفَقْدِ حَمِيمِ
مِنْ مُحَذِّبَاتِ أَخِي الْهُوَى غُصَصَ الْجَوَى

بِدَلَالِ غَانِيَةٍ وَمُقَلَّةِ رِيمِ

صَفَرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا وَرَذَعُ سَقِيمِ

قال فحنت على ركبتيها وأقبلت تحرش الأرض بمحجتها وأنشأت تقول

قَفِي يَا أَمِيمُ الْقَلْبَ نَقْرًا تَحِيَّةً وَنَشْكُوا الْهُوَى ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَا لَكَ
فَلَوْ قُلْتُ طَأْفِي النَّارِ اعْلَمُ أَنَّهُ هُوَى لَكَ أَوْ مَذْنُ لَنَا مِنْ وَصَالِكَ
لَقَدَّمْتُ رَجُلِي نَحْوَهَا فَوَطَّئْتُهَا هُدًى مِنْكَ لِي أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ
سَلَى الْبَانَةُ الْعَلِيَاءُ بِالْأَجْرَعِ الَّذِي بِهِ الْبَانُ هَلْ حَيْثُ أُطْلَلُ دَارِكَ
وَهَلْ قُمْتُ فِي أَطْلَالِهَا عَشِيَّةً مَقَامِ أَخِي الْبِأَسَاءِ وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ
لِيَهْنُوكَ إِمْسَاكِي بِكَفِي عَلَى الْحَشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي خَشْيَةً مِنْ زِيَالِكَ

قال الأصمعي فأظلمت والله على الدنيا بحلاوة منطقتها وفصاحة لهجتها فدنوت منها فقلت أنشدتك الله لما زدني من هذا فرأيت الضحك في عيناها وأنشدت

وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يُخْفَيْنَ زُرْتَنَا يُسَحِّبْنَ أَذْيَالَ الصَّبَابَةِ وَالشُّكْلِ
جَمَعْنَ الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَمْلَكَتَهُ تَزَعْنَ وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ
مَرِيضَاتٍ رَجَعِ الطَّرْفِ خُرُسٍ عَنِ الْخَنَا

تَأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بَلَا بَذَلِ

مَوَارِقُ مِنْ خَتْلِ الْمَحَبِّ عَوَاطِفُ بَحْتَلِ ذَوِي الْأَلْبَابِ بِالْجِدِّ وَالْهَزْلِ
يُعَنِّفُنِي الْعَذَالُ فِيهِنَّ وَالْهَوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أَطِيعَ ذَوِي الْعَذْلِ

[قال المرتضي] رضى الله عنه أما قول الأنصاري - وقصيرة الأيام - فأراد بذلك

أن السرور يتكامل بحضورها لحسنها وطيب حديثها فنقص أيام جلوسها لأن أيام السرور موصوفة بالقصر . . ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضاً حداثة سنّها وقرب عهد مولدها وإن كان الأول أشبه بما أتى في آخر البيت . . ومعنى - لو باع تجاسها بفقد حميم - أي ابتاعه وهذا اللفظ من الاضداد لأنه يستعمل في البائس والمشتري معاً . . قال الفراء سمعت امرأياً يقول بيع لي تمرأ بدرهم أي اشتري تمرأ . . وقال كثير

فَيَالَيْتَ عَزُّ النَّأْيِ إِذْ حَالَ يَبْنُنَا وَيَبْنُنُكَ بَاعَ الْوَدِّ لِي مِنْكَ تَاجِرُ^(١)
أي ابتاع . . وقوله - من مخذيات أخي الهوى - أي معطيات يقال أخذت الرجل من

(١) وقبه

بليلى وجارات ليلي كأنها نعاज الملا تحدى بهن الاباعر
أمنقطع ياعز ماكان بيننا وشاجرني ياعز فيك الشواجر
إذا قيل هذا بيت عزة قاذي اليه الهوى وامتعجلتني البوادر
أصدوبى مثل الجنون لكي يري رواة الخنا أنى لبيتك هاجر
ألا ليت حظي منك ياعز اتني إذا بذت باع الصبر لي عنك تاجر

وهذه الرواية في البيت الأخير أشهر من تلك

الغنيمة أحذيه إحداء إذا أعطيته والاسم الحذوة والحذيا والحذبة كل ذلك المعطية
 ٠٠ وقوله - كأنما خفر الحياء بها رداع سقيم - فالرداع هو الوجع في الجسد فكأنه
 أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم أو يريد تغير لونها وصفرته من
 الحياء كما يتغير لون السقيم ويجري مجرى قول ليلي الأخيلية

وَمُخَرَّقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا
 حَتَّى إِذَا خَفَقَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ تَحْتَ اللَّوَاءِ عَلَى الْخَمِيسِ زَعِيمًا

أخبرنا المبرزاني قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي قال حدثني ميمون بن هارون
 الكاتب قال حدثنا ابن أخي الأصمعي عن عمه قال لقيت اعرابياً بالبادية فاسترشدته
 الى مكان فأرشدني وأنشدني

لَيْسَ الْعَمَى طُولُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا

تَمَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ^(١)

فرجعت الى البصرة فكشفت بها حيناً ثم قدمت البادية فاذا بالاعرابي جالساً بين ظهراني
 قوم وهو يقضى بينهم فما رأيت قضية أخطأت قضية الصالحين من أفضيته فجلست اليه
 فقلت يرحمك الله أما من رشوة أمأ من هدية أمأ من صلة فقال لا اذا جاء هذا ذهب
 التوفيق فشكوت اليه ما ألقى من غذل حليلة لي إياي في طلب المعيشة فقال لست فيها
 بأوحد وإني لشريكك ولقد قلت في ذلك شعراً قلت أنشدني فأنشدني

بَاتَتْ تُعَيِّرُنِي الْإِقْتَارَ وَالْعَدَمَا لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمَالَ وَالْخَدَمَا
 عُنْفُ لِرَأْيِكَ مَا الْأَزْزَاقُ مِنْ جَلَدٍ وَلَا مِنْ الْعَجْزِ بَلْ مَقْسُومَةٌ قَسَمَا

(١) وروي

شفاء الدمي حسن السؤال وإنما يطيل العمي طول السكوت على الجهل
 فكان سائلاً عما عناك فانما خلقت أخوا عقل لتسأل بالعقل

وهما للرياشي النحوي

يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَدْعُ طَلَبًا
فَكُلُّ ذَلِكَ بِالْإِجْمَالِ فِي طَلَبِ
لَوْ كَانَ مِنْ جِلْدِ ذَا الْمَالِ أَوْ أَدَبِ
إِرْضَى مِنَ الْعَيْشِ مَا لَمْ تَحْجُجِي مَعَهُ
وَاسْتَشْعِرِي الصَّبْرَ عَلَى اللَّهِ خَالِقِنَا
لَا تَحْجُجِينِي إِلَى مَا لَوْ بَدَلْتُ لَهُ
بِاللَّهِ سِرًّا أَنْ اللَّهَ خَوْلَنِي
مَا سَرَّنِي أَنِّي خَوْلْتُ ذَاكَ وَلَا
وَأَنِّي لَمْ أَفِذْ عَقْلًا وَلَا أَدَبًا
فَعَسْرَةُ الْمَرْءِ أُخْرَى فِي مَعَاشِكَ مِنْ
لِلرِّزْقِ قَدْ تَعْلَمِينَ الشَّرْقَ وَالشَّامَا
لَمْ أُرْزَعْ عِرْضًا وَلَمْ أَسْفِكْ لَذَاكَ دَمًا
لَكُنْتُ أَكْثَرُ مِنْ غُلِّ الْقُرَى نَعْمًا
أَنْ تَفْتَحِي لِسُؤَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَمَا
يَوْمًا سَيَكْشِفُ عَنْكَ الضَّرَّ وَالْعَدَمَا
نَفْسِي لَا عَقَبَكَ التَّهْمَامَ وَالنَّدَمَا
مَا كَانَ خَوْلُهُ الْأَعْرَابَ وَالْعَجَمَا
أَنْ لَا أَقُولَ لِبَاغِي حَاجَةً نَعْمًا
وَلَا أُرِثُ وَالِدِي مَجْدًا وَلَا كَرَمًا
أَمْرٍ يَجْرُ عَلَيْكَ الْهَمُّ وَالْأَلَمَا

قال فوالله ما أنشدتها حتى حلفت أن لا تعذلي أبداً . . أخبرنا علي بن محمد الكاتب
قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال رأيت
بقباء شاباً من بني عامر ما رأيت بدويّاً أفصح منه ولا أطرف فوالله كأنه شواظ بتناظري
فاستنشدته فأنشدني

فَلَمْ أَنْسَكُمُ يَوْمَ اللَّوِيِّ إِذْ تَعَرَّضْتُ
فَقَالَتْ سَأُنْسِيكَ الْعَشِيَّةَ مَا مَضَى
فَمَا فَعَلْتُ لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ
أَبَتْ سَابِقَاتُ الْحُبِّ إِلَّا مَقَرَّهَا
هُوَ الَّذِي فِي النَّفْسِ أَمْسَى دَخِيلَهَا
لَنَا أُمُّ طِفْلٍ خَاذِلٍ قَدْ تَجَلَّتْ
وَأَصْرَفُ مِنْكَ النَّفْسَ عَمَّا أَحَبَّتْ
عَلَى مَا بَدَأَ مِنْ حُسْنِهَا إِذَا أَدَلَّتْ
إِلَيْكَ وَمَا يَثْنِي إِذَا مَا اسْتَقَرَّتْ
عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَحْشَاؤُهَا وَاسْتَمَرَّتْ

وَأُنْشِدْنِي أَيْضاً

دِيَارٌ لَّائِي طَرَقَتْكَ وَهْنًا بَرِيًّا رَوْضَةً وَذَكَاءَ رَنْدٍ
تُسَائِلُنِي وَأَصْحَابِي هُجُودٌ وَتَتْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ
فَلَمَّا أَنْ شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ فَإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كَانَ وَجْدِي
وَلَكِنْ حَالُ دُونِكَ ذُو شَذَاةٍ أُسْرٌ بِفَقْدِهِ وَيَهْرٌ فَقْدِي

معنى - يهر - يكره . . . وبهذا الاسناد قال الأصمعي قعدت الى اعرابي يقال له اسمعيل ابن عمار واذا هو يقتل أصابعه ويتلف فقلت له علام تتلف فأنشأ يقول

عَيْنَايَ مَشُومَتَانِ وَيَحْمُهُمَا وَالْقَلْبُ حَرَّانُ مُبْتَلَى بِهِمَا
عَرَفْتَانِي الْهُوَى بِظُلْمِهِمَا يَالَيْتَنِي قَبْلَهُ عَدَمْتُهُمَا
هُمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهُمَا دَلَّ عَلَى مَا أَجْنُ دَمَعُهُمَا
سَاءَ عَذْرُ الْقَلْبِ فِي هَوَاهُ فَمَا سَبَّبَ هَذَا الْبَلَاءَ غَيْرُهُمَا

وبهذا الاسناد عن الأصمعي قال نزلت ليلة في وادي بني العنبر وهو إذ ذاك غان بأهله أي أهلها فاذا فتية يريدون البصرة فأحببت محبتهم فأقمت ليلتي تلك عابهم وإني لو صب محبوم أخاف أن لا أستمسك على راحتي فلما أقاموا لي رحلوا أيقضوني فلما رأوا حالي رحلوا لي وحملوني وركب أحدهم ورائي بمسكني فلما أمعنوا السير تنادوا الا فتني يحدو بنا أو ينشدنا فاذا منشد في سواد الليل بصوت ند حزين ينشد

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أَمُتْ خُفَاتًا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورٌ
غَدَاةَ الْمُتَقَى إِذْ رُمِيتُ بِنَظَرَةٍ وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ
فَقَلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهُوَى وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُبَرِّ يَطِيرُ
فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضِ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْكَ شُهُورُ

وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحِبَّةِ دُونَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَارِحٌ وَمَسِيرٌ

وَأَصْبَحْتُ نَجْدِيَّ الْهَوَى مُتَمِّمِ الثَّوَى

أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَجِنَّ بَعِيرٌ

عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسْعِفَ النَّوَى

وَيَجْمَعُ شَمْلَهُ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال فسكنت والله عني الحمى حتى ما أحس بها فقلت لرفيقي انزل برحمتك الله الى راحتك فاني متماسك وجزاك الله عن الصحبة خيراً .. أخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي قال كان بالبصرة اصراحي من بني تميم يتطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل ولا وضع الطعام إلا ليؤكل وما قدمت هدية فأتوقع رسولاً وما أكره أن أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراه شحيحاً بخيلاً أتقهم عليه مستأنساً وأضحك اذا رأيته عابساً فأكل برغمه وأدعه بهممه وما اخترق اللهوات طعاماً أطيب من طعام لم ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم^(١) وأنشأ يقول

كُلُّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرَصَةِ الْحَيِّ أَشْمُ الْقَتَارِ شَمَّ الذَّبَابِ

(١) وروى من غير هذا الوجه عن المبرد قال كان بالبصرة طفيلي مشهور وكان ذا أدب وظرف فمر بسكة النخع بالبصرة على قوم عندهم وليمة فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعى فانكره صاحب المنزل فقالوا له لو تأنيت أو صبرت ياهذا قبل الدخول حتى يؤذن لك كان أحسن لادبك وأعظم لقدرك وأجل لمروءتك فقال إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها ووضع الموائد ليؤكل عليها والحشمة قطيعة وأطراحها صالة وجاء في الآثار صل من قطعك واعط من منعك وأحسن الي من أساء اليك

فَإِذَا مَا رَأَيْتُ آثارَ عُرْسٍ أَوْ خِتَانٍ أَوْ مَجْمَعِ الْأَصْحَابِ
لَا أُورِّعُ دُونَ التَّقَحُّمِ لِأَزْ هَبْ دَفْعًا وَلَكِرْزَةَ الْبَوَّابِ
مُسْتَهِينًا مِمَّا هَجَمْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابِ
فَقَرَّانِي أَلْفُ مَا قَدَّمَ الْقَوُ مٌ عَلَي رَغْمِهِمْ كَلَفَ الْعُقَابِ
ذَلِكَ أَذْنِي مِنَ التَّكْلِفِ وَالْفُرْ مٍ وَغَيْظِ الْبِقَالِ وَالْقَصَابِ

مجلس آخر ٣٨ ❦

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (ونادى نوحٌ ربه فقال رب إن ابني من أهلي) الى قوله (أن تكون من الجاهلين) ٠٠ فقال ظاهر قوله تعالى (إنه ليس من أهلك) يقتضى تكذيب قوله عليه السلام انه من أهلي فالنبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف يصح أن يخبر عن ابنه انه عمل غير صالح وما المراد به ٠٠ الجواب قلنا في هذه الآية وجوه ٠٠ أحدها أن نفيه لان يكون من أهله لم يتناول اني النسب وانما اني أن يكون من أهله الذين وعد بنجاتهم لانه عز وجل كان وعد نوحاً عليه السلام بان ينجي أهله ألا ترى الى قوله تعالى (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول) فاستثنى تعالى من أهله من أراد اهلاكه بالفرق ويدل عليه أيضاً قول نوح عليه السلام (ان ابني من أهلي وان وعدك الحق) وعلى هذا الوجه يتطابق الخبران ولا يتناقبان وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجاعة من المفسرين ٠٠ والجواب الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى (ليس من أهلك) اى انه ليس على دينك وأراد انه كان كافراً مخالفاً لأبيه وكأن كفره أخرجه من أن يكون له أحكام أهله ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى على طريق التعايل انه عمل

غير صالح فبتين تعالى انه انما خرج من أحكام أهله لكفره وسوء عمله وقد روي هذا التأويل أيضاً عن جماعة من المفسرين وحكى عن ابن جريج انه سئل عن ابن نوح فسمع طويلاً ثم قال لا اله الا الله يقول الله ونادى نوح ابنه ويقول ليس منه ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن ٠٠ وروى عن عكرمة انه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفاً له في النية والعمل فمن ثم قيل انه ليس من أهلك ٠٠ والوجه الثالث انه لم يكن ابنه على الحقيقة وانما ولد على فراشه فقال عليه السلام ان ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى ان الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته وليس في ذلك تكذيب خبره لانه انما خبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي فأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره ٠٠ وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى نوح ابنه فقال لعمر الله ما هو ابنه فقلت يا أبا سعيد يقول الله تعالى ونادى نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال أفرأيت قوله ليس من أهلك قال قلت معناه انه ليس من أهلك الذين وعدتك ان أنجيهم معك ولا يختلف أهل الكتاب انه ابنه فقال أهل الكتاب يكذبون ٠٠ وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك ٠٠ وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن لانه قال تعالى (ونادى نوح ابنه) فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضاً استثناء من جملة أهله بقوله تعالى (وأهلك إلا من سبق عليه القول) ولان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعر وتشين وتغض من القدر وقد جذب الله تعالى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيماً لهم وتوقيراً ونفيّاً لكل ما ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على ان تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط نختائهما على ان الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت احدهما تخبر الناس بانه مجنون والاخرى تدل على الأضياف والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان ٠٠ فأما قوله تعالى (انه عمل غير صالح) فالقراءة المشهورة بالرفع ٠٠ وقد روى عن جماعة من المتقدمين انهم قرؤوا انه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر الميم ونصب غير ولكل وجه ٠٠ فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير ان ابنك ذو عمل غير صالح وما يستعمل غير صالح فحذفه

المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء
 ما أُمُّ سَقَبٍ عليَّ بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ قد ساعدتها على التَّحْنَانِ أَظَارُ
 نَزَعٌ مَارَتِمْ حَتَّى إِذَا ذَكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ

أرادت انما هي ذات اقبال وادبار .. وقال قوم ان المعنى أصل ابنك هذا الذي ولد على فراشك وليس بابنك على الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك .. وقال آخرون الهاء في قوله تعالى (انه عمل غير صالح) راجعة الى السؤال والمعنى ان سؤالك إياي ما ليس لك به علم انه عمل غير صالح لانه قد وقع من نوح ذلك السؤال والرغبة في قوله عليه الصلاة والسلام (رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق) ومعنى ذلك نجه كما نجيهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول ان ذلك صغيرة من النبي لأن الصغيرة جائزة عليهم ومن يمنع أن يقع من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة الى السؤال بل الى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم .. فاذا قيل له لم قال تعالى (لا تسألني ما ليس لك به علم) فكيف قال نوح عليه الصلاة والسلام من بعد (رب اني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) .. قال لا يمتنع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه لم يكن يعوذ عليه الصلاة والسلام من ذلك وان لم يواقعه ألا ترى ان الله تعالى قد نهى نبيه عليه الصلاة والسلام عن الشرك والكفر وان لم يكن ذلك وقع منه فقال تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) وكذلك لا يمتنع أن يكون نهاء في هذا الموضع عما لم يقع ويكون عليه الصلاة والسلام انما سأل نوحاً ابنه باشرط المصلحة لا على سبيل القطع وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء .. فأما القراءة بالنصب فقد ضاعفها قوم وقالوا كان يجب أن يقال انه عمل عملا غير صالح لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن حتى تقول عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في العربية لأن من مذهبهم الظاهر اقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال الابس فيقول القائل قد فعلت صواباً وقلت حسناً بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت قولاً حسناً .. وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

أَيُّهَا الْقَاتِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ آخِرِ النَّصَحِ وَأَقْلَنِّ عِتَابِي

وَقَالَ أَيْضاً

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلَقٍ رَهْنًا إِذَا ضَمَّهُ مِنِّي
وَمِنْ مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ

إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالْدُمِيِّ^(١)

وَأَنشَدَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لِرَجُلٍ مِنْ بَحِيلَةَ

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُتَّكِثِ الْقُوَى

مَا بِنَ لَهُ تَقْضٌ وَلَا إِبْرَامُ

مَالَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا فَعَلَيْهِ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ رُكَامُ

وَمُشِيعَ جَلَدٍ أَمِينٍ حَازِمٍ مَرَسَ لَهُ فِيمَا يَرُومُ مَرَامُ

أَغْمَى عَلَيْهِ سَبِيلُهُ فَكَأَنَّهُ فِيمَا يُجَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ

أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْبَزْزَدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ

(١) وَقَبْلَ الْبَيْتَيْنِ

فَلَمْ أَرَ كَالْتَجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاطِرٍ وَلَا كَالْبَالِ الْحَجِّ أَفْتَنَ ذَاهَوِي

وَبَعْدَهُمَا

يَسْجَعِينَ إِذْيَالِ الْمَرْوُطِ بِأَسْوَاقِ خُدَالٍ وَأَعْجَازِ مَا كَمَهَا رَوِي

وَسَبَبُ هَذِهِ الْآبِيَاتِ أَنَّ أُمَّ عَمْرٍو بِنْتَ مَرْوَانَ حَجَّجَتْ فَلَمَّا قَضَتْ نَسَكَهَا أَتَتْ عَمْرَ
ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ وَقَدْ أَخْفَتَ نَفْسَهَا فِي نِسَاءِ خِفَافَتِهِ ثُمَّ انْصَرَفَتْ وَعَادَتْ إِلَيْهِ مِنْصَرَفَهَا مِنْ
عَرَافَاتٍ وَقَدْ أَتَبَتْهَا فَقَالَتْ لَهُ لَا تَذْكُرْنِي فِي شَعْرِكَ وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ فَقَبِلَهَا وَاشْتَرَى
بِهَا ثِيَابًا مِنْ ثِيَابِ الْبَحْنِ وَطَيَّبَهَا فَأَهْدَاهَا إِلَيْهَا فَرَدَّتْهُ فَقَالَ إِذَا وَاللَّهِ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ
مَشْهُورًا فَقَبِلَتْهُ

مرون قال حدثنا اسحق بن ابراهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب
بفني العسكر يميل الى الأصمعي ويفضله ويقوم بأمره قال فجئته يوماً بعد موت محمد
وعنده عبد كان لمحمد أسود وقد ترك الناس وأقبل عليه وسأله وتحنى به وحادثه فلما
خرج لئنه على ذلك وقلت من هذا حتى أفيت عمر يومك به فقال هذا غلام ابن
منصور ثم أنشدني

وَقَالُوا يَا جَمِيلُ أَتَى أَخُوها قَقْلْتُ أَتَى الْحَبِيبَ أَخُو الْحَبِيبِ
أَحْبَبُكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدُ لِأَن نَاسَبْتَ بَثْنَةً مِنْ قَرِيبِ

فقلت له وكنت أفعل هذا كثيراً به لاستعجر كلامه وعلمه يا أبا سعيد ذلك أخوها وهذا
غلامه فضحك وقال أنشد أبو عمرو أوقال غيره

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ أَوْطَنْتَهَا وَإِنْ خَلْتُ لَهَا حِجَجٌ تَنْدِي بِمَسْكٍ تُرَابُهَا
حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبْعاً لَهَا ذِئَابَ الْفَضَى حَنَّتْ إِلَيَّ ذِئَابُهَا

قال فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه واجادة حفظه له متى أراد . . . وبهذا الاسناد
عن اسحق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس فلما بلغت الى هذا البيت
أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بَرَوْضِ الشَّرَى عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ

فقال لي أتعرف في هذا البيت خبئاً باطناً غير ظاهر قلت لافسكت عني فقلت ان كان
فيه شيء فافدينه قال نعم أما يدلك البيت على انه لفظ ملك مستهين ذي قدرة على ما يرد
قال اسحق وما رأيت قط مثل الأصمعي في العلم بالشعر . . . وروى عن اسحق أيضاً
انه قال قال لي الأصمعي ما يعنى امرؤ القيس بقوله

فَمِثْلِكَ حَبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَمَرَضِيعِ

فَأَلَيْتَهَا عَنْ ذِي تَمَائِمَ مَحْوَلِ

فقلت تخبرني فقل كان مفركاً فيقول أليت هؤلاء عن كراهتهم للرجال فكيف انا عند
المحبات لهم . . . وروى ان السبب الذي هاج التنافر بين الأصمعي وابن الاصرابي ان

الأصمعي دخل يوماً على سعيد بن سلم وابن الأعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم
أنشد أبا سعيد فأنشد الغلام أبياتاً لرجل من بني كلاب رواه إياها ابن الأعرابي
رَأَتْ نِضْوَ أَسْفَارٍ أَمِيمَةً شَاحِبًا عَلَى نِضْوِ أَسْفَارٍ فَجُنَّ جُنُونُهَا
فَقَالَتْ مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنْ

فإنك راعي صُرْمَةٍ لَا يَزِينُهَا

قُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشُّوْبُ عَلَيَّ الْفَتَى بَعَارٌ وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ سَمِينُهَا
عَلَيْكَ بِرَاعِي ثَلَّةٍ مُسَلَّحَةٍ بِرُوحٍ عَلَيْهِ مَخْضُهَا وَحَقِينُهَا
سَمِينُ الضَّوْاحِي لَمْ تُوْرِقْهُ لَيْلَةً وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعَوْنُهَا

ورفع ليلة فقال له الأصمعي من رؤاك هذا فقال مؤدبي فأحضره فاستنشدته فأنشده
ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال إنما أراد أنه لم تورقه ليلة أبكار الهموم
وعونها وأنعم أي زاد على هذه الصفة . . وقوله - سمين الضواحي - أي مظهر منه وبدا
سمين ثم قال الأصمعي لابن سلم من لم يحسن هذا المقدار فليس بموضع لتأديب ولد الملوك
. . وأخبرنا المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا
الأصمعي قال ولد بشار بن برد أكمه لم ينظر إلى الدنيا قط وكان ذا فطنة وذكاة فقلت
له يوماً من أين لك هذا الذكاة قال من قدم العمى وعدم المناظر يمنع من كثير من
الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن وصحة الذكاة وأنشد لنفسه يفخر بالعمى

عَمِيتُ جَنِينًا وَالذَّكَاءُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْثَلًا
وَعَاظَ ضِيَاءُ الْعَيْنِ لِلْعَقْلِ رَافِدًا بِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا
وَشِعْرِ كَنُوزِ الرِّوَضِ لَا أَمْتُ بَيْنَهُ

بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَخْزَنَ الشَّعْرُ أَسْهَلًا

وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا

الْأَصْمَى قَالَ أَنشد رجل وأنا حاضرٌ بشاراً قول الشاعر

وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنٌ وَعُيُونُ
أَلَا إِنَّمَا لِي عَصِي خَيْرٌ رَأَيْتُهُ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ

فقال بشار والله لو جعلها عصي مخ أو زبد لما كان إلا مخطئاً مع ذكر المعنى ألا قال كما قلت

وَحَوْرَاءُ الْمَدَامِيعِ مِنْ مَعَدٍّ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْجُمَانِ
إِذَا قَامَتْ لِسَبْحَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ قَوَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَانِ
يُنْسِيكَ الْمُنَى نَظْرُهَا إِلَيْهَا وَيَصْرِفُ وَجْهَهَا وَجْهَ الزَّمَانِ

•• وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن شبة قال قال لي أبو عبيدة رحل بشار إلى الشام فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقبلاً بمران فقال فيه قصيدة طويلة أوها

نَأْتِكَ عَلَى طَوْلِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ وَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النَّوَى سَوْفَ يَشْعَبُ
وكان سليمان بخيلاً قاعطاه خمسة آلاف درهم ولم يصب غيرها بعد أن طال مقامه فقال
إِنْ أَمْسَ مِنْشَبَجَ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى

وَعَنِ الْعَدُوِّ نَجَسُ الشَّيْطَانِ

فَلَقَدْ أَرْوَحُ عَلَى اللَّثَامِ مُسَلِّطًا تَلَجَّ الْمَقَامَ مِنْمَمِ النَّذَمَانِ
فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ تَنْدَى يَدِي وَيَخَافُ فَرْطُ لِسَانِي
أَزْمَانِ سِرْبَالِ الشَّبَابِ مُذِلُّ وَإِذِ الْأَمِيرُ عَلِيٌّ مِنْ حَرَّانِ
رِثْمٌ بِأَحْوِيَةِ الْعِرَاقِ إِذَا بَدَأَ بَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكَلَةُ الْمَرْجَانِ
فَاكْحَلِ بَعْدَةَ مَقْلَتِكَ مِنَ الْقَدَى وَبَوْشَكَ رُؤْيِيهَا مِنَ الْهَمَلَانِ

فَلَقَرُبُّ مَنْ تَهَوَّى وَأَنْتَ مُتِمٌّ أَشْفَى لِدَاثِكَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ

فلما رجع الى العراق بره ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدهحه
قيساً وافتخاره بها فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه . . وأخبرنا المرزباني قال
حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأصمعي
ما وصف أحدهم الثغر إلا احتاج الى قول بشر بن أبي خازم

يُفَلِّجَنَّ الشِّفَاةَ عَنْ أَقْحَوَانٍ جَلَاهُ غِبٌّ سَارِيَةٍ قِطَارُ

ولا وصف أحدهم اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحَيَّرَ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ
شَفَّ عَنْهَا مُحَقَّقٌ جُنْدُبِي فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ

ولا وصف أحدهم عيني امرأة إلا احتاج الى قول ابن الرقاع
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأْسِي قَدْ بَدَا فِيهِ الْمَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ
فَكَأَنَّهَا وَسَطَ النِّسَاءِ أَعَارَهَا عَيْنِيهِ أَحْوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَاسِمِ
وَسَنَانُ أَفْصَدَهُ النَّعَاسُ فَرَّقَتْ فِي عَيْنِهِ سِنُهُ وَلَيْسَ بِنَائِمِ

ولا وصف أحدهم نجيباً إلا احتاج الى قول حميد بن ثور
مُحَلَّى بِأَطْوَاقٍ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الضَّأْنِ لَوْ يَتَقَوَّفُ

ولا وصف أحدهم ظالماً إلا احتاج الى قول علقمة بن عبدة
هَيْقُ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُ بَيْتٌ أَطَافَتْ بِهِ خِرْقَاهُ مَهْجُومُ

ولا اعتذر أحد إلا احتاج الى قول النابغة
فَأَنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَنَائِي عَنْكَ وَاسِعُ

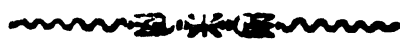
[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . أما قول حميد - محلى بأطواق عتاق - فانه
يريد أن عليه نجار الكرم والعنق فصارت دلالتهما وسماتهما حلية من حيث كان موسوماً

بهما ٠٠ ومعنى - يدينها على الضراء - يدينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم انه كريم -
 والتخوف - من القيافة ٠٠ فأما قول علقمة هيق - فالهيق - ذكر النعام ٠٠ ومعنى -
 أطافت به خرقاء - أى عملته وابتنه وقبل ان خرقاء ههنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة
 تستعمل على سبيل الاضداد في الحاذقة وغير الحاذقة ٠٠ ومعنى - مهجوم - أي مهدوم ٠٠
 وقال الأصمعي معنى أطافت به عملته فخرقت في عمله يقول قد أرسل جناحيه كأنه خباء
 امرأة خرقاء كلما رفعت ناحية استرخت ناحية أخرى والوجه الثاني أشبه وأملح ٠٠ فأما
 قول بشر بن أبي خازم في وصف الثغر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء للمعنى قول النابغة

كَأَلَا فُحْوَانٍ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِ

فأما وصف أعاليه بالجفوف ليكون متفرقاً متضدّاً غير متلبّد ولا مجتمع فيشبهه حيائد
 الثغور ٠٠ ثم قال وأسفله ندر حتى لا يكون حقلاً يابساً بل يكون فيه الغضاضة والصقالة
 فيشبهه غروب الاسنان التي تلمع وتبرق ٠٠ وروى الرياشي قال سمعت الأصمعي يقول
 أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذي الرمة

وَتَجَلَّوْا بِفَرْعٍ مِنْ أَرَاكِ كَأَنَّهُ مِنْ الْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ وَالْمَسْكِ يَنْضَحُ
 ذُرَى أَفْحْوَانٍ وَاجَهَ اللَّيْلَ وَارْتَقَى إِلَيْهِ النَّدَى مِنْ رَامَةِ الْمَتَرَوِّحِ
 هِجَانُ الشَّيَا مُغْرِبًا لَوْ تَبَسَّمْتَ لِأَخْرَسَ عَنْهُ كَادَ بِالْقَوْلِ يُفْصَحُ



— مجلس آخر ٣٩ —

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى (فلا تعجبك أوالهم ولا
 أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزحق أنفسهم وهم كافرون) ٠٠ فقال
 كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة وأما تأويل قوله تعالى
 (وهم كافرون) فظاهره يقتضى انه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزحق أنفسهم في

حال كفرهم لأن القائل اذا قال أريد أن يلقياني فلان وهو لابس أو على صفة كذا وكذا فالظاهر انه اراد كونه على تلك الصفة . . الجواب قلنا أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه . . أولها ما روى عن ابن عباس وقتادة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا يعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد على ذلك بقوله تعالى (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون) . . وأنشد في ذلك قول الشاعر

عشيّة أبدت جيد أدماء مغزلٍ وطرفاً يريك الائتد الجون أحورا

يريد وطرفاً أحور يريك الائتد الجون وقد اعتمد على هذا الوجه أيضاً أبو علي قطرب وذكره أبو القاسم البلخي والزجاج . . وثانها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم وفي ذلك لا محالة إيلاء لهم واستخفاف بهم وانما أراد الله تعالى بذلك اعلام نبيه صلى الله عليه وآله والمؤمنين انه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الدائمة الي ذلك وانهم مع هذه الحالة معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب أن يغبطوا بها ويحسدوا عليها اذ كانت هذه عاجلتهم والعقاب الأليم في النار آجلتهم وهذا جواب أبي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال كيف يصح هذا التأويل مع اننا نجد كثيراً من الكفار لا تسالهم أيدي المسلمين ولا يقدررون على غنيمة أموالهم ونجد أهل الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشئ لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن أوجب الله تعالى محاربتهم فأما الذين هم بحيث لا تسالهم الا أيدي أو هم من القوة على حد لا يتم معه غنيمة أموالهم فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يسبي ويفنم ويجهاد ويغلب وان لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذر دلالة على انه غير مراد . . وثالثها أن يكون المراد بتعذيبهم

بذلك كلما يدخله في الدنيا عليهم من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافيين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع ويجوز أيضاً أن يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره واقطاع التكليف عنه مع أنه حي من العذاب الدائم الذي قد أعد له واعلامه أنه صائر إليه أو منتهق إلى قراره وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره أبو علي الجبائي أيضاً . . . ورابعها جواب يحكى عن الحسن واختاره الطبري وقدمه على غيره وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً . . . [قال الشريف المرتضي] رحمه الله وهذا وجه غير صحيح لأن الوجه في تكليف الكافر اخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ومحال أن يكون إنما كلف اخراج هذه الحقوق على سبيل العذاب والجزاء لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة والاعطف في التكليف ولا يجري ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصائب والغموم تكون للمؤمنين محنة وللكافرين عقوبة لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنهما للعقوبة والمحنة جميعاً ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد وهو المصلحة في الدين فاقترن الأمران وليس لهم أن يقولوا ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على سبيل التكره والاستئفال وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكرناه وخرج الأمر من أن يكون مراداً لله تعالى لأنه جل وعز ما أراد منهم اخراج المال على هذا الوجه بل على الوجه الذي هو طاعة وقربة فإذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك فكيف يقول إنما يريد الله ليعذبهم بها ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريد الله تعالى . . . [قال الشريف] رحمه الله وجميع هذه الوجوه التي حكيناها في الآية إلا جواب التقديم والتأخير مبينة على أن الحياة الدنيا طوق للعذاب فيحمل كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ويطلق ذلك وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم يجعل الحياة نظراً للعذاب بل جعلناها ظراً فاللفعل

الواقع بالأموال والأولاد المتعاق بهما لا لنا قد علمنا أولاً ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره لأن الأموال والأولاد نفسها لا تكون غذاءاً والمراد على سائر وجوه التأويل المتعاق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها والمصيبة بها والغم عليها أو اباحة غنيمتها واخراجها عن أيدي مالكيها فكان تقدير الآية انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعاق بأموالهم وأولادهم ويتصل بها فإذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله تعالى وتسخطه كافقهم الأموال في وجوه المعاصي وحماهم الأولاد على الكفر وإلزامهم الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعلهم في أموالهم وأولادهم الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا وهذا وجه ظاهر يغنى عن التقديم والتأخير وسائر ما ذكره من الوجوه . . فاما قوله تعالى (وتزهق أنفسهم) فعناه تبطل وتخرج أى انهم يموتون على الكفر وليس يجب اذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال نفسها على ما ظنوه لأن الواحد منا قد يأمر غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البني وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون ولا يكون مريداً لحرب أهل البني للمؤمنين وان أراد قتالهم على هذه الحالة وكذلك قد يقول لعلامه أريد أن تواظب على المصير الى في السجن وأنا محبوس وللعطيب صر الى ولازمني وأنا مريض وهو لا يريد المرض ولا الحبس وان كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين . . وقد ذكر في ذلك وجه آخر على أن لا يكون قوله (وهم كافرون) حالا لزهوق أنفسهم بل يكون ذلك كأنه كلام مستأنف والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائرون الى النار وتكون الفائدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ويكون معنى تزهق أنفسهم على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلفة الصعبة كما يقال ضربت فلاناً حتى مات وتلفت نفسه وأخرجت روحه وما أشبه ذلك

[قال الشريف] رضى الله عنه ذاكرنى قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين

وطبقاتهم وانتهوا الى مروان بن يحيى بن أبي حفصة فأفرط بعضهم فى وصفه وتقريره

وتفضيله وآخرون في ذمه وتهجينه والازراء على شعره وطريقته واستخبروا عما اعتقده فيه فقلت لهم كان مروان منساوي الكلام متشابه الألفاظ غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت النظائر في شعره ومدائح مكررة الألفاظ والمعاني وهو غزير الشعر قليل المعنى الا انه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق وهو أشعر من كثير من أهل زمانه وأشعر شعراء أهله ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني وحسن الألفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار بن برد في الأبيات النادرة السائرة فكأنه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما شديداً ولا منعط عنهما بعيداً وكان اسحق بن ابراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم وكذلك أبو عمرو الشيباني وكان الأصمعي يقول مروان مؤلد وليس له علم باللغة واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم في التنبيه على معانيه وبحسب ما يستنبطونه من مذاهبه وطرائقه فسئلت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع الى من شعره وأنبه على سرقاته ونظائر شعره وان أملى ذلك في خلال المجالس وأنشأها • فما يختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدي أولها

أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ أَجَلَ وَاسْتَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ الْبَوَائِدُ
بقول فيها

تَذَكَّرْتُ مِنْ تَهْوَى فَأَبْكََاكَ ذِكْرُهُ

فَلَا الذِّكْرُ مَنَسِيٌّ وَلَا الدَّمْعُ جَامِدُ

تَحْنُ وَيَأْبَى أَنْ يُسَاعِدَكَ الْهَوَى	وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِدُ
أَلَا طَالَمَا أَنْهَيْتَ دَمْعَكَ طَائِغاً	وَجَارَتْ عَلَيْكَ الْآنِسَاتُ النَّوَاهِدُ
تَذَكَّرْنَا أَبْصَارَهَا مَقْلُ الْمَهَا	وَاعْتَنَاقَهَا أَذْمُ الظُّبَاءِ الْعَوَاقِدُ
تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الْأَحَادِيثُ غَضَّةً	تَسَاقَطَ دُرٌّ اسْلَمَتْهُ الْمَعَاقِدُ

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَاذَبَتْ
يَمَانِيَّةٌ يَنَازَى الْقَرِيبُ مَحَلَّهُ
تَجَلَّى السَّرَى عَنْهَا وَلَاعِيسَ أُعِينُ
إِلَى مَلِكٍ يَنْدَى إِذَا يَبَسَ الثَّرَى
لَهُ فَوْقَ مَجْدِ النَّاسِ مَجْدَانِ مِنْهُمَا
وَاحَوَاضُ عِزٍّ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا
أَيَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَيْضٌ سَوَابِغُ
وَهُمْ يَعْدِلُونَ السَّمَكِ مِنْ قُبَّةِ الْهَدْيِ
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ وَإِنَّمَا
يَكُونُ غَرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ
كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا

بِنَا اللَّيْلِ خُوصٌ كَالْقِسِيِّ شَوَارِدُ
بِهِنَّ وَيَذْنُو الشَّاحِطُ الْمُتَبَاعِدُ
سَوَامٍ وَأَعْنَاقُ إِلَيْكَ قَوَاصِدُ
بِنَائِلٍ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ
طَرِيفٌ وَعَادِي الْجَرَائِمِ تَالِدُ
وَاحَوَاضُ عُزْفٍ لَيْسَ عَنْهُمْ ذَائِدُ
عَلَى كُلِّ قَوْمٍ نَادِيَاتٌ عَوَائِدُ
كَمَا تَعْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ
تَنْوِيصُ وَصُولَاتٍ الْأَكْفُ السَّوَاعِدُ
عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَافِدُ
لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ

[قال الشريف] رضو الله عنه .. أما قوله

تساقط منهن الأحاديث غضة تساقط دُرٌّ أسلمته المعاهد

فيكثر في الشعر وأظن أن الأصل فيه أبو حية النخري في قوله

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْأَحَادِيثُ لِلْفَتَى سَقُوطَ حَصِي الْمَرْجَانِ مِنْ سِلْكٍ نَازِمٍ^(١)

(١) وهو من أبيات أولها

وخبرك الواشون أن لن أحبكم
أصد وما الصد الذي تعلمينه
حياء وبقيا أن تشيع نعمة
فان دما لو تعلمين جنينه
أما إنه لو كان غيرك أرقلت
بلى وستور الله ذات المحارم
عزاء بكم إلا ابتلاع الملامم
بنا وبكم أف لأهل الخائم
على الحمي جاني مثله غير سالم
إليه القني بالراعات الهادم

وانما عني بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا يتأول قوله تعالى (يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ) ٠٠ ومثله قول الآخر

هِيَ الدُّرُّ مَشْهُورًا إِذَا مَا تَكَلَّمْتَ وَكَالدَّرِّ مَجْمُوعًا إِذَا لَمْ تَكَلِّمْ
٠٠ ومثله

مِنْ تَغْرِهَا الدُّرُّ النَّظِيرُ مُمْ وَلَفْظُهَا الدُّرُّ النَّبِيرُ

ونظيره قول البحتري وأحسن غاية الاحسان

وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّقَا مَوْعِدَ لَنَا تَعَجَّبَ رَائِي الدَّرَّ حُسْنًا وَلَا قِطْعَةً
فَمِنْ لُؤْلُؤٍ تَجَاوَهُ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الْحَدِيثِ تُسَا قِطْعَةً
ومثله قول الأخطل

خَلَوْتُ بِهَا وَسَجَفُ اللَّيْلِ مُلْقِي وَقَدْ اصْفَتَ إِلَى الْغَرْبِ النُّجُومُ
كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَبِيرُ وَرَوْنَقُ تَغْرِهَا دُرٌّ نَظِيمُ

ولغيره

تَبَسَّمتْ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَظِمًا وَحَدَّثَتْ فَرَأَيْتُ الدَّرَّ مُنْتَثِرًا

ولآخر

وَتُحْفَظُ لَأَمِنْ رِيَّةٍ يَحْدَرُونَهَا وَلَكِنَّهَا مِنْ أُغَيْنِ النَّاسِ تُحْفَظُ
وَتَلْفُظُ دُرًّا فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى وَلَمْ نَرِ دُرًّا قَبْلَ ذَلِكَ يُلْفَظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

أَظْهَرْنَ وَصَلًا إِذْ رَحِمْنَ مُتِيَمًا وَارَيْنَ هَجْرًا إِذْ خَشَيْنَ مُرَاقِبًا

ولكنه والله ما طل مسلماً كغر الثنايا واضحات الملائم

إذا من ساقطن الأحاديث للفق سقوط حصي المرجان من سلك ناظم

رمن فاقصدن القلوب ولا ترى دما ماثرا الأجوى في الحيازم

فَنَظَّمْنَ مِنْ دُرِّ الْمَبَاسِمِ جَامِدًا وَتَثَرْنَ مِنْ دُرِّ الْمَدَامِ مَعَ ذَائِبًا

[قال الشريف] رضى الله عنه وليس قول أبي هذيل في صفة الحديث

كَتَسَاقُطِ الرُّطْبِ الْجَدِّىِّ مِنَ الْأَقْنَاءِ لَا تَثَرًا وَلَا تَزَرًا

من هذا الباب فى شئ لأن جميع ما تقدم هو فى وصف الثغر وهذا فى وصف حسن الحديث وأنه متوسط فى القلة والكثرة لازم للقصد كانتثار الرطب من الاقناء ويشبهه أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم انه غرض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجنى فيجتمع له أغراض الوصف له بالفصاحة والاقتصاد فى القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم الغضاضة . ونظير قول أبي الهذيل قول ذى الرمة

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَاشِي لَأَهْرَاءٍ وَلَا نَزْرُ^(١)
فأما قول مروان

إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا يَبَسَ الثَّرَى بَنَائِلُ كَفَيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ

فمثل قول أبي حنبل النخعي فى يحيى بن خالد البرمكي

لَا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ اتْلَفْتُ مَالِي

(١) وبعده

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالأللاب ما تفعل الخمر

— رخم الحواشي — لينها — والهرام — كغراب المنطق الكثير أو الفاسد الذي لا نظام له . . . وروى ان الفرزدق حضر مجلس عبد الله بن أبي اسحق فقال له كيف تشد هذا البيت وعينان قال الله كونا الخ فأنشده فعولان فقال له عبد الله ما كان عليك لو قلت فعولين فقال له الفرزدق لو شئت ان أصبح لسبعت ونهض فلم يعرفوا مراده فقال عبد الله لو قال فعولين لأخبر ان الله خلقهما وأمرهما ولكنه أراد انهما تفعلان ما تفعل الخمر اهـ وكان هنا تامة لاخير لها

نُؤْيَسُ الْبَخِيلُ رَاحَةً يَحْيِي لَسَخَتْ نَفْسُهُ يَبْدُلِ النَّوَالِي

ومنه قول ابن الخطيب المدني في المهدي

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَتَبْنِي الْغَنَى وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذُو الْغَنَى أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَاتْلَفْتُ مَا عِنْدِي

وقد قيل ان هذا الشاعر كأنه مصرح بالهجاء لأنه زعم ان الذي لمس كفه لم يفده شيئاً بل أعداء جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر إلا المدح ولقوله وجه وهو ان ذوى الغنى هم الذين تستقر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ومن أخرج ما يملكه حالا بحال لا بوصف بانه ذو غنى فأراد الشاعر اني لم أفد منه ما بقي في يدي واستقر تحت ملكي فاهذا قال لم يفد ما أفاد ذوو الغنى .. ومن هذا المعنى قول مسلم

إِلَى مَلِكٍ لَوْ صَافَحَ النَّاسَ كُلَّهُمْ لَمَّا كَانَ حَيًّا فِي الْبَرِيَّةِ يُبْخَلُّ

ومنه قول أبي العكوك

لَوْ لَمَسَ النَّاسُ رَاحَتِيهِ مَا بَخَلَّ النَّاسُ بِالْعَطَاءِ

وأحسن من هذا كله وأشبهه بالمدح وأدخل في طريقته قول البحتري

مَنْ شَاكَرْتُ عَنِّي الْخَلِيفَةَ بِالَّذِي أَوْلَاهُ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ إِحْسَانٍ
مَلَأَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بَخْلِي فَاغْفِرْنِي كَمَا أَغْنَانِي
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي
وَوَثِقْتُ بِالْخَلْفِ الْجَمِيلِ مُعْجَلًا مِنْهُ فَاعْطَيْتُ الَّذِي أَعْطَانِي

ومن هذا المعنى قول الآخر

رَأَيْتُ النَّدَى فِي آلِ عَوْفٍ خَلِيقَةً إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَخْلُقًا
وَلَوْ جُزَّتْ فِي أَيْيَانِهِمْ لَتَعَلَّمَتْ يَدَاكَ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَصْبَحَتْ مُمْلَقًا

ولابن الرومي

يَجُودُ الْبَخِيلُ إِذَا مَارَّ
لَوْ يَسْطُو الْجَبَانُ إِذَا عَايَنَكَ

وأما قوله

وَأَحْوَاضُ عَزَّ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَنْهُنَّ زَائِدُ
فيشبه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولي أخذه في قوله

لَنَا إِبْلُ كَوْمٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَقْتَرُّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاوُهَا
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمَنْ دُونَنَا أَنْ نُسْتَدَمَّ دِمَاؤُهَا
حَمِيٍّ وَفِرَى فَاَلْمَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا وَأَيْسَرُ خَطْبٍ عِنْدَ حَقٍّ فَنَاوُهَا^(١)

وقد أحسن إبراهيم في آياته كل الاحسان فأما قوله

يَكُونُ غَرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِدَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدُ

فكثير متداول .. ومن أحسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نِعْمَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّعِيَّةِ مَنْ إِذَا رَقَدَتْ وَطَابَ لَهَا الْكَرَى لَمْ يَرْقُدِ
.. ومثله

وَيَظَلُّ يَحْفَظُنَا وَنَحْنُ بِغَفْلَةٍ وَبَيْتُ يَكْلُونَا وَنَحْنُ نِيَامُ

ومثله للبحتري

أَرْبِيعَةُ الْفُرْسِ اشْكُرِي يَدَ مَنْعَمٍ وَهَبَ الْإِسَاءَةَ لِلْمُسِيِّ الْجَانِي
رَوَّعْتُمَا جَارَاتِهِ فَبَعَثْتُمَا مِنْهُ حَمِيَّةَ آفٍ غَيْرَانِ
لَمْ تَكْرَعَنَّ فَاصِي الرِّعَةِ عَيْنُهُ فَتَنَامَ عَنْ وَتْرِ الْقَرِيبِ الدَّانِي
فأما قوله

(١) كان نعلب يقول كان إبراهيم بن العباس أشعر المحدثين وينشد هذه الأبيات ويقول لو كان هذا لبعض الأوائل لاستجيد له ولم يرو نعلب قط شعر كاتب غيره
(٢١ - أمالي نيه)

كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لَرَأْفَتَهُ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدًا

فَنظِيرُ قَوْلِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي بِحْيِ بْنِ خَالِدٍ

أَحْيِي لَنَا بِحْيِي فِعْمَالِ خَالِدٍ فَاصْبَحَ الْيَوْمَ كَثِيرَ الْحَامِدِ

يَسْخُو بِكُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدٍ عَلَى بَعِيدِ غَائِبٍ وَشَاهِدِ

النَّاسُ فِي إِحْسَانِهِ كَوَاحِدٍ وَهُوَ لَهُمْ أَجْمَعِهِمْ كَالْوَالِدِ

وَمِنْ جَيِّدِ قَوْلِ مَرْوَانَ مِنْ قَصِيدَةِ أَوَّلِهَا

خَلَّتْ بَعْدَنَا مِنْ آلِ لَيْلِي الْمَصَانِعُ وَهَاجَتْ لَنَا الشُّوقَ الدَّيَارُ الْبَلَاحُ

يَقُولُ فِيهَا

وَمَا لِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مَذْنِبًا سَوِي حِلْمِهِ الضَّأْفِي عَلَى النَّاسِ شَافِعُ

وَلَا هُوَ عِنْدَ السَّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرَّضَى بِغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ وَاقِعُ

تَغْضُّ لَهُ الطَّرْفُ الْمَيُونُ وَطَرْفُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ

أَمَّا قَوْلُهُ - وَلَا هُوَ عِنْدَ السَّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرَّضَى - الْبَيْتُ . . فَنَقْلُ قَوْلِ أَشْجَعِ

وَلَسْتُ بِجَائِفٍ لِأَبِي عَلِيٍّ وَمَنْ خَافَ الْإِلَهَ فَلَنْ يُخَافَا

.. وَمِثْلُهُ

أَمَّنِّي مِنْهُ وَمَنْ خَوْفِهِ خِيفَتُهُ مِنْ خَشْيَةِ الْبَارِي

وَلَأَبِي نَوَاسٍ

قَدْ كُنْتُ خُفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنِي مِنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفُكَ اللَّهُ

وَيُشَبِّهُ هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ دَعَا غُلَامًا مَرَارًا

فَلَمْ يَجِبْهُ نَفْرَجَ فَوَجَدَهُ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَقَالَ لَهُ مَا حَمَلَكَ عَلَى تَرْكِ اجَابَتِي قَالَ كَسَلْتُ عَنْ

اجَابَتِكَ وَأَمَنْتُ بِعَقُوبَتِكَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي مِمَّنْ يَأْمَنُ مِنْ خَلْقِهِ . .

فأما قوله - تفض له الطرف العيون - فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق أو ممن تنسب ^(١) إليه هذه الأبيات

يُنْضِي حَيَاءً وَيُنْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمَ إِلَّا حِينَ يَتَسِمُ

(١) قوله أو ممن تنسب إليه يشير بهذا إلى القصيدة المشهورة التي تنسب للفرزدق في سيدنا زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم التي قالها لما قال هشام حين سأله رجل من أهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة وذلك أن هشام حين خلافة أبيه فطاف ولم يستطع استلام الحجر لشدة الزحام فلما جاء زين العابدين رضي الله عنه نحي الناس له فقال هشام للشامي لأعرفه فقال الفرزدق أنا أعرفه وأنشأ يقول

هذا سليل حسين نجل فاطمة بنت الرسول الذي انحابت به الظالم

فحبسه هشام بين مكة والمدينة فقال الفرزدق أبياته التي منها

يَقْلَبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلَاءُ بَادٍ عِيُوبَهَا

فذكره ثم بعث إليه زين العابدين رضي الله عنه اثني عشر ألف درهم فردها وقال مدحتك لله تعالى لا للعطاء فقال زين العابدين إنا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده فقبلها ولم يثبت للفرزدق منها غير سبعة أبيات ونسب بعضها إلى أبي دهل الجمحي . . . وأما قوله

يُنْضِي حَيَاءً الخ وقوله

فِي كَفِّهِ خَيْرَانِ رِيحُهَا عَبَقٌ فِي كَفِّهِ أُرُوعٌ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ

فقليل أنهما لداود بن سلم يمدح بهما قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطالب وبعدهما

كَمْ هَاتِفُكَ مِنْ أَوْجٍ وَرَايَةٍ يَدْعُوكَ يَا قَتْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قَتْمَ

وروى من غير هذا الوجه أن عبد الله بن عبد الملك حج فقال له أبوه سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان فأياك أن تحتجب عنه وأرضه وصفته أنه أشعر ذو بطن عظيم الأنف فلما قدم عبد الله المدينة وصفه لحاجبه وقال له إياك أن ترده فلم يأت الحزين حتى قام لينام فقال له الحاجب قد ارتفع فلما ولي ذكر فليحقه فقال أرجع

﴿ مجلس آخر ٤٠ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله ولا رسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) ٠٠ وقال ما معنى الحول بين المرء وقلبه وهل يصح ما تأوله قوم من أنه يحول بين الكافر والإيمان وما معنى قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة في أجابته ٠٠ الجواب قلنا أما قوله تعالى (يحول بين المرء وقلبه) ففيه وجوه ٠٠ أولها أن يريد بذلك تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا حث من الله عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت واقطاع التكليف وتعذر ما يستوفى به المكلف نفسه من التوبة والاقلاع فكأنه تعالى قال بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتىكم الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم ما تسوفون به نفوسكم من التوبة

فاستأذن له فأدخله فلما صار بين يديه ورأى جماله وبهاءه وفي يده قضيب خبزان وقف ساكناً فأمهله عبد الله حتى ظن أنه قد أراح ثم قال له السلام عليك رحمة الله أولاً فقال عليك السلام وحيًا الله وجهك أيها الأمير إني قد كنت مدحنتك بشعر فلما دخلت عليك ورأيت جمالك وبهائك أذهلني عنه فأنسيت ما كنت قلته وقد قات في مقامي هذا بيتين فقال ما هما فقال

في كفه خبزان ربحها عبق من كف أروع في عرينه شمم
يفضي حياء ويفضي من مهابة فإيكم إلا حين يتسم

بتقديم الأول على الثاني في هذه الرواية فأجازه فقال اخدني أصلحك الله فإنه لا خادم لي فقال اختر أحد هذين الغلامين فأخذ أحدهما فقال له عبد الله أعلمنا ترذل خذ الأكبر والناس يروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يمدح بها علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو غلط ممن رواه فيها وليس هذان البيتان مما يمدح به مثله وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد

بقلوبكم ويقوى ذلك قوله تعالى (وأنه اليه تمشرون) .. وثانيها أن يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله وإبطال تمييزه وإن كان حياً وقد يقال لمن فقد عقله وسلب تمييزه أنه بغير عقل قال الله تعالى (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) .. قال الشاعر
وَلِيَّ الْآلِفُ وَجْهٌ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ وَلَكِنْ بَلَا قَلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ
وهذا الوجه يقرب من الأول لانه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج الانذار لهم والحث على الطاعات قبل فوتها لانه لافرق بين تعذر التوبة بانقطاع التكليف بالموت وبين تعذرها بإزالة العقل .. وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قرب من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون وإن الضمائر المكتومة له ظاهرة والخفايا المستورة لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ونحن نعلم انه تعالى لم يرد قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه وإذا كان عز وجل هو أعلم بما في قلوبنا منّا وكان ما نعلمه أيضاً يجوز أن ننساه ونسوه عنه وأضل عن علمه وكل ذلك لا يجوز عليه جاز أن يقول انه يحول بيننا وبين قلوبنا لانه معلوم في الشاهد ان كل شيء يحول بين شيئين فهو أقرب اليهما .. ولما أراد الله تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف وإن كان القرب الذي عناء جلّت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيراً لفظ القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان أقرب الى قاي من فلان وزيد مني قريب وعمر مني بعيد ولا يريدون بذلك قرب المسافة .. ورابعها ما أجاب به بعضهم من ان المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم وقلة عددهم فيدخل قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى انه يحول بين المرء وقلبه بانه يبدله بالخوف ائناً ويبدل عدوهم بظنهم انهم قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور .. ويمكن في الآية وجه خامس وهو أن يكون المراد انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه اليه قلبه من التبايح بالأمر والنهي والوعد والوعيد لانا نعلم انه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ولا عن مواقفته رادع فكان التكليف حائلاً بينه وبينه من حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقفته وليس يجب في الحائل أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لانا نعلم ان المشير منّا على غيره في أمر كان قد هم به

وعزم على فعله أن يجتنبه والمثبه على أن الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال منعه منه وحال بينه وبين فعله .. قال عبيد الله بن قيس الرقيات

حَالُ دُونِ الْهَوَىٰ وَدُوْنِ سُرَى اللَّيْلِ مُصْنَبُ
وَسَيَاطُ عَلَى أَكْ فَرِ رِجَالٍ تَقْلَبُ

ونحن نعلم انه لم يحل إلا بالتخويف والترهيب دون غيرهما .. فان قيل كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية .. قلنا وجه المطابقة ظاهر لانه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ورسوله فيما يدعون اليه من فعل الطاعات والامتناع من المقتضعات فاعلمهم انه بهذا الدعاء والانذار وما يجري مجراها يحول بين المرء وبين ما تدعوه اليه نفسه من المعاصي ثم ان المآب بعد هذا كله والمنقلب الى ما عنده فيجازي كلاً باستحقاقه .. فأما قوله تعالى (اذا دعاكم لما يحييكم) ففيه وجوه .. أولها أن يريد بذلك الحياة في النعيم والثواب لان تلك هي الحياة الدائمة الطيبة التي يؤمن من تغيرها ولا يخاف انتقالها فكأنه تعالى حث على اجابته التي تكسب هذه الحال .. وثانيها انه يختص ذلك بالدعاء الى الجهاد وقتال العدو فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام فيما يأمرهم به من قتال عدوهم ودفعهم عن حوزة الاسلام وأعلمهم ان ذلك يجزيهم من حيث كان فيه قهر للمشركين وتقليل لاعددهم وفل لجهدهم وحسم لاطماعتهم لانهم متى كثروا وقبوا استلنوا جانب المؤمنين وأقعدوا عليهم بالقتل وصنوف المكارة فمن هنا كانت الاستجابة له عليه الصلاة والسلام تقتضي الحياة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ولكم في القصص حياة) .. وثالثها ما قاله قوم من ان كل طاعة حياة ويوصف فاعلمها بانه حي كما ان المعاصي يوصف فاعلمها بانه ميت والوجه في ذلك ان المؤمن الطائع لما كان منتفعاً بحياته وكانت تؤديه الى الثواب الدائم قيل ان الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصي لا ينتفع بحياته من حيث كان مصيره الى العقاب الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال لمن كان منفص الحياة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حياة وما جرى مجرى ذلك من حيث لا ينتفع بحياته .. ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة في الحكم لاني

الفعل لانا قد علمنا انه عليه الصلاة والسلام كان مكلفاً مأموراً بمجاهد جميع المشركين
 المخالفين لملكه وقتلهم وان كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شروطها
 فكأنه تعالى قال فاستجيبوا للرسول ولا تخالفوه فانكم اذا خالفتم كنتم في الحكم غير
 أحياء من حيث تعبد عليه الصلاة والسلام بقتالكم وقتلكم فاذا أطعتم كنتم في الحكم
 أحياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (ومن دخله كان آمناً) وانما أراد تعالى إنما يجب
 أن يكون آمناً وهذا حكمه ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع .. فأما المجبرة فلا شبهة لهم
 في الآية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل انه يحول بين المرء وبين الايمان بل ظاهر الآية
 لا يقتضي أن يحول بينه وبين أفعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه
 وليس للايمان ولا للكفر ذكرٌ ولو كان للآية ظاهرٌ يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك
 ولا يضر قناعته بأدلة العقل الموجبة انه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما أمر به وأراد
 منه وكافه فعله لان ذلك قبيح والقبائح عنه منفية .. أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن
 عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليل الغزوي
 قال حدثنا أحمد بن عمرو بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عمرو بن عبد الرحمن بن
 عوف قال حدثني عمرو بن خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصن بن
 خديجة بن بدر وجهه من طعنة كرز بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال ان الموت
 أهون مما أجد فأنيكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدأ بأكبرهم فقال قم فخذ سيفي واطعن
 به حيث أمرك ولا تعجل قال يا أبتاه أقتل المرء أباه فأني على القوم كلهم فأجابوه بجواب
 الأول حتى انتهى الي عينة فقال يا أبتاه ليس لك فيما تأمرني به راحة ولي بذلك طاعة
 وهو هو اك قال بل قال فأمرني كيف أصنع قال الق سيف انما أردت ان أعلم أبكم
 أمضى لما أمر به فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدى فقال القوم انه سيقول في ذلك
 آياتاً فأحضروه فلما أمسى قال

وَلَوْ أَعْيَنَ مِنْ بَعْدِي أُمُورَكُمْ وَاسْتَيْقِنُوا أَنَّهُ بَعْدِي لَكُمْ حَامٍ
 إِمَاهِلِكُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ عِزَّ الْحَيَاةِ بِمَا قَدَمْتُ قُدَامِي

وَاسْتَوْسِقُوا لِلَّتِي فِيهَا مَرُوءٌ تُسَكُّمُ قَوْدِ الْجِيَادِ وَضَرْبِ الْقَوْمِ فِي الْهَامِ
وَالْقُرْبُ مِنْ قَوْمِكُمْ وَالْقُرْبُ يَنْفَعُكُمْ وَالبُعْدُ إِنْ بَاعَدُوا وَالرَّيُّ لِلرَّامِ
وَلِيَّ حَذِيفَةَ إِذْ وَلِيَّ وَخَلَفَنِي يَوْمَ الْهَبَاةِ يَتِيمًا وَسَطًا أَيْتَامِ
لَا أَرْفَعُ الطَّرْفَ ذُلًّا عِنْدَ مَهْلِكِهِ الْقِيَّ الْمَدُورِ بِوَجْهِ خَدُّهُ دَامِ
حَتَّى اعْتَقَدْتُ لَوِي قَوْمِي فَقُمْتُ بِهِ ثُمَّ ارْتَحَلْتُ إِلَى الْجَنْفِيِّ بِالشَّامِ
لَمَّا قَضَيْ مَاقَضَى مِنْ حَقِّ زَائِرِهِ عَجْتُ الْمَطِيِّ إِلَى النُّعْمَانِ مِنْ عَامِي
اسْمُو لِمَا كَانَتْ الْآبَاءُ تَطْلُبُهُ عِنْدَ الْمُلُوكِ فَطَرَفِي عِنْدَهُمْ سَامِي
وَالدَّهْرُ آخِرُهُ شِبْهُ لَأَوَّلِهِ قَوْمٌ كَقَوْمِ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ
فَانْبُوا وَلَا تَهْدِمُوا فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مِنْ بَيْنِ بَانَ إِلَى الْعَلِيَّا وَهَدَامِ

قال ثم أصبح ودعاني بدر فقال لوأتي ورياستي لعينة واسمعوا متى ما أوصيكم به لا تبطل
آخركم على أولكم فانما بدرك الآخر ما أدركه الأول وانكحوا الكف الغريب فانه
عز حادث واذا حضركم أمران فخذوا بخيرهما صدرأ فان كل مورد معروف وامحبوا
قومكم بأجل أخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فان الخلاف يزرى بالرئيس
المطاع واذا حدثتم فاربعوا ثم قولوا الصدق فانه لا خير في الكذب وصنوا الخيل
فانها حصون الرجال وأطبلوا الرماح فانها قرون الخيل وأعزوا الكبير بالكبر فاني بذلك
كنت أغلب الناس ولا تغزوا إلا بالعيون ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح واعطوا
على حسب المال واعجلوا الضيف بالقرى فان خيره أعجبه واتقوا فضيحات البنى وقلبات
المزاح ولا تنجروا على الملوك فان أيديهم أطول من أيديكم واقتلوا كرز بن عامر ومات
محسن فأخذ عينة الرياسة . . وقال

أَطَعْتُ أَبَا عَيْنَةَ فِي هَوَاهُ وَلَمْ تُخْرِجْ صَرِيْمَتِي الظُّنُونُ

وَقَدَّرَضَ الرَّئِيسَ عَلَى بَنِيهِ فَقَالَ الْقَوْمُ هَذَا لَا يَكُونُ
 سَتَحِيًّا أَوْ تَمُوتُ فَطَاوَلُوهُ وَقَتْلُ الْمَرْءِ وَالِدَهُ جُنُونُ
 فَلَمْ أَقْتُلْ بِحَمْدِ اللَّهِ حِصْنًا وَكُلُّ فِتْنَةٍ سَيَذَرُكُمُ الْمَنُونُ
 وَلَمْ أَنْكُلْ عَلَيْهِ وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا هَوْنَتْهُ يَوْمًا يَهُونُ
 فَإِنْ يَكُ بَدْءُ هَذَا الْأَمْرِ غَثًّا فَأَخِرُهُ بَنِي بَذْرِ سَمِينُ

وحكي عمر بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن حذيفة وإنما أصابته اللقوة فحفظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة وإذا عظمت عين اللسان لقبوه أبا عيينة وأبا العيناء . . . وروى قيس بن أبي حازم أن عيينة بن حصن بن حذيفة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا أحق مطاع . . . وروى أيضاً أنه كان بدلع لسانه للحسين بن عليّ عليهما السلام وهو صبي فبرى لسانه فيش له فقال له عيينة أراك تضع هذا بهـذا فوالله أنه ليكون لي الابن رجلاً قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يرحم من لا يرحم . . . ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار من شعره قوله من قصيدة أولها

صَحَابَتِي جَهْلٌ فَاسْتَرَجَتْ عَوَاذُهُ وَأَقْصَرَ عَنْهُ حِينَ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ
 وَمَنْ مَدَّ فِي أَيَّامِهِ فَتَاخَرَتْ مَنِيَّتُهُ فَالْشَيْبُ لَا شَكَّ شَامِلُهُ
 هُوَ الْمَرْءُ إِمَّا دِينُهُ فَهُوَ مَانِعٌ صَوْنٌ وَإِمَّا مَالُهُ فَهُوَ بَاذِلُهُ
 أَمْرٌ وَأَحْلَى مَا بَلََا النَّاسُ طَعْمَهُ عِقَابُ أَمِيرِ الدُّوْمَيْنِ وَنَائِلُهُ
 أَهْيَ لِمَا يَأْبَى ذَوُو الْحَزْمِ وَالتَّقِي فَعُولٌ إِذَا مَا جَدَّ بِالْأَمْرِ فَاعِلُهُ
 تَرُوكُ الْهَوَى لَا السَّخَطُ مِنْهُ وَلَا الرَّضَى

لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ

بَرِي أَنْ مُرَّ الْحَقِّ أَحْلَى مَنَبَةً وَأُنْجَا وَلَوْ كَانَتْ زُعَافًا مَنَاهِلُهُ
فَإِنَّ طَلِيقَ اللَّهِ مِنْهُ هُوَ مُطْلَقٌ وَإِنَّ قَتِيلَ اللَّهِ مِنْهُ هُوَ قَاتِلُهُ
وَإِنَّكَ بِمَدَدِ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ
••• أما قوله - ومن مد في أيامه فتأخرت * منيته فالشيب لاشك شامله - ••• فأخوذ من

قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وَالشَّيْبُ غَايَةُ مَنْ تَأَخَّرَ حِينُهُ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعُهُ مَنْ يَجْزَعُ
وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وَالْمَوْتُ كَأْسٌ وَالْمَرَّةُ ذَائِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا وَيَشْبُهُ ذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ

قُلْ لِعَرَسِي لَيْسَ شَيْبِي بِمَعْجَبٍ مَنْ يَعْشُ يَا أُمَّ عَمَّارٍ يَشِبُ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الْعَنَابَةِ وَالْمَنَايَا لَا تُبَالَى مَنْ أَتَتْ

مَنْ يَعْشُ يَكْبُرُ وَمَنْ يَكْبُرُ يَمُتُ وَيَشْبُهُ قَوْلُ الْبَحْرِيِّ
وَلَا بُدَّ مَنْ تَرَكَ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ فَإِمَّا الشَّبَابُ وَإِمَّا الْعُمُرُ

وَقَوْلُهُ وَالشَّيْبُ مُهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَشِيبَتِهِ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ ابْنِ الْمَعْزِ وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ

قَالَتْ كَبُرْتَ وَانْتَفَيْتَ مِنَ الصَّبَا فَقُلْتُ لَهَا مَا عِشْتُ إِلَّا لَا كِبَرًا
وَلِبَعْضِهِمْ وَلَا بُدَّ مَنْ مَاتَ فَإِمَّا شَيْبَةٌ

وَأِمَّا مَشِيبَةٌ وَالشَّيْبَةُ أَصْلَحُ وَمَعْنَى قَوْلِهِ - وَالشَّيْبَةُ أَصْلَحُ -

إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَاتَ شَابًا كَانَ أَكْثَرَ لِلْحُزْنِ عَلَيْهِ

والأسف على مفارقتك فاذا أسن برم به أهله وهان عندهم فقدته .. فأما قوله

هُوَ الْمَرْءُ إِمَادِيْنُهُ فَهُوَ مَانِعٌ صَوْنٌ وَإِمَا مَالُهُ فَهُوَ بَاذِلُهُ

ففضله متكرر في الشعر كثير جداً .. وأحسن شعر جمع بين وصف الممدوخ يمنع مايجب منعه وبذل مايجب بذله قول مسلم بن الوليد الأنصاري

يَذْكُرُنِيكَ الْجُودُ وَالْبُخْلُ وَالنَّهْيُ وَقَوْلُ الْخَنَاءِ وَالْحِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ
فَالْقَاكَ عَنْ مَذْمُومٍ مَّتَّزَّهَا وَالْقَاكَ فِي مَحْمُودٍهَا وَلَكَ الْفَضْلُ
وَأَحْمَدُ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْبُخْلُ إِنَّهُ بَعْرِضِكَ لَا بِأَمَالٍ حَاشَاكَ الْبُخْلُ

وقد أحسن البحتري في قوله

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِنْ وَجَدْنَا لِفَتْحٍ ضَرِيْبَا
تَنْقَلُ فِي خُلُقِي سُودِدِ سَمَاحًا مَرَجِي وَبَاسًا مَهِيْبَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِخًا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَنْبِيَا

فأما قوله - تروك الهوى لا الخط منه ولا الرضى - البيت .. فعنى متداول مطروق في الشعر وقد ذكره هو في قوله

إِذَا هُنَّ الْقَيْنَ الرَّحَالَ بِيَابِهِ حَطَّطْنَ بِهِ ثَقْلًا وَأَذْرَكْنَ مَغْنَمًا
إِلَى طَاهِرِ الْأَثْوَابِ مَا نَالَ فِي رِضَى وَلَا غَضَبٍ مَالًا حَرَامًا وَلَا دَمًا

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات

ثَبَتُ الْجَنَانَ إِذَا اصْطَلَكْتَ بِمَظْلَمَةٍ فِي رَحْلِهِ النَّسْنُ الْأَقْوَامِ وَالرُّكْبُ
لَا الْمَنْطِقُ الْإِهْوُ يَزْكُو فِي تَبَسُّمِهِ يَوْمًا وَلَا حُجَّةُ الْمَلْهُوفِ تُسْتَلَبُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي نَادِي قَبِيلَتِهِ لَا الْقَلْبُ يَغْفُو وَلَا الْأَحْشَاءُ تَضْطَرِبُ
وَتَحْتَ ذَلِكَ قَضَاءُ حَزْ شَفَرَتِهِ كَمَا يَعْصُ بِظَهْرِ الْغَارِبِ الْقَتَبُ

لَا سَوْرَةٌ تُتْقَى مِنْهُ وَلَا بَلَّةٌ وَلَا يُخَافُ رِضَى مِنْهُ وَلَا غَضَبُ

ومثله قول البحرى فى ابن الزيات أيضاً

وَجَهَ الْحَقِّ بَيْنَ أَخْذٍ وَإِعْطَا

وَاسْتَوَى النَّاسُ فَالْقَرِيبُ قَرِيبٌ

لَا يَمِيلُ الْهَوَى بِهِ حِينَ يَمْضَى

وَسَوَاهُ لَدَيْهِ أَبْنَاءُ إِبْرَا

مُسْتَرْجِحُ الْأَحْشَاءِ مِنْ كُلِّ ضَنْفٍ

فأما قوله - وإن قيل الله من هو قاتله - فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول يزيد بن

مفرغ فى عبيد الله بن زياد لهما الله

إِنَّ الَّذِي عَاشَ خَتَّارًا بَذِمَتْهُ وَمَاتَ عَبْدًا قَتِيلُ اللَّهِ بِالزَّابِ

- أما قوله وانك بعد الله للحكم الذى تصاب به من كل حق مفاصله - . . فيشبهه قول

أبي تمام فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات . . وأجمع العلماء ان هذه

الآيات أحسن وأخف من جميع ما قيل فى القلم

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْمَقَاصِلُ^(١)

لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّامُ لَوْلَا نَجِيهَا لَمَا اخْتَفَلَتْ لِلْمَلِكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ^(٢)

(١) - الشبابة - حد القلم وغيره ومنها الشبا بالفتح والقمر . . وقوله - تُصَابُ - من

الأمر - روى أيضاً بنال من الأمر - والكلبي - جمع كلبية وكلوة جاء بالياء والواو

- والمفاصل - جمع مفصل وهو ما تقي كل عظمين . . أراد ان القلم يطابق المفصل

وبصادف الحز وبه ينال مقاصد الأمور فانه ينال بالأقلام ما يعجز عنه بمجالد الحسام

(٢) قوله - له الخلوات - يعنى ان أصحاب القلم هم أهل المشورة وموضع السر بخلي

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرْزِي الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلٍ^(١)

لهم الملوك المجالس للمشورة وبهم يحصل نظام الملك - والنجى - المسارر والتناجي المسارة
 .. وأراد به المشير فان المشورة تكون سرّاً غالباً - والاحتفال - حسن القيام بالأُمور
 - والمحافل - جمع محفل كجلس ومقعد وهو المجتمع

(١) قوله - لعاب الأفاعي - الح اللعاب مايسيل من الفم - والقاتلات - صفة كاشفة
 للأفاعي ذكرها تهويلًا - والأرزي - بفتح الهمزة وسكون الراء مالزق من العسل في
 جوف الخلية - والجنى - بفتح الجيم والقصر العسل والاضافة للتخصيص فان الأرزي
 يأتي أيضاً بمعنى - فى مالزق بأسفل القدر من الطيبخ وان جعلت الأرزي بمعنى العسل
 والجنى بمعنى كل مايجتنى من ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة - واشتارته -
 استخرجته يقال شارفان العسل شوراً وشياراً وشيارة اذا استخرجه وكذلك أشاره
 واشتاره - وأيدى - جمع يد - والعواسل - جمع عاسلة أى مستخرجة العسل والعاسل
 مستخرج العسل من موضعه والمصرع الأول بالنسبة الى الأعداء والثانى بالنسبة الى
 الأولياء .. يعنى ان لعاب قلمه بالنسبة الى الأعداء سم قاتل وبالنسبة الى الأولياء شفاء
 عاجل .. فقوله لعاب مبتدأ مؤخر ولعاب الأفاعي خبر مقدم وأرزي معطوف على الخبر
 وجاز هذا مع تعريف الطرفين لأن المعنى دال عليه لان اللعاب القاتل انما هو لعاب
 الأفاعي فاماب القلم مشبه به في التأثير وعلم من هذا انه ليس من التشبيه المقلوب فان
 لعاب القلم قد شبه بشيئين وهو السم والعسل باعتبارين وان جعلته من التشبيه المقلوب
 كان من عطف الجمل والخبر فى المعطوف محذوف وفيه تكلف اه من شرح الشواهد
 الكبرى .. فقوله السابق وان جعلت الأرزي بمعنى العسل والجنى بمعنى كل مايجتنى من
 ثمرة ونحوها يلزم اضافة الموصوف الى الصفة .. قلت ان لزم ذلك فلا محذور فيه فان
 ابن مالك نص فى التسهيل على جواز اضافة الصفة الى الموصوف والموصوف الى القائم
 مقام الوصف وعلى كل حال فهمي مسألة خلافية فذهب البصريون الى منع ذلك مطلقاً
 وتأولوا ماورد منه وذهب الكوفيون الى الجواز اذا اختلف اللفظان من غير تأويله

لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَفَمَهَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ وَابِلٌ^(١)
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَاعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
إِذَا مَا امْتَطَى الْخُمْسَ الْإِطَافَ وَأَفْرِغَتْ

عَلَيْهِ شِمَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ^(٢)
أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْفَنَى وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضُ الْخِيَامِ الْجَحَافِلُ^(٣)
إِذَا اسْتَفْزَرَ الذِّهْنَ الذَّكِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقَرِطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ^(٤)
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصَرَانِ وَسَدَّدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ^(٥)

- محتجين نحو قوله تعالى (حق اليقين • ولدار الآخرة • بجانب الغربي) وغير ذلك
- (١) قوله - له ريقه طل - ريقه مبتدا وطل وصفه والظرف قبله خبره والطل المطر الضعيف - واو ابل - وكذا الوبل المطر الشديد الضخم القطر • • بقول إن ما يجري من القلم حقير نأفه في ظامر الأمر لكن له أثر خير عم المشارق والمغارب
- (٢) قوله - إذا ما امتطى الخمس الإطاف - إلخ • • أراد بالخمس الإطاف الأصابع الخمس - والشعاب - جمع شعب بكسرهما الطريق في الجبل - والحوافل - جمع حافلة يقال حفل الابن وغيره حفلا وحفولا اجتمع واحتفل الوادي امتلا وسال
- (٣) قوله - أطاعته أطراف الفنى - إلخ • • هو جواب إذا وروى أطاعته أطراف الرماح - وتقوضت - يقال قوضت الصفوف إذا انتقضت وأصله من تقويض البناء وهو ففضه من غير هدم - والنجوى - السر وتقويض أى كتنقيض الخيام - والجحافل - فاعل قوضت وهو جمع جحافل بتقديم الجيم على المهملة كجعفر الجيش
- (٤) قوله - إذا استفزر الذهن - استفزره وجده غزير أوفاعله ضمير القلم - والذكي - المتوقد وروى الخلي بدله والخلي الخالي وانما تكون أعالي القلم أسافل حين الكتابة
- (٥) قوله - وقد رفدته الخنصران - إلخ رفدته أعانته - وسددت - قومت

رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنْيٌ وَتَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلٌ^(١)

(١) قوله - رأيت جليلاً شأنه - النخ . . رأيت جواب اذا وشأنه فاعل جليلاً وجملة - وهو مرهف - حال وهو اسم مفعول من أرهفت السيف ونحوه اذا رقت شفرته ويقال أيضاً رهفته رهناً فهو رهيف ومرهوف - وضى - تميز وهو مصدر ضى من باب تعب اذا مرض مرضاً ملازماً - وسميناً - معطوف على جليلاً - وناحل - من نحل الجسم ينحل بفتحهما نحو لا سقم ومن باب تعب

ثم والله الحمد الجزء الثانى من كتاب أمانى السيد المرتضى . . وقد صُحح هذا الجزء من أوله الى نهاية الملزمة الخامسة عشر منه بتصحيح السيد محمد بدر الدين النعساني ومن ثم الى آخره بتصحيح حضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا وقد بذلا غاية جهدهما فيه تصحيحاً وضبطاً وتفسير ما يحتاج الى إيضاح غامضه أحسن الله اليهما وشكر مساعهما . . وقد تم والله الحمد طبعه في آوائل جمادى الثانية سنة ١٣٢٥ هجرية صلى الله على سيدنا محمد وآله ومحبيه وسلم

فهرس الجزء الثاني من أمالى السيد المرتضى

- ٢ تأويل خبر إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن الحديث
 ٤ استطراد لذكر ما في الأصبع من اللغات
 ٤ تأويل قوله تعالى : والارض جميعاً قبضته يوم القيامة الآية
 (المجلس الثالث والعشرون)
 ٦ تأويل قوله تعالى : تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك الآية
 ٦ ذكر جملة من معاني النفس
 ٦ تأويل حديث إذا أحب العبد لقائي أحببت لقاءه الحديث
 (المجلس الرابع والعشرون)
 ٩ تأويل قوله تعالى : اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم الآية
 ١١ استطراد لذكر معاني كاد المقرونة بالنفي عند العرب
 ١١ تأويل قوله تعالى : فذبحوها وما كادوا يفعلون
 ١١ تأويل قوله تعالى : اذا أخرج يده لم يكذب يراها الآية
 ١١ تأويل قوله تعالى : كذلك كدنا ليوסף الآية
 ١٢ تأويل قوله تعالى : ان الساعة آتية أكاد أخفيها الآية
 ١٣ استطراد لذكر جواز اضمار كاد وعدمه
 ١٤ تأويل قوله تعالى : واذا زانت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الآية
 (المجلس الخامس والعشرون)
 ١٥ تأويل قوله تعالى : وجعلنا نومكم سباتا الآية
 ١٥ استطراد لذكر يوم بدء الخلق وتعيينه
 ١٧ تأويل خبر ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه
 ١٩ استطراد لذكر أهل القلب وايدائهم للنبي صلى الله عليه وسلم ودعائه عليهم
 ٢٠ تأويل خبر ما من احد يدخله عمله الجنة ويعيه من النار الحديث
 ٢١ استطراد لذكر بعض من شعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي
 ٢٢ ترجمة الزياوذكر ما وقع لعمر المذكور معها
 (المجلس السادس والعشرون)
 ٢٣ تأويل قوله تعالى : فغشهم من أليم ماغشهم الآية

(المجلس السابع والعشرون)

- ٢٤ تأويل قوله تعالى : غفر عليهم السقف من فوقهم الآية
 ٢٦ فرق لطيف للحرب بين اللام وعلى في هذا الموضوع
 ٢٧ تأويل خبران هذا القرآن مأدبة لله تعالى الحديث
 ٢٨ استطراد لذكر ما يقال لاطعمة مخصوصة عند العرب
 ٣١ ذكر سرعة استحضار الاصمعي في الشاهد الشعر
 ٣٣ تأويل قوله تعالى : وقالت اليهود عزيز بن الله الآية
 ٣٥ تأويل قوله تعالى : ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم الآية
 ٣٦ تأويل ما رواه مسلم الخزازي من انشاده قول سويد بن عامر وقوله صلى الله عليه وسلم لو أدركته لاسلم
 ٣٩ استرواج بذكر شيء من شعر رفيف الوالي
 ٤٠ ذكر شيء من محاسن شعر عقيل بن غلفة وبعض أخباره
 ٤٢ تأويل قوله تعالى : والي الله ترجع الامور
 (المجلس الثامن والعشرون)

- ٤٤ تأويل قوله تعالى : وليس البربان تأثوا البيوت من ظهورها الآية
 ٤٤ معني قوله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر
 ٤٦ استطراد لذكر شيء من شعر هلال بن خشم
 ٤٧ ذكر طرف من أشعار حارثة بن بدر الغداني وبعض أخباره
 (المجلس التاسع والعشرون)

- ٥٣ تأويل قوله تعالى : أولئك لهم نصيب مما كسبوا الآية
 وقوله تعالى : وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب
 (المجلس الثلاثون)

- ٥٦ تأويل قوله تعالى : والله يرزق من يشاء بغير حساب
 ٥٨ تأويل خبر نوضوا عما غيرت النار
 ٦٠ استرواج بذكر بعض من محاسن شعر عبيد الله بن عبد الله بن عتبة وبعض أخباره
 (المجلس الواحد والثلاثون)

نصفه

- ٦٣ تأويل قوله تعالى : قد اقربنا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم الآية
 ٦٦ تأويل خبر خير الصدقة ما أبت غني واليد العليا خير من اليد السفلى
 ٦٨ استرواح بذكر طرف من شعر نلت قطنة العنكي وأخباره
 ٧٢ ذكر شيء من شعر عروة بن أذينة
 ٧٣ ذكر خبره مع السيدة سكينة رضى الله تعالى عنها
 ٧٤ ذكر أشعر أبيات قيلت في معنى الحسد

(المجلس الثاني والثلاثون)

- ٧٦ تأويل قوله تعالى : واتبعوا ما تنلو الشياطين على ملك سليمان الآية
 ٧٨ مسألة وجوب رد الشيء الى نظيره
 ٨١ ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه في تأويل الآية المذكورة
 ٨٢ ماروى عن شريعة سيدنا سليمان عليه السلام في السحر
 ٨٢ تأويل قوله تعالى : ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق الآية
 ٨٣ تأويل خبر لو كان القرآن في اهاب مامسته النار
 ٨٤ مسألة ان المكنوب في المصحف هو القرآن
 ٨٥ معنى قوله تعالى : لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية
 ٨٧ استرواح بذكر طرف من الملح الشعرية

(المجلس الثالث والثلاثون)

- ٩٤ تأويل قوله تعالى : فأما الذين في قلوبهم زيغ الآية
 ٩٥ استطراد لذكر بعض أخبار يزيد بن مفرغ وشيء من شعره
 ٩٨ ذكر جملة من الملح الشعرية المستحسنة

- ١٠١ حكاية عبيد الله بن سليمان بن وهب مع ابن الرومي

(المجلس الرابع والثلاثون)

- ١٠٥ تأويل قوله تعالى : لا تزيب عليكم اليوم الآية
 ١٠٧ تأويل خبر النهي عن كسب الرمازة
 ١٠٨ استطراد لذكر ما جاء عن العرب فيما يقال في الرمز والصفر
 ١١٢ أحسن ما قيل في صفة المرأة المعجزة الخمصانة
 ١١٣ ذكر بعض من شعر أراكة الثقفى في تسلية الحزون

١١٤ قصيدة في الهجاء لبشر بن أبي خازم الاسدي وحسن اعتذاره
(المجلس الخامس والثلاثون)

١١٥ تأويل قوله تعالى : خاق الانسان من عجل الآية

١١٥ ذكر ما جاء عن العرب في القلب للمبالغة

١١٩ استطراد لذكر ما يستحسن من شعر مسكين الدارمي في الموضوع

١٢٤ أحسن ما قبل في الفيرة

[المجلس السادس والثلاثون]

١٢٥ تأويل قوله تعالى : ولقد همت به وهم بها الآية

١٢٩ كلام على البرهان الذي رآه سيدنا يوسف عليه السلام

١٢٩ استرواح بذكر بعض ملح شعرية

(المجلس السابع والثلاثون)

١٣٣ تأويل قوله تعالى : رب السجن أحب الي مما بدعوتي اليه الآية

١٣٦ تأويل خبر من يذبح الشمعة يشمع به

١٣٨ استرواح بذكر بعض فكاهات أدبية للأصمعي

[المجلس الثامن والثلاثون]

١٤٤ تأويل قوله تعالى : ونادى نوح ربه فقال رب اني من أهل الآية

١٤٧ ذكر بعض فكاهات شعرية ونثرية للأصمعي

[المجلس التاسع والثلاثون]

١٥٢ تأويل قوله تعالى : فلا تدع لك أموالهم ولا أولادهم الآية

١٥٥ ترجمة مروان بن يحيى وذكر شئ من شعره وخبره

[المجلس الأربعون]

١٦٤ تأويل قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول الآية

١٦٧ تقرير شبهة الجبرية في فهم الآية المذكورة وردّها

١٦٨ قصة حصن بن حذيفة مع أولاده عند وفاته ووعظه لهم

١٦٩ ذكر جملة أشعار مستحسنة لمروان بن أبي حفصة وغيره

الجزء الثالث من كتاب

أما الخليفة السيد الشريف

الشريف أبي القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين المتوفى سنة ٤٣٦ هـ رضي الله عنه

في التفسير والحديث والأدب

الطبعة الأولى

(سنة ١٣٢٥ هـ و ١٩٠٧ م)

(على نفقة أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي وأخيه)

« حقوق الطبع محفوظة »

(صححه وضبط ألفاظه وعلق حواشيه)

حضرة الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي نزيل القاهرة حالا

(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر لصاحبها محمد اسمعيل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ مجلس آخر ٤١ ﴾

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (فإين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين) الى آخر الآية .. فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضى أنا لا نشاء شيئاً إلا والله تعالى شاءه ولم يخص إيماناً من كفر ولا طاعة من معصية .. الجواب قلنا الوجه المذكور فى هذه الآية ان الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لانه تعالى قال (لمن شاء منكم أن يستقيم) ثم قال (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي ما تشاؤون الاستقامة إلا والله تعالى يريد لها ونحن لا نشكر أن يريد الله تعالى الطاعات وانما أنكرنا ارادته المعاصى وليس لهم أن يقولوا تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومها كما ان السبب يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك ان الذى ذكروه انما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل .. وقوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) لاذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه واذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على انه لو كان للآية ظاهر يقتضى ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة على انه تعالى لا يريد المعاصى ولا القبائح على ان مخالفينا فى هذه المسئلة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لأن العباد قد يشاؤون عندهم ما لا يشاءه الله تعالى بان يريدوا الشيء ويعزموا عليه فلا يقع مانع ممتنعاً كان أو غيره وكذلك قد يريد النبي عليه الصلاة والسلام من الكفار الايمان وقد تعبدنا بان يريد من المقدم على القبيح تركه وان كان تعالى عندهم لا يريد ذلك اذا كان المعلوم انه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فاذا جاز لهم ذلك بالشبهة

جاز لنا مثله بالحجة ونجري هذه الآية مجري قوله تعالى (ان هذه تذكرة فمن شاء
 اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وقوله تعالى (وما يذكرون إلا أن
 يشاء الله) في تعلق الكلام بما قبله . . فان قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم
 من وجه آخر وهو انه عز وجل قال (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وذلك يقتضي
 انه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها لأن أن الخليفة اذا دخلت على الفعل المضارع
 اقتضت الاستقبال وهذا يوجب انه يشاء أفعال العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون
 اليه من انه انما يريد الطاعات في حال الأمر . . قلنا ليس في ظاهر الآية إننا لا نشاء
 إلا ما شاء الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظنتم وانما يقتضي حصول مشيئته لما انشاءه من
 الاستقامة من غير ذكر اتقدم ولا تأخر ويجري ذلك مجرى قول القائل ما يدخل زيد
 هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ونحن نعلم انه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما
 في حالة واحدة بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو يتلوه دخول زيد وان الخليفة وان
 كانت للاستقبال على ما ذكر فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الكلام
 وما تشاؤون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال
 وقد ذهب أبو علي الجبائي الى انه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وان
 كان قد أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمراً بعد أمرٍ قال لانه قد يصح
 أن يتعلق بارادته ذلك من بعد الأمر وفي حال الفعل مصاحبة ويعلم تعالى أنا نكون
 متى علمنا ذلك كنا الى فعل الطاعات أقرب وعلى هذا المذهب لا يعترض بما ذكره
 . . والجواب الأول واضح اذا لم نذهب الى مذهب أبي علي في هذا الباب على ان
 اقضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام اذا اقتضى حدوث
 المشيئة وأبطل استقبالتها بطل قول من قال منهم انه يريد لنفسه أو يريد بارادة قديمة
 وصح ما نقوله من ان ارادته محدثةٌ مجددة . . ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع
 حملنا إياها على العموم من غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى وما
 تشاؤون شيئاً من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئتكم واقداركم عايتها والتخليّة
 بينكم وبينها وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار الى الله تعالى وانه لا قدرة

للعبد على ما لم يقدره الله تعالى من وجله وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه لأن ما يتعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى (إلا أن يشاء الله) بالأفعال دون تعلقه بالقدرة لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور وكل هذا واضح بحمد الله . . . ونعود الى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فما يختار قوله من قصيدة أولها

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خَيَالَهَا بَيْضَاءُ تَخْلُطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا

يقول فيها

مالت بقلبك فاستنقذ ومثلها قاد القلوب إلى الصبا فأمالها
فكأنما طرقت بنفحة روضة سحت بها ديم الربيع طلالها
باتت تسائل في المنام معرّسا بالبيد أشعث لا يملئ سؤالها
في فتية هجعوا غرارا بعدما سثموا مراعاة السرى ومطالها

[قال المرتضي] رضى الله عنه - المراعاة - هي تحريك الرأس في السير من النوم

فكان حشو ثيابهم هندية نخلت وأغفلت العيون صقالها

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب^(١) وقد قال الناس في طيف الخيال ما كنزوا . . . وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم الى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

(١) قوله فانه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا لفظ مستعذب الخ . . . قلت أما العلماء المتقدمون فانهم استحسنوها روى ان مروان بن أبي حفصة جاء الى حاتمة يونس فسلم ثم قال أياكم يونس فأومأ له اليه فقال له أصلحك الله إني أرى قوماً يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوانه ثم يمتنى كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر وقد قات شعراً أمرضه عليك فان كان جيداً أظهرته وان كان رديئاً سترته

أَنْتِ سَرَبْتِ وَكُنْتَ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(١)

مَا تَمْنَعِي يَقْظِي قَقْدَ تَوْتِينَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ غُثُوبٍ

كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا فَلَهَوَتْ مِنْ لَهْوِ أَمْرٍ مَكْذُوبٍ

وقد أحسن جرير في قوله

اتَّنَسَى إِذْ تَوَدَّ عُنَا سُلَيْمَى بِفَرْعِ بَشَامَةِ سَقْيِ الْبَشَامِ

بِنَفْسِي مِنْ تَجَنُّبِهِ عَزِيزٌ عَلَيَّ وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامٌ

وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

وهذه الابيات وان خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب
.. ولأبي عبادة البهتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فانه تغافل

فأنشده * طرفتك زائرة في خيالها * النخ فقال له بونس يا هذا اذهب فانظر هذا
الشعر فانت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله * رحلت سمية غدوة أجالها * فقال
له مروان سررتي وسؤتي فأما الذي سررتي به فارتضاؤك الشعر وأما الذي ساءني
فتقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله فقال انما قدمتك عليه في تلك القصيدة
لا في شعره كله لانه قال فيها * فأصاب حبة قلبه وطحها * والطحال لا يدخل في شئ
إلا أفسده وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه * وقصيدة مروان هذه مدح بها المهدي ولما
أنشده إياها زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع ثم قال كم
هي قال مائة بيت فأمر له بمائة ألف درهم فكانت أول مائة ألف درهم أعطيتها شاعري
أيام بني العباس وهذا دليل على حسنها

(١) قوله سربت - السارب - الذهاب على وجهه في الأرض ورواه ابن دريد سربت

ببهاء موحدة لقوله وكنت غير سرروب ومن رواه سريت بالياء باثنتين فمعناه كيف سريت

ليلا وانت لا تمر بين نهاراً

في أوصافه واهتدي من معانيه الى ما لا يوجد لغيره وكان مشغولاً بتكرار القول فيه لهجاً
بإدائه وإعادته وان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يحول فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها
فما لأبي تمام قوله

زَارَ الْخَيَالُ لَهَا لَا بَلَّ أَزَارَكُهُ فِكْرُهُ إِذَا نَامَ فِكْرُ الْخَلْقِ لَمْ يَنَمْ
ظَنِّي تَقْنَصْتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ أَشْرَا كَأَنَّ مِنَ الْحُلُمِ
ثُمَّ اغْتَدَى وَبَنَى مِنْ ذِكْرِهِ سَقَمٌ بَاقٍ وَإِنْ كَانَ مَغْسُولًا مِنَ السَّقَمِ

وقوله

عَادَكَ الزُّوْرُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ مِنْ رَمْلَةٍ بَيْنَ الْحِمَى وَبَيْنَ الْمِطَالِ
ثُمَّ مَا زَارَكَ الْخَيَالُ وَلَكِنْ لَكَ بِالْفِكْرِ زُرَتْ طَيْفُ الْخَيَالِ

وقوله

الَّيْلَى أَحْنَى بَقْلِي إِذَا مَا جَرَحَتْهُ النَّوَى مِنَ الْأَيَّامِ
يَا لَهَا لَيْلَةٌ تَنَزَّهَتْ الْأَزْ وَاحٍ فِيهَا سِرًّا مِنَ الْأَجْسَامِ
مَجْلِسٌ لَمْ يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَا فِي دَعْوَةِ الْأَحْلَامِ

فأما البحرى فقوله في هذا المعنى أكثر من أن يذكر جميعه ههنا غير أنا نشير الى
نادره من ذلك قوله

فَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يُطِيفَ خَيَالُهَا بِنَاتِحِ جَوْشُوشٍ مِنَ اللَّيْلِ أَسْفَعِ
أَلَمْتُ بِنَا بَعْدَ الْهُدُوءِ فَسَامَحْتُ بَوْصَلَ مَتَى نَطْلُبُهُ فِي الْجَدِّ تَمْنَعِ
وَمَا بَرَحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وَانْقَضَى وَأَعْجَلَهَا دَاعِي الصَّبَاحِ الْمَلَمَعِ
فَوَلَّتْ كَأَنَّ الْبَيْنَ يُخَالِجُ شَخْصَهَا أَوْانَ تَوَلَّتْ مِنْ حَشَايَ وَاضْطَلَعِي
وَرُبُّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ وَفُرْقَةٍ لِأَسْمَاءٍ لَمْ تُحَذَّرْ وَلَمْ تُتَوَقَّعِ

تُعَاوِدُ فِيهَا الْمَالِكِيَّةَ مَضْجِي
وَأُسْجَى بَيْنَ مَنْ حَبِيبِ مَوْدِعِ
تُرْجِيهِ أَحْلَامُ الْكَرَى بِالتَّجْمُعِ

أَرَانِي لَا أَنْفَكُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
أَسْرُ بِقُرْبِ مَنْ مُلِمِّ مُسْلِمِ
فَكَانَ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مَنْ تَفَرَّقِ

وكقوله

لَأَزْتَاخُ مِنْهَا لِلْخِيَالِ الْمَوْرِقِ
لِيَالٍ لَنَا تَزْدَارُ فِيهَا وَلَنَلْتَقِي
بِطَيْفٍ مَتَى مَا يَطْرُقُ اللَّيْلُ يَطْرُقُ
بِهِ عِنْدَ أَجْلَاءِ النَّعَاسِ الْمُرْتَقِ

وَإِنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بُودِهَا
يَعِزُّ عَلَى الْوَاشِينَ لَوْ يَعْلَمُونَهَا
فَكَمْ غَلَّةٌ لِلشَّوْقِ أَطْفَاءَتْ حَرَّهَا
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفَنَ عَيْنِي تَعَلَّقَا

وقوله

تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ يَطْمَعُ
تَنْبَهْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَتَفَرَّغُ
وَتَسْمَعُ أَذْنِي رَجْعَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
تُرَدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهَيْفِ فَتَرْجَعُ

بَلَى وَخِيَالٍ مِنْ أَثِيلَةٍ كُلَّمَا
إِذَا زَوْرَةٌ مِنْهُ تَقَضَّتْ مَعَ الْكَرَى
تَرَى مُقَلَّتِي مَا لَا تَرَى فِي لِقَائِهِ
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخِيلٍ بَاطِلٍ

وقوله

شَفِي قُرْبُهُ التَّبَرُّجُ أَوْتَقَعَ الصَّدَا
عَدَدْتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي وَاعْتَدَا
تُعَذِّبُ أَيْقَاطًا وَتُنْعِمُ هُجْدَا

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ
إِذَا انْتَزَعَتْهُ مِنْ يَدَيَّ أَنْتَبَاهَةٌ
وَلَمْ أَرِ مِثْلِينَا وَلَا مِثْلَ شَأْنِنَا

وقوله

تَحِلُّ لَنَا جَدَوَالِكِ وَهِيَ حَرَامُ

فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حِلْمٍ جَاهِدِ

إِذَا مَا تَبَاذَلْنَا النَّفَائِسَ خِلْتَنَا مِنْ الْجَدِّ أَيْقَاضًا وَنَحْنُ نِيَامُ

وقوله

وَلَيْلَةٌ هَوَمْنَا عَلَى الْعَيْسِ أَرْسَلْتِ بِطِيفِ خِيَالٍ يُشَبِّهُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
فَلَوْلَا بَيَاضُ الصُّبْحِ طَالَ تَشَبُّثِي بِمِطْفِئِ غَزَالٍ بَتُّ وَهْنًا أَغَارِلُهُ

وقوله

أَمِنْكَ تَأَوُّبَ الطِّيفِ الطَّرُوبُ حَبِيبُ جَاءَ يَهْدَى مِنْ جَبِيبِ
تَحْطِي رَقَبَةَ الْوَاشِيْنَ كُرْهَا وَبَعْدَ مَسَافَةِ الْخَرَقِ الْمَجُوبِ
يَكَاذِبُنِي وَأَصْدُقُهُ رَدَاءُ وَمَنْ كَلَفَ مُصَادَقَةَ الْكَذُوبِ

وقوله

مَا تَقْضَى لُبَانَةٌ عِنْدَ لُبْنَى وَالْمَعْنَى بِالْفَانِيَاتِ مَعْنَى
هَجَرْتَنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذَى هَبَّهَا فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى
بَعْدَ لَاى وَقَدْ تَعْرِضَ مِنْهَا طَائِفٌ عُرِجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهَنَا

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه... ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى

مع ميله الى البحرى وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ
وزل بزعم ان البحرى أخطأ في قوله

هَجَرْتَنَا يَقْضَى وَكَادَتْ عَلَى مَذَى هَبَّهَا فِي الصَّدُودِ تَهْجُرُ وَسْنَى

قال لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقضى كانت أو وسنى قال ولكن الجيد في هذا
المعنى قوله

أَرَدْتُ دُونَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذَنُ لِي عَلَيْكَ سَكْرُ الْهَوَى إِنْ جِئْتُ وَسْنَانَا

قال والذي أوقع البحرى في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

مَا تَمْنَعِي يَقْظِي فَقَدْ تَوْتَيْنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مُحْسُوبِ

وكان الأجود أن يقول ما تمنعي في اليقظة فقد توتينته في النوم أي ما تمنعيه في يقظتي فقد توتينته في حال نومي حتي يكون النوم واليقظة منسوبين اليه لأن خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعاً قال إلا أنه يتسع في التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع للبحثي لأن قيساً قال فقد توتينته في النوم ولم يقل نائمة وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنعي يقظي وأنا يقظان فقد توتينته في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لأنه قال وسنى ولم يقل في الوسن ٠٠ [قال الشريف] رضى الله عنه وقد يمكن في التأويل للبحثي ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي قد ذهب عن ذلك لأن البحتري لما قال وسنى دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما ان الحل المعهودة لليقظة حال مشتركة بالعادة فقوله وسنى بني عن كونه هو أيضاً نائماً وإنما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسنى ٠٠ وقوله يقظي مق لم تحمل أيضاً على هذا المعنى لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا في أحوال اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى اليه ألا ترى ان الآمدي حمل قول قيس يقظي على معنى وأنا يقظان وان لم يبين الوجه فيه فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري ٠٠ وقوله وسنى ويقظي مثل قول قيس يقظي ولو أمكن قيساً وزن الشعر من أن يقول وسنى في مقابلة يقظي لقاله وما عدل عنه الى النوم لانه لم يكن عليه في وسنى إلا ما عليه في يقظي وما يتأول له في أحد الأمرين يتأول له في الآخر ٠٠ [قال الشريف المراتبي] رضى الله عنه ولي في الخيال وطروقه معنى ما علمت انه سبق اليه من جملة قصيدة

وَزَوْرٍ تَخْطِي جُنُوبَ الْمَلَا فَنَادَيْتُ أَهْلًا بِذَا الزَّائِرِ
أَتَانِي هُدُوءًا وَعَيْنُ الرَّقِيبِ مَطْرُوفَةٌ بِالْكَرَى الْعَامِرِ
فَأَعْجَبَ بِهِ يُسْغِفُ الْهَاجِعِينَ وَتَحْرَمُهُ مُقْلَةُ السَّاهِرِ
وَعَهْدِي يَتَمَوَّيْهِ عَيْنُ الْمُحِبِّ يَنْمُ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ

فَلَمَّا التَّقِينَا بِرَغْمِ الرَّفَادِ مَوَّةَ قَلْبِي عَلِي نَاطِرِي

ومعنى البيت الآخر ان الأحلام انما هي اعتقادات تخيل في القلب لاحقيقة لاكثرها لأن الانسان يعتقد انه رأى لما لا يراه على الحقيقة ويدرك لما ليس مدركه على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم للعين ما لاحقيقة له كما ان العين تخيل في كثير من الأحوال للقلب ما لاحقيقة له . . فأما قول مروان * فكأنما طرقت بنفحة روضة * البيت فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن جري قال

طَرَقَتْ أَسِيْمَاهُ الرَّحَالُ وَدُونَهَا بَيْتَانِ مِنْ لَيْلِ التِّمَامِ الْأَسْوَدِ
وَمَفَاوِزُ وَصَلَ الْفَلَاةَ جَنُوبَهَا بِجُنُوبِ أُخْرَى غَيْرَ أَنْ لَمْ تُعْقَدِ
رَمَلٌ إِذَا أَيْدِي الرَّكَّابِ قَطَعْنَهُ قَرَعَتْ مَنَاسِمَهَا بِقُفٍّ قَرَدَدِ
فَكَأَنَّ رِيحَ لَطِيْمَةٍ هِنْدِيَّةٍ وَذَكَرِيَّ جَادِيٍّ بَنَصْعٍ مُجْسَدِ
وَنَدَى خَزَامِي الْجَوِّ جَوَّ سَوِيْقَةٍ طَرَقَ الْخَيَالُ بِهِ بُعَيْدَ الْمَرْقَدِ

أو من قول الآخر

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ بِنِيٍّ وَنَحْنُ مُعَرَّسُونَ هُجُودُ
وَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِرِيَا رَوْضَةً أَنْفٌ يُسَجِّسُحُ مَزْنُهَا وَتَجُودُ

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً . . فأما قوله - باتت تسائل في المنام معرساً - البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السري والادلاج وشعث السارين فأكثرُوا . . فن أحسن ما قيل في ذلك قول لبيد
وَمَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى عَاطِفِ النَّمْرِقِ صَدَقِ الْمُبْتَذَلِ^(١)

(١) قوله - ومجود من صبابات الكرى - الخ الوار واورب والمجود الذي جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام من الجود بالفتح وهو المطر الغزير يقال أرض مجودة أي مغيثة وجهبت الأرض اذا أمطرت جوداً . . وقال امرأ بن المجود الذي قد جاده العطش أي

قَالَ هَجَدْنَا فَقَدْ طَالَ السَّرَى وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَى الدَّهْرُ غَفَلَ^(١)
 قَلَمًا عَرَسَ حَتَّى هِجَّتْهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ^(٢)

غلبه كذا في شرح أبي الحسن الطوسي وهذا لا يناسب لقوله صبابات الكرى فاز الكرى النوم وصبابته بقيته كذا في شرح الشواهد للبغدادى . . وقال في اللسان ويقال للذي غلبه النوم مجود كأن النوم جاده أى مطره قال والمجود الذي يجهد من النعاس وغيره عن الاحيانى وبه فسر قول لبيد وأنشد البيت قال أي هو صابر على الفراش الممهد وعن الوطء يعنى انه عطف نمرقة ووضعها تحت رأسه وقيل معنى قوله ومجود من صبابات الكرى قيل معناه شيق وقال الأصمى معناه صب عليه من جود المطر وهو الكثير منه والجود النعاس وجاده النعاس غلبه . . وقوله عطف النمرق صفة مجود والاضافة افضلية والنمرقة مثلثة الذون الوسادة والطنفسة فوق الرحل وهي المراد هنا . . وقوله صدق المتبذل بفتح الصاد أى جلد قوي لا يغير عند ابتذاله نفسه ولا يسقط ولا يجوز أن يقال صدق المتبذل الا اذا اتمن ووجد صادق المهنة يوجد عنده ما يجب ويراد

(١) قوله هجدا - النخ هو متعاق رب والتهجيد من الاضداد يقال هجده اذ انومه أى دعنا ننام وهو المراد هنا وهجده اذا أيقظه والفاء للتعميل - والسرى - بالضم سيرة عامة الليل . . وقوله وقدرنا - أي قدرنا على ورود الماء وذلك اذا قربوا منه وفى القاموس وبه اليلة قادرة هبنة السير لاتعب فيها - واخلى - بفتح المعجمة والقصر الآفة والفساد أى ان غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا وقيل قدرنا أى على التهجيد وقيل على السير

(٢) قوله قلم عرس - النخ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل وجاءة إياها بمنزلة ما النافية في الأغلب وهنا لا ثبات القلة وما تتصل بأفعال ثلاثة فتسكتفها عن طلب الفاعل وهي قلم وطلما وكثر ما وينبغي ان تتصل بالأولين كتابة والتعريس النزول فى آخر الليل للاستراحة والنوم ومثله الاعراس - وهجته - أيقظته من النوم وهاج يهيج يحىء لازماً ومتعدياً يقال هاج اذا نار وهجته اذا أثرته - وحق - هنا حرف جر بمعنى الا الاستثنائية أى ما عرس إلا أيقظته أى نام قابلاً - لاثم أيقظته وأكثر دخولها على

يَلْمَسُ الْأَحْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ يَدَّيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصْلِ^(١)
يَتَمَارَى فِي الَّذِي قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَلْ^(٢)
أو من قول ذي الرمة

المضارع كقوله

ليس العطاء من الفضول سباحة حق تجود وما لديك قليل

وقوله - بالنباشير - أي بظهورها والنباشير أوائل الصبح وهو جمع نبشير ولا يستعمل الا جمعا كذا عبر البغدادي ولفظ شارح القاموس لا واحد له - والأول - صفة النباشير وهو بضم الهمزة وفتح الواو جمع أولى مؤنث الأول كالنكبر جمع كبري وقد جاء هذا المصراع الثاني في شعر النابغة الجعدي وهو

وشمول قهوةٍ باكرتها في النباشير من الصبح الأول

(١) قوله - يلمس الأحلاس - فاعل يلمس ضمير المجود واللمس الطلب وفعله من بابي قتل وضرب والأحلاس جمع حاس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظاهر البعير تحت رحله أي يطالبها يديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس . . وقوله - كاليهودي المصل - أي كأنه يهودي يصلي في جانب يسجد على جبينه واليهودي يسجد على شق وجهه وأصل ذلك أنهم لما نتق الجبل فوقهم قيل لهم إثم أن تسجدوا وإثم أن يلقى عابكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل فصار عندهم سنة إلى اليوم

(٢) قوله - يتمارى في الذي قلت له - الخ التمارى في الشيء والامتراء فيه المجادلة والشك فيه يقال ماريت الرجل أماريه مرأه ومماراة إذا جادلته والمربة الشك . . قال الطوسي يقول قال له الصبح النجاء النجاء قد أصبحت ونحو هذا من الكلام - وحيهل - أي أسرع وأعجل وحيهل اسم فعل قل زكريا الأحمر في حيهل ثلاث اتمات يقال حيهل بفلان بجزم اللام وحيهل بفلان بحركة اللام وحيهلا بفلان بالتثنية وقد يقولون من غير هل من ذلك حتى على الصلاة وقال ابن عصفور ان حيهلا مركبة من حي وهلا الا ان ألف هلا تحذف في بعض اللغات تخفيفاً

وَلَيْلٍ كَأَثَاءِ الزَّويزِيِّ جُبْتُهُ بِأَزْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

— والزويزي — هو الطليسان . . وقد روى أيضاً كجباب العروس أدرعته وكل ذلك وصف له بالسواد لان الطليسان أسود . . وجباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

أَحْمُ عَلَافِيٍّ وَأَبْيَضُ صَارِمٍ وَاعْيَسُ مَهْرِيٍّ وَاشْعَثُ مَاجِدُ
أَخُو شَقَّةٍ جَابَ الْفَلَاةَ بِنَفْسِهِ عَلَى الْهَوْلِ حَتَّى طَوَّحَتْهُ الْمَطَارِدُ
وَاشْعَثَ مِثْلَ السَّيْفِ قَذْلَاحَ جِسْمِهِ وَجَيْفُ الْمَهَارِي وَالْهُمُومُ الْأَبَاعِدُ
سَقَاهُ الْكَرَى كَأْسَ النُّعَاسِ فَرَأَسُهُ لِدَيْنِ الْكَرَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ
أَقَمْتُ لَهُ صَدْرَ الْمَطِيِّ فَمَا دَرَى أَجَاثِرُهُ أَغْنَاقُهَا أَمْ قَوَاصِدُ
تَرَى النَّاشِئَ الْغَرَّ يَرِيضِحِي كَأَنَّهُ عَلَى الرَّحْلِ مِمَّا مَنَّهُ السَّيْرُ عَاصِدُ

ومن ذلك قول أبي حبة النخري

وَأَغْنِدَ مِنْ طَوْلِ السُّرَى بَرَحَتْ بِهِ أَفَانِينَ نَهَاضَ عَلَى الْأَيْنِ مُرْجِمُ
سَرِيتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَمَزَّقَتْ تَوَالِي الدُّجَى عَنْ وَاصِحِ اللَّوْنِ مُعَلِّمُ
أُنْخَنَا فَلَمَّا أَنْ جَرَتْ فِي دِمَاغِهِ وَعَيْنِيهِ كَأْسُ النَّوْمِ قَلْدُ لَهُ قُمْ
فَمَا قَامَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدٍ تُقِيمُهُ كَمَا عَطَفَتْ رِيحُ الصَّبَا خُوطَ سَأْسَمِ
خَطَا الْكُرَّةَ مَغْلُوبًا كَأَنَّ لِسَانَهُ لِمَا رَدَّ مِنْ رَجْعِ لِسَانِ الْمُبْلِسِمِ
وَوَدَّ بَوَسْطَى الْخَمْسِ مِنْهُ لَوْ أَنَّ رَحَلْنَا وَقُلْنَا فِي الْمَنَاحِ لَهُ نَمِ

﴿ مجلس آخر ٤٢ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض) إلى آخر الآية ٠٠ فقال مامعنى اختصاص الأرض بالذكور وهم لا يفوتون الله ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفي الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحمونهم من المكارة وكيف نفي استطاعتهم للسمع والإبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه ٠٠ الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الأرض بالذكر فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفي أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وإن جبال الأرض وسهولها لا تمجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما أنها تمجز عن كثير من أحوال البشر من المكارة لأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكارة ويأجئون بها إلى الاعتصام بها عند المخاوف فإذا نفي تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفي المعقل من كل وجه ٠٠ وأما قوله تعالى (وما كان لهم من دون الله من أولياء) فمعناه أنه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد أيضاً إيقاعه بهم في الدنيا وإن كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر وإن كان مخرجه مخرج الخبر ويكون التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره ٠٠ فأما قوله عز وجل (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) ففيه وجوه ٠٠ أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً للحق وذهاباً عن سبيله فأسقط الباء من كلامه وذلك جائز كما جاز في قولهم لا جزينك بما عملت ولا جزينك ما عملت ولا أحدثك بما عملت ولا أحدثك ما عملت وكما قال الشاعر

نَعَالِي الْأَحْمَ لِلْأَضْيَافِ نِيَا وَنَبَذْلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقُدُورُ

أراد نعالى بالهم . . والوجه الثاني أنهم لاستنقاذهم استماع آيات الله تعالى وكراهيتهم تذكرها وتهمها جري مجري من لا يستطيع السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته الى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما نقول لمن عهدنا منه العناد والاستنقال لاستماع الحجج والبيانات ما يستطيع أن يسمع الحق وما يطيق أن يذكر له ذلك وكما قال الأعتى

وَدَّعْهُ رُزَّةً إِنْ الرِّكْبَ مَرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

ونحن نعلم انه قادرٌ على الوداع وانما نفي قدرته عليه من حيث الكراهية والاستنقال . . ومعنى وما كانوا يبصرون أى ان إصبارهم لم يكن نافعا لهم ولا مجديا عليهم مع الاعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإصبار جاز أن ينفي عنهم الإصبار نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله مالك لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما أشبه ذلك . . والوجه الثالث أن يكون معنى نفي السمع والبصر راجعا الى آلهتهم لا اليهم وتقدير الكلام أو أهلك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الارض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه مروى عن ابن عباس رضى الله عنه وفيه أدنى بعد . . ويمكن في الآية وجه رابع وهو أن يكون مافي قوله (ما كانوا يستطيعون السمع) ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك ملاح نجم ولأقيمن على مودتك ما طلعت شمس ويكون المعنى ان العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أى انهم معذبون ما كانوا أحياء . . فان قيل كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد يكون حيا من لا يكون كذلك . . قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا كلمت فلانا ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت لان الأغلب في أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وَمَا أَنَسَ مِنْ شَيْءٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ فَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا هَدَتْ قَدَمِي نَعْلِي
عَشِيَّةً قَالَتْ وَالْذُمُوعُ بِعَيْنِهَا هَنِيئًا لِقَلْبٍ عَنْكَ لَمْ يُسْلِهِ مُسْلِي

وانما أراد إني لا أنسى ذلك ما حيت وكذلك لا يمنع أن يعلق على هذا المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والابصار ويعود المعنى الى تعلقه ببقائهم وكونهم أحياء والمرجع في ذلك الى التأبيد لانه اذا علق العذاب ببقائهم وأحيائهم علمنا ان الآخرة لا موت فيها ولا خروج من الحياة وعلمنا تأبيد العذاب .. ونعود الى ما كنا شرعنا فيه من الكلام على شعر مروان فما يختار له قوله من القصيدة التي قد مضى أولها وتكلمنا عليها

وَضَعُوا الْخُدُودَ لَدَيْ سَوَاهِمَ جُنْحٍ تَشْكُرُوا كُلَّوَمَ صَفَاحِهَا وَكَلَالِهَا
طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ بَعْدَ السَّرَى بَغْدُوتَهَا آصَالِهَا
نَزَعْتُ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفْتُ تَطَوَّى الْفَلَاةَ حُزُونَهَا وَرِمَالِهَا
يَتَّبَعْنَ نَاجِيَةً تَهْزُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيهَا وَقَذَالِهَا
هُوَ جَاءَ تَذَرُّعُ الرُّبَا وَتَشَقُّهَا شَقَّ الشُّمُوسِ إِذَا يُرَاعُ جِلَالِهَا
تَنْجُو إِذَا دَفَعَ الْقَطِيعُ كَمَا نَجَتْ خَرَّ جَاءَ بَادَرَتِ الظَّلَامِ رِثَالِهَا
كَالْقَوْسِ سَاهِمَةٌ أَتَتْكَ وَقَدْ تَرَى كَالْبُرْجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَحِبَالِهَا

وهذه الأبيات في وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة الألفاظ معطرة اللسج وقد سبق الناس في هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الأخطل
بِخُوصٍ كَأَعْطَالِ الْقَسَى تَقَلَّقَلْتُ أَجْنَتْهَا مِنْ شُقَّةٍ وَدَوْبٍ^(١)

(١) - اعطال القسى - التي لا أوتار عليها - وتقلقت - تحركت في بطونها من الدأب
والسبر - وأجنتها - جمع جنين

إِذَا مُجَلَّ غَادَرَنَّهُ عِنْدَ مَنْزِلٍ أُنْتِجَ لِحَوَابِ الْفَلَاةِ كَسُوبِ^(١)
وَمَنْ بَنَى عَوْجٌ كَأَنَّ عِيُونَهَا بَقَايَا فَلَاتٍ قَلَّصَتْ لِنُضُوبِ^(٢)

مَسَانِيفُ يُطَوِّيهَا مَعَ الْقَيْظِ وَالشَّرَى تَكَالَيْفُ طَلَّاعِ النَّجَادِ رَكُوبِ
قَدِيمٍ تَرَى الْأَصْوَاءَ فِيهِ كَأَنَّهَا رِجَالٌ قِيَامٌ عَصَبُوا بِسَبُوبِ^(٣)
يَعْمَنُ بَنَاءُ عَوَمِ السَّفِينِ إِذَا أُنْجَلَتْ سَحَابَةٌ وَضَاحِ السَّرَابِ خُبُوبِ

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادِينَا بِأَرْحُلِنَا خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظُلْمَانِ
كَأَنَّ إِفْلَاتَهَا وَالْفَجْرُ يَأْخُذُهَا إِفْلَاةٌ صَادِرَةٌ عَنْ قَوْسِ حَسَّانِ

.. وقال بشار

وَإِذَا الْمَطَى سَبَحْنَ فِي أَعْطَافِهِ فَاتَ الْمَطَى بِكَاهِلٍ وَتَلِيلِ
فَكَأَنَّهُ وَالنَّاعِمَاتُ يَرِذْنَهُ فَذَحْ يُطْلَعُ مِنْ قِدَاحِ مُجِيلِ

ولبعض الحارثيين

نَهَشَ الْهَجَارُ وَالظَّهَارُ لَحْمَهَا حَتَّى تَحْدَدَ لَحْمَهَا الْمَتَظَاهِرُ

(١) - المعجل - الجنين الذي يولد لغير تمام - وأنتج - قدر - وجوَاب الفلاة -

الذئب .. يقول ذا رمت بالمعجل صادفه الذئب

(٢) - الفلاة - جمع قلت وهي النقرة في الجبل تمسك الماء - وقاصت - أي غارت

- والنضوب - ذهاب الماء .. شبه عظم العين بالصخرة في الصلابة وبقية العين بما بقي

من الماء في القلت

(٣) - الأصواء - جمع صُوى وصوى جمع صوة وهي حجارة تنصب ليهتدي بها .. شبه

الصوى وقد جملها السراب برجال قيام عصبوا بالسبوب جمع سب وهي شقة كتان رقيقة

(٣ - أمالي لث)

حَرَفُ تَنَاهَبَهَا النَّجَاءُ فَلَا تُصْ صَبْرُ إِذَا عَظَفَتْ سَوَافِهَا الْبَرَى
مِمَّا تَنْجَلْ شَدَقَمَ أَوْ ذَاعِرُ سَمِعَتْ لَهْنٌ كَشَا كَشْ وَجَرَا جِرُ
وَيُخْلَنَ مِنْ عَزِّ النَّفُوسِ وَجَدَهَا جَنَّا وَهْنٌ إِذَا اخْتَبَزْنَ أَبَا عِرُ
إِمَّا إِذَا مَا قَبِلَتْ فَكَأَنَّهَا ذُعُرُ تَهَادَتْهَا الْفَلَاةُ نَوَافِرُ
إِمَّا إِذَا مَا عَرَضَتْ فَكَأَنَّهَا كَذُرُ تَوَرَّدَنَّ النُّطَافُ صَوَادِرُ
إِمَّا إِذَا مَا أُبْرِكَتْ فَكَأَنَّهَا صُرُحٌ مُشِيدَةٌ وَهْنٌ ضَوَامِرُ

[قال الشريف] رضى الله عنه... وإني لأستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف

الداقة بالسرعة

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أُرْقِلَتْ وَقَدْ جَرْنَ ثُمَّ اهْتَدَيْنِ السَّيْلَا
يَدَا سَابِحٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلًا^(١)
إِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتُ مَشْحُونَةٌ أَطَاعَتْ لَهَا الرِّيحُ قَلْعًا جَفُولًا^(٢)
وَإِنْ أَذْبَرَتْ قُلْتُ مَذْعُورَةٌ مِنْ الرُّبْدِ تَتَّبِعُ هَيْقًا ذُمُولًا^(٣)

(١) قوله - يدا سابع - الخ يروى

يदा عائم خرف في غمرة قد ادركه الموت إلا قليلا

يقول كأن يدي هذه الناقة وقت كلال غيرها من الابل ولزوم من المحجة يدا سابع فهو
أشد لتحريكه يديه مخافة على نفسه

(٢) المشحونة - المملوءة - .. شبهها بسفينة مملوءة لانه أقوم لسيورها وأعدل - والقاع -

الشراع - والجفول - التي تنجفل أي تسمع

(٣) قوله وإن أذبرت الخ يروى

إذا أقبلت قلت مذعورة من الرمد تلحق هيقا ذمولا

ومعنى قوله - وقد جرن ثم اهتدين السبيلا - يعنى المطايا يقول كن نشيطات يمرحن فلا يلزم من لقم الطريق بل يأخذن يمينا وشمالا فلما عضهن الكلال استقمعن على المحجة فكانه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكفى عن الكلال بلزوم جادة الطريق حتى تنكها . . وهذه كناية فصيحة ملبحة ومثله قول الآخر

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا يَدَا سَاحِجٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَذَرَعُ

وما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدَّةٍ بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعْدُرَا
مُجَدَّةُ الْأَعْرَاقِ قَالَ ابْنُ ضَرَّةٍ عَلَيْهَا كَلَامًا جَارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا

ويروى من الربد كما فى الأصل وهو جمع ربداء وجعلها مذعورة لانه أشد لسيرها - والرمد - النعام وهى الربد أيضاً - والهيى - ذكر النعام وهى المنكسفة اللون - تع - لو سوادها كدرة والربدة سواد يكسف الوجه ويغيره يقال لأربدن وجهه والهيى الطويل والأثني هيقة وهذه الرواية التى فى الأصل منكسة فقدم آخرها على أولها وحذف من بينها أربعة أبيات وهى من قصيدة مشهورة أولها

هَجَرَتْ أَمَامَهُ هَجْرًا طَوِيلًا وَحَمَلَتْ النَّأْيَ عِبَاءً ثَقِيلًا

الى ان قال

اِذَا أَقْبَلَتْ قُلْتَ مَذْعُورَةٌ مِنَ الرَّمْدِ تَلْحَقُ هَيْقًا ذَمُولًا
وَإِنْ أَدْبَرْتَ قُلْتَ مَشْحُونَةٌ أَطَاعَ لَهَا الرِّيحَ قَلْعًا جَفُولًا
وَإِنْ أَعْرَضْتَ حَارَفِيهَا الْبَصِيرَ مَا لَا يَكْلِفُهُ أَنْ يَقْبِلَ
يَدَا مُرْحَمًا مَائِرًا ضَبْعُهَا تَسُومُ وَتَقْدُمُ رِجْلًا زَجُولًا
وَعُوجًا تَنَاطَعْنَ تَحْتَ الْمَطَا وَتَهْدِي بَيْنَ مَشَاشَا كَهُولًا
تَعَزُّ الْمَطِيَّ جَمَاعَ الطَّرِيقِ إِذَا أَدْلَجَ الْقَوْمُ لَيْلًا طَوِيلًا
كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أَرَقَاتِ وَقَدْ جَرْنَ ثُمَّ اهْتَدَيْنَ السَّبِيلَا
يَدَا عَائِمٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ

شبه ذراعها وهي تتذرع في سـ يرها بذراعى امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها
وقد حكى عنها ابن ضرته كلاماً أهجر فيه أي أخش فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذر
وتخاف وتصح عن نفسها .. وقد قيل ان معنى مدلة انها تدل بحسن ذراعها فهي
تدمن اظهارهما ليرى حسنهما .. وقوله - بعيد السباب - أى فى عقب المسابة قامت تعتذر
الى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية انها نصف من النساء فهي أقوم
بحجتها من الحدة الفرّة ويشهد لهذه الرواية قول الآخر

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَقْلُقُ ضَفْرُهَا يَدَا نَصْفٍ غَيْرِي تَعْذَرُ مِنْ جُرْمِ

وفى قوله - حين يقلق ضفرها - سرّ وفائدة لأن الضفر هو الاتساع وانما تقلق اذا
جهدها السير فضررت فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال .. ومثله
كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا بَدِيَّةٍ مُفْجِعَةٌ لَأَقْتِ ضَرَائِرَ عَنْ عُفْرِ
سَمِعْنَ لَهَا وَاسْتَعْجَلَتْ بِكَلَامِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِى بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَتَرَى
وبقاربه قول الآخر

أَلَا هَلْ تَبْلَغْنِيهِمْ عَلَى الْأَوَاءِ وَالظَّنَّةِ
وَأَوَّاءُ الْحَصَى الْمَعْزَا فِي أَخْفَافِهَا رَنَّةٌ
إِذَا مَا عَسَفَتْ قُلْتُ حَمَامَةً فَاصِحَّةً كَنَّةً

ومن شبه سرعة أيدى الابل بأيدي النوايح كعب بن زهير فقال

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْقَوْرِ الْمَسَاقِيلُ
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيَهُمْ وَقَدْ جَعَلَتْ وَزَقُ الْجَنَادِ بِيْزِ كَضَنِ الْحَصَى قِيلُوا
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفٍ قَامَتْ فَجَاوَبَهَا نَكْدٌ مِثْلَ كَيْلِ
نَوَاحٍ رَخْوَةٍ الضَّبْعَيْنِ لَيْسَ لَهَا لِمَ نَمَى بِكَرِّهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ

بـ المساقيل - أول السراب ولا واحد لها من لفظها .. أخبر ان ناقة في شدة الحر واتقاد

الظهرة تمرح في سيرها وتذرع بيديها وشبه ذراعها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها
وقد نمي اليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما - والعبطل - العاويلة العنق وجعلها
نصفاً لأنها قد كادت تيأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه - والقور -
جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تلفعت القور بالمساقيل
فلم يمكنه فقلب .. ومثله

وَكَاثِمًا رَفَعَتْ يَدًا نَوَاحَةً شَمْطَاءَ قَامَتْ غَيْرُ ذَاتِ خِمَارٍ

وانما خص الشمطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم
وَلَا شَمْطَاءَ لَمْ يَتْرُكْ شَقَاها لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ إِلَّا جَنِينًا
وقد قيل في بيت عمرو بانه شبه الناقة بشمطاء لما على رأسها من اللغام .. ومثله ما تقدم
من المعاني قول الشاعر

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَنْبَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي تَجْمَعُ
وَتَحْتَ رَحْلِي زَفْيَانٌ مَيْلَعُ كَأَنَّهَا نَائِمَةٌ تَفْجَعُ

تَبَسَّكِي لِمَيْتٍ وَسِوَاهَا الدُّوْجَعُ

- الزفیان - الناقة الخفيفة - والميلع - السريعة .. وشبه رجيع يديها في السير ونشاطها
بيدي نائمة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة فهي تزيد في الإشارة بيديها ليري مكانها
.. ومثله بعينه قول ذي الرمة

مَجَانِيقُ تُضَنِّي وَهِيَ عَوْجٌ كَأَنَّهَا بِجَوْبِ الْفَلَاحِ مُسْتَاغِرَاتُ نَوَاحٍ

- المجانيق - اللواتي ضمرن بعد سمن وخص المستأجرات من النوايح للمعنى الذي
ذكرناه .. وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى

كَأَنَّ أَوْبَ يَدَيْهَا حِينَ اعْجَلَهَا أَوْبُ الْمَرَّاحِ وَقَدْ نَادَوْا بِتَرْحَالِ

مَقْطُ الْكُرَيْنِ عَلَى مَنكُوسَةٍ زَلِقَ فِي ظَهْرِ حَنَانَةِ النَّيْدَيْنِ مَغْوَالِ

معنى -أوب ذراعيها- أي رجعهما -وأوب المراح- اذا راح القوم عازب أموالهم-
 ليرحلوا. وقد روى أوب المراح بالكسر ومعناه رجع المراح-والنشاط-والمقط-اللعب
 بالكرة-والكرين- جمع كرة-والمنكوسة- الأرض البراح التي لا تئى فيها-والزاق-
 المستوية من الأرض-والحنانة- الريح-والنيران- جانباهذه الأرض-وهول- قيل
 انه من صفات الريح وقيل انه من صفات الأرض وان كان من صفات الريح فمعناها
 ان الريح تقول الأرض بأسرها أى يملأها واذا كان للأرض فلهنى انها تقول من سلكها
 أى تهلكه. وتاخىص معنى البيت انه شبه يدى ناقته بيدي ضارب بكرة في الأرض
 الواسعة فى يوم ربح عاصف وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة. ومثل
 بيقى الشماخ قول المسيب بن علس

مَرِحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّمَا تَكْرُو بِكَفَيِّ مَأْقَطٍ فِي قَاعٍ^(١)

(١) قوله -تكرؤ بكفى مأقط- النخ. رواية المفضل

مرحت يداها للنجاء كأنما تكروا بكفى لاعب في صاع
 قال ابن الأنباري-النجاء- السرعة بمد ويقصر-وتكرو- كأنما تلعب بالكرة يقال قد
 كرى يكرؤ اذا ضرب بالكرة-والصاع- منهبط من الأرض له ما يحفه كهيئة الجفنة
 .ويروى-بكفى مأقط في صاع-الصاع موضع تكنسه وتلعب فيه بالكرة-والمأقط-الذي
 يكرؤ بالكرة يضرب بها الأرض ترتفع اليه. قال أحمد قوله فى صاع أراد بصاع وهو
 الصولجان الذى يلعب به الغلمان أراد بصاع صانع لانه يعطف للضرب به لصاع الكرة به
 فكان الصولجان هو يصوعها. وهذان البيتان من قصيدة مفضلية روى ان أبا جعفر
 المنصور مر بالمهدى ابنه وهو يشد المفضل هذه القصيدة فلم يزل واقفاً من حيث لا يشعر
 به حتى استوفى سماعها ثم صار وأمر باحضارها فحدث المفضل بوقوفه واستماعه لقصيدة
 المسيب واستحسانه إياها وقال له لو عمدت الى أشعار الشعراء المقلين واخترت لفتاك لكل
 شاعر أجود ما قال لكان ذلك صواباً ففعل المفضل وعدد القصيدة ٢٦ بيتاً وأولها

أرحات من أسلمى بغير متاع قبل العطاس ورعتها بوداع
 عن غير مقلية وإن حبأها ليست بأرمام ولا أقطاع

فَعَلَ السَّرِيعَةَ بَادَرَتْ جُدَادَهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ

معنى - تكرو - أى كأنها لآعب بكرة - والسريعة - يعنى نساجة - والجداد - الغزل الضعيف ^(١) فأراد انها تسرع الضرب بالخف والنسج قبل المساء وما دامت تبصر فشبه يدي ناقتة في نذرهما بيدي هذه النساجة .. وقال الأصمعي الجداد هذب الثوب فيعنى ان هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب وبلغت الي هذبه فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء .. وقريب منه قول الآخر

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْفَرْقِ أَيْدِي جَوَارٍ يَتَعَاطِينَ الْوَرِقَ

فالفرق الخشن الذى فيه الحصى وشبهه حذف مناسمها له بمحذف جوار يلعبن بدراهم وخمس الجواري لانهن أخف يدي من النساء .. وقال آخرون الفرق ههنا المستوى من الأرض الواسع وانما خص بالوصف لان أيدي الابل اذا أسرع في المستوى فهو أحمدها واذا أبطأت في غيره فهو أجهد لها .. ومن أحسن ما قيل في الاسراع قول المزار بن سعيد

فَتَنَّاوَلُوا شُعْبَ الرَّحْلِ حَالٍ فَقَلَصَتْ سُودُ الْبُطُونِ كَفَضْلَةِ الْمُتَمَسِّسِ

اذ تستبيك باصلي ناعم	قامت لتفتله بغيز قناع
ومهي يرف كأنه إذ ذقته	عائبة شجعت بماء يراع
أو صوب سارية أدركته العبا	ببزيل أزهر مدحج بسباع
فرايت ان الحلم مجتنب العبا	فصحوت بعد تشوق ورواع
فتسل حاجتها اذا هي أعرضت	بخمصة سرح اليدين وساع
صكاه ذعلبة اذا استدبرتها	حرج طذا استقبلتها هلواع
وكان قنطرة بموضع كورها	ملساء بين غوامض الانساع
واذا تعاورت الحصى أخفاها	دوت نواديه بظهر القاع

(١) وقيل الجداد ما بقى من خيوط الثوب وقبل هي خيوط الثوب اذا قطعه

ذكر قوماً سافراً هبوا من رقدتهم الى رحلم ليسروا. . . ويعنى بسود البطون الابل
والمتهمس - المائد الذى أخذ ناموساً وهو ما يستتر به ليختل الصيد فشبه المطايا فى سرعتها
بقطا قد صاد المائد بعضها وأفلت بعضها فمن يطرن طيراناً شديداً . . . ومثل هذا وان
كان فى وصف الخيل قول النابغة

كالطَيْرِ تَنْجُو مِنَ الشَّوْبُوبِ ذِي الرَّدِّ (١)

فأما قول مروان

يَهْزُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيلَهَا وَقَدَّالَهَا

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ماضى . . . وأحسن من قول
مروان وأشد فصاحة بالمعنى وإعراباً عنه قول الهذلي

وَمَنْ سَيَّرَهَا الْعَنْقُ الْمُسَبْطَرُّ وَالْعَجْرُ فَيْةُ بَعْدَ الْكَلَالِ

وانما كان أحسن لانه صرح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان بعد النحول لا يجرى
هذا المجرى لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ويكون عن غيره . . . وأما
قوله - كالقوس ساهمة أنك - البيت فقد أكرت العرب فى وصف المطايا بالنحول
وتشبيهها بالقسي . . . وغيرها وقد أحسن كثير فى قوله

نَقَى السَّيْرُ عَنْهَا كُلَّ دَاءٍ إِقَامَةٍ فَهِنَّ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ تَرَائِكُ
وَحَمَلَتْ الْحَاجَاتُ خُوصاً كَأَنَّهَا وَقَدْ ضَمَرَتْ صُفْرُ الْقِسَى الْعَوَاتِكُ

وقال سلم بن عمر الخاسر

وَكَأَنَّهِنَّ مِنَ الْكَلَالِ أَهْلَةٌ أَوْ مِثْلَهُنَّ عَطَائِفُ الْأَقْوَاسِ
قُودٌ طَوَّاهَا مَا طَوَّتْ مِنْ مَهْمَةٍ نَائِي الصَّوْىِ وَمَنَاهِجِ أَذْرَاسِ

(١) وصدر البيت * والخيل تمزج غرباً فى أغنتها * وهو من قصيدته التى أولها

يَا دَارَ مَيْمَةِ بِالْعِلْيَاءِ فَالْسِّنْدُ أَقْوَتُ وَطَالَ عَلَيْهِمُ السَّالِفُ الْأَبْدُ

وقال أبو تمام يصف ناقة

أَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَزْنُو
فَمَا بَلَّغَتْ بِنَا عُسْفَانَ حَتَّى
وَبَدَّلَهَا السَّرَى بِالْجَهْلِ حِلْمًا
أَذَابَ سَنَامَهَا قَطْعُ الْفِيَا فِي
بَدَتْ كَالْبَذْرِ وَأَفَا لَيْلَ سَعْدٍ
إِلَى بَعَيْنِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
رَأَتْ بِلِحَاطٍ لِقْمَانَ الْحَكِيمِ
وَقَدْ أَدِيمَهَا قَدْ الْأَدِيمِ
فَقَلَّقَ جِلْدَهَا نَضْحُ الْمَصِيمِ
وَأَبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ

وقال البحتري

وَحَدَّانُ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا فَا
يَتَرَقَرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسْ
بَلْنَ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ
هُمْ مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأَوْتَارِ

وله أيضاً

وَهِيَ الْمَيْسُ دَهْرَهَا فِي ارْتِحَالٍ
رُبَّ مَرَّتٍ مَرَّتٍ تَجَادِبُ فُطْرًا
وَسُرَى تَنْتَحِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى
كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسِنُ أَحْيَا
مِنْ حُلُولٍ أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعِ
سَرَابًا كَالْمَنْهَلِ الْمَشْرُوعِ
يَصْدَعُ اللَّيْلُ عَنْ بَيَاضِ الصَّدِيعِ
أَنَا نَسُوعًا مَجْدُولَةً فِي نُسُوعِ

مجلس آخر ٤٣

[تأويل آية] ٠٠ إن سال سائل عن قوله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)

الآية ٠٠ فقال كيف أضاف الى نفسه اليد وهو ممن بتعالى عن الجوارح ٠٠ الجواب قلنا

(٤ - امالي)

في هذه الآية وجوهٌ .. أولها أن يكون قوله تعالى (لما خلفت يدي) جارياً مجرى لما خلقت أنا وذلك مشهور في لغة العرب يقول أحدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك فإذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الانبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل .. وثانيها أن يكون معنى اليد ههنا النعمة ولا إشكال في أن أحد احتمالات لفظة اليد النعمة .. فأما الوجه في تثنيتها فقد قيل فيه ان المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت لنعمتي وأراد بالباء اللام .. وثالثها أن يكون معنى اليد ههنا القدرة وذلك أيضاً معروف من احتمالات هذه اللفظة بقول القائل مالي بهذا الأمر من يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعنى إني لأقدر عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك انبات قدرة على الحقيقة بل انبات كون القادر قادراً ونفي كونه قادراً فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادرٌ على خلقه فعبر عن كونه قادراً بالفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تأويل الآية ونعود الى ما كنا ابتدأنا به من الكلام على شعر مروان .. فمن قصيدته التي تقدم بغضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله

أَحْيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ	سَنَنْ النَّبِيَّ حَرَامَهَا وَحَلَالَهَا
مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبْعَةً مِنْ هَاشِمٍ	مَدَّ إِلَهُهُ عَلَى الْأَنَامِ ظِلَالَهَا
جَبَلٌ لِأُمَّتِهِ تَلَوْدٌ بِرُكْنِهِ	رَادَى جِبَالٍ عَدُوَّهَا فَازَالَهَا
لَمْ يَغْشَهَا مِمَّا يَخَافُ عَظِيمَةٌ	الْأَجَالَ لَهَا الْأُمُورَ مَجَالَهَا
حَتَّى يُفَرِّجَهَا أَغْرٌ مُهْذَبٌ	أَلْفَى أَبَاهُ مُفَرِّجًا أُمُشَالَهَا
ثَبَّتَ عَلَى زَلَلِ الْحَوَادِثِ رَاكِبٌ	مَنْ صَرَفْنِ لِكُلِّ حَالٍ حَالَهَا
كَلَّتَا يَدَاكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالِهَا	لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْعَدُوِّ وَبَالَهَا
وَقَعْتَ مَوَافِعَهَا بِمَنْوَلِكِ أَنْفُسُ	أَذْهَبْتَ بَعْدَ مَخَافَةٍ أَوْجَالَهَا

أَمَنْتَ غَيْرَ مُعَاقِبٍ طُرَادَهَا وَفَكَتَ عَنْ أَسْرَائِهَا أَغْلَالَهَا
وَنَصَبْتَ نَفْسَكَ خَيْرَ نَفْسٍ دُونَهَا وَجَعَلْتَ مَالَكَ وَاقِيًا أَمْوَالَهَا

أما قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

فقد طمن عليه وعابه من لا معرفة له بنقد الشعر فقل كيف يكون في سنن النبي عابه
الصلاة والسلام حرام وما ذلك بعيب وإنما أراد بـ قوله حرامها وحلالها التحريم والتحليل
ومن سنن النبي عليه الصلاة والسلام تحريم الحرام وتحليل الحلال .. وإنما المعيب من
هذا المعنى قول ابن الرقاع العاملي

وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذْ وَلَا كَهَا مِنْ أُمَّةٍ إِصْلَاحَهَا وَفَسَادَهَا^(١)

ومثل قول مروان قول سلم الخاسر * ولما وليت ذكرت النبي بتحليله وبخبره * فأما قوله
- حق بفرجها أغرمه ذب - البيت فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين والأصل فيه قول زهير

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَتْهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنَبِّتُ الْخَطِيئَةَ الْأَوْشِيَجُهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

ومثله قول الآخر

وَحُمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُعْصَرُ

ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي

إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ لَهُ خَلْفٌ يَكْفِي السِّيَادَةَ بَارِعُ

(١) البيت من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك .. ومطالعها

عرف الديار توهاً فاعتادها من بعد ما شمل البلى أبلادها

إلا رواسى كلهن قد اصطلى حمراء أشمل أهلها إيقادها

كانت رواحل للقدور فعريت منهن واستلب الزمان رمادها

من أبنائه والعرق ينظر فرعه على أصله والعرق للعرق نازع

ومثله له

ترجو الفلام وقد أعياك والدّه وفي أرومته ما ينبت العود

وأخذ هذا المعنى وبمض هذا اللفظ الكميّ فقال

تجرى أصاغرهم تجرى أكابرهم وفي أرومته ما ينبت الشجر

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

يخلفك البيض من بنيك كما يخلف عود النصار في شعبة

ومثله قول نهشل بن جري

أرى كل عود نابثافي أرومة أبي منبت العيدان أن يتغيرا

بنوا الصالحين الصالحون ومن يكن لوالد سوء يلقه حيث سيرا^(١)

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصاري

ألح على الأيام يفري خطوبها على منهج النفي أباه به قبل

ولبشار

على أعراقها تجرى الجياد

وللبحتري

(١) هذا البيت الثاني من جملة ثلاثة أبيات في الحاسة منسوبة الي جميل بن عبد

الله بن معمر وقبلة

أبوك حباب سارق الضيف برده وجدّي يا حجاج فارس شمرا

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لوالد صدق يلقه حيث سيرا

فان تفضبوا من قسمة الله حظكم فله إذ لم يرضكم كان أبصرا

سَجِيَّةُ آبَائِي وَفِعْلُ جُدُودِي
وَعُودُهُمْ عِنْدَ الْحَوَادِثِ عُودِي

وَمَائِي مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِنَّهَا
هُمْ الْقَوْمُ فَرَعِي مِنْهُمْ مُتَفَرِّعٌ

وللمعنى أيضا

لِلْمَكْرُمَاتِ فَمِنْ أَبِي يَعْقُوبِ
كَالرُّنْحِ أَنْبُوبٌ عَلَى أَنْبُوبِ
لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَابُنِ نَجِيبِ

وَإِذَا أَبُو الْفَضْلِ اسْتَعَارَ سَجِيَّةً
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ
وَأَرَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا

وله أيضا

كُلُّ سَاعٍ مِنَّا يُرِيدُ نِصَابَهُ

مَاسَعَوْا يَخْلِفُونَ غَيْرَ أَبِيهِمْ

.. وله

كَتَبْتُ فِي الْمَجْدِ نَهْجَ أَبِيهِ

وَمَا تَابِعَ فِي الْمَجْدِ نَهْجَ عَدُوِّهِ

وفي هذه القصيدة يقول مروان

أَجْرِي لِنَايَتِهِ الَّتِي أَجْرَى لَهَا
بِالْخَيْلِ مُنْصَلِتًا يُجِدُّ نِعَالَهَا
نُورٌ بَضِيءٌ أَمَامَهَا وَخِلَالَهَا
وَلَقَدْ تَحَفَّظَ قَيْنُهَا فَأَطَالَهَا
جِيحَانٌ بَثٌّ عَلَى الْمَدْوِ رَعَالَهَا
وَأَبَاحَ سَهْلَ بِلَادِهِمْ وَجِبَالَهَا
غَارَاتُهُنَّ وَالْحَقَّتْ أَطَالَهَا
الْأَنْحَاظُ نَحَاظَهَا وَإِلَّا آلَهَا

هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ
طَلَعَ الدُّرُوبَ مُشْمِرًا عَنْ سَاقِهِ
قُوْدٌ تَرِيحُ إِلَى أَغْرٍ لَوَجْهِهِ
قَصُرَتْ حِمَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَصَتْ
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلُ خَيْلِهِ
أَخْمَى بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ
أَدْمَتْ دَوَابِرَ خَيْلِهِ وَشَكِيمَهَا
لَمْ يَبْقَ بَعْدَ مَقَادِهَا وَطَرَادِهَا

رَفَعَ الْخَلِيفَةُ نَاضِرِي وَأَرَأَشَنِي يَدِ مُبَارَكَةٍ شَكَرْتُ نَوَالَهَا
وَحُسِدْتُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيًّا فِي الْمَشْنِيِّ مُتَرَفٍّ شَيْئَةً مُخْتَالَهَا
وَلَقَدْ حَذَوْتُ لِمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى نَعْلًا وَرِثَتْ عَنْ النَّبِيِّ مِثَالَهَا

أما قوله - قصرت حمائله - البيت ٥٥ فلا أصل فيه قول عنيزة

بَطْلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرَحَةٍ يُحْذِي نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بَتَوَامٍ
أَوْ قَوْلِ الْأَعْنَى

إِلَى مَا جِدَّ كِهَالِ السَّمَاءِ أَزَاكِي وَفَاءٍ وَمَجْدَا وَخَيْرَا
طَوِيلِ النَّجَادِ رَفِيعِ الْعِمَا دِيحِي الْمُضَافِ وَيُغْنِي الْفَقِيرَا

ومثله

طَوِيلُ نِجَادِ السِّيفِ عَارِجِيْنُهُ كَنْصَلِ الْيَمَانِي أَخْلَصْتُهُ صِيَا قَلُهُ
إِذَا هُمْ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ تَجْرِ طَيْرُهُ نَحُوسًا وَلَمْ تَسْبِقْ نَدَاهُ عَوَاذِلُهُ

ومثله قول طريح بن اسمعيل الثقفي

وَأَشْمَتْ طَلَّاعُ الثَّنَائِيَا مَبَارَكِ يَطُولُ نِجَادِ السِّيفِ وَهُوَ طَوِيلُ

ولأبي جويرية العبدى

يَمْدُ نِجَادِ السِّيفِ حَتَّى كَأَنَّهُ بَأَعْلَى سَنَانِي فَالِجٍ يَتَطَوَّحُ
إِذَا أَعْتَمَ فِي الْبُرْدِ الْيَمَانِي خِلْتُهُ هَلَالًا بَدَا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَحُ

ولأبي عطاء السندي

وَأَزْهَرَ مِنْ بَنَى عَمْرٍو بْنِ عَمْرٍو حَمَائِلُهُ وَإِنْ طَالَتْ قِصَارُ

ولبعضهم في آل المهلب

رَأَيْتُكُمْ أَعَزَّ النَّاسِ جَارًا وَامْنَمُّهُمْ إِذَا عُدُّوا ذِمَارَا

حَمَائِلُكُمْ وَإِنْ كَانَتْ طَوَالًا تَرَاهَا عَنْ شِمَائِلِكُمْ فِصَادًا

ولبعض بني الغنبر في معنى الطول

فَجَاءَتْ بِهِ عِبَلُ الْعِظَامِ كَأَنَّمَا عِمَامَتُهُ بَيْنَ الرَّحَالِ لَوَاهُ ^(١)

ولآخر

أَشْمُ طَوِيلُ السَّاعِدِينَ كَأَنَّمَا تُنَاطُ إِلَى جَذْعِ طَوِيلِ حَمَائِلِهِ

ولابن هرمة

تُنَاطُ حَمَائِلُ الْهِنْدِيِّ مِنْهُ بِمَاتِقٍ لَا أَلْفَ وَلَا ضَنْبِيلَ

وَلَكِنْ يَسْتَقِيلُ بِهِ قُوَاهُ عَلَى مَاضٍ بِقَائِمِهِ ثَقِيلَ

ولسلم الخاسر

يَقُومُ مَعَ الرَّخِخِ الرُّدَيْنِيِّ قَائِمًا وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نَجَادٍ

وللخنعمي

يُؤَازِي الرُّدَيْنِيُّ فِي طَوِيلِهِ وَيَقْصُرُ عَنْهُ نَجَادُ الْحُسَامِ

وللوالبي

طَوْلُكَ وَطَوْلُكَ فَتَرَى كَفَّهُ يَنْهَلُ بِالطَّوْلِ أَنْهَالَ النِّمَامِ

وَطَوْلُهُ يَفْتَالُ يَوْمَ الْوَعَى وَغَيْرِهِ فَضْلَ نَحَادِ الْحُسَامِ

فأما قوله - ولقد حذوت لمن أطاع - البيت - فقد ردد معناه مروان في مواضع من

شعره فقال

(١) وقبله

فَلَا تَعْذِلِي فِي حَنْدَجٍ إِنْ حَنْدَجًا وَلَيْتَ عَفْرَيْنَ لَدِي سِوَاهُ

حِمْيَ عَنْ الْعُهُارِ أَطْهَارِ أُمِّهِ وَبَعْضَ الرِّجَالِ الْمُدْعَيْنِ جَفَاهُ

شَبِيهُ أَيِّهِ مَنْظَرًا وَخَلِيقَةً كَمَا حُدِّثَتْ يَوْمًا عَلَى اخْتِيَا النَّمْلُ

وقال في موضع آخر

أَحْيَا لَنَا سُنَنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ قَدْ الشَّرَّكَ بِهِ قَرَنْتَ شِرَا كَا

وقال أيضاً

صَحِيحُ الضَّمِيرِ سِرُّهُ مِثْلُ جَهْرِهِ قِيَاسُ الشَّرَّكِ بِالشَّرَّكِ تَقَابُلُهُ

وقال أيضاً

تَشَابَهُتُمَا حِلْمًا وَعَدْلًا وَنَاثِلًا وَحَزَمًا إِذَا أَمْرُهُ أَقَامَ وَأَقْعَدَا
تَنَازَعْتُمَا نَفْسَيْنِ هَذِي كَهَذِهِ عَلَى أَصْلِ عِزْقٍ كَانَ أَفْخَرُ مَتَلَدَا
كَمَا فَاسَ نَعْلًا حَضَرِي فَقَدَّهَا عَلَى اخْتِيَا لَمْ يَأَلُ أَنْ يَتَجَرَّدَا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاتَّفَقَا خَلْقًا وَخَلْقًا كَمَا قَدْ الشَّرَّكَ كَانَ

والأصل في هذا قول ابن أبي ربيعة

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا اعْتَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَمِثْلِ الَّذِي بِي حَذَوَكَ النَّمْلُ بِالنَّمْلِ^(١)

(١) البيت من قصيدة مطلعها

جَرَى نَاصِحٌ بِالْوَدِيِّ وَبَيْنَهَا فَتَقَرَّبَنِي يَوْمَ الْحَصَابِ إِلَى قَتْلِ

فَمَا أَنَسَ مَلَأْشِيَاءَ لَا أَنَسَ مَوْقِفِي وَمَوْقِفَهَا يَوْمًا بِقَارَعَةِ النَّمْلِ

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا اعْتَرَفْتُ الَّذِي بِهَا كَمِثْلِ الَّذِي بِي حَذَوَكَ النَّمْلُ بِالنَّمْلِ

روي أن ابن أبي ربيعة اجتمع هو وجميل بالأبطح فأنشده جميل لامبته التي أولها

لَقَدْ فَرَحَ الْوَاشُونَ أَنْ صَرَمْتَ حَبْلِي بِثِنَّةٍ أَوْ أَبَدْتَ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ

فأنشده عمر لامبته فقال جميل هيات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجين

اللهامي وما خاطب النساء مخاطبتك أحد وقام مشمرأ

ومثله للسيد الحميري رحمه الله تعالى

يَتْلُونَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفِعْلَهُ فَالْتَعَلُّ تُشْبِهُ فِي الْمِثَالِ طَرِاقَهَا

وقد تقدم الى هذا المعنى يزيد بن الكسر بن ثعلبة بن سيار المعجلى بقوله في يوم ذي قار
يحرص قومه على القتال

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ وَجَارِهِ وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ مِثْلَ الشَّرَّاكِ قَدْ مَنَ أَدِيمِهِ

* وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ *

فأما قوله * وحسدت حق قبل أصبح باغياً * البيت ففي معناه قول البحترى

أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ وَعَاثَبْتَ لِي دَهْرِي الْمُسِيءِ فَاعْتَبَا

وَالْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرْتَ أَخِي عَلَيَّ فَا مَسَى نَارِحَ الْوُدِّ أَجْنَبَا

وما يختار لمروان قوله

مَوْفَقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ يَزِينُهُ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ

تَسْمُو الْعِيُونُ إِلَيْهِ كُلَّمَا انْفَرَجَتْ لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ

لَهُ خَلَاقٌ بَيِضٌ لَا يُغَيِّرُهَا صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْدَأُ الذَّهَبُ

ووجدت بعض من ينقد الشعر يقول ليس في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت
الأخير من الثلاثة . . . وكان ابن منذر إياه أراد بقوله وقد سأل وهو مجاور بمكة عمن
ببغداد من الشعراء ف قيل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأنشده

لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسَكَنْتَ عِبْرَتِي أَمَلِي رِضَاكَ وَزُرْتُ غَيْرَ مَرَّاقِبِ

لَكِنْ صَدَدْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً صَدَّ الْمُلُوكُ خِلَافُ صَدِّ الْعَاتِبِ

فقال ابن منذر أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة . . . [قال الشريف

المرتضي [رضي الله عنه ولا شك في قلة الأمثال في شعر مروان ولكن ليس الى هذا الحد وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سبق اليه أيضاً .. قال طريح بن اسماعيل

جَوَادُ إِذَا جِئْتُهُ رَاجِئاً كَفَالَكِ السُّوَالِ وَإِنْ عُدْتَ عَادَا
خَلَائِقُهُ كَسْبِيكَ النُّضَا رَلَا يَعْمَلُ الدَّهْرُ فِيهِ فَسَادَا

ومثله قول الخزيمي

رَأَيْتُكَ يَا زَيْدُ زَيْدَ النَّدَى وَزَيْدَ الْفَخَارِ وَزَيْدَ الْكَرَمِ
تَزِيدُ عَلَى نَائِبَاتِ الْخُطُو بَ بَذَلًا وَفِي سَائِبَاتِ النِّعَمِ
كَذَا الْخَمْرُ وَالذَّهَبُ الْمَعْدِنِ يَجُودُ هَذَا وَذَلِكَ الْقَدَمِ

وفي قوله - الذهب المعدني - فائدة لانه اذا خلص الذهب وصفا لم يفسد واذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه .. وللأُموي

نَاوِي إِلَى خُلُقٍ لَمْ يَصْدِهِ طَمَعٌ كَانَ جَوْهَرَهُ مِنْ جَوْهَرِ الذَّهَبِ

ولبعينهم

مَلِكٌ لَهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بِالْعُلَى كَسْبِيكَ الذَّهَبِ الَّتِي لَا تَكْلِفُ
وَقَدْ أَخَذَ الْخِزَارِزَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ فَلَا تَعْنِ لِي تَحْرِيفُ تَكَلِّمُهُ
إِنَّ الدُّنَا نِيرًا لَا تَجْلِي وَإِنْ عَتَقَتْ لَا تَزَادُ عَلَى الْحُسْنِ الَّذِي فِيهَا

ولجمحة

صَدِيقٌ لِي لَهُ أَدَبٌ صَدَاقَةٌ مِثْلُهُ حَسَبُ
رَعَى لِي فَوْقَ مَا يُرْعَى وَأَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ
وَلَوْ تَقَدَّتْ خَلَائِقُهُ لَبَهَرَ جَعْنَدَهَا الذَّهَبُ

— مجلس آخر ٤٤ —

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى) الآية .. فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جمع وماعنى مسحوراً وما جرت عادة مشركى العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بأنه ساحر .. الجواب أما قوله تعالى (وإذ هم نجوى) فان نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وهو مقرر على لفظه ويجرى ذلك مجرى قولهم الرجال صوم والمناهل حمد يعنى بصوم صائمون وبحمد محمودون .. وقد قال قوم ان معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه ويقال القوم نجى والقوم أنجية فن وحد بنى على مذهب المصدر ومن جمع جملة منقولاً عن المصادر ملحقاً برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك .. قال الشاعر في التوحيد

أَنَا نِي نَجِيَّ بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ^(١)

(١) قوله — أَنَا نِي نَجِيَّ — الخ .. هو لسواد بن قارب الدوسي رضى الله عنه وقيل انه

سدوسي وهو صحابي وبعده

ثلاث ليال قوله كل ليلة	أناك رسول من لؤي بن غالب
فرقت أذيل الازار وشمرت	بي العرمس الوجناء هول السباب
فأشهد أن الله لا رب غيره	وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة	الى الله يا بن الأكرمين الأطياب
فرنا بما يأتيك من وحي ربنا	وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو قرابة	بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

روى ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له وهو خائفة كيف كهانتك اليوم فغضب سواد وقال يا أمير المؤمنين ما قالها لي أحد قبلك فاستحيي عمر ثم قال له يا سواد ما كنا عليه من الشرك أعظم من كهانتك ثم سأله عن حديثه في بدء الاسلام وما أتاه

وَأُنْشِدَ الْفَرَّاءَ فِي الْجَمْعِ

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْقَوْمُ انْجِيَهُ
يُعَذِّى عَلَيْهَا كَمَا يُعَذِّى عَلَى الْغَنَمِ

فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى (إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) فَفِيهِ وَجُوهٌ ٠٠ أَوَّلُهَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُتَغَيِّرَ الْعَقْلِ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا مِنْ مَذَاهِبِهِمْ عَيْبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَضَعِيفُ أَمْرِهِ وَتَوْهِينُ رَأْيِهِ وَكَانُوا فِي وَقْتٍ يَنْسُبُونَهُ إِلَى أَنَّهُ سَاحِرٌ وَفِي آخِرِ يَوْمِهِ بِالْجُنُونِ وَأَنَّهُ مَسْحُورٌ مُتَغَيِّرَ الْعَقْلِ وَرَبَّمَا قَذَفُوهُ بِأَنَّهُ شَاعِرٌ حَوْشَى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ النَّاسِ بِأَنْ يَصِفُوا مَنْ يَضِيفُونَهُ إِلَى الْبَلَاءِ وَالْغَفْلَةِ وَقِلَّةِ التَّحْصِيلِ بِأَنَّهُ مَسْحُورٌ ٠٠ وَثَانِيهَا أَنْ يَرِيدُوا بِالْمَسْحُورِ الْمَخْدُوعَ وَالْمَعَالَى لِأَنَّ ذَلِكَ أَحَدُ مَا يَسْتَعْمَلُ فِيهِ هَذِهِ اللَّفْظَةُ ٠٠ قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِحَتَمٍ غَيْبٍ
وَنُسَخَّرُ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ^(١)

بِهِ رَأْيُهُ مِنْ ظُهُورِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ أَتَاهُ رَأْيُهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَاتٍ وَهُوَ فِيهَا كُلِّهَا بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ فَقَالَ لَهُ قُمْ يَا سَوَادُ فَاسْمَعْ مَقَالَتِي وَاعْقِلْ إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ قَدْ بَعَثَ رَسُولٌ مِنْ لَوْيِ بْنِ غَالِبٍ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَإِلَى عِبَادَتِهِ وَأُنْشِدَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ لَيَالٍ ثَلَاثَةَ أَبْيَاتٍ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ وَقَافِيَتُهَا مُخْتَلِفَةٌ أَوَّلُهَا

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَتَطْلَابِهَا وَشَدَّهَا الْهَيْسُ بِأَقْنَابِهَا

تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْنِي الْهَدْيَ مَا صَادَقُ الْجَنُّ كَكَذَابِهَا

فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَيْسَ قَدْ آمَاها كَأَذْنَابِهَا

وَذَكَرَ تَمَامَ الْخَبَرِ وَأَنَّهُ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُنْشِدَهُ الْأَبْيَاتَ السَّابِقَةَ

(١) وَبَعْدَهُ

عَصَافِيرٌ وَذَبَابٌ وَدُودٌ وَأَجْرًا مِنْ مَجْلَمَةِ الذَّنَابِ

وَيُرْوَى وَأَجْرٌ ٠٠ وَبَعْدَهُ

وَكُلُّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ صَارَتْ إِلَيْهِ هَمِّي وَبِهِ احْتِسَابِي

فَبَعْضُ اللُّومِ عَازِلَتِي فَإِنِّي سَتَكُنْفِينِي التَّجَارِبُ وَاتِّسَابِي

وقال أمية بن أبي الصلت

فَإِنْ تَسْأَلِنَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَا فِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسْحَرِ

•• ونالها ان السحر في اللغة العربية الرئة وما تعلق بها وفيه ثلاث لغات سحرّ وسحرّ وسحرّ •• وقيل ان السحر ما لصق بالخلقوم والمرئ من أعلا الجوف وقيل انه السكبد فكان المعنى على هذا ان يتبعون إلا رجلا مسحوراً ذا سحر خلقه الله بشراً تخلقتكم •• ورابعها أن يكون معنى مسحوراً أى ساحراً وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حججاً مستوراً) أى سائراً والعرب تقول للمعسر ملقح^(١) ومعناه ملقح لان ماضيه ألحق فجاءوا بلفظ المفعول وهو للفاعل ومن ذلك قولهم فلان مشؤم على فلان وميمون ويريدون شام ويامن لانه من شامهم ويمهم •• [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه ورأيت بعض العلماء يطعن على هذا الاستشهاد الأخير ويقول العرب لاتعرف فلان مشؤم على فلان وانما هذا من كلام أهل الأمصار وانما تسمي العرب من لحقه الشؤم مشؤماً •• قال علقمة بن عبدة

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغُرْبَانِ يَزْجُرُهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بُدَّ مَشْؤَمٍ^(٢)

الى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابي

الى آخر الأبيات

(١) قوله ملقح هكذا في الاصل ووردت كذلك في بعض الكتب •• والصحيح ملقح بالفاء والجيم وهو من الأوصاف التي وردت على أفعال فهو مفعول أي استغنى بصيغة اسم المفعول فيها عن اسم الفاعل وهي الفج الرجل فهو ملقح أى ذهب ماله وأسهب فهو مسهب أى كثر كلامه وأحصن فهو محصن وأهتر فهو مهتر وزاد بعضهم اجرأشت الابل فمى مجرأشة

(٢) قال الضبي هذا لا يمانه بالطيرة يقول من يزجر الطير وان سلم فلا بد أن يصيبه

شؤم وألهد

والجوه الثلاثة الأول أوضح وأشبه ٥٥ وبما يختار لمروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني أولها

أَرَى الْقَلْبَ أَمْسَى بِالْأَوَانِسِ مُوَلِّمًا وَإِنْ كَانَ مِنْ عَهْدِ الصَّبِيِّ قَدْ تَمَتَّعًا

يقول فيها

وَلَمَّا سَرَى الْهَمُّ الْغَرِيبُ قَرِينَهُ قَرَى مِنْ أَزَالِ الشَّكِّ عَنْهُ وَأَزْمَعًا
عَزَمْتُ فَعَجَلْتُ الرَّحِيلَ وَلَمْ أَكُنْ كَذِي لَوْنَةٍ لَا يُطْلِعُ الْهَمُّ مَطْلَعًا
فَأَمْتُ رِكَابِي أَرْضَ مَعْنٍ وَلَمْ تَزَلْ إِلَى أَرْضِ مَعْنٍ حَيْثُ مَا كَانَ نُزْعًا
نَجَائِبُ لَوْلَا أَنَّهَا سَخَرَتْ لَنَا أَبَتْ عِزَّةً مِنْ جَهْلِهَا أَنْ تَوَرَّعًا
كَسُونَا رِحَالَ الْمَيْسِ مِنْهَا غَوَارِبًا تَدَارَكَ فِيهَا النَّيُّ صَيْفًا وَمَرْبَعًا
فَمَا بَلَغْتَ صِنْعَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتَ ذُرَاهَا وَزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا وَأَقْلَعًا

يقول فيها

وَمَا الْغَيْثُ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِصَوْبِهِ عَلَى النَّاسِ مِنْ مَعْرُوفٍ مَعْنٍ بِأَوْسَعًا
تَدَارَكَ مَعْنٍ قُبَّةَ الدِّينِ بَعْدَمَا خَشِينَا عَلَى أَوْتَادِهَا أَنْ تَنْزَعًا
أَقَامَ عَلَى الثَّنَجِ الْمَخُوفِ وَهَاشِمٌ تَسَاقَى سَمَامًا بِالْأُسْنَةِ مُنْقَعًا

إمام كان لقمان بن عاد أشار له بمحكمته مشير
تعلم انه لا طير إلا على منطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء أحياننا وباطله كثير

قال الرستمى يقول الغربان ينشأ من بها فن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً أن يصيبه
الشؤم فلا بد أن يقع بما خاف ويحذر ويتعلقه من قصيدته المشهورة التي مطلعها
هل ماعلمت وما استودعت مكتوم أم حبلى إذ نأثك اليوم مصرعوم

مُقامَ امرِي يَا بِي سَوِي الخُطَّةُ التي تَكُونُ لَدَي غِبِّ الْأَحَادِيثِ أَنْفَعَا
وَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةَ عَلَيْكَ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعَا
رَأَوْا مَخْذَرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَايَنُوا لَدَي غِيْلِهِ مِنْهُمْ مَجْرًا وَمَضَرَعَا
وَلَيْسَ بِثَانِيهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى لَدَي نَحْرِهِ زُرْقَ الْأَسِنَّةِ شُرْعَا
لَهُ رَاحَتَانِ الْحَتَفُ وَالغَيْثُ فِيهِمَا أَبِي اللَّهِ إِلَّا إِنْ تَضُرَّ وَتَنْفَعَا
لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءُ مَعْنُ فَاصْبَحُوا وَامْنَعُهُمْ لَا يَدْفَعُ الذَّلَّ مَدْفَعَا
نَجِيبُ مَنَاجِيبٍ وَسَيِّدُ سَادَةٍ ذُرَى الْمَجْدِ مِنْ فَرْغِي نِزَارٍ تَفَرَّعَا
لَبَّائَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأُكْمِلَتْ وَمَا كَمَلْتُ خَمْسَ سِنُوهُ وَأُزْبَعَا
لَقَدْ أَصْبَحْتُ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ بِسَيْفِكَ أَعْنَاقُ الْمُرِّيِّينَ خُضْعَا
وَطَلْتُ خُدُودَ الْحَضَرِ مِيْنٍ وَطَاةَ لَهَا هَذُ رُكْنٌ مِنْهُمْ فَتَضَعُضَعَا
فَأَقْعَوْا عَلَى الْأَذْنَابِ إِفْعَاءَ مَعْشَرٍ يَرَوْنَ لُزُومَ السِّلْمِ ابْقَى وَوَأَدْعَا
فَلَوْ مَدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا لَكَفُّوا وَمَامَدُوا إِلَى الْحَرْبِ إِبْصَعَا

أما قوله - فما بلغت صنعاء حتى تواضعت - البيت ٠٠ فقد رددته في موضع آخر فقال
فَمَا بَلَّغْتُ حَتَّى حَمَاهَا كَلَالُهَا إِذَا عَرِيتُ أَصْلَابُهَا أَنْ تُقَيَّدَا

وهذا كثير في الشعر القديم والحديث ٠٠ فنه قول جرير

إِذَا بَلَّغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيَّدْ وَفِي طُولِ الْكَلَالِ لَهَا قِيُودُ

وروى أنه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير أيكما فيه أشعر فقال ماهو فقيل قولك
أَضُرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَهَا بِقَايَا سِلَالٍ لَمْ يَدَعَهَا سِلَالُهَا

وأنشد بيت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطني فقيل له قد فضلتك عليك فقال

هو ذلك . . وأخذ هذا المعنى بعينه المؤمل بن أميل المحاربي فقال
 كَانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قُبُودًا
 ولأبي نخيلة

قَيَّدَهَا الْجَهْدُ وَلَمْ يُقَيِّدِ فِيهِ سَوَامٍ كَالْقَنَا الْمُسْنَدِ
 وَمَالَهَا مُعَلِّلٌ مِنْ مَزُودٍ مِنْهَا وَلَا مِنْ شَاحِطٍ مُسْتَبَعَدٍ
 ومعنى قوله - وام - أي هي رافعة رؤسها وشبهها بالقنا لأن القنا اذا ركز مال قليلا مع
 الريح فيقول في أعناقها ميل من الضعف كما قال الشاعر
 فَأَضْحَيْتُ تَفَالِي بِالسِّتَارِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ
 وكما قال حميد بن نور الهلالي

بِمَشْوَى حَرَامٍ وَالْمَطِيِّ كَأَنَّهَا قَنَا مُسْنَدُهُ هَبَّتْ لَهْنٌ خَرِيقُ
 - الخريق - ربح شديدة تخرق من كل جهة . . ومعنى قول أبي نخيلة - من مزود -
 أي من ثيلة تجزها من الاجترار وانه لا شيء في أجوافها تعلل به - والمستبعد - ما بعد من
 المرعى . . وأنشد أبو العباس نعلب

إِذَا بَلَّغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيِّدْ وَلَمْ تُشَدِّدْ رَكَائِبُهُمْ بِعَقْلِ
 فَهِنَّ مُقَيَّدَاتٌ مُطْلَقَاتٌ تُقَضِّمُ مَا تُشَدِّبُ فِي الْمَحَلِّ

والأصل في هذا قول امرئ القيس
 مَطَوْتُ بِهِمْ حَتَّى تَكِلَ مَطِيَّهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّنَ بِأَرْسَانِ
 ولعباد بن أنف الكلبي الصيداوى
 فَتُمْسِي لَا أُقَيِّدُهَا بِجَبَلٍ بِهَا طُولُ الضَّرَارَةِ وَالْكَلَالِ

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل
 بَدَأْنَا بِهَا مِنْ سَيْفِ رَمْلِ كَهَيْلَةٍ وَفِيهَا نَشَاطٌ مِنْ مِرَاحٍ وَعَجْرَفُ

فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى تَقَارِبَ خَطُوهَا وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَاسِمُ رُفُفُ

وَحَتَّى قَتَلْنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وَغَوْدِرَتْ إِذَا مَا أُنِخْتُ وَالْمَدَامِيعُ ذُرْفُ

وَحَتَّى مَشَى الْحَادِي الْبَطِي بِسُوقِهَا لَهَا بِمَخَصٍّ دَامٍ وَدِيٍّ مُجَلَّفُ

—البخس— لم الخف الذي ^(١) يطأ عليه—والدئ—فقار الظهر—والجلف—الملشور

وَحَتَّى تَغْشَاهَا وَمَا فِي يَدِ لَهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رِمَّةٌ وَهِيَ رُشَفُ

—الرمة—الحبل .. وأراد انها بزيف كما تزيف المقيد وان لم يكن في يدها قيد

إِذَا مَا نَزَلْنَا قَاتَلَتْ عَنْ ظُهورِهَا حَرَا جِيجُ أَمْثَالِ الْأَهْلَةِ شُسْفُ

—الحراجيج—الطوال من الابل—والشسف—اليابسة من الجهد والكلال .. ومعنى

قتلها للغربان انها اذا صربت ظهورها فتقع الغربان عليها لتأكل دبرها فالابل تدفع

الغربان بأفواهها عن ظهورها فذلك قتلها

إِذَا مَا أَرَيْنَاهَا الْأَزِمَةَ أَقْبَلَتْ أَيْنَا بِحِرَّاتِ الْخُدُودِ تَصَدَّفُ

فَأَفْنِي مِرَاحُ الدَّاهِرِيَّةِ خَوْضُهَا بِنَا اللَّيْلِ إِذْ نَامَ الدَّثُورُ الْمَلْفَفُ

ويروي أرقلت .. ومن أحسن ما قيل في وصف الابل بالنحول من الكلال والجهد

بعد السمن قول الشاعر

وَذَاتِ مَائِنٍ قَدْ غِيَضَتْ جَمَّتَهَا بِحَيْثُ يُسْتَمْسِكُ الْأَزْوَاحُ بِالْحَجَرِ

رَدَّتْ عَوَارِي غَيْطَانِ الْفَلَاوْنَحَتِ بِمِثْلِ إِبْيَالَةٍ مِنْ حَائِلِ الْعُشْرِ

قوله— ذات مائين— يعنى سمناً على سمن وقيل بل عنى أنها رعت كلاً طمين .. وقوله

(١) وقيل البخس ماولى الأرض من تحت أصابع الرجلين ونحت مناسم البعير

والنعام وقيل هو لم يخالطه بياض من فساد يحل فيه والدئ بكسر الدال والهمزة جمع

دأبة وهى فقر الكامل والظاهر أو غراضيف الصدر أو ضلوعه فى ملتقاه وملتقى الجنب

— قد غيضت جنبها — يعني انه أنعها بالسير حتى ردها هزلى بعد سدن فكانه غيض بذلك ماءها ٠٠ ومعنى — بحيث يستمسك الأرواح بالحجر — يعني الفلاة حيث لا يكون فيها الماء فيقتسم الركب الماء الذى يكون معهم بالحجر الذى يقال له المقلة فتمسك أرواقهم ٠٠ وقوله — ردت عواري غيطان الفلا — أى مارعت من كلاً هذه الأماكن وسمنت عنه كان كمارية عندها فردته حيث جهدها السير وأهزها — والإيالة — الحزمة من الحطب اليابس ٠٠ وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رَعْتَهُ الْفَيَّافِي بَعْدَ أَنْ كَانَ حَقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الْمَزْنِ يَنْهَلُ سَاكِبَةً^(١)
فَكَمْ جَزَعٍ وَادِجَبَ ذِرْوَةَ غَارِبٍ وَمِنْ قَبْلِ كَانَتْ أَنْهَكْتُهُ مَذَاهِبُهُ
فَأَمَّا قَوْلُهُ — فَأَاحْجَمِ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بَقِيَّةً — البيت فأخوذ من قول الأول
فَمَا بُقِيَا عَلَيَّ تَرَكَتْمَانِي وَلَكِنْ خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِي^(٢)

(١) هذان البيتان من قصيدته المشهورة التي مدح بها عبد الله بن طاهر لما قدم خراسان حكى انه لما أنشده إياها وبلغ الى قوله

وَقَلْقَلْتُ نَائِي مِنْ خِرَاسَانَ جَاشَهَا فَقُلْتُ أَطْمَأْنِ أَنْضِرَ الرُّوضِ عَازِبَهُ
وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ مَرَجُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَابَهُ
لَأَمْرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ صَدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ عَوَاقِبُهُ

صاح الشعراء بالأمر ما يستحق هذا الشعر غير الأمير أحمزه الله ٠٠ وقال شاعر منهم يعرف بالرياحي لي عند الأمير أحمزه الله جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير فقال له بل تضعفها لك ونقوم له بما يجب له علينا فلما فرغ من القصيدة نثر عليه ألف دينار فللقطها الغلمان ولم يمس منها شيئاً فوجد عليه عبد الله وقال بترفع عن برى ويتهاون بما أكرمه به فلم يبلغ ما أراد منه بعد ذلك

(٢) قوله — فابقياء على — الخ ٠٠ البقياء بالضم الرحمة والشفقة — وصرده — السهم من باب فرح من الاضداد اذا نفذ واذا نكل فيكون المعنى على النفوذ انكما خفتما نفوذ سهامي فكما أي هجائي وعلى معنى النكول أى خفتما أن لا تنفذ سهامكما في فجعزتما عني وهو

وقريب منه قول الآخر

لَعَمْرُكَ مَا النَّاسُ اِثْنُوا عَلَيْكَ وَلَا قَرَّظُوكَ وَلَا عَظَّمُوا
ولو أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَطْعَنًا إِلَى أَنْ يَعْيُوكَ مَا أَحْجَمُوا
فَانْتَ بِفَضْلِكَ الْجَائِثُ إِلَى أَنْ يَجْلُوا وَأَنْ يُعْظِمُوا

ومثله

أَمَا لَوْرَأَى فِيكَ الْعَدُوُّ تَقِيصَةً لَحَبَّ بِتَضْرِيفِ الْعُيُوبِ وَأَوْضَعَا
وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَاكَ مَبْرَأًا مِنْ الْعَيْبِ غَطَّى رَأْسَهُ وَتَقَنَّا

ومثله

قَدْ طَلَبَ الْعَاذِلُ عَيْنًا فَمَا أَصَابَ عَيْنًا فَانْتَنَى عَاذِرًا
وللبعترى فى معنى قول مروان * فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءَ عَنْكَ بَقِيَّةُ *

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد

غَدَاة لَقِيتَ الْإِيْثَ وَالْإِيْثُ خَادِرٌ يُحَدِّدُنَا بِاللَّقَاءِ وَمُخْلِبًا
شَهِدْتُ لَقْدَا نَصَفْتَهُ يَوْمَ تَنْبَرِي لَهُ مُصْلِتًا عَضْبًا مِنْ الْبَيْضِ مُغْضِبًا

أول أبيات اللعين المنقري يهجو بهما جريراً والفرزدق وبعده

فدونكما الظرا أهجوت أم لا فذوقا فى المواطن من نبالي
وما كان الفرزدق غير قين لئيم خاله للؤم تالي
ويترك جده الخطفى جرير وينسب حاجباً وبني عقال

وكان اللعين تعرض لجرير والفرزدق فقال

سأقضى بين كلب بنى كليب وبين القين قين بنى عقال
بأن الكلب مرتعه وخيم وأن القين يعمل فى سفال

فلم يجبه أحد منهما فقال الأبيات المتقدمة

فَلَمْ أَرَ ضَرْغَامِينَ أَصْدَقَ مِنْكُمَا عَرَا كَأِذَا الْهَيَّابَةُ النِّكْسُ كَذَبًا
هَزَبْتُ مَشَى يَبْنَى هَزَبًا وَغَلَبْتُ مِنْ الْقَوْمِ يَنْشَى بِاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبَا
أَدَلُّ بِشَغَبٍ ثُمَّ هَالَتْهُ صَوْلُهُ رَأَى لَهَا امْضَى جَنَانًا وَأَشْغَبَا
فَاحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فِيكَ مَطْمَئِنًا وَاقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبَا
فَلَمْ يَنْهَ أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلًا وَلَمْ يَنْجِهْ أَنْ حَادَ عَنْكَ مِنْكَبَا
حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَأَعَزِّمُكَ أَثْنَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حَدُّهُ نَبَا
وَكُنْتَ مَنَى تَجْمَعُ يَمِينُكَ تَهْتِكُ ۖ ضَرْبِيَّةٌ أَوْلَا تُبْقِ لِلْسَّيْفِ مَضْرَبَا
وَمِنْ صَافِي كَلَامِ مِرْوَانَ وَرَأْفَةٍ وَمَا اجْتَمَعَ لَهُ فِيهِ جُودَةُ الْمَعْنَى وَاللَّفْظِ وَاطِرَادُ النَّسْجِ قَوْلُهُ
بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِقَاءِ كَأَنَّهُمْ أَسْوَدُ لَهَا فِي غِيلِ خَفَانٍ أَشْبَلُ
هُمْ يُتَمَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لَجَارِهِمْ يُبَيِّنُ السَّمَاءَ كَيْنَ مَنْزِلُ
لَهَا مِيمٌ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَأَوْ لَهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا صَابُوا وَإِنْ دُعُوا اجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا طَابُوا وَاجْزَاوَا
وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَاجْمَلُوا
ثَلَاثُ بَأْمَثَالِ الْجِبَالِ حَبَاهُمْ وَأَحْلَاهُمْ مِنْهَا الدِّيَ الْوَزْنَ اثْقَلُ
وَمِنْ جَيِّدِ قَوْلِهِ فِي قَصِيدَةٍ بِمَدْحِهَا مَعْنَى
مَا مِنْ عَدُوٍّ يَرَى مَعْنَى بِسَاحَتِهِ إِلَّا يَظُنُّ الْمَنَايَا تَسْبِقُ الْقَدَرَا
يَلْقَى إِذَا الْخَيْلُ لَمْ تُقَدِّمْ فَوَاسِئَهَا كَاللَّيْلِ يَزْدَادُ إِقْدَامًا إِذَا زُجِرَا
أَغْرَى يُحْسَبُ يَوْمَ الرُّوْعِ ذَا لِبَدٍ وَزْدَاوٍ يُحْسَبُ فَوْقَ الْمُنْبَرِ الْقَمَرَا
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ بِصِفِّهِ يَوْمًا خَارًا

وَيَوْمَ عَسُولِ الْآلِ حَامٍ كَأَنَّمَا لَظَى شَمْسُهُ مَشْبُوبٌ نَارٍ تَلْهَبُ
نَصَبْنَا لَهُ مِنَّا الْوُجُوهَ وَكَنَّيَا عَصَائِبُ أَسْمَالٍ بِهَا يُتْعَصَبُ

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى

وَيَوْمٍ مِنَ الشَّعْرَى يَذُوبُ لِعَابُهُ أَفَاعِيهِ فِي رَمَضَانِهِ تَتَمَلَّلُ^(١)
نَصَبْتُ لَهُ وَجْهِي وَلَكِنْ دُونَهُ وَلَا سِتْرَ إِلَّا الْأَتْحَمِي الْمَرْعَبِلُ^(٢)

ولمروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ويذكر فيها نخلها وشجرها
أجاد فيها

نَوَاضِرُ عَلَيَاقِدٍ تَدَانَتْ رُؤُوسُهَا مِنْ النَّبْتِ حَتَّى مَا يَطِيرُ غُرَابُهَا
تَرَى الْبَاسِقَاتِ الْعُمَّ فِيهَا كَأَنَّهَا ظَمَائِنُ مَضْرُوبٌ عَلَيْهَا قَبَابُهَا
تَرَى بِأَبْهَاسَهَا لِكُلِّ مَدْفَعٍ إِذَا أَيْنَعَتْ نَخْلٌ فَأَغْلِقَ بَابُهَا
يَكُونُ لَنَا مَا نَجْتَنِي مِنْ ثَمَارِهَا رَيْبًا إِذَا الْآفَاقُ قَلَّ سَحَابُهَا

- (١) البیتان من قصيدته المشهورة المسماة الشنفرية ولامية العرب - الشعرى -
هي الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر - وذاب - الشيء نقيض
جد - ولعابه - ولوابه واحده - ولعابه هنا ما تراه من شدة الحر مثل نسج العنكبوت
- والأفامي - جمع أفي وهي الحية - والرمض - شدة وقع الشمس على الرمل وغيره
والأرض رهضاء أى أصابها الرهض - والتملل - التحرك على الفراش اذا لم تستقر عليه
من الوجع كأنه على ملة والملة الرماد الحار . . . والواو في ويوم واو رب ومن لبيان
الجنس والتقدير ويوم من الأيام التي تطلع فيها الشعرى ومن الشعرى صفة يوم يذوب
نعت ليوم أيضاً أى ذائب لعابه وأفاعيه مبتدا وتملل خبره وفي رمضان متعلق بتملل
(٢) - النصب - الإقامة تقول نصبت وجهي لأمر أقمته - والكن - الستر والجمع
أكنان - والأتحمي - بردمعروف - والمرعبل - الممزق فقوله نصبت هو جواب رب

حَظَّائِرُ لَمْ يُحْلَطْ بِأَثْمَانِهَا الرَّبِّي وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
وَلَكِنْ عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَذْحَةٍ جَزِيلٍ مِنَ الْمُسْتَخْلَفِينَ ثَوَابُهَا
وَمِنْ رَكْضِنَا لِلْخَيْلِ فِي كُلِّ غَارَةٍ حَلَالٌ بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ نَهَايُهَا
حَوَتْ غَنَمَهَا آبَاؤُنَا وَجَدُّوْنَا بِصَمِّ الْعَوَالِي وَالذِّمَاءِ خِضَابُهَا

فأما قوله

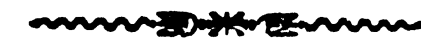
حَظَّائِرُ لَمْ يُحْلَطْ بِأَثْمَانِهَا الرَّبِّي وَلَمْ يَكُ مِنْ أَخْذِ الدِّيَاتِ اكْتِسَابُهَا
فَكَانَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ نَظَرَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ
لَنَا إِبِلٌ مَا وَفَّرْنَاهَا دِيَاتُنَا وَلَا ذَعَرْنَاهَا فِي الصَّبَاحِ الصَّوَائِحُ

وفي ضد هذا قول أبي تمام

كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَسَارِحُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ مَنَاكِحٍ وَدِيَاتٍ

ومثل الأول قول حسان بهجو قوماً من قريش

وَمَا لَكُمْ لَا مِنْ طِرَادٍ فَوَارِسٍ وَلَكِنْ مِنَ التَّزْفِيحِ يَاشِرٌ مَا لَكُمْ



﴿ مجلس آخر ٤٥ ﴾

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه)
٠٠ وقوله تعالى (إنما نطعمكم لوجه الله) ٠٠ وقوله (ويبقى وجه ربك ذو الجلال
والإكرام) وما شاكل ذلك من آي القرآن المتضمنة لذكر الوجه ٠٠ الجواب قلنا
الوجه ينقسم في اللغة العربية الى أقسام ٠ فالوجه المعروف المركب فيه العيان من كل
حيوان ٠ والوجه أيضاً أول الشيء وصدره ومن ذلك قوله تعالى (وقالت طائفة من
أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره) أي

أول النهار . . ومنه قول الربيع بن زياد

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ

أي غداة كل يوم . . وقال قوم وجه نهار اسم موضع . والوجه القصد بالفعل من ذلك قوله تعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله) . . وقال الفرزدق

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَابِي إِلَى آلِ مَرْوَانَ بُنَاتِ الْمَكَارِمِ

أي جعلت قصدي وإرادتي لهم . . وأنشد الفراء

اسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

أي القصد . . ومنه قولهم في الصلاة وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض أي قصدت قصدي بصلاحي وعملي وكذلك قوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيم) . والوجه الاحتيال في الأمرين من قولهم كيف الوجه لهذا الأمر وما الوجه فيه أي ما الحيلة . والوجه الذهاب والجملة والناحية . . قال حمزة بن بيش الحنفي

أَيُّ الْوُجُوهِ انْتَجَفَتْ قُلْتُ لَهُمْ لِأَيِّ وَجْهِ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ

مَتَى يَقُلْ صَاحِبًا سُرَادِقَهُ هَذَا ابْنُ يُنِضٍ بِالْبَابِ يَتَتَسِمُ

. والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجهه عريض وفلان أوجه من فلان أي أعظم قدراً وجاهاً ويقال أوجهه السلطان إذا جمل له جاهاً . . قال امرؤ القيس

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مَلِكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا^(١)

(١) وقبله

أَذْكُرْتُ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعُودَا فَهَاجَ التَّذَكُّرَ قَلْبًا عَمِيدَا

تَذَكَّرْتُ هُنْدًا وَأَنْزَاهَا فَأَصْبَحْتُ أَزْمَعْتُ مِنْهَا صُدُودَا

وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مَلِكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَا

إِذَا مَا أَزْدَحَمْنَا عَلَى سَكَاةٍ سَبَقْتُ الْفَرَانِي سَبَقًا شَدِيدَا

يقال حمل فلان فلاناً على البريد اذا هياً له في كل مرحلة مركوباً ليركبه فاذا وصل الى المرحلة الأخرى نزل عن المعوي وركب المرفأ وهكذا الى ان يصل الى مقعده . والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته ووجه الشيء نفسه وذاته . . قال أحمد بن جندل

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الْحَوْفَزَانَ بِطَعْنَةٍ فَالَّتِ مِنْهَا وَجْهُهُ عُنْدَ بَهْدٍ ^(١)

(١) هكذا بالاصل وفسرها بهامش النسخة أي ضخم . . وقوله قال أحمد بن جندل الخ المعروف ان البيت لسوار بن حبان المنقري قاله يوم جدود والرواية المشهورة ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعاً من دم الجوف أشكالاً وروى ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة نمج نجيعاً من دم الجوف أشكالاً وبعده وحران أدته الينا رماحنا ينازع غللا في ذراعيه مقفلاً ونسب ابن قتيبة البيتين لجرير وسمي الحوفزان حوفزاناً لأن قيس بن عاصم التميمي حفزه . . قال الجوهري وأما قول من قال انما حفزه بسطام بن قيس فغلط لانه شيباني فكيف يفتخر به جرير وأما قول الآخر ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعاً من دم الجوف آنيا فهو الأهم بن سمي المنقري وأول الشعر لما دعني للسيادة منقر لدى موطن أضجى له النجم باديا شددت لها أزري وقد كنت قبلها أشد لاحناء الأمور إزاريا ولنعد الى حديث يوم جدود روى عن أبي عبيدة قال قيس بن عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني طعنه في استه يوم جدود وكان من حديث ذلك اليوم ان الحارث بن شريك بن عمرو الصاب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام كانت بينه وبين بني يربوع موادة ثم هم بالغدر بهم فجمع بني شيبان وبني ذهل واللاهزم وقيس بن ثعلبة وتم الله بن ثعلبة وغيرهم ثم غزا بني يربوع فنذر به عتيبة بن الحارث ابن شهاب بن شريك فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه وأغار الحارث بن شريك على بني مقاعس واخوتهم بني ربيع فلم يجيبوهم فاستصرخوا بني منقر فركبوا حق لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون في يوم شديد

أراد أفلته ونجاء ومنه قولهم انما أفل ذلك لوجهك • ويدل أيضاً على ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى (وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة) • وقوله تعالى (وجوه يومئذ ناعمة لسميها راضية) لان جميع ما أضيف الى الوجوه في ظاهر الآي من النظر والظن والرضا لا يصح اضافته على الحقيقة اليها وانما يضاف الى الجملة فعن قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) أي كل شيء هالك إلا إياه فكذلك قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل ذي كما قال (تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام) لما كان اسمه غيره • ويمكن في قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه)

الحرف فاشعر الحوفزان إلا بالأهثم بن سمي بن سنان بن خالد بن منقر واسم الأهثم سنان وهو واقف على رأسه فوثب الحوفزان الى فرسه فركبه وقال للأهثم من أنت فانتسب له وقال هذه منقر قد أتت فقال الحوفزان فأنا الحارث بن شريك فنأدى الأهثم يا آل سعد ونأدى الحوفزان يا آل وائل وحمل كل واحد منهما على صاحبه ولحقت بنو منقر فاقتتلوا أشد قتال وأبرحه ونادت لساء بن ربيع يا آل سعد فاشتد قتال بني منقر لصياحهم فهزمت بكر بن وائل وخلصوا ما كان في أيديهم من بني مقاعس وما كان في أيديهم من أموالهم وتبعهم بنو منقر بين قتل وأسر فأسر الأهثم حران بن عمرو وقصد قيس بن عاصم الحوفزان ولم يكن له همه غيره والحارث على فرس له قارح يدعى الزبد وقيس على مهر نخاف قيس أن يسبقه الحارث فخفزه بالرمح في استه فتحفز به الفرس فنجح فسمى الحوفزان وأطلق قيس أموال بني مقاعس وبني ربيع وسباياهم وأخذ أموال بكر بن وائل وأسارهم وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات وفي هذا اليوم يقول قيس بن عاصم

جزى الله يربوعاً بأسوء فعلها اذا ذكرت في الثنابات أمورها
ويوم جدود قد فضحتن ذماركم وسالتموا والخيل تدمي نحورها
ستعظم سعد والرباب أنوفكم كما خز في أنف القضيبي جريرها

وجه آخر وقد روى عن بعض المتقدمين وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى ويوجه به اليه نحو القرية اليه جلت عظمته فيقول لا نشرك بالله ولا تدع إلهاً غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواء فهو هالك باطل وكيف يسوغ للمشبهة أن يحملوا هذه الآية والتي قبلها على الظاهر أو ليس ذلك يوجب انه تعالى يفتي ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من قائله .. فأما قوله تعالى (انما نطعمكم لوجه الله) وقوله (إلا ابتغاء وجه ربّ الأعلى) وقوله (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله) فمعمول على ان هذه الأفعال مفعولة له ومقصود بها ثوابه والقرية اليه والزلفة عنده فأما قوله تعالى (فأينما تولوا فثم وجه الله) فيحتمل أن يراد به فثم الله لا على معنى الحلول ولكن على معنى التدبير .. والعلم ويحتمل أيضاً أن يراد به فثم رضى الله وثوابه والقرية اليه ويحتمل أن يكون المراد بالوجه الجهة ويكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه عز وجل قال (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله) أي ان الجهات كلها لله وتحت ملكه وكل هذا واضح بتين بحمد الله .. أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال انحدرنا مع المكتفى بالله في آخر سفرة سافرنا للصيد من الموضع المعروف بجبية الى تكريت في خراقة^(١) فكانت تمنح كثيراً فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت أشدهم فزعاً وكان في الخراقة سواي من الجلساء يحيى بن علي النجم ومتوِّج بن محمد بن مروان والقاسم المعروف بابن حبابة وكان يضحك لنزعنا ويقول لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلاً فقلت له ان البعثرى يقول شعراً يصف فيه مثله حالنا ويمدح فيه أحمد بن دينار بن عبد الله وقد غزا الروم في مراكب أوله

أَلَمْ تَرَ تَغْلِيْسَ الرَّبِّيعِ الْمَبَكَّرِ وَمَا حَاكَ مِنْ وَشْيِ الرَّيَاضِ الْمُنَشَّرِ
فقال له أنشدني الموضع الذي قال هذا فيه منها وكان جيد العلم بالأشعار حافظاً للأخبار

(١) - الخراقة - سفينة صغيرة فيها الشموع والنار .. وقيل انها من الخرق لانها تخرق الماء .. كذا بهامش الأصل

غَدَوْتُ عَلَى السَّيُونِ صُبْحًا وَإِنَّمَا
 إِذَا زَجَرَ النَّوْبِيُّ فَوْقَ عَلَاتِهِ
 يَفْضُونَ دُونَ الْإِشْتِيَامِ عُيُونَهُمْ
 إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ
 إِذَا مَا انْكَفَى فِي هَبْوَةِ الْمَاءِ خِلْتَهُ
 وَحَوْلَكَ رَكَبُونَ لِلْهَوْلِ عَاقِرُوا
 تَمِيلُ الْمَنَايَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ
 إِذَا أَرْشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكُ رَشْقُهُمْ
 صَدَمَتْ بِهِمْ صُهَبَ الْعَثَايِينَ دُونَهُمْ
 يَسُوقُونَ إِسْطُولًا كَأَنَّ سَفِينَتَهُ
 كَأَنَّ ضَجِيجَ الْبَحْرِ بَيْنَ رِمَاحِهِمْ
 تَقَارَبُ مِنْ زَحْفِهِمْ فَكَأَنَّمَا
 عَلَى حِينٍ لَا تَقَعُ تُطَوِّحُهُ الصَّبَا
 فَمَارَمَتْ حَتَّى اجَلَّتِ الْحَرْبُ عَنْ ظُلَى
 وَكُنْتُ ابْنَ كِسْرَى قَبْلَ ذَلِكَ وَبَعْدَهُ
 جَدَحْتُ لَهُ الْمَوْتَ الذَّعَافَ فَعَافَهُ
 غَدَا الْمَرْكَبُ الْمَيْمُونُ تَحْتَ الْمُظْفَرِ
 رَأَيْتَ خَطِيئًا فِي دُؤَابَةٍ مَنِيرِ
 وَفَوْقَ السَّمَاطِ لِلْعَظِيمِ الْمُؤَمَّرِ
 جَنَاحُ عَقَابٍ فِي السَّمَاءِ مُهَجَّرِ
 تَلَفَعَ فِي اثْنَاءِ بُرْدٍ مُجَبَّرِ
 كَوْنُ الرَّدَى مِنْ دَارِ عَيْنٍ وَحُسْرِ
 إِذَا اصْلَتْ وَاحِدَ الْحَدِيدِ الْمَذَكَّرِ
 لِيُقْلِعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءِ مُقَدَّرِ
 ضَرَابُ كَأَيْقَادِ الْأُظَى الْمُتَسَعِّرِ
 سَحَابُ صَيْفٍ مِنْ جَهَامٍ وَمُمْطَرِ
 إِذَا اخْتَلَفَتْ تَرْجِيعُ عُودٍ مُجْرَجِرِ
 تَأْلَفَ مِنْ أَعْنَانٍ وَخَشٍ مُنْفَرِ
 وَلَا أَرْضَ تُلْقِي لِلصَّرِيعِ الْمُقْطَرِ ^(١)
 مُقْصَصَةٌ فِيهِمْ وَهَامٍ مُطْبَرِ
 مَلِيًّا بَانَ تُوْهِى صَفَاةُ ابْنِ قَيْصَرِ
 وَطَارَ عَلَى الْوَاحِ شَطْبٍ مُسْمَرِ

سَمِيَّ وَهُوَ مُوَلِّي الرِّيحِ يَشْكُرُ فَضْلَهَا عَلَيْهِ وَمَنْ يُوَلِّي الصَّنِيعَةَ يُشْكِرْ

قال فاستجد المكتفي بالله قوله - على حين لا تقع تطوحيه الصبا - فقال له يحيى بن علي أنشدني ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى

وَلَمْ أَتَعْلَمْ قَطُّ مَنْ ذِي سَبَاحَةٍ سِوَى الْغَوْصِ وَالْمَضْعُوفِ غَيْرُ مُغَالِبِ

وَلَمْ لَا وَلَوْ أُلْقِيتُ فِيهَا وَصَخْرَةٌ لَوْ أَفَيْتُ مِنْهَا الْقَعْرَ أَوَّلَ رَاسِبِ

وَأَبْسَرُ إِشْفَاقِي مِنَ الْمَاءِ أَتْنِي أَمْرُهُ فِي الْكُوزِ مَرَّ الْأَجَانِبِ

وَاخْشَى الرَّدَى مِنْهُ عَلَى كُلِّ شَارِبٍ فَكَيْفَ بِأَمْنِيهِ عَلَى نَفْسِ رَاكِبِ

فقلت له إنما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس فقال المكتفي بالله فما قال قلت حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وائل الأحمي قال حدثني إبراهيم بن الحبيب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأى رجلاً قد أخذه التمساح فقال

اضْمَرْتُ لِلنَّيْلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِيَّةً مَذْ قِيلَ لِي إِنَّمَا التَّمْسَاحُ فِي النَّيْلِ

فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَشَبِ

فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِلِ

قال الصولي - والبواقيل - سفن صغار . ثم أجري المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب فقال العرب تقول أظلم من شيب وقد شبت وظلمني المشيب وشبت يا صولي فقلت جواب عبدك في هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لجذك المنصور وقد قال له كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وانك لتتجدد قال على أعدائك قال وفيك بحمد الله بقية قال لخدمتك فنزع المكتفي عمامته فاذا شيتان في مقدم رأسه قال لقد غمني طلوع هاتين الشيبتين فقلت له أما يعيش الناس في الشيب فأما السواد فلا يصحب الناس خالصة أكثر من أربعين سنة إلى الخمسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة فأشده يحيى بن علي في معنى طول العمر مع المشيب قول امرئ القيس

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْعُذْمِ لِلرَّءِ قِنُوءٌ وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولٌ عُمُرٍ وَمَلَبَسَا^(١)

وَأَشَدُّهُ أَنَا أَيْضاً أَيْبَاتاً أَنْشَدَهَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي لِبَعْضِ الْقَيْسِيِّينَ
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنْهُ الْمَشِيبُ فَلَامَةً الْآنَ حِينَ أَبْدَأُ لَبٌّ وَأَكْبَسُ
وَالْمَشِيبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ عُمُرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ

٠٠ [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه أما قول البحتري - مفعى وهو مولى الرج -

فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد النخعي

أَشْلَى عَلَى مَنَوِيلِ أَطْرَافِ الْقَنَا فَنَجَى عَتِيقَ عَتِيقَةٍ جَرْدَاءِ
فَلَوْ أَنَّهُ أَبْطَالَ هُنَّ هَنِيئَةً لَصَدَرْنَ عَنْهُ وَهْنٌ غَيْرُ ظَمَاءِ
وَلَئِنْ تَبَقَّاهُ الْقَضَاءُ لَوَقْتَهُ فَلَقَدْ عَمَّتْ جُنُودُهُ بِفَنَاءِ

(١) هو من قطعه التي أولها

تَأْوِينِي دَائِي الْقَدِيمَ فَعَلَسَا أَحَازِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأُنْكَسَا

٠٠ ومنها

فَمَا تَرَبَّنِي لَا أَغْمُضُ سَاعَةً مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أَكْبَ فَأَلْعَسَا
فِيَارِبَ مَكْرُوبٍ كَرَّرْتُ وَرَاءَهُ وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْفَسَا
وَمَا خَفْتُ تَبْرِجَ الْحَيَاةِ كَمَا أَرَى تَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَقُومَ فَأَلْبَسَا
فَلَوْ أَنَّهُمْ نَفْسَ تَمُوتَ جَمِيعَةً وَلَكِنَّا نَفْسَ تَسَاقُطُ أَنْفُسَا
وَبَدَلْتُ قَرَحاً دَامِياً بَعْدَ صَحَّةٍ لَعَلَّ مَنَايَا تَحُولُنَّ أَبُوسَا
لَقَدْ طَمَحَ الطَّمَا حُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ لِيَلْبَسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبَسَا

وسبب هذه القطعة ان امرأ القيس استنجد قيصر ملك الروم في حربه لبني أسد المشهورة فأمدّه بجيش عظيم فلما انفصل عنه وشى به رجل من بني أسد يقال له الطماح الى قيصر فبعث اليه بحلة وشي مسمومة ملسوجة بالذهب فلما وصلت اليه لبسها واشتد سروره بها فأسرع فيه السم وسقط جلده فلذلك سمي ذا القروح فقال هذه القطعة

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المغنم ويذكر فتح الحرمية

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقَلَّةُ عَلَقُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِغَيْرِ قِلَالٍ

فَلَيْشْكُرُوا جُنْحَ الظَّلَامِ وَدَرُوزًا فَهُمْ لِدَرُوزِ وَالظَّلَامِ مَوَالِي

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سفن صفار لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة الكوز معروفة تعمل من الزجاج وغيره ٥٥ وهذا مثل قول

ابن الرومي

أَمْرٌ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرٌّ الْمُجَانِبِ

وانما أراد انني لا أمر بماء النيل إلا اذا أردت شربه في كوز أو بوقال وما أشبه ذلك وأظن انه استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أري النيل وصرف ذلك الى انه أراد النيل على الحقيقة وانما أراد ماء النيل وما علمت ان السفن الصفار يقال لها بواقيل إلا من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من ان ذلك اسم لصفار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأبقى وأدخل في معنى الشعر وكيف يدخل شبهة في ذلك مع قوله فمن رأي النيل رأى العين من كذب ومن رأى النيل في السفن فقد رآه من كذب ومن رأى ماءه في الآنية على بعد فلا يكون رأياً له من كذب ٥٥ فأما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس وأكثروا فما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج ويقال ان رؤبة لم يقل من القصيدة إلا هذين البيتين

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالشَّيْذِ بِأَقْلَنِّ بِالشَّبَابِ افْتِخَارًا

فَدَلَيْسَتْ الشَّبَابُ غَضًّا جَدِيدًا فَوَجَدْتُ الشَّبَابَ ثَوْبًا مُعَارًا

ولعل بن جبلة

جَفَى طَرَبَ الْفَتْيَانِ وَهُوَ طَرُوبٌ وَاعْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشِيبٌ

تَجَافَتْ عَيُونُ الْبَيْضِ عَنْهُ وَرُبَّمَا مَدَدْنَ إِلَيْهِ الْوَصْلَ وَهُوَ حَبِيبٌ

لَعَمْرِي لَنِمَّ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ وَاعْظَا وَإِنْ كَانَ مِنْهُ لِلْعُيُونِ نُسُوبُ
خَلِيطُ نُهَى مَنَابَا حِلْمٍ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ مَكْرُوهُ الْخِلَاطِ مُرِيبُ
وَلَا آخِرَ

وَتَنَكَّرَتْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَيْسَ الشَّبَابُ بِنَاقِصٍ عُمْرِي
سَيَّانَ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا مَا كُنْتُ مِنْ عُمْرِي عَلَى قَدَرِ
وَلَا آخِرَ

إِنْ أَكُنْ قَدَرُ زَيْتٍ أَسْوَدَ كَالْفَحَا مِمْ وَعَقِبْتُ مِثْلَ لَوْنِ النَّعَامَةِ
فَلَقَدْ أَسْعَفُ الْكَرِيمَ وَاحْبُو أَهْلَهُ بِالنَّدَى وَآبِ الظَّلَامَةِ
غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ كَانَ رِدَاءَ خَانَنَا فَيَوْهُ كَفَى النَّمَامَةِ
وَلَا آخِرَ

إِنَّ الْمَشِيبَ رِدَاءَ الْحِلْمِ وَالْأَدَبِ كَمَا الشَّبَابُ رِدَاءَ الْجَهْلِ وَاللَّعِبِ
تَعَجَّبْتُ أَنْ رَأَتْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا لَا تَعْجَبِي مَنْ يَطْلُ عُمْرُهُ بِهَ يَسْبِ
وَلَا بِنِ الْجَهْمِ

حَسَرْتُ عَنِّي الْقِنَاعَ ظُلُومُ وَتَوَلَّتْ وَدَمْعُهَا مَسْجُومُ
أُنْكُرْتُ مَا رَأَتْ بِرَاسِي فَقَالَتْ أَمْشِيبُ أَمْ لَوْلُو مَنُظُومُ
قُلْتُ شَيْبٌ وَلَيْسَ عَيْنًا فَأَنْتَ أَنَّةَ يَسْتَثِيرُهَا الْمَهْمُومُ
شَدَّ مَا أَنْكُرْتُ تَصَرُّمَ عَهْدِ لَمْ تَدُمْ لِي وَآيُ حَالٍ يَدُومُ

وَلَا بِي هَفَانِ تَهَجَّيْتُ دُرٌّ مِنْ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا
لَا تَعْجَبِي فَطُلُوعُ الشَّيْبِ فِي السَّهْفِ

وَزَادَهَا عَجَبًا لَمَّا رَأَتْ سَمِيَّ وَمَادَرَتْ دُرَّانَ الدَّرَفِ الصَّدْفِ ^(١)
وقد أحسن أبو تمام غاية الاحسان في قوله
أَبَدَتْ أَسَى إِذْ رَأَتْنِي مَخْلَسَ الْقَصَبِ
سِتٍّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَاتَّبِعْهَا
فَلَا يُورِقُكَ إِنْيَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ
وللبحتري

عَبَّرْتَنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَتُهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ
لَا تَرِيهِ عَارًا فَمَا هُوَ بِالشَّدِّ بَ وَلَكِنَّهُ جَلَاءُ الشَّبَابِ
وَيَيَاضُ الْبَازِيِّ اصْدَقُ حُسْنًا إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْفُرَابِ ^(٢)

(١) - السمل - محررة الثوب الخلق ويقال أيضا ثوب أسمال فمن النحويين من جعل أسمالا مفردا لانه صفة ثوب والمصحيح انه على التأويل بالجمع أى أنواع الثوب اسمال ومثل ذلك برمة أعشار لان أفعالا لم يثبت في المفرد وانما هو جمع
(٢) الابيات من قصيدة يمدح بها اسماعيل بن شهاب مطلعها

مَاعَلَى الرِّكَبِ مِنْ وَقُوفِ الرِّكَابِ فِي مَغَانِي الصَّبَا وَرَسْمِ النَّصَابِ
أَيْنَ أَهْلِ الْقِيَابِ بِالْأَجْرَعِ الْفَرِ دَنُوتُهَا لَا أَبْنَ أَهْلَ الْقِيَابِ
سَقَمَ دُونَ أَعْيُنِ ذَاتِ سَقَمِ وَعَذَابُ دُونَ التَّنَايَا الْعَذَابِ
وَكَمِثْلُ الْإِحْبَابِ لَوْ يَعْلَمُ الْعَا ذَلْ عِنْدِي مَنَازِلُ الْإِحْبَابِ
فَإِذَا مَا السَّحَابِ كَانَ رَكَامًا فَسَقَى بِالرِّبَابِ دَارَ الرِّبَابِ
وَإِذَا هَبَّتِ الْجَنُوبُ بِسَقْيَا فَعَمِلَى رَسْمِ دَارِهَا وَالْجَنَابِ

هيرتني المشيب... الابيات الثلاثة... وبعده

عَذَلْتَنِي فِي قَوْمِهَا وَاسْتَرَابَتْ جَبِثْتُ فِي سَوَاهِمِ وَذَهَابِي
وَرَأَتْ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنْ مَدْبَحِي مِثْلَ مَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِنْ عَنَابِي

هَاهُوَ الشَّيْبُ لَا ثَمَافًا فِيقِي وَاتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ
 فَلَقَدْ كَفَّ عَنْ عَنَاءِ الْمُعْنَى وَتَلَا فِي مِنْ إِشْتِيَاقِ الْمَشُوقِ
 عَذَلْتَنَا فِي عُشْقِهَا أَمْ غَمْرٍ وَ هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَادِلِ الْمَعْشُوقِ
 وَرَأَتْ لِمَةَ أَلَمٍ بِهَا الشَّيْبُ --- ب فَرِيعَتٍ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقِ
 وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَفَاحِي لَا بَصَرَ تَأْنِيقَ الرِّيَاضِ غَيْرَ أُنِيقِ
 وَسَوَادُ الْعُيُونِ لَوْلَمْ يَكْمَلْ بِيَّاضٍ مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ
 وَمِزَاجُ الصَّبَاءِ بِالْمَاءِ أُولَى بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وَغُبُوقِ
 أَيُّ لَيْلٍ يَنْهَى بِغَيْرِ نَجُومٍ أَوْ سَمَاءٍ تَنْدَى بِغَيْرِ بُرُوقِ

ويشبهه ان يكون أخذ قوله - أي ليل يبهى - بغير - نجوم من قول الشاعر

أَشْيَبْتُ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حَقُّوقَهُ وَلَمْ يَمُضْ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ
 رَأَتْ وَضَحًا فِي مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعَهَا وَشَتَّانَ مَبْيُضٌ بِهِ وَبِهِمُ

ليس من غصبة عليهم ولكن هو نجم يعلو مع الكتاب
 شيعه السؤدد القريب واخوا ن التصافي واخوة الآداب
 هم أولو الحمد إن سالت فان كا ثرت كانوا هم أولى الالباب
 ومتي كنت صاحباً لذوى السؤدد د يوما فانهم أمحبابي
 وكفاني إذ الحوادث أظلمت ن شهاباً بغرة بن شهاب
 سبب أول على جود اسما عيل أغنى عن سائر الاقصاب
 لاستهات سهاؤه فطمرنا ذهباً في انهلال ذاك الذهاب
 لا يزور الوفاء غيباً ولا يـ شق غدر الفعالة شق الصعاب
 مستعبد على اختلاف الليالي لسفاه من خلأني أتراب

تَفَارِقُ شَيْبٌ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعُ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومُ
ولحمود الوراق في مثل هذا المعنى قوله
مَا الدُّرُّ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ
فَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا
لَا تَبْكِينَ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا
وَأَشْكُرُ لَشَيْبِكَ حُسْنَ صَحْبَتِهِ

وَلَا خَرَفٌ فِي مَدْحِ الشَّيْبِ

لَا يَرُوعُكَ الْمَشَيْبُ يَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ فَالشَّيْبُ حُلِيَّةٌ وَوَقَارُ
إِنَّمَا تَحْسَنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكْتَ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

•• [قَالَ الشَّرِيفُ رَحِمَهُ اللَّهُ] وَلِيَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَصِيدَةٍ

جَزَعْتَ لَوْ خَطَاتِ الْمَشَيْبِ وَإِنَّمَا بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَا الْكَمَالِ فَنُورًا
وَالشَّيْبُ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ مُؤَرَّدُ لَا بُدَّ يُوْرَدُهُ الْفَتَى إِنْ عُمَرَا
يَبْيَضُ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي إِنْ لَمْ يَزُرْهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ الثَّرَى

وَمِنْ عَدَلٍ بَيْنَ الشَّبَابِ وَالشَّيْبِ وَمَدْحِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا طَرِيجُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الثَّقَفِيُّ فَقَالَ
وَالشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَهِ الصَّبَا بَدَلٌ يَكُونُ لِذِي الْفَضِيلَةِ مَقْنَعُ
وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرِ حِينِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مِنْ يَجْزَعُ
إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةٌ جِدَّةُ وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمَغْبَةِ أَنْفَعُ
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ الشَّبَابَ فَمَرْجَبَا بِالشَّيْبِ حِينَ أُوْىَ إِلَيْهِ الْمَضْجَعُ

وَمِثْلُهُ لآخر

وَكَانَ الشَّبَابُ الْغَضُّ لِي فِيهِ لَذَّةُ فَزَحَزَ حَنِي عَنْهُ الْمَشَيْبُ وَأَدْبَا

فَسَقِيَا وَرَعِيَا لَشَبَابِ الَّذِي مَضَى وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْمَشِيبِ وَمَرْحَبًا

محضر مجلس آخر ٤٦

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني) الآية .. فقال كيف ضمن الاجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب .. الجواب قلنا في ذلك وجوه .. أولها أن يكون المراد بقوله تعالى (أجيب دعوة الداعي) أى أسمع دعوته ولهذا يقال للرجل دعوت من لا يجيب أى من لا يسمع وقد يكون أيضاً يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن حمده يراد به أجاب الله من حمده .. وأنشد ابن الاصراني

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أراد يجيب ما أقول .. وثانيها انه تعالى لم يرد بقوله تعالى قريب من قرب المسافة بل أراد اني قريب باجائي ومعوتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيهاً بقرب المسافة لأن من قرب من غيره عرف أحواله ولم يخف عليه ويكون قوله تعالى أجيب على هذا تأكيداً للقرب فكأنه أراد إتني قريب قريباً شديداً وإتني بحيث لا يخفى على أحوال العباد كما يقول القائل اذا وصف نفسه بالقرب من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداءك أو ما جرى هذا المجرى .. وقد روى ان قوماً سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا له ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى هذه الآية .. وثالثها أن يكون معنى هذه الآية إتنى أجيب دعوة الداعي اذا دعاني على الوجه الصحيح وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشرط المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا الشرط فهو محاب على كل حال لانه ان كان صلاحاً فعل ما دعا به وان لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه فهو أيضاً محاب الي دعائه .. ورابعها أن يكون معنى دعاني أى عبيدني وتكون

الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه تعالى قال إني أنيب العباد على دعاهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه .. وخامسها ما قاله قوم من ان معنى الآية ان العبد اذا سأل الله تعالى شيئاً في إعطائه صلاح فعل به وأجابه اليه وان لم يكن في إعطائه إياه في الدنيا صلاح وخير لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه إياه في الآخرة فهو مجيب لدعائه على كل حال .. وسادسها انه تعالى اذا دعاه العبد لم يخل من أحد أمرين إما أن يجاب دعاؤه وإما أن يجاب له بصرفه عما سأل ودعا فحسن اختيار الله له بقوم مقام الاجابة فكأنه يجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاح ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره فلا يعطي ذلك لأمر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف يكون مجاباً مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح اللهم إلا أن يقال انه دعاء مشروط بأن يكون صلاحاً ولا يكون فساداً وهذا مما تقدم ومعنى قوله تعالى (فليستجيبوا لي) أي فليجيبوني وليصدقوا رسلى .. قال الشاعر
وَدَاعَ دَعَا يَأْمَنُ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبُ
فَقُلْتُ ادْعُ أُخْرَى وَارْفَعْ الصَّوْتِ ثَانِيَا لَعَلَّ أَبِي الْمَغْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ^(١)

(١) قوله -لعل أبي المغوار- بجر أبي على لغة عقيل فان لعل عندهم نجر في أربع لغات من لغاتها أي نابتة الأول ومعدولته مفتوحة الآخر ومكسورته وأما بقية لغات لعل فلا يجر بها عندهم وأبو المغوار بكسر الميم وسكون الغين المعجمة اسمه شبيب وروى * فقلت ادع أخرى وارفع الصوت دعوة * بالنصب على التعليل وروى أبو المغوار بالنصب على أصله وهذان البيتان من قصيدة لكعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه شيباً أولها

تقول سليمي ما لجسمك شاحباً	كأنك يحميك الطعام طيب
فقلت ولم أعي الجواب لقولها	وللدمر في صم السلام نصيب
تتابع احداث نجر من اخوتي	وشيبين رأسي والخطوب تشيب
لعمري لئن كانت أصابت مصيبة	أخي والمنايا للرجال شعوب
لقد كان أما حمله فروح	علينا وأما جهله فعزيب

أى لم يحبه ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وإذ كنا قد ذكرنا في المجلس
المتقدمة لهذا المجلس طرفاً من الشعر في تفضيل الشيب وتقديمه والتعزّي عنه والتسلي
عن نزوله فنحن متبعوه بطرف مما قيل في ذمّه والتألم به والجزع منه ٠٠ فمن ذلك
قول أبي حبة النخري

تَرَحَّلَ بِالشَّبَابِ الشَّيْبُ عَنَّا فَلَيْتَ الشَّيْبَ كَانَ بِهِ الرَّحِيلُ
وَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ لَنَا خَلِيلاً فَقَدْ قَضَى مَا رَبُّهُ الْخَلِيلُ
لَعَمْرُ أَبِي الشَّبَابِ لَقَدْ تَوَلَّى حَمِيدًا مَا يُرَادُ بِهِ بَدِيلُ
إِذِ الْيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا وَظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيَا ظَلِيلُ

وقال الفرزدق

أَرَى الدَّهْرَ أَيَّامُ الشَّيْبِ أَمْرُهُ عَلَيْنَا وَأَيَّامُ الشَّبَابِ أَطَايِبُهُ
وَفِي الشَّيْبِ لَذَاتٌ وَقَرَّةٌ أُعِينُ وَمَنْ قَبْلَهُ عَيْشٌ تَعَلَّلَ جَاذِبُهُ
إِذَا نَازَلَ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فَاصِلَتَا بِسَيْفِهِمَا فَالشَّيْبُ لَا شَكَّ غَالِبُهُ

٠٠ ومنها

فان تكن الأيام أحسن مرة إلى فقد عادت لمن ذنوب

إلى ان قال

وداع دما يامن يحيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك محيب
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعلّ أبي المغوار منك قريب
يحبك كما قد كان يفعل إنه نجيب لأبواب العلاء مطلوب

قال أبو علي القالي في الأمالي بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي
وهو من قومه وليس بأخيه والمرثى بهذه القصيدة يكنى أبا المغوار واسمه هرم وبعضهم
يقول اسمه شبيب ويحتج بهيت روى في هذه القصيدة * أقام وخلي الظاعنين شبيب *

فَيَاخِيزَ مَهْزُومٍ وَيَاشِرَ هَازِمٍ
وَلَيْسَ شَبَابٌ بَعْدَ شَيْبٍ بِرَاجِعٍ
وَمَا الْمَرْءُ مَنفُوعًا بِتَجْرِيبٍ وَاعِظٍ
وَإِذَا الشَّيْبُ وَافَتْ لِلشَّبَابِ كِتَابُهُ
مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حَالُهُ
إِذَا لَمْ تَعِظْهُ نَفْسُهُ وَتَجَارِبُهُ

وَأَنشَدَ اسْمَاعِيلُ الْمُوَصِّلِيُّ

لَعَمْرِي لَئِنْ حُلِّتُ عَنْ مَنَهْلِ الصَّبَا
لِيَأْلَى أَمْشَى بَيْنَ بَرْدَى لَا هِيَا
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقَلَاصِ مَعَ الرِّكَبِ
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ
لَقَدْ كُنْتُ وَرَاءَ إِذَا الْمَشْرِبِ الْعَذْبِ
أُمَيْسُ كَغَضَنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ
وَوَصَلَ الْغَوَانِي وَالْمُدَامَةِ وَالشَّرْبِ
سِوَى نَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ
وَلَمَّا صَوَّرَ النَّمْرِيُّ

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةَ مَنِّي وَلَا جَزَعُ
بَانَ الشَّبَابُ فَفَاتَنِي بِشَرَّتِهِ
مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهُ غَرَّتِهِ
إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ
صُرُوفَ دَهْرٍ وَأَيَّامَ لَهَا خِدَعُ
حَتَّى انْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهَا تَبَعُ^(١)

(١) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الرشيد روى أنه دخل عليه وكان عنده
الكسائي فقال له الرشيد أنشدني فأنشده قوله * ما تنقضي حسرة * البيت فتعرك
الرشيد ثم أنشده حتى انتهى إلى قوله

ما كنت أوفي شبابي كنه غرته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
فطرب الرشيد وقال أحسنت والله وصدقت لا والله لا يتمنى أحد بعيش حتى يخطر في
رداء الشباب وأمر له بجائزة سنوية ومن أبيانها الحسان قوله

أَيُّ أَمْرِي بَاتَ مِنْ هَارُونَ فِي سَخَطٍ فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إِنْ الْمَكَارِمُ وَالْمَعْرُوفُ أَوْدِيَةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ يَنْسَعُ

ولحمد بن أبي حازم

عَهْدَ الشَّبَابِ لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي حَزَنًا
سَقِيًّا وَرَعِيًّا لَا يَأْمُ الشَّبَابِ وَإِنْ
جَرَّ الزَّمَانُ ذُيُولًا فِي مَفَارِقِهِ
وَرُبَّمَا جَرَّ أَذْيَالُ الصَّبَا مَرَحًا
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
كَفَاكَ بِالشَّيْبِ عَيْنًا عِنْدَ غَايَةِ
مَاجِدَةٍ ذِكْرُكَ إِلَّا جَدَلِي تُكُلُّ
لَمْ يَبْقَ مِنْكَ لَهُ رَسْمٌ وَلَا طَلَلُ
وَلِلزَّمَانِ عَلَى إِحْسَانِهِ عِلَلُ
وَيَنْبُزُ بِهِ غُصْنٌ نَاعِمٌ خَضِلُ
مَنْ الشَّبَابِ يَوْمٌ وَاحِدٌ بَدَلُ
وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

إذا رفعت امرأة قاله يرفعه
نفسى فداؤك والأبطال معلمة
ومن وضعت من الأقسام متضع
يوم الوغى والمنايا صابها فزع

روى أن البيدق دخل على الرشيد وعنده الفضل بن الربيع ويزيد بن مزيد وبين
يديه خوان لطيف عليه جرمان ورغيفان سميد ودجاجتان فقال لي أنشدني قال البيدق
فأنشدته قصيدة النمرى العيلية فلما بلغت إلى قوله
* أي امرئ بات من هارون في سخط * الأبيات الأربعة قال فرمي بالخوان بين
يديه وصاح وقال هذا والله أطيب من كل طعام وكل شيء وبعث إليه بسبعة آلاف دينار
قال البيدق فلم يعطني منها ما يرضيني وشخص إلى رأس العين فأغضبني وأحفظني فأنشدت
هرون قوله

ساد من الناس راتع هامل يعلون النفوس بالباطل

فلما بلغت إلى قوله

ألا مساعير يفضبون لها بسلة البيض والقنا الزابل

قال أراء يمرض علي ابعثوا إليه من يحيى برأسه فكلمه فيه الفضل بن الربيع فلم يثن
كلامه شيئاً وتوجه إليه الرسول فوافاه في اليوم الذي مات فيه ودفن وروى من
غير هذا الوجه أن العتابي سئل عن سبب غضب الرشيد عليه فقال استقبلت منصور

ولأبي نواس

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ وَمَحَسِّنَ الضَّحِكَاتِ وَالْهَزْلِ
كَانَ الْجَمِيلَ إِذَا ارْتَدَيْتُ بِهِ وَمَشَيْتُ اخْطَرُ صَيِّتَ النَّعْلِ
كَانَ الْبَلِيغَ إِذَا نَطَقْتُ بِهِ وَأَصَاخَتِ الْآذَانُ لِلْمُعْلَى
كَانَ الْمَشْفَعُ فِي مَا رَبِّهِ عِنْدَ الْحَسَنِ وَمُذْرِكُ التَّبْلِ
وَالْبَاعِثِ وَالنَّاسُ قَدْ هَجَعُوا حَتَّى أَتَيْتُ حَلِيلَةَ الْبَعْلِ

النمرى يوماً من الأيام فرأيتُه مغموماً واجماً كثيراً فقلت له ما خبرك فقال تركت امرأتي تطلق وقد عسر عليها ولادها وهي بدى ورجلى والقيمة بأمرى وأمر منزلى فقلت له لم لا تكنب على فرجها هرون الرشيد قال ليكون ما ذا قال لنلد على المكان قال وكيف ذاك قلت لقولك

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع
فقال لي يا كشيخان والله لن تتخلصت امرأتي لأذكر قولك هذا للرشيد فلما ولدت امرأته خبر الرشيد بما كان بيني وبينه فغضب لذلك وأمر بطلي فاستترت عند الفضل بن الربيع فلم يزل يسألني حتى أذن لي في الظهور فلما دخات عليه قال لي قد بلغني ما قلته للنمرى فاعتذرت إليه حتى قبل ثم قلت والله يا أمير المؤمنين ما حمله على التكذب على إلا وقوفى على ميله للعلوية فان أراد أمير المؤمنين ان أنشده شعره في مدحهم فعلت فقال أنشدني فأنشدته قوله

ساد من الناس رائع هامل يعللون النفوس بالباطل

حتى بلغت الى قوله

الامساعير يعضون لهم بسلة البيض والقنا الزابل

فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال للفضل بن الربيع احضره الساعة فبعث الفضل في ذلك فوجده قد توفى فأمر بنبشه ليعرقه فلم يزل الفضل يلطف له حتى كف عنه

وَالْأَمْرِ حَتَّى إِذَا عَزَمْتُ نَفْسِي أَعَانَ عَلَيَّ بِالْفِعْلِ
فَالآنَ صُرْتُ إِلَى مُقَارَبَةٍ وَحَطَّطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وعلى هذا الكلام حسن تلاوة وسهولة

من امرأبي ليستا لغيره .. ولبشار

الشَّيْبُ كُرُهُ وَكُرُهُ أَنْ يُفَارِقَنِي أَنْجِبْ بِشَىءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ
يَمْضِي الشَّبَابُ وَيَأْتِي بَعْدَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا بِمَفْقُودِ

وهذا البيت الأخير يروى لمسلم بن الوليد الأنصارى .. وما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله

طَرَفْتُ عَيْنُونَ الْغَايَاتِ وَرَبَّمَا أَمَلَنْ إِلَى الطَّرَفِ كُلِّ مَمِيلِ
وَمَا الشَّيْبُ إِلَّا شَعْرَةٌ غَيْرُ أَنَّهُ قَلِيلٌ قَدَاةِ الْعَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ

ولآخر

أَهْلًا بِوَافِدَةٍ لِلشَّيْبِ وَاحِدَةٍ وَإِنْ تَرَأَتْ بِشَخْصٍ غَيْرِ مَوْدُودِ
لَا أَجْمَعُ الْحِلْمَ وَالصَّبْرَ قَدْ سَكَنْتَ نَفْسِي إِلَى الْمَاءِ عَنْ مَاءِ الْعَنَايِدِ
لَمْ يَنْهَى كِبَرُ عَنْهَا وَلَا فَنَدٌ لَكِنْ صَحَوْتُ بِفُضْنٍ غَيْرِ مَمْدُودِ
أَوْفَى بِي الْحِلْمُ وَأَقْتَادَ النَّهْيِ طَلَقًا شَأْوِي وَعَفْتُ الصَّبْرَ مِنْ غَيْرِ تَفْنِيدِ

ولقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب

كَانَ كَحَلًّا لِمَا قَبْلَهَا فَقَدْ صَارَ بِالشَّيْبِ لِعَيْنَيْهَا قَدَا

ولغيره

رَأَتْ طَالِمًا لِلشَّيْبِ أَغْفَلْتُ أَمْرَهُ فَلَمْ تَتَعَهَّدْهُ أَكْفُ الْخَوَاصِبِ
فَقَالَتْ أَشَيْبٌ مَا أَرَى ثَلَاثَ شَامَةٍ فَقَالَتْ لَقَدْ شَامَتَكَ عِنْدَ الْحَبَائِبِ

ولحمود الوراق وبيروى لمحمد بن أبي حازم

أَلَيْسَ عَجِيْبًا أَنَّ الْفَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فَمَنْ بَيْنَ بَاكِ لَهُ مُوجَعٌ وَبَيْنَ مَعَزٍ مَعَزٍ إِلَيْهِ
وَيُسَلِّبُهُ الشَّيْبُ شُرْخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ

ولا بى دلف

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيْضَاءَ طَالِمَةً كَأَنَّمَا طَلَمَتْ فِي أَسْوَدِ الْبَصَرِ

لِئِنْ قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنْ بَصَرِي

لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنْ هَمِّي وَعَنْ فِكْرِي

وليحيى بن خالد بن برمك وبيروى لغيره

الْأَيْلُ شَيْبٌ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا رَأْسِي بِكَثْرَةِ مَا تَدُورُ رَحَاهُمَا
يَتَنَاهَبَانِ نَفُوسَنَا وَدِمَاءَنَا وَأُحُومَنَا عَمْدًا وَنَحْنُ نَرَاهُمَا
وَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمَيْتَتَيْنِ تَقَدَّمَتْ أَوَّلَاهُمَا وَتَأَخَّرَتْ آخِرَاهُمَا

وقد أتى الفعلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادَةَ في هذا المعنى بكل غريب عجيب . . فمن ذلك قول أبي تمام

لِئِنْ جَزَعَ الْوَحْشِيُّ مِنْهَا لِرُؤُوبِي لِأَنْسِيَهَا مِنْ شَيْبِ رَأْسِي أَجْزَعُ
غَدَا الْعُمُرُ مُحْتَطًّا بِفَوْدِي خُطَّةً طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهِيغُ
هُوَ الزَّوْرُ يُجَنِّفِي وَالْمَعَاشِرُ يُجْتَوِي وَذُو الْإِلْفِ يُقْلِي وَالْجَدِيدُ يُرْقَعُ
لَهُ مَنْظَرٌ فِي الْعَيْنِ أَيْضًا نَاصِعُ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ اسْفَعُ
وَنَحْنُ نُرَجِّيهِ عَلَى السَّخَطِ وَالرَّضَى وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ تَفْسِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ

أَصْبَحْتُ رَوْضَةَ الْوَصَالِ هَشِيمًا وَغَدَتُ رِيحَهُ الْبَلِيلُ سَمُومًا
شُعْلَةٌ فِي الْمَفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيمِ الْفَوَادِ ثَكْلًا صَمِيمًا
تَسْتَشِيرُ الْهُمُومُ مَا اكْتَنَتْ مِنْهَا صُعْدًا وَهِيَ تَسْتَشِيرُ الْهُمُومَا
غَرَّةٌ غَرَّةٌ إِلَّا إِنَّمَا كُنْزُ ثُأْغَرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِيْمَا
دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالًا مِثْلَ مَا سَمِّيَ اللَّدِيعُ سَلِيمًا
حَلَمْتَنِي زَعَمْتُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا

•• وله

لَبَّ الشَّيْبُ بِالْمَفَارِقُ بَلْ جَدَّ فَأَبْكِي تَمَاضِيرًا وَلَعُوبًا
خَضِبْتَ خَدَّهَا إِلَى لَوْلَاءِ الْعَفْ دِمَا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيْبَا
كُلُّ دَاءٍ يُزْجِي الدَّوَاءَ لَهُ إِلَّا أَا افْظَعَيْنِ مَنِيَّةً وَمَشِيْبَا
يَانَسِيبُ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوبَا
وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْنَ لَقَدْ أَنْكَرْنَ مُسْتَنْكَرًا وَعَيْنَ مَعِيْبَا
أَوْ تَصَدَّقْ عَنْ قَلِيٍّ لَكُنِي بَا شَيْبٍ بَيْنِي وَيَنْهَنُ حَسِيدَا
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ لَشَيْبٍ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبَا

[قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه •• وجدت الآمدى يذكر ان قومًا ادعوا

المنافضة على أبي تمام في هذه الابيات بقوله • فابكا تماضرا ولعوبا • وقوله

خضبت خدما الى لؤلؤ العة ددما أن رأت شواتي خضيبا

يانسبب الثغام ذنبك أبقى حسناتي عند الحسان ذنوبا

وقوله • ولئن عين ما رأين لقد • قالوا كيف يبكين دما على شبيه ثم يعبنه •• قال

الآمدى وليس ههنا تناقض لأن الشيب انما أبكى تماضرا ولعوب أسفا على شبابه والحسان

اللاواتي عنه غير هاتين المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على شبابه بكى كما قال الأخطل

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّبَابِ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الْمَشِيبَ لَأَزْدَلُ الْأَبْدَالِ

ولم يكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح ٠٠ [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وليس يحتاج في العذر لأبي تمام الى ما تكلفه الآمدي بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ٠٠ وان كان من قد بكى شبابه وتلف عليه من النساء هن اللاواتي أنكرن مشيبه وعنه به وما المنكر من ذلك وكيف يتناقض أن يبكي على شبابه ونزول شيبه منهن من رأى الشيب ذنباً وعيباً منكرأ وفي هذا غابة المطابقة لانه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكرأ ومعيباً ٠٠ وقال أبو تمام

رَاحَتْ غَوَايَ الْحَيِّ عَنْكَ غَوَايَا يَلْبَسُنَ نَأْيَا تَارَةً وَصُدُودَا
مِنْ كُلِّ سَابِغَةِ الشَّبَابِ إِذَا بَدَتْ تَرَكْتُ عَمِيدَ الْقَرِيَتَيْنِ عَمِيدَا
أُزْبِينَ بِالْمُرْدِ الْغَطَارِفِ بُدْنَا غِيدَا الْفَنِّهِمُ لِدَانَا غِيدَا
أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِمَا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِنَّ خُدُودَا

أوقوله -أربين بالمرد- من أرب بالشيء اذا لزمه وأقام عليه يقال أرب وألب بالمكان اذا أقام فيه ولزمه يريد انهن لزمين هوى المرد وأقن عليه ٠٠ ورواه قوم أربين بالمرد من لربا الذي معناه الزيادة يقال قد أربا الرجل اذا ازداد فيقول أربين بالمرد أى ازداد علينا بهم وجعلن المرد زيادة اخترناها علينا ٠٠ ويقال انه أخذ قوله -أحلى الرجال من النساء- البيت من قول الأعشى

وَأَرَى الْغَوَايَ لَا يُوَاصِلُنَّ امْرَأً فَقَدْ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلُنَّ الْأَمْرَدَا^(١)

(١) وقبه

أنوى وقصر ليله لزودا فضى وأخاف من قتيبة موعدا

ولنصور الغري قوله

كَرِهْنِ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِي لَوْ رَأَيْتَهُ
بَيْنَ رَأَيْتِ الطَّرْفَ عَنْهُنْ أَوْ رَوَّارًا

وقول الآخر

أَرَى شَيْبَ الرَّجَالِ مِنَ الْغَوَائِي
كَمَوْ قَعِ شَيْبِهِنَّ مِنَ الرَّجَالِ

•• وقال أبو تمام

شَابَ رَأْسِي وَمَا رَأَيْتُ مُشِيبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْغَوَادِ

وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بُوْسٍ وَتَعِيمٍ ظَلَّاعُ الْأَجْسَادِ

طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عُمِّرْتُ شَيْئًا أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ

زَادَنِي شَخْصُهُ بِطَلْعَةِ ضَمِيمٍ عَمَّرْتُ مَجْلِسِي مِنَ الْغَوَادِ

نَالَ رَأْسِي مِنْ ثَغْرَةِ الْهَمِّ دَائِمٍ لَمْ يَنْلَهُ مِنْ ثَغْرَةِ الْمِيلَادِ

ومعنى البيت الأخير ان - الثغرة - وهى الفرجة والنلمة تكون فى الشيء ولذلك سمي كل
بلد جاور عدواً ثغراً كأنه مناه مكشوف للعدو ويجوز أن يكون أصله من ثغر اللسان
لأنه أول ما يقابلك من أسنانه وأول ما يظهر عند الكلام وأول ما يسقط فيرى مثلوماً
فيشبهه الثغر الذي هو البلدة به ويقال أنغر الصبي وأنغر وتسمى تلك الفرجة في موضع

يحدثن ديني بالنهار واقتضى ديني اذا وقد نهاس الرقدا

وأرى الغواني الخ •• روي عن اسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال غنيت بين يدي

الرشيد وستارته منصوبة

وأرى الغواني لا يواصلن امرأً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

فطرب واستعاده وأمر لي بمال فلما أردت ان أعترف قال لي يا عياض كذا وكذا أتغنى
بهذا الصوت وجواري من وراء ستارة يسمعهن لولا حرمتك لضربت عنقك فتركته

والله حق لسينته

السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر وأراد بقوله
 * نال رأسي من ثغرة الهم * أي وجد الشيب من الهم فرجة دخل على رأسي منها لأن
 الهم يشيب لا محالة . . وقوله * ما لم ينله من ثغرة الميلاد * أراد بثغرة الميلاد الوقت الذي
 بهجم عليه فيه الشيب من عمره لانه يجد السبيل في ذلك الوقت الى الحلول برأسه فجعله
 ثغرة من هذا الوجه فأراد ان الشيب حل برأسه من جهة همومه وأحزانه ما لم يباغ
 السن التي بوجب حلوله به من حيث كبره . . [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه
 ورأيت الآمدى يطعن على قوله * عمرت مجلدي من العواد * ويقول لاحقيقة لهذا
 ولا معنى لإنا مارأينا ولا سمعنا أحداً جاءه عواده يعودونه من الشيب ولا أن أحداً
 أمرضه الشيب ولا عزاء للمعزّون عن الشباب وهذا من الآمدى قلة بصر في نقد
 الشعر وضعف بصره بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام
 بقوله * عمرت مجلدي من العواد * العبادة الحقيقية التي يغتو فيها العواد مجالس المرضى
 وذوى الأوجاع وإنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة الى الغرض خفية فكأنه أراد ان
 شخص الشيب لما زارني كثير المتوجعون لى والمتأسفون على شبابي والمتفجعون من
 مفارقتهم فكأنهم في مجلس عواد لى لان من شأن العائد للمريض أن يتوجع ويتفجع
 وكفى بقوله * عمرت مجلدي من العواد * عن كثرة من تفجع وتوجع من مشيبه
 وهذا من أبى تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب إلا من عابه وطعن عليه
 ونحن نذكر في المجلس الآتى ما للبحتري في هذا المعنى بمشيئة الله وعونه ان شاء الله

﴿ مجلس آخر ٤٧ ﴾

[تأويل آية] . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم
 منه شراب ومنه شجرة فيه تسميهمون) . . فقال اذا كان الشجر ليس ببعض للماء كما كان
 الشراب بعضاً له فكيف جاز أن يقول تعالى ومنه شجر بعد قوله منه شراب وما معنى
 تسميهمون وهل الفائدة في هذه اللفظة هي الفائدة في قوله تعالى (والخليل المسومة)

وقوله تعالى (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك) . . الجواب قلنا في قوله تعالى (منه شجر) وجهان . . أحدهما أن يكون المراد ومنه سقى شجر وشرب شجر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وذلك كثير في لغة العرب ومثله قوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل) أي حب العجل . . والوجه الآخر أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنباته شجر فحذف الأول وخلفه الثاني كما قال عوف بن الحر

أَمِنْ آلِ لَيْلَى عَرَفْتَ الدِّيَارَا بِجَنْبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قِفَارَا

أي من ناحية آل ليلي . . وقال زهير

أَمِنْ أَمٍّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِجَوْمَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمُثَلَّمِ

أراد من ناحية أم أوفى . . وقال أبو ذؤيب

أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقَهُ فَهَاجَا فَبِتُّ إِخَالَهُ دَهْمًا خِلَاجَا

. . وقال أيضاً

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاصِ الشَّامِ مِصْبَاحُ

. . وقال الجعدي

لِمَنْ الدِّيَارُ عَفْونَ بِالْتَهْطَالِ بَقِيَتْ عَلَى حَجَجٍ خَلَوْنَ طَوَالِ

أراد بقيت على مر حجج وتكرار حجج . . فأما قوله تعالى (فيه تسميون) فعناه نرعون ونرسلون أنعامكم يقال أسام الأبل يسميها أسامة إذا أراعها وأطاقها فرعت منصرفه حيث شامت وسومها أيضاً يسومها من ذلك وسامت هي إذا رعت فهي تسوم وهي ابل سائمة ويقال سميتها إذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف إذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل لمن أذل وأضم وأهضم سيم فلان الخسف وسيم خطه الضيم . . قال الكميت بن زيد في الاسامة التي هي الاطلاق في الرعي

رَاعِيًّا كَانَ مُسِيًّا فَفَقَدْنَا هُوَ فَقَدُ الْمُسِيْمِ هَلَكُ السَّوَامِ

.. وقال آخر

وَأَسْكَنْ مَاسَكَنْتَ يَبْطُنٍ وَاِدٍ وَأُظْمِنُ مَاظَمَنْتَ فَلَا أُسِيمُ

وذهب قوم الى ان السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه الى ما يهواه كما تذهب سوام الابل من المواشي حيث شامت .. وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على ان الابل وغيرها لا تسام قبل طلوع الشمس ائلا تنتشر وتنفوت الراعي ويخفى عليه مقاصدها وحمله آخرون على ان السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه لأن الساعة المبيعة تستر عيوبها أو بعضها فيدخل ذلك في بيع الغرر المنهي عنها .. وأما الخيل المسومة فقد قيل انها المعلمة بعلامات مأخوذة من السجاء وهي العلامة .. وروى عن الحسن البصري في قوله تعالى (والخيول المسومة) قال سومت نواصيها وأذناها بالصوف .. وقيل أيضاً ان المسومة هي الحسان وروى عن مجاهد في قوله تعالى (والخيول المسومة) قال هي المعلمة الحسان .. وقال آخرون بل هي الراعية وقد روى ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى أصل واحد وهو معنى العلامة لأن تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف بها وتميز لمكانها وقد قيل ان السوم من الراعي يرجع الى هذا المعنى أيضاً لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاهاءعلامات أو كالعلامات بما يزيله من نباتها ويمحوه من آثارها فكان الأصل في الكل متفق غير مختلف .. وقال ليبيد في التوسيم الذي هو التعليم

وَعَدَاةَ قَاعِ الْقَرِيتَيْنِ أَتَيْتَهُمْ رَهْوَ أَيْلُوحٍ خِلَالَهَا التَّوْسِيمُ

أراد التعليم .. وأما قوله في الملائكة (مسومين) فالمراد به معلمين .. وكذلك قوله تعالى (حجارة من سجيل منضود مسومة) أي معلمة وقيل انها كان عليها كأمثال الخواتيم وقال في الملائكة مسومين أي معلمين .. [قال المرتضي] رضى الله عنه ونعود الى ما كنا وعدنا به من ذكرنا للبحرئ في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب فن ذلك قوله
وَكُنْتُ أَرْجِي فِي الشَّبَابِ شَفَاعَةً فَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٍ بِشَفِيعِهِ

مَشِيبٌ كُنْتُ السِّرَّ أَعْيَى بِجَمَلِهِ مُحَدِّثُهُ أَوْضَاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ
تَلَا حَقَّ حَتَّى كَادَ يَأْتِي بِطِيبِهِ لِحَتِّ اللَّيَالِي قَبْلَ آتِي سَرِيعِهِ

وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه ٠٠ وقال أيضاً

رُدِّيْ عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتُ فَاعِلَةً إِنْ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرِي
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرُ مُلْتَفِتًا إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرْكُضْنَ فِي طَلْبِي
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَنِيتِهِ وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَهْرَبِ
وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشَّعْرَى لَهُ وَطَنًا

صَبَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ ^(١)

(١) الأبيات من قصيدة له يمدح بها اسماعيل بن يليل مطلعها

إِلَيْكَ مَا أَنَا مِنْ لَهْوَ وَلَا طَرْبٍ مَنِيتِ مَتَى بِقَلْبٍ غَيْرِ مُنْقَلَبٍ
رَدِّي عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتُ فَاعِلَةً أَنْ الْهَوَى لَيْسَ مِنْ شَأْنِي وَلَا أَرِي
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرُ مُلْتَفِتًا إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرْكُضْنَ فِي طَلْبِي
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مِنْ جَارِي مَنِيتِهِ وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَهْرَبِ
وَالْمَرْءُ لَوْ كَانَتْ الشَّعْرَى لَهُ وَطَنًا حَطَّتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ صَبَبٍ
قَدْ أَقْذَفَ الْعَيْسُ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ لَهُ وَشَيْئاً مِنَ النَّوْرِ أَوْ أَرْضاً مِنَ الْعُشْبِ
حَقٌّ إِذَا مَا أَنْجَلْتَ أُخْرَاءَ عَنْ أَفْقٍ مَضْمُوحٌ بِالصَّبَاحِ الْوَرْدُ مَخْتَعِبٍ
أُورِدَتْ صَادِيَةُ الْآمَالِ فَانْصَرَفَتْ بِرَبِّهَا وَأَخَذَتْ النِّجَاحَ مِنْ كَثْبِ
هَاتِيكَ أَخْلَاقَ إِسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ مِنَ الْعَلَى وَالْعَلَى مَنْهِنٌ فِي تَعَبٍ
أَتَعَبْتُ شُكْرِي فَأَضْحِي مِنْكَ فِي نَصَبٍ فَازْهَبْ فَمَالِي فِي جَدِّكَ مِنْ أَرْبِ
لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نِيلاً لَا يَقُومُ بِهِ شُكْرِي وَلَوْ كَانَ مَسْدِيهِ إِلَيَّ أَبِي
لِمَا سَأَلْتُكَ وَأَقَانِي نَدَاكَ عَلَى أَضْعَافِ ظَنِّي فَلَمْ أُخْفِقْ وَلَمْ أُخْطِ

(١٠ - أمالي ثالث)

وبروى - حطت عليه صروف - . . وقال البحرى

لَا بَسُّ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ نَاضٍ وَهَلِيحٌ مِنْ شَيْبَةٍ أَمْ رَاضٍ
وَإِذَا مَا امْتَعْضَتْ مِنْ وَلَعِ الشَّيْءِ بِرَأْسِي لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ امْتِعَاضِي
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرُوءٌ فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَغَاضِي
وَالْبَوَاقِي مِنَ الْآيَالِي وَإِنْ خَا لَفَنَ شَيْئًا مَشْبَهَاتُ الْمَوَاضِي
نَاكَرَتْ لِمَتَّى وَنَاكَرَتْ مِنْهَا سُوءَ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَغَوَاضِ
شَعَرَاتٌ أَقْصَهُنَّ وَبَرْجَةٌ نَرْجُوعَ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ
وَأَبَتْ نَزَكِي الْغُدَيَّاتُ وَالْآ صَالُ حَتَّى خَضِبْتُ بِالْمَقْرَاضِ
غَيْرَ نَفْعٍ إِلَّا التَّلَلُّ مِنْ شَخْ صِ عَدُوٍّ لَمْ يَعْدُهُ إِنْغَاضِي
وَرَوَاهُ الْمَشِيبُ كَالْبَحْصِ فِي عِي نِي فَقُلْ فِيهِ فِي الْعِيُونِ الْمِرَاضِ
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا وَدَّ مِنْ صَبْغٍ بُرْدِهِ الْفَضْفَاضِ
فَهَلِ الْحَادِثَاتُ يَا بَنَ عُوَيْفٍ تَارِكَاتِي وَلُبْسَ هَذَا الْبِيَاضِ

وقال أيضاً

تَعِيبُ الْغَايَاتُ عَلَيَّ شَيْئِي وَمَنْ لِي أَنْ أَمْتَعَ بِالْمَعِيبِ

لم يخط مأبض خلسات نعمدها فشك ذا الشعبة الطولي فلم يصب
لأشكرنك إن الشكر نائله أبقي على حاله من نائل النشب
بكل شاهدة للقوم غائبة عنهم جميعاً ولم تشهد ولم تغب
مرصوفة بالآلي من نوادرها مسبوكة اللفظ والمعنى من الذهب
ولم أحابك في مدح تكذبه بالفعل منك وبعض المدح من كذب

وَوَجَدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَوَلَّى
حَمِيدًا دُونَ وَجَدِي بِالْمَشِيبِ

وقال أيضاً

أُرْثِيَتْهُ مِنْ بَعْدِ جَثَلٍ فَاحِمٍ
فَمَجِبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ فِيهِمَا
إِنَّ الزَّمَانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ
سَبَقَ الطُّلُوبَ وَأَذْرَكَ الْمَطْلُوبَا

وقال أيضاً

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فَابْتَسَمَتْ لَهَا
أَعَاتِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي
وَقَالَتْ نَجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِاسْمَعِدِ
إِلَيْكَ فَالْحَى الشَّيْبُ إِذْ كَانَ مُبْعِدِي

وقال أيضاً

غَشَّتْ كَبِدِي قَسْوَةً مِنْكَ مَا إِنْ
وَحُمِلْتُ عَنْكَ ذَنْبَ الْمَشِيبِ
تَزَالُ تُجَدِّدُ فِيهَا نُدُوبَا
حَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الْمَشِيبَا
وَمَنْ يَطْلُعُ شَرَفَ الْأَرْبَعِينَ
يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ زَوْراً غَرِيبَا

[قال الشريف المرتضى رحمه الله . . . ولي في هذا المعنى

قُلْنَ لَمَّا رَأَيْنَ وَخَطَاً مِنَ الشَّيْبِ بِرَأْسِي أُغْيِ عَلَى مَجْهُودِي
كُنْصَنَا بَارِقٍ تَعَرَّضَ وَهْنًا فِي حَوَائِشِ بَعْضِ الْإِيَالِي السُّودِ
أَبْيَاضٌ مُجَدَّدٌ مِنْ سَوَادٍ كَانَ قَدْ مَالَ مَرْحَبًا بِالْجَدِيدِ
يَا لِحَاكِنٍّ مَنْ رَمَا كُنَّ بِالْحُسْنِ نِ لَتَقَهَّرُنَا بِغَيْرِ جُنُودِ
لَيْسَ بَيْضٌ مَنَّى فَاجْرِي عَلَيْهِ نِ صُدُودًا أَوْ لَيْسَ فَيَكُنْ سُدُودِ
قَلِّ مَاضِرٌ كُنَّ مِنْ شَعْرَاتٍ كُنَّ يَوْمًا عَلَى الْوَقَارِ شُهُودِي

وقال البعري أيضاً

خَلِيَاءُهُ وَجِدَّةَ اللَّهِوِ مَا دَا
مَرَدَاهُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدًا
إِنْ أَيَّامُهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ
مَا رَأَيْنَ الْمَفَارِقَ السُّودَ سَوْدًا

وقال أيضاً

تَرَكَ السَّوَادَ لِلْإِسِيهِ وَيَيْضًا
وَسَبَاهُ أُغِيدُ فِي تَصَرُّفٍ لِحَظِهِ
وَنَضَامٍ مِنَ السِّتِينَ عَنْهُ مَا نَضَا
فَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ
مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرَضَا
أُسَيَانُ أَثَرِي مِنْ جَوَى وَصَابَا
دَيْنَا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يُقْتَضَى
وَأَسَافٌ مِنْ وَصَلِ الْحِسَانِ وَأَنْقَضَا^(١)

ويروى - اسوان - ٥٥ وقال أيضاً

هَلْ أَنْتَ صَارِفُ شَيْبَةٍ إِنْ غَلَسَتْ
جَاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمَامَ طَوَالِمِ
فِي الْوَقْتِ أَوْ عَجَلَتْ عَنِ الْمِعَادِ
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لَمَّةٍ
هَذِي تُرَاوِحُنِي وَتِلْكَ تُغَادِي
لَا تَكْذِبَنَّ فَمَا الصَّبَا بِمُخْلَفٍ
يَشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ
لَهُوًا وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمُعَادِ
وَأَرَى الشَّبَابَ عَلِي غَضَارَةٍ حُسْنِهِ
وَجَمَالِهِ عَدَدًا مِنَ الْأَعْدَادِ

وقال أيضاً

أَيْتَنِي الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى
لَا أَرَى الْعَيْشَ وَالْمَفَارِقُ بَيْضٌ
مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَا تَعُودُ
وَأَعُدُّ الشَّقِيَّ جَدًّا وَلَوْ أَعَا
إِسْوَةَ الْعَيْشِ وَالْمَفَارِقُ سَوْدٌ
طَيَّ غُنْمًا حَتَّى يُقَالَ سَمِيدٌ

(١) - أساف - الرجل إذا هلكت أبه

مَنْ عَدَّتْهُ الْعُيُونُ وَانْصَرَفَتْ عَنْهُ
وَقَالَ أَيْضاً

قَدِمَنِي فَمَا جَرَى السُّقْمُ إِلَّا
لَوْرَأَتْ حَادِثَ الْخَضَابِ لِأَنْتِ
كَلَفُ الْبَيْضِ بِالْمُعَمَّرِ قَدْرًا
يَتَشَاغَفْنَ بِالْغَرِيرِ الْمُسَمَّى

وَقَالَ أَيْضاً

أَخِيَّ إِنْ الصَّبَا أَسْتَمَرَّ بِهِ
تَصَدُّ عَنِّي الْحِسَانُ مُبْعَدَةً
شَيْبٍ عَلَيِ الْمَفْرَقِينَ يَأْرِضُهُ
تَطْبُ عِنْدِي الشَّبَابُ ظَالِمَةً
لَا عَجَبُ إِنْ مَلَيْتِ خِلَّتِنَا
مَنْ يَتَطَاوَلُ عَلَى مُطَاوَلَةِ الْعِيْدِ

سِيرُ اللَّيَالِي فَانْهَجَتْ بُرْدُهُ
إِذَا نَالَ اقْرَبَهُ وَلَا صَدَدُهُ
يَكْثُرُنِي أَنْ أَيْنَهُ عَدَدُهُ
بُعِيدَ خَمْسِينَ حِينَ لَا تَجِدُهُ
فَأَفْتَقَدَ الْوَصْلَ مِنْكَ مُفْتَقِدُهُ
شِ تَقَعَّقَ مِنْ مَلَهُ عَمْدُهُ

[قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . . . وَرَأَيْتُ الْآمِدَى وَقَدْ أَخْطَأَ فِي مَعْنَى الْبَيْتِ

الْأَخِيرِ لِأَنَّهُ قَالَ مَعْنَى يَتَقَعَّقُ مِنْ مَلَهُ عَمْدُهُ أَيْ عِظَامُهُ يَجِيءُ لَهَا صَوْتُ إِذَا قَامَ وَقَعْدَ مِنْ كِبَرِهِ وَضَعْفِهِ قَالَ وَقَوْلُهُ - مِنْ مَلَهُ - أَيْ مِنْ تَمَلَّى الْعَيْشَ يَرِيدُ طَوْلَهُ وَدَوَامَهُ وَمِنْهُ تَمَلَّيْتُ حَبِيبَكَ وَالْأَمْرُ بِخِلَافِ مَا تَوَهَّمَهُ وَمَعْنَى - تَقَعَّقَ مِنْ مَلَهُ عَمْدُهُ - أَيْ مِنْ تَطَاوَلِ عَمْرِهِ تَعَجَّلَ تَرْحَلُهُ وَانْتَقَالَ مِنَ الدُّنْيَا وَكَفَى عَنْ ذَلِكَ بِتَقَعَّقِ الْعَمْدِ وَهَذَا مِثْلُهُ مَعْرُوفٌ لِلْعَرَبِ يَقُولُونَ مَنْ يَجْمَعُ يَتَقَعَّقُ عَمْدَهُ يَرِيدُونَ أَنْ التَّجْمَعُ دَاعِيَ النِّفْرَقِ وَإِنْ الْجَمْعُ يَعْقِبُ وَيُورِثُ مَا يَدْعُو إِلَى الْإِنْتِقَالِ الَّذِي يَتَقَعَّقُ مَعَهُ الْعَمْدُ . . . [قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرْتَضَى] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْآمِدَى مَعَ كَثْرَةِ مَا يَدْعِيهِ مِنَ التَّنْقِيبِ وَالتَّضْقِيقِ عَلَى عُلُومِ الْعَرَبِ إِنْ كَانَ لَمْ

يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وان كان قد سمعه وجهله ان معنى بيت البحترى يطابقه فهو أطرف . . فأما قوله - من مله - فانما أراد به من مله وملة فعلة من الملل وكيف يكون من تمل العيش ولم يسمع في تمليت مله وهذا خطأ على خطأ . . وقال البحترى
 مَا كَانَ شَوْقِي بِبَذْعِ يَوْمِ ذَاكَ وَلَا دَمْعِي بِأَوَّلِ دَمْعٍ فِي الْهَوَى سَفْحًا
 وَإِمَّةٌ كُنْتُ مَشْغُوفًا بِجِدَّتِهَا فَمَا عَفَى الشَّيْبُ عَنْهَا لَا وَلَا صَفْحًا
 وقال أيضاً

وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَلَوَةَ إِذْ عَيَّرْتَنِي الْكِبَرَ
 كَوَاكِبُ شَيْبٍ عَلَقْنَ الصَّبَا فَقُلِّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرَ
 وَإِنِّي وَجَدْتُ وَلَا يَكْذِبُنَّ سَوَادُ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّعَرِ
 وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمُرَ

قال الآمدي وعليه في قوله - ولا بد من ترك إحدى اثنتين - معارضة وهو أن يقال ان من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر فهو تارك لهما معاً ومن شاب فقد فارق الشباب وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضاً تارك لهما جميعاً . . وقوله إما وإمّا لا توجب الا أحدهما قال والعدر للبحترى أن يقال انه من مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر وحده لانه لا يعمر ف يكون مفارقاً للعمر ألا ترى انه هم يقولون عمر فلان اذا أسن وفلان لم يعمر اذا مات شاباً ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب في حال موته لانه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقتة له وانما يكون في حال موته مفارقاً للعمر وحده فالى هذا ذهب البحترى وهو صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الانسان وانما أراد بالعمر ههنا الكبر كما قل زهير

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَى فَمَنْ تُصِيبُ تَمَّتْهُ وَمَنْ نَخِطِي يُعْمَرُ فِيهِ رَمَ

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . وما رأيت أشد تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وهو أظهر من

أن يخفى حتى يحتاج فيه الى هذا التعليل والنسب وانما أراد الباحث ان الانسان بين
 حالين إما أن يفارق الشباب بالشيب أو العمر بالموت فمن مات شاباً وان كان قد خرج
 من العمر وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فانه لم
 يفارق الشباب وحده وانما فارق العمر الذي فارق بمفارقه الشباب وغيره وقسمة
 الرجل تناولت أحد الأمرين إما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة ولا يكون ذلك
 إلا بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتاخيص كلامه إنه لا بد لاحي من شيب أو موت
 فكان الشيب والموت متعاقبان والبحثي انما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء
 وانما قال العمر لأجل القافية مع انه مبین عن مراده ولو قال ولا بد من ترك الحياة أو
 ترك الشباب لقام مقام قوله العمر . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد
 الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي فقهها قوله يذم
 من جعل مصيبة غيره مصيبة له وعاب من تعلل بالناسي بما نال غيره وهو يرثي شبابه وأحسن

ياشبابي وأين مني شبابي	أذنتني أيامه بانقضاب
لَهَفَ نَفْسِي عَلَي نَعِيمِي وَلَهْوِي	تَحْتَ أَفْنَانِهِ اللَّيْلُ الدَّانِ الرَّطَابِ
وَمُعْزٍ عَنِ الشَّبَابِ مُوسٍ	بِشَيْبِ اللَّيْلِ وَالْأَصْحَابِ
قُلْتُ لَمَّا أَتَيْتُ بَعِيدَ أَسَاةٍ	بِمُصَابِ شَبَابِهِ كَمُصَابِ
لَيْسَ تَأْسُوكُلُومُ غَيْرِي كُلُومِي	مَا بِهِ مَا بِهِ وَمَا بِي مَا بِي

ولابن الرومي

لَهْفِي عَلَى الدُّنْيَا وَهَلْ لَهْفَةٌ	تَنْصِفُ مِنْهَا إِنْ تَلَهَّفْتُهَا
فُبِحَا لَهَا فُبِحَا عَلَي أَنَّهَا	أَقْبَحُ شَيْءٍ حِينَ كَشَفْتُهَا
وَقَدْ يُعْزِي نِي شَبَابٌ مَضَى	وَلَذَّةٌ لِلْعَيْشِ أَسْلَفْتُهَا
فَكَرْتُ فِي خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ	كَانَتْ أُمَامِي ثُمَّ خَلَفْتُهَا

جَهَلْتُهَا إِذْ هِيَ مَوْفُورَةٌ ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فَعُرِفْتُهَا
فَفَرَحْتُهُ الْمَوْهُوبِ أَعْدِمْتُهَا وَتَرَحُّهُ الْمَسْلُوبِ أَلْجَفْتُهَا
لَوْ أَنَّ عُمْرِي مِائَةٌ هَدَّتْنِي تَذَكَّرِي أَنِّي تَنَصَّفْتُهَا

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمل السالفة وقد أحسن فيها كل الإحسان

كَفَى بِسِرَاجِ الشَّيْبِ لِلرَّأْسِ هَادِيَا لِمَنْ قَدْ أَضَلَّتْهُ الْمَنَايَا لِيَايَا
أَمِنْ بَعْدِ بَدَاءِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي لِرَأْيِ الْمَنَايَا تَحْسِبَنِي نَاجِيَا
غَدَا الدَّهْرِ يَزِمْنِي فَتَدْنُو سِهَامُهُ لِشَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يُصْبَنَ سَوَادِيَا
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَزِمِي وَلَا يَرِي فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا



مجلس آخر ٤٨

[تأويل آية] .. إن سأل سائل عن قوله تعالى (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) .. فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن يعطف عليه وما الناصب لقوله تعالى (أو يتوب عليهم) وليس في ظاهر الكلام ما يقتضيه نصبه .. الجواب قلنا قد ذكر في ذلك وجوه .. أولها أن يكون قوله تعالى (أو يتوب عليهم) معطوفاً على قوله ليقطع طرفاً والمعنى أنه تعالى عجل لكم هذا النصر ومنعكم به ليقطع طرفاً من الذين كفروا أي قطعة منهم وطائفة من جمعهم أو يكبتهم ويغلبهم ويهزمهم فيخيب سعيهم وتكذب فيكم ظنونهم أو يغلبهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه عليه الصلاة والسلام فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله تعالى ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام الحجج وتأكيدهم بالبينات والدلائل فيموتوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله تعالى باستحقاقهم النار ويكون على هذا الجواب قوله

تعالى (ليس لك من الأمر شيء) معطوفاً على قوله تعالى (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) أى ليس لك ولا لغيرك من هذا الأمر شيء وإنما هو من الله عز وجل . . والجواب الثاني أن يكون أو بمعنى حق وإلا أن والتقدير ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم وإلا أن يتوب عليهم كما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدّزب دونه وأيقن أنا لا حقان بقيصراً^(١)
فقلت له لا تبك عيناك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدراً

أراد إلا أن نموت فنعدراً وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل أن يقول أن أمر الخلق ليس إلى أحد سوى الله قبله توبة العباد وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان إليه من الأمر شيء . . ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقل قديصم الكلام إذا حمل على المعنى وذلك أن قوله (ليس لك من الأمر شيء) معناه ليس يقع ما تريده وتوثره من إيمانهم وتوبتهم أو ما تريده من استئصالهم وعذابهم على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها إلا أن يلطف الله تعالى لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم وتقدير الآية ليس يكون ما تريده من توبتهم أو عذابهم بك وإنما يكون ذلك الله تعالى . . والجواب الثالث أن يكون المعنى ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم فأضمر من اكتماء بالأول وأضمر أن بعدها لدلالة الكلام عليها أو اقتضائه لها وهي مع الفعل الذى بعدها بمنزلة المصدر وتقدير الكلام ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم وعذابهم . . [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم

(١) قوله بكى صاحبي الخ . . هو من قصيدته المشهورة ومطلعها

سما لك شوق بعد ما كان أبصرا وحلت سايمي بطن قوّ فعرعرا

قالها لما ذهب إلى قيصر يستنجد على بنى أسد بعد قتلهم أباه وعنى بقوله - صاحبي - عمرو ابن قبيصة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرفة وهو قديم جاهلي كان مع حجير أبي امرئ القيس فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه
(١١ - أمالي ناك)

يطعن على هذا الجواب ويستبعده قال لان الفعل لا يكون محمولا على اصراب الاسم الجامد الذي لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لانه ليس في كلام العرب عجبت من أخيك ويقوم على معنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن أخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه إلا ما شاكلة قال هذا انما يستقيم ويصلح في رد الفعل الى المصدر كقولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك على معنى كرهت غضبك وان يغضب أبوك فيطرد هذا في المصادر لانها تؤل بأن فيقول النحويون يعجبني قيامك وتأويله يعجبني أن تقوم قال والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه وليس ما ذكره مستبعداً وان لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس بضعيف وذلك ان فيما امتنع منه مثل الذي أجاز له لانه قد أجاز ذلك في المصادر وان لم يجزه في غيرها وقوله تعالى (ليس لك من الأمر نئى أو يتوب عليهم) فيه دلالة الفعل لان الأمر مصدر أمرت أمراً فكأنه تعالى قال ليس لك من أمرهم أو تأمرهم نئى ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك ويغضب أبوك في رد الفعل الى المصدر والوجه الأول أقوى الوجوه والله أعلم بما أراد

[تأويل خبر] . . . إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه . . . الجواب قيل له أما النجش فهو المدح والاطراء . . . قال نابغة بنى شيان يذكر الخمر وتُرَخَّى بال من يشربها وَنُقِدَى كَرَمَهَا عِنْدَ النَّجَشِ^(١)

(١) هو من قصيدة له مشهورة روى ان أبا كامل مولى الوليد بن يزيد غنى يوماً بحضرته

أمدح الكاس ومن أعمالها واهج قوماً قتلونا بالعش

فسأل الوليد عن قائل هذا الشعر فقيل نابغة بنى شيان فأمر باحضاره فاستنشدته القصيدة فأنشده إياها وطن ان فيها مدحاً له فاذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم فقال له الوليد لو سعد جددك لكانت مديحاً فينا لافى بنى شيان ولسنا نخليك على ذلك من حظ ووصله

أى عند مدحها ومنه النجش فى البيع وهو مدح السلعة والزيادة فى ثمنها من غير
ارادة لشرائها بل ليقندى بالزائد فى زيادته غيره وأصل النجش استخراج الشئ والتسكير
عنه . . قال بعض الفقهاء

أَجْرَشَ لَهَا يَا بَنَ أَبِي كِبَاشٍ فَمَا لَهَا اللَّيْلَةُ مِنْ إِنْفَاشٍ
غَيْرَ الشَّرَى وَسَاتِي نَجَاشٍ اسْمَرَ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْخُشْخَاشِ

ويروى الحشعاش - والنجاش - والمستشير لسيدها والمستخرج لما عندها منه ومعنى - أجرش
لها - أى أحد لها لتسمع الحذاء فتسير وهو مأخوذ من الجرش وهو الصوت ومعنى

وانصرف . . وأول هذه القصيدة قوله

حل قلبي من سليمى نبلها إذ رمتنى بسهام لم تطش
طفلة الأعطاف رؤود دمية وشواها بختري لم يحش
وكان الدر في أخراصها بيض كعلاء أقرته بعش
ولها عينا مهة في مهي ترتني نبت خزامي وتقش
حررة الوجه رخيم صوتها رطب تحنيه كف المنقش
وهي من الليل اذا ما عونت منية البعل وهم المفترش

. . ومنها

أيهما الساقى سقته مزنة من ربيع ذى أهاضيب وطش
أمدح الكاس ومن أعمالها وأهج قوماً قتلونا بالعطش
انما الكاس ربيع باكر فاذا ما غاب عنا لم نعش
وكان الشرب قوم موتوا من يقم منهم لأمر يرتعش
خرس الألسن إنما نالهم بين مصروع وصاح منتعش
من حيا قرقف حصية قهوة حولية لم تمتعش
ينفع المزكوم منها ريحها ثم تنفي داءه إن لم تنش
كل من يشربها بألفها ينفق الأموال فيها كل هش

—الأنفاس—أراد أنها لا تترك ترعى ليلاً والنفس أن ترعى الابل ليلاً وقد أنفستها إذا أرسلتها ليلاً ترعى — والخشخاش—الخفيف الحركة السريع القلب .. والنجش في البيوع يرجع معناه الى هذا أيضاً من الزيادة لان الناجش يستثير زيادته في الثمن ومدحه الساعاة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر على هذا لا تناجشوا أى لا يمدح أحدكم الساعاة فيزيد في ثمنها وهو لا يريد شراءها لیسعه غيره فيزيده وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته ويستثير فائدته وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه الصلاة والسلام لأن قوله ولا تدابروا أشد مطابقة له .. ومعنى— لا تدابروا — أى لا تهاجروا ويوتلي كل واحد منكم صاحبه دبر وجهه .. قال الشاعر

وأوصي أبو قيس بأن تتواصلوا وأوصي أبوكم ويحكم أن تدابروا

فكانه قال عليه الصلاة والسلام لا تهادحوا ولا تتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق ولا تهاجروا وتقاطعوا .. فأما قوله عليه الصلاة والسلام— كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه— فقد ذهب قوم الى أن عرض الرجل انما هو سلفه من آباءه وأمهاته وما جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة الى أن عرض الرجل عرض نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك أى من ابدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء أقرض من عرضك اليوم من قدفك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك بسوء فلا تذكره به ودع ذلك قرضاً لك عليه ليوم الجزاء والقصاص .. واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان اذا خرج من منزله قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك قال فعناه قد تصدقت بنفسى وأحلت من يفتاني فلو كان العرض الالاف ما جاز أن يحل من سب الموتى لان ذلك اليهم لا اليه .. قال ويدل على ذلك أيضاً حديث سيفيان بن عيينة لو أن رجلاً أصاب من عرض رجل شتماً ثم تورع من بعده فجاه الى ورثته بعد موته فأحلوه لم يكن ذلك

كفارة له ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه الى ورثته لكننا نرى ان ذلك كفارة له
قال ويدل على ان عرض الرجل نفسه قول حسان

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ^(١)

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرِضِي لِعَرِضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّ كَمَا لِيْخَيْرِكُمَا الْفِدَاءُ

أراد ان أبي وجدتي ونفسي وقاء لنفس محمد صلى الله عليه وسلم . . وقال آخرون
وهو الصحيح العرض موضع المدح والذم من الرجل فاذا قيل ذكر عرض فلان
فمنه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ويمدح أو يذم به وقد يدخل في ذلك ذكر
الرجل نفسه وذكر آباءه وأسلافه لان كل ذلك مما يمدح به ويذم والذي يدل على هذا
ان أهل اللغة لا يفرقون في قولهم شتم فلان عرض فلان بين أن يكون ذكره في نفسه
بقبيح الأفعال أو شتم سلفه وأباه ويدل عليه قول مسكين الدارمي

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عَرَضُهُ وَسَمِينٍ الْجِسْمِ مَهْزُولٍ الْحَسَبِ^(٢)

(١) روي انه لما انتهى الى هذا البيت قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزأوك على
الله الجنة يا حسان ولما انتهى الى قوله * فان أبي ووالده وعرضي * الخ قال صلى الله
عليه وسلم وذاك الله يا حسان حر النار ولما انتهى الى قوله * أنهجوه ولست له بكفء *
الخ قال من حضر هذا أنصف بيت قالته العرب . . وقوله - فشركا لخيركما الفداء - قال
السهيلي في ظاهر هذا اللفظ شناعة لأن المعروف أن لا يقال هو شرهما إلا وفي كلاهما
شر وكذلك خير مثله ولكن سيبيويه قال تقول مررت برجل شر منك اذا نقص عن
أن يكون مثله وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ونحو منه قوله عليه الصلاة
والسلام شر صفوف الرجال آخرها يريد نقصان حظهم عن حظ الصف الأول كما قال
سيبيويه ولا يجوز أن يريد التفضيل في الشر والله أعلم

(٢) ذكر أبو علي القالي العرض بأنواعه فتركنا كل ما لا تعلق له بموضع البحث

فلو كان العرض نفس الانسان لكان الكلام متناقضاً لان السمن والهزل يرجعان الى
 فقال والعرض أيضاً ما ذم من الانسان أو مدح يقال فلان نقي العرض أى هو بريء
 من أن يشتم أو يعاب واختلف فيه فقال أبو عبيدة عرضه أبأؤه وأسلافه وخالفه ابن
 قتيبة فقال عرضه جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة
 لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك يعنى من أبدانهم
 ونصر شيخنا أبو بكر بن الانباري أبا عبيدة فقال ليس هذا الحديث حجة له لان
 الاعراض عند العرب المواضع التي تعرق من الجسد قال والدليل على غلط ابن قتيبة
 في هذا التأويل وصحة تأويل أبي عبيدة قول مسكين الدارمي

رب مهزول سمين عرضه وسمين الجسم مهزول الحسب

فمعناه رب مهزول البدن والجسم كريم الآباء قال وأما احتجاجه بيت حسان بن ثابت
 فان أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاه
 في أن العرض الجسم فلايس كما ذكر لان معناه فان أبي ووالده وآبائي فأني بالعموم بعد
 الخصوص ذكر الأب ثم جمع الآباء كما قال الله جل وعز (ولقد آتيناك سبعاً من
 المثاني والقرآن العظيم) فخص السبع ثم أتى بالقرآن العام بعد ذكره إياها والذي قاله
 ابن قتيبة قد قاله غيره ويمكن أن ينصر ابن قتيبة بيت مسكين ومعناه رب مهزول
 الجسم سمين الحسب أي عظيم الشرف وسمين الجسم مهزول الحسب أي ضعيف
 الشرف اه قلت وبعد بيت مسكين المتقدم

أ كسبته الورق البيض أباً ولقد كان ولا يدعي لأب

— الورق — بفتح الواو وكسر الراء وهي الدراهم المضروبة وكذلك الرقة والهاء عوض عن
 الواو وقوله — ولا يدعي لأب — أى ولا ينتسب من الدعوة بكسر الدال . . المعنى انه كان
 مجهول النسب ولم يكن له أب يدعي اليه فلما أعطي ما لا ظهر له نسب واشتهر له أب يدعي
 اليه . . وقوله — ولقد كان — الواو للحال واللام للتأكيد وقد للتحقيق وكان تامة فلا
 تحتاج الى خبر . . وقوله — ولا يدعي لأب — جملة وقعت حالا أيضاً وهي مضارع منفي
 جاء بالواو وهو قليل والأكثر مجيشه بلا واو

شيء واحد وإنما أرادت مهزول كريمة أفعاله أو كريم آباؤه وأسلافه .. وقد قال ابن عبدل الأسدي

وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى وَابْذُلْ مَيْسُورِي لِمَنْ يَتَّبِعِي قَرْضِي

وَاعْسُرْ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَادْرِكْ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِيَ عِرْضِي

ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه .. [قال الشريف المرتضي] رضى الله عنه وجدت أبا بكر ابن الأنباري قد رد على ابن قتيبة هذا وطعن على ما احتج به فقال في الحديث المروى عنه عليه الصلاة والسلام في وصف أهل الجنة أن المراد بالأعراض مغايب الجسد .. وحكى عن الأُموي أنه قال الأعراض المغايب التي تعرق من الجسد نحو الباطنين وغيرهما وقال في حديث أبي الدرداء معناه من عابك وذكر أسلافك فلا تجازه ليكون الله تعالى هو المنيب لك .. وقال في قول أبي ضمضم معناه أنه أحل من أوصل إليه أذى بذكره وذكر آباءه فلا يحل إلا من أمره إليه .. وقال في قول حسان المراد بعرضه أيضاً أسلافه فكانه قال إن أبي ووالده وجميع أسلافي الذين أمدح وأذم من جهتهم وقاءله عليه الصلاة والسلام فأنى بالعموم بعد الخصوص كما قال الله تعالى (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) فأنى بالعموم بعد الخصوص ولم أجده ذكر في خبر سفيان ابن عيينة شيئاً وتأويله يقرب من تأويل خبر أبي ضمضم لأن من آذى رجلاً بسبه في نفسه أو سب سلفه وأدخل عليه بذلك وضعاً ونقصاً لم يكن إلى ورثته بعد موته الإحلال من ذلك لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان داخلاً عليهم أيضاً مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم لم يصح على أن الإحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه وهو يسقط باسقاط مستحقه أم لافيه كلام ليس هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع .. وبعد فلو سلم لابن قتيبة أن المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه لأننا لم نقل أن العرض مقصور على سلف الإسلام بل ذكرناه أنه موضع الذم والمدح من الإنسان ولا فرق

بين سلفه ونفسه فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعناً علينا وإنما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف وكل شيء ورد بما المراد بالعرض فيه النفس أو المراد به السلف فهو مؤكد لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الإنسان وإنما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظ العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لأنه قصر معناها على النفس والذات دون السلف وهذا واضح بحمد الله . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال كان أبو عبيدة معمر بن المثنى صفيّاً وكان يكمّن ذلك فأنشد لعمران بن حطان ^(١)

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِمَّا تَكُنْ ذُقْتَ كَأْسًا دَارَ أَوَّلِهَا عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا نَهْلَةَ الْكَاسِ
قَدْ كُنْتُ أَبْكِيكَ حِينَئِثُ قَدْ نَيْسْتُ نَفْسِي فَمَا رَدَّ عَنِّي عِبْرَتِي يَا سِي
وَأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا الاسناباذاني قال قال النوري كنت إذا أردت أن أبسط أنا عبيدة ذكرته بأخبار الخوارج فابعج منه نبيج بحر جفنه يوماً وهو مطرق ينكت في الأرض في سخن المسجد وقد قربت منه الشمس

(١) وهو أحد بني ذهل بن ثعلبة وكان رأس الفعدة من الصفرية وخطيبهم وشاعرهم وهذه الأبيات برئي بها أبا بلال وهو مرداس بن أدية وهي جدته وأبوه حدير وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة ورواية أبي العباس

يا عين بكى لمرداس ومصرعه	يارب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هائماً أبكى لمرزاني	في منزل موحش من بعد ايناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه	ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
إمّا شربت بكأس دار أولها	على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا	منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

فسلمت عايه فلم يرد فتمثلت

وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر الى ثم قال ويحك أندري من يقوله قلت قطري قال اسكت فض الله فاك فالأ قلت أمير المؤمنين أبو نعامة ثم انتبه فقال اكنمها على يانوري فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ جَاشَتْ حَيَاءُ
فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا
وَمَا طَوَّلُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ مَجْدٍ
سَبِيلُ الْمَوْتِ مِنْهُجٌ كُلِّ حَيٍّ
وَمَنْ لَمْ يَغْتَبِطْ بِسَامٍ وَيَهْرَمِ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
مِنَ الْإِبْطَالِ وَيَحْكُ لَا تُرَاعِي
عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَنْ تَطَاعِي
فَمَا نِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ
فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ
وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَيُفَضُّ بِهِ الْقَضَاءُ إِلَى انْقِطَاعِ
إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ^(١)

(١) رواية الحماسة

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شِعَاءُ
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا
وَمَا ثَوْبُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ عَزِ
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةٌ كُلِّ حَيٍّ
وَمَنْ لَا يَغْتَبِطُ بِسَامٍ وَيَهْرَمِ
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ
مِنَ الْإِبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي
عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطَاعِي
فَمَا نِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ
فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ
فِدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِي
وَتَسْلَمُهُ الْمَنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ
إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

فكثبتُها وقت لا تصرف فقال اقعد ثم أنشدني

إلى كم تُغازيني السيوفُ ولا أرى مغازاتها تدعُو إليَّ حمَاميا
أقارعُ عن دار الخلودِ ولا أرى بقاءً على حالٍ لمن ليسَ باقيا
ولو قربَ الموتِ القراعُ لَقَذَانِي لموتِي أنْ يَدْنُو لِطُولِ قِرَاعِيا
أُغَادِي جِلَادَ الْمُعْلِمِينَ كَأَنِّي على العسلِ الماذي أَصْبِحُ غَادِيا
وَادْعُو الكُفَاةَ لِلنِّزَالِ إِذَا الْقَنَا تَحَطَّمْ فِيمَا يَبْنِئْنَا مِنْ طَعَانِيا
وَلَسْتُ أَرَى نَفْسًا تَمُوتُ وَإِنْ دَنَتْ من الموتِ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ دَاعِيا

فقال ابن دريد وهذا الشعر أيضاً لقطري ٠٠ أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوماً ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقراء على فقير فقلت مامي غيره فأنشدني أنت ماشدت فأنشدني

يَارُبِّ ظِلِّ عُقَابٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهِ مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ وَالْأَبْطَالِ تُجْتَلِدُ
وَرُبُّ يَوْمٍ حَمَى أَرْعَى عُقُوتَهُ خَيْلِي أَقْتَسَارًا وَأَطْرَافُ الْقَنَا قُصْدُ
وَيَوْمٍ لَهْوٍ لَأَهْلِ الْخَفَضِ ظِلُّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءُ الْوَعَا إِذْ نَارُهُ تَقْدُ
مُشِيرًا مَوْفِي وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ عَنْهَا الْقِنَاعُ وَبَحْرُ الْمَوْتِ يَطْرُدُ
وَرُبُّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَاجِلَهَا صَخَرَتُهَا بِمَطَايَا غَارَةٍ تَخْدُ
تُجَنَّبُ أَوْدِيَةَ الْأَفْرَاعِ آمِنَةً كَأَنَّهَا أُسْدٌ يَقْتَادُهَا أُسْدُ
فَإِنْ أَمْتُ حَتَفَ نَفْسِي لَا أَمْتُ كَمَدًا

على الطعان وفصر العاجز الكمد
ولم أقل لم اساق القتل شاربته
في كائسه والمنايا ترع ورُد

ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به نفوسكم من أشعار الخائث والشعر لقطري . .
 أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم
 قال كان أبو عبيدة يأنس الي في أول ما اختلفت اليه ويسألني عن خوارج سجستان
 لانه كان يظني على رأيهم وكنت أومه أنفي منهم فالتفتي منه لذلك غناية خاصة فكان
 كثيراً ينشدني أشعارهم ثم يتمثل

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البناءَ وإن عاهدوا وفؤا وإن عقدوا شدوا

قال وأنشدني يوماً لرجل من طيء من الخوارج

لا كابين ملحان من شار أخي ثقة أوكابين علقمه المستشهد الشاري
 من صادق كنت أصفيه مخالصتي فباع داري بأغلى صفقة الدار
 إخوان صدق أرجيهم واحذرهم اشكوا إلى الله إخواني وإحذاري
 فصرت صاحب دنيا أنت أملكها وصار صاحب جنات وأنهار

— مجلس آخر ٤٩ —

[تأويل آية] . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت
 أيديهم وأعلموا بما قالوا بل يداه مبسوطتان) . . فقال ما اليد التي أضافتها اليهود إلى الله
 تعالى وادّعوا أنها مغلولة فما نرى أن عقلا من اليهود ولا غيرهم يزعم أن لربه يد مغلولة
 واليهود تتبرأ من أن يكون منها قائل بذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلّت أيديهم وهو
 تعالى بمن لا يصح أن يدعو على غيره لانه تعالى قادر على أن يفعل ما يشاء وانما يدعو
 الداعي بما لا يتمكن من فعله طامأ له . . الجواب قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود
 وصفوا الله تعالى بما يقتضى تناهي مقدوره فجري ذلك مجرى أن يقولوا ان يده مغلولة
 لان عادة الناس جارية بان يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون يد فلان منقبضة

عن كذا وكذا وبده لا تنبسط الي كذا اذا أرادوا وصفه بالفقر والقصور ويشهد بذلك قوله تعالى في موضع آخر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ثم قال تعالى مكذباً لهم (بل يدايه مبسوطتان) أي انه لا يعجزه شيء وثني اليدين تأكيذاً للأمر وتفخيماً له ولان ذلك أبلغ في المعنى المقصود من أن يقول بل بده مبسوطه . . . وقد قيل أيضاً ان اليهود وصفوا الله تعالى بالبخل واستبطوا فضله ورزقه وقيل انهم قالوا على سبيل الاستهزاء ان إله محمد الذي أرسله يدايه الى عنقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه فرد الله قولهم وكذبهم بقوله (بل يدايه مبسوطتان) واليد ههنا الفضل والنعمة وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام العرب وأشعارهم ويشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك امساك اليد عن النفقة في الحقوق وترك الاسراف الى القصد والتوسط ويمكن أن يكون الوجه في تسمية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة لان الكل وان كانت نعماً لله فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين بصفة تخالف صفة الآخر صارا كأنهما جنسان وقيلان ويمكن أيضاً أن يكون في تسمية النعمة لانه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة . . . فأما قوله تعالى (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) ففيه وجوه . . . أولها أن لا يكون ذلك على سبيل الدعاء بل على وجه الاخبار منه عز وجل عن نزول ذلك بهم وفي الكلام ضمير وقد قيل قوله (غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ) وهوضع غُلَّتْ نصب على الحال كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ماغل الله تعالى أيديهم ولعنهم أو حكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد ههنا كما ساغ في قوله عز وجل (إن كان قبضه قُدٌّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قبضه قُدٌّ من دبر فكذبت) والمعنى فقد صدقت وقد كذبت . . . وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت أيديهم أو وغلت أيديهم فأضمر تعالى الفاء والواو لان كلامهم ثم واستأناب بعده كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أنتخذنا هزواً) أراد فقالوا أنتخذنا هزواً فأضمر تعالى الفاء لتمام كلام موسى عليه الصلاة والسلام

ومنه قول الشاعر

لَمَّا رَأَيْتُ نَبَطًا أَنْصَارًا شَمَرْتُ عَنْ رُكْبَتِي الْأَزَارَا

كُنْتُ لَهَا مِنَ النَّصَارَى جَارًا

أراد وكنت لها فأضر الواو .. ونالها أن يكون القول خرج مخرج الداء إلا أن معناه التعليم من الله تعالى لنا والتأديب فكأنه تعالى وقفنا على الداء عليهم وعلما ما ينبغي أن نقول فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا الموضع بقوله (لندخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمين) وكل ذلك واضح والمثلة لله

[تأويل خبر] .. ان سأل سائل عن الخبر الذي روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لمن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده .. الجواب قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان من الناس فالخوارج تتعلق به وتدعى ان القطع يجب في القليل والكثير ويستشهد على ذلك بظاهر قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ويتعلق بهذا الخبر أيضاً الملحدة والشكك ويدعون انه مناقض للرواية المتضمنة انتفاء القطع إلا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه .. فأول ما نقوله ان الخبر مظهر فيه عند أصحاب الحديث وعلى اسناده أيضاً طعن وقد حكى ابن قتيبة في تأويله وجهاً عن يحيى بن أكرم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه وجهاً آخر نحن نذكرهما وما فيهما وتبعهما بما نختاره .. قال ابن قتيبة كنت حضرت يوماً مجلس يحيى بن أكرم بمكة فرأيت يذهب الى ان البيضة في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وان الحبل من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ ثمنه دنانير كثيرة .. قال ورأيت يعجب بهذا التأويل ويبدي فيه ويعيد ويرى انه قطع به حجة الخصم .. قال ابن قتيبة وهذا انما يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس هذا موضع تكثير لما يأخذه السارق فيصرفه الى بيضة تساوي دنانير وحبل لا يقدر السارق على حمله ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلاناً عرض نفسه للضرر في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في جراب مسك وإنما العبادة جارية

بان يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد في حبل رث أو أداة خفاق أو كبة شعر فكل ما كان من ذلك حقيراً كان أبلغ . . قال والوجه في الحديث ان الله تعالى لما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (والسارق والسارقة) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده على ظاهر ما أنزل عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى بعد أن القطع لا يكون إلا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن عليه الصلاة والسلام يعلم من حكم الله تعالى إلا ما أعلمه الله تعالى ولا كان الله يعرفه ذلك جملة بل يبين له شيئاً بعد شيء . . [قال المرتضى] رضى الله عنه ووجدت أبا بكر الأنباري يقول ليس الذي ذكر ابن قتيبة على تأويل الخبر بشيء قال لأن البيضة من السلاح ليست علماً في كثرة الثمن ونهاية علو القيمة فتجري مجرى العقد من الجواهر والجواب من المسك الذين يساوي الألوف من الدنانير والبيضة من السلاح ربما اشترت بأقل مما يجب فيه القطع وإنما أراد عليه الصلاة والسلام انه يكتسب قطع يده بما لا غناء له به لان البيضة من السلاح لا يستغنى بها أحد والجواهر والمسك في اليسير منهما غناء . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه والذي نقوله ان ما طعن به ابن الأنباري على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن فيشبه العقد والجواب من المسك غير انه يبقى في ذلك أن يقل أي وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليس هما النهاية في التقليل وان كان كما ذكره ابن الأنباري من ان المعنى انه يسرق ما لا يستغنى به فليس ذكر ذلك بأولي من غيره فلا بد من ذكر وجه في ذلك . . وأما تأويل ابن قتيبة فباطل لان النبي عليه الصلاة والسلام لا يجوز أن يقول ما حكاه عند سماع قوله تعالى (والسارق والسارقة) لان الآية مجملة مفتقرة الى بيان ولا يجوز أن يحملها أو يصرفها الي بعض احتمالاتها دون بعض بلا دلالة على ان أكثر من قال ان الآية مجملة وان ظاهر القول يقتضي العموم ويذهب الي ان تخصيصها بسارق دون سارق لم يتأخر عن حال الخطاب بها فكيف يصح ما قاله ابن الأنباري ان الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخاً للأول وعلى تأويله هذا يقتضى أن يكون كل الخبر منسوخاً واذا أمكن تأويل أخباره عليه الصلاة والسلام على ما لا يقتضى

رفع أحكامها ونسخها كان أولى . . والأشبه أن يكون المراد بهذا الخبر أن السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير القليل فتقطع يده فكأنه تعجز له وتضعيف لاختياره من حيث باع يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره . . وقد حكى أهل اللغة أن بيضة القوم وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا نظير له وإن كان قد يستعمل ذلك في المدح والذم على سبيل الاضداد وإذا استعمل في الذم فعناه أن الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التي تفسدها النعامة فتتركها مافاة ولا تلتفت إليها فمما جاء من ذلك في المدح قول أخت عمرو ابن عبد ود ترثيه ^(١) وتذكر قتله أمير المؤمنين عليه السلام إياه وقيل إن الأبيات لامرأة من العرب غير أخته

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ لَكُنْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ
لَكِنْ قَاتِلُهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ قَدْ كَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بِيَضَةِ الْبَلَدِ

(١) عمرو بن عبد ود هذا من بني عامر بن لوئى خرج في فرسان من قريش منهم عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب في غزوة الخندق فقيموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجأت بهم في السبعة بين سلع والخندق وخرج علي بن أبي طالب رضى الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم فقال لعمر بن عبد ود يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه أحدهما قال أجل قال له علي فإني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك إلى الزلزال ولم يأن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك قال علي ولكنى والله أحب أن أقتلك فحى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي عليه السلام وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو منبه بن عثمان الدارى ونوفل بن عبد الله بن المغيرة

وقال آخر في المدح

كَانَتْ قُرَيْشًا بَيِّضَةً فَتَفَلَّقَتْ فَالْمُخُ خَالِصَةٌ لِعَبْدٍ مَنَافٍ

وقال آخر في الذم

تَأْتِي قُضَاعَةٌ أَنْ تَعْرِفَ لَكُمْ نَسَبًا وَابْنَا نِزَارٍ فَأَنْتُمْ بَيِّضَةُ الْبَلَدِ

أراد أن تعرف فأسكن .. وقال آخر في ذلك

لَكِنَّهُ حَوْضٌ مِنْ أَوْدَى بِإِخْوَتِهِ رَبِيبُ الزَّمَانِ فَأَمْسَى بَيِّضَةَ الْبَلَدِ^(١)

فقد صار معنى البيضة كله يعود الى التفعيم والتعظيم .. وأما الجبل فيذكر على سبيل
المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل ما اعطاني فلان إلا عقلا وما
ذهب من فلان عقال ولا تساوى كذا فقيرا كل ذلك على سبيل المثل والتقليل وليس
الغرض بذكر الجبل الواحد من الجبال على الحقيقة وإذا كان على هذا تأويل الخبر
زال عنه المماقضة التي ظننت وبطلت شبهة الخوارج في ان القطع يجب في القليل والكثير
.. أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبيد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن
المزرع قال حدثني أبو وهب علي بن ثابت قال قال الأصبغي تصرفت بالأسباب على
باب الرشيد مؤملا بالظفر به والوصول اليه حتى إني صرت لبعض حرسه خدينا فإني
في ليلة قد نثرت السعادة والتوفيق فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال
أما بالحضرة أحد يحسن الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقه قد حله التيسير فقال
لي الخادم ادخل فاعلمها أن تكون ليلة تفرس في صباحها بالغنى ان فزت بالحفاوة عنده

(١) وقبله

لو كان حوض حمار ما شربت به إلا بأذن حمار آخر الأبد
لكنه حوض من أودى بإخوته ربيب الزمان فأمسى بيضة البلد
لو كان يشكي الى الأموات مالتى الـ أحياء بعدهم من شدة البكمد

فدخلت فواجهت الرشيد في بهوة والفضل بن يحيى الى جانبه فوقف بي الخادم بحيث يسمع التسليم فسلمت فرد عليّ السلام ثم قال يا غلام أرجه قليلاً ليفرخ روعه ان كان قد وجد للروعة حساً فدنيت قليلاً ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاعة مجده وبهاء كرمك مجبران لمن نظر إليك من اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية فقلت راوية لكل ذي جد وهزل بعد أن يكون محسناً فقال ثالله ما رأيت ادعاء أعم فقلت أنا على الميدان فأطلق من غنائي يا أمير المؤمنين فقال قد أنصف القارة من رامها ثم قال مامعنى هذه الكلمة بدياً قال قلت فيها قولان القارة هي الحرّة من الأرض وزعمت الرواة ان القارة كانت رماة للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف عسكره عسكر السعد فخرج فارس من السعد قد وضع سهمه في كبده قوسه فقال أين رماة العرب فقال العرب قد أنصف القارة من رامها^(١) فقال لي الرشيد أصبت ثم قال

(١) القارة قبيلة وهم عضل والديش أبناء الهون بن خزيمة وإنما سموها قارة لالتفافهم واجتماعهم لما أراد الشداخ أن يفرقهم في بني كنانة وقريش قال شاعرهم

دعونا قارة لا تنفرونا فنجفل مثل إجفال الظلم

وهم رماة الحدق في الجاهلية وهم اليوم في اليمن ويزعمون ان رجلين إلتقيا أحدهما قاري والآخر أسدي فقال القاري ان شئت صارعتك وان شئت سابقتك وان شئت راميتك فقال الآخر قد اخترت المراماة فقال الأسدي قد اخترت المراماة فقال القاري قد أنصفتني وأنشد

قد أنصف القارة من رامها إننا اذا ما فئسة نلقاها

* نرد أولاهها على أخرها *

ثم انتزع له سهماً وشك فؤاده . . . وإنما قيل أنصف القارة من رامها في حرب كانت بين قريش وبين بكر بن عبد مناف بن كنانة وكانت كنانة مع قريش وهم قوم رماة فلما التقى الفريقان رامهم الآخرون فقبل قد أنصفهم هؤلاء اذ ساووه في العمل الذي هو شأنهم وصناعتهم

أُتْرُوِي لِرُوْبَةِ بِنِ الْعِجَاجِ وَالْعِجَاجِ شَيْئًا فَقُلْتُ هُمَا شَاهِدَانِ لَكَ بِالْقَوَافِي وَإِنْ غِيْبَا عَنْ
بَصْرِكَ بِالْأَشْخَاصِ فَأَخْرِجْ مِنْ نَفْسِي فَرَشَهُ رَقْعَةً ثُمَّ قَالَ أُنْشِدْنِي

أَرْقَنِي طَارِقُ هَمَّ طَرَقَا

فَضَيْتَ فِيهَا مَضَى الْجَوَادِ فِي مَتْنِ مِيدَانِهِ نَهْدَرُ بِهَا أَشْدَاقِي فَلَمَّا صَرْتُ إِلَى مَدِيحِهِ لَبِنِي أُمِيَّةٌ
نَبَيْتَ لِسَانِي إِلَى امْتِدَاحِهِ لِلْمَنْصُورِ فِي قَوْلِهِ

قُلْتُ لَزِيرٍ لَمْ تَصِلْهُ مَرْيَمَةُ

فَلَمَّا أُرَانِي قَدْ عَدَلْتُ مِنْ أَرْجُوزَةٍ إِلَى غَيْرِهَا قَالَ أَعْنِ حَبِيبَةُ أُمِّ عَمِّدٍ قُلْتُ عَنْ عَمِّدٍ
تَرَكْتُ كَذْبَهُ إِلَى صَدَقَةِ فِيمَا وَصَفَ بِهِ الْمَنْصُورُ مِنْ مَجْدٍ فَقَالَ الْفَضْلُ أَحْسَنْتَ بَارَكَ اللَّهُ
عَلَيْكَ مِثْلَكَ يَوْهَلُ لِهَذَا الْمَجْلِسِ فَلَمَّا أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا قَالَ لِي الرَّشِيدُ أُتْرُوِي كَلِمَةً
عَدَى بِنِ الرِّقَاعِ

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهَّمًا فَاغْتَادَهَا

قُلْتُ نَعَمْ قَالَ هَاتِ فَضَيْتَ فِيهَا حَقِي صَرْتُ إِلَى وَصْفِ الْجَمَلِ قُلْ لِي الْفَضْلُ نَاشِدَتِكَ اللَّهُ
أَنْ تَقْطَعَ عَلَيْنَا مَا أَمْتَعَنَا بِهِ السَّهَرُ مِنْ لَيْلَتِنَا هَذِهِ بِصِفَةِ جَمَلٍ أَجْرَبُ فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ
اسْكُتْ فَلَا بَلَّ هِيَ الَّتِي أَخْرَجْتِكَ مِنْ دَارِكَ وَاسْتَلْبِتَ تَاجَ مَلِكِكَ ثُمَّ مَاتَتْ وَعَمِلَتْ جُلُودَهَا
سَيَاطًا ثُمَّ ضَرَبَتْ بِهَا أَنْتَ وَقَوْمُكَ فَقَالَ الْفَضْلُ لَقَدْ عَوَّقْتِ عَلَى غَيْرِ ذَنْبِ الْحَمْدِ لِلَّهِ فَمَتَالِ
الرَّشِيدِ أَخْطَأْتُ الْحَمْدَ لِلَّهِ عَلَى النِّعَمِ وَلَوْ قُلْتُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُنْتُ مُصِيبًا ثُمَّ قَالَ لِي امْضِي فِي
أَمْرِكَ فَانْشُدْنِي حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمُ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا

اسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ قَالَ لِي أَنْحَفِظْ فِي هَذَا ذَكَرْتُ نَعَمْ ذَكَرْتُ الرِّوَاةُ أَنَّ الْفَرَزْدَقَ قَالَ
كُنْتُ فِي الْمَجْلِسِ وَجَرِيرٌ إِلَى جَانِبِي فَلَمَّا ابْتَدَأَ عَدِي فِي قَصِيدَتِهِ قُلْتُ لِحَبْرٍ مَسْرُورٍ إِلَيْهِ
هَلْ نَسَخَرَ مِنْ هَذَا الشَّامِيِّ فَلَمَّا ذُقْنَا كَلَامَهُ يَبُئْسُنَا مِنْهُ فَلَمَّا قَالَ

تُرْجِي أَغْنَى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

وعدى كالمستريح فقال جرير إذا تراه يستلب بها مثلاً فقال الفرزدق يالكع أنه يقول

قلم أصاب من الدّواة مدادها

فقال جرير كأن سمعك مخبو في صدره فقال لي اسكت شغاني سُبُك عن جيد الكلام^(١)
فلما بلغ الى قوله

ولقد أراد الله إذ ولّا كها من أمةٍ إصلاحها ورشادها

قال الأصمى قال لي الرشيد ما تراه قال حين أنشد الشاعر هذا البيت فقات قال كذا
أراد الله فقال الرشيد ما كان في جلالته يقول هذا أحسبه قال ما شاء الله قال وكذا
جاءت الرواية فلما أتيت على آخرها قال لي أنروي لذي الرمة شيئاً قلت الأ أكثر قال
فإذا أراد بقوله

مُمرٍّ أُمِرْتُ فَتَلُهُ أَسَدِيَّةٌ ذِرَاعِيَّةٌ حَلَالَةٌ بِالمَصَانِعِ

قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت فروعه عن
مطر سحابة كانت بنوء الأسد في الذراع فقال الرشيد أرخ فقد وجدناك ممتعاً
وعرفناك محسنأ ثم قال إني لأجد ملالة ونهض فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في
رجله وكانت عربية فقال الرشيد عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الأعاجم أما انها
لو كانت سندية لما احتجت الى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعمي ونعل آبائي كم تعارض
فلا تنزك من جواب بمض ثم قال يا غلام تأمر صالح الخادم بتعجيل ثلاثين ألف درهم

(١) وقال أبو العباس يروي ان جريراً دخل الى الوليد وابن الرقاع العاملي عنده
ينشده القصيدة التي يقول فيها

غلب المساميح الوليدُ سماحة وكفى قریش المضلات وسادها

قال جرير فحسده على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية * تزجي أغن كأن إبرة روقه *
الح قال فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يشبه به قال فقال * قلم أصاب من
الدواة مدادها * قال فما قدرت حسداً له أن أقيم حتى انصرفت

على هذا الرجل في ليلته هذه ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا انه مجلس
أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمنزل ما أمر لك به وقد أمرت لك به
إلا ألف درهم فتلقى الخادم صباحاً ٠٠ قال الأصمعي فما صليت من غد إلا وفي منزلي
تسعة وخمسون ألف درهم

مجلس آخر ٥٠

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (أَلَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِخُرْجِهِمْ مِنَ
الظلمات الى النور) ٠٠ فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضى انه هو الفاعل للايمان فيهم
لأن النور ههنا كناية عن الايمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا
معنى لذلك غير ما ذكرناه واذا كان مضيف الاخراج اليه فهو الفاعل لما كانوا به خارجين
وهذا خلاف مذهبكم ٠٠ الجواب قلنا إن النور والظلمة المذكوران في الآية جائز أن
يكون المراد بهما الايمان والكفر وجائز أيضاً أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب
فقد تصح الكناية عن الثواب والنعم في الجنة بأنه نور وعن العقاب في النار بأنه ظلمة
فاذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغت اضافة اخراجهم من الظلمات الى النور اليه
تعالى لانه لاشبهة في انه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة والعاقل به عن طريق النار
والظاهر بما ذكرناه أشبه لانه يقتضى ان المؤمن الذي ثبت كونه مؤمناً يخرج من الظلمة
الى النور ولو حمل على الايمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام انه يخرج
المؤمن الذي قد تقدم كونه مؤمناً من الكفر الى الايمان وذلك لا يصح واذا كان الكلام
يقتضى الاستقبال في اخراج من ثبت كونه مؤمناً كان حمله على دخول الجنة والعدول
به عن طريق النار أشبه بالظاهر على أن لو حملنا الكلام على الايمان والكفر لصح ولم
يكن مقتضياً لما توهموه ويكون وجه اضافة الاخراج اليه تعالى وان لم يكن الايمان من
فعله من حيث يتبين ودل وأرشد ولطف وسهل وقد علمنا انه لولا هذه الأمور لم يخرج
المكلف من الكفر الى الايمان فيصح اضافة الاخراج اليه تعالى لكون ما عددناه من

جهته وعلى هذا يصح من أحدنا اذا أشار على غيره بدخول بلدٍ من البلدان ورغبه في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح والنفع أو بمجانبة فعل من الأفعال أن يقول أنا أدخلت فلاناً البلد الفلاني وأنا أخرجته من كذا وانتشته منه ويكون وجه الاضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي الا ترى انه تعالى قد أضاف اخراجهم من النور الى الظلمات ومن الايمان الى الطاغوت وان لم يدل ذلك على ان الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الاضافة ما تقدم لان الشياطين يغوون ويدعون الى الكفر ويزينون فعله فتصح اضافته اليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل عدو لله تعالى صدّ عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح اجراء هذه التسمية عليه فكيف اقتضت الاضافة الأولى ان الايمان من فعل الله تعالى في المؤمن ولم تقتض الاضافة الثانية ان الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله المخالفين وغفلتهم . . وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لما صار الله تعالى ولياً للمؤمنين وناصراً لهم على ما اقتضته الآية والايمان من فعله تعالى لا من فعايمهم ولما كان خادلاً للكافرين مضيفاً لولايتهم الى الطاغوت والكفر من فعله تعالى فيهم ولما فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الأمرين فيهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلا معاند مغالط لنفسه . . أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القاسم الانباري حدثنا أحمد بن حيان قال حدثنا أبو عبد الله بن البطاح قال أخبرنا أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج انه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا إلا مناقلة الاخوان الأحاديث وقبلك عامر الشعبي فابست به الى يحدثنى فدعا الحجاج بالشعبى وجهزه وبعث به اليه وأطراه في كتابه فخرج الشعبى حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لى قال ومن أنت قال عامر الشعبى قال حيّاك الله ثم نهض وأجلسه على كرسيه فلم يابث أن خرج الحاجب اليه فقال ادخل قال فدخلت فاذا عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل أبيض الرأس والاحية على كرسي فسلمت فرد السلام ثم أوماً الى بقضيبه فتعدت عن يساره ثم أقبل على الذى بين يديه فقال ويحك من أشعر الناس قال أنا يا أمير المؤمنين

فأظلم على ما بيني وبين عبد الملك ولم أصبر ان قلت ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي بزعم
انه أشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي ثم قال هذا الأخطل
فقلت يا أخطل أشعر منك الذي يقول

هَذَا غَلَامٌ حَسَنٌ وَجَنَّهُ مُقْتَبِلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّعَامِ
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصْفَرِ خَيْرِ الْأَنَامِ
خَمْسَةُ آبَاؤُهُمْ مَا هُمْ هُمْ خَيْرٌ مِنْ بَشَرٍ صَوَّبَ الْغَمَامِ^(١)

فقال عبد الملك رددها على فرددتها حتى حفظها فقال الأخطل من هذا يا أمير المؤمنين
فقال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة أشعر مني . . قال الشعبي ثم أقبل على عبد
الملك فقال كيف أنت يا شعبي قات بخير لا زلت به ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان
من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث فقال مه فانا لا نحتاج الي هذا
المنطق ولا تراه ممّا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم أقبل على فقال ما تقول في النابغة
قلت يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء وذلك
انه خرج يوماً وببابه وفد غطفان فقال يا معاشر غطفان أي شعرائكم الذي يقول

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
لَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَوْتُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بَلَغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَمُبْلَغُكَ الْوَائِي أَغْشُ وَاكْذَبُ
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ

(١) وروى ان الشعبي لما أنشد هذه الأبيات قال الأخطل ان أمير المؤمنين انما
سألني عن أشعر أهل زمانه ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حرياً أن أقول
كما قلت

قالوا النابغة قال فأبكم الذي يقول

فإنك كالليل الذي هو مذكر كي
خطا طيف جحش في جبال متينة
وإن خلت أن المتأني عنك واسع
تمدُّ بها أيدٍ اليك نوازِعُ

قالوا النابغة قال أبكم الذي يقول

إلى ابن مخزق أعملت رحلي
أتيتك عاريا خلق ثيابي
وراحلتي وقد هدت الميُونُ
على خوفٍ تظنُّ بي الظنونُ
فألفيت الأمانة لم تحنَّها
كذلك كان نوح لا يخونُ

قالوا النابغة قال هذا شعر شعرائكم . . ثم أقبل عبد الملك على الأخطال فقال أحب
ان لك قباضاً بشعرك شعر أحد من العرب أو نحب إنك قلته فقال لا والله إلا أني
وددت أني كنت قلت أبياناً قالها رجل منا كان والله مغدق القناع قليل السماع قصير
الذراع قال وما قال فأنشده

إننا محيوك فاسلم أيها الطلل
ليس الجديد به تبقى بشاشته
والمعيش لا عيش إلا ماتقرُّ به
إن تزجني عن أبي عثمان منجحة
وإن بليت وإن طالت بك الطيل
إلا قليلاً ولا ذو خلة يصل
عين ولا حال إلا سوف ينتقل
فقد يهون على المستنجد العمل^(١)

(١) أبو عثمان هو عبد الواحد بن الحارث بن الحكم بن أبي العاصي بن عبد
شمس بن عبد مناف . . وقال مصعب الزبيري هو عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
وكان عبد الواحد والياً في المدينة لمروان بن محمد هكذا في خزانة الأدب وهذا الأخير
لا يخفى أنه غلط لأن القصة وقعت مع عبد الملك بن مروان بنفسه فكيف يكون عبد
الواحد والياً لابن ابنه ومروان بن محمد أيضاً هو آخر ملوك بني أمية ومن القصيدة
أهل المدينة لا يحزنك شأنهم إذا تحطأ عبد الواحد الأجل

وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَى خَيْرًا قَالُوا لَهُ
قَدْ يَذْرُكُ الْمُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ
مَا يَشْتَهِي وَلَا مِ الْمُخْطِلِ الْهَبْلُ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ

قال الشعبي فقات قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال

طَارَقَتْ جَنُوبُ رِحَالِنَا مِنْ مَطَرٍ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ الْمَعْنَى^(١)

أما قريش فلن تلقاهم أبداً
ألا وهم جبل الله الذي قصر
قومهم ثبوتوا الاسلام وامنتموا
من صالحوه رأى في عيشه سعة
كم نالني منهم فضل على عدم
وكم من الدهر ما قد ثبوتوا قدسي
فما هم صالحوا من ينتقى عني
هم الملوك وأبناء الملوك لهم

(١) وبعده

قطعت اليك بمنزل جيد جدية
ومصرعين من الكلال كأنما
متوسدين ذراع كل نجبية
وجئت على ركب تهديها الصفا
وإذا سمعن الى همام رفقة
جملت تميل خدودها آذانها
كالنصنات الى الفناء سمعته
وإذا نظرن الى الطريق رأينه
وإذا تخلف بعهن حاجة
وإذا يصيبك والحوادث جمة
لوت الهموم عن الفؤاد تفرقت

حسن معلق تومته مطوق
سمروا الغبوق من الرقيق المغبق
ومفرج عرق المقد منوق
وعلى كلا كل كالنقيل المطرق
ومن النجوم غوائر لم تلحق
طرباً بهم الى حذاء السوق
من رائع لقلوبهم مشوق
كفأ كشاة الحسان الأبلق
حاد يشمش نعله لم ياهق
حدث حدك الى أخيك الأوثق
وخلي التكلم للسان المطاق

حق أتيت الى آخرها فقال عبد الملك بن مروان ثكلت القطامي أمه هذا والله الشعر
قال فالتفت اليّ الأخطل فقال يا شعبي ان لك فنوناً في الأحاديث وان لنا فناً واحداً
فان رأيت أن لا تحملني على اكتاف قومك فادعهم حرصاً قلت لا أعرض لك في شيء
من الشعر أبداً فأقنني هذه المرة فقال من يكفل بك قلت أمير المؤمنين فقال عبد الملك
هو على أن لا يعرض لك أبداً ثم قال يا شعبي أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء
قلت خلساء قال ولم فضلتها على غيرها قلت لقولها

وقائلة والنَّعشُ قذفاتَ خطوها لتذركه يا لهفَ نفسي على صخرِ
الأثكلت أم الذين غدوا به إلى القبرِ ماذا يَحْمِلُونَ إلى القبرِ

فقال عبد الملك أشعر منها والله ليلى الأخيلية حيث تقول

مُهَفِّفُ الكَشْحِ والسِّرْبَالِ مُنْخَرِقُ عنه القَمِيصُ لِسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرُ
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحُهُ في كُلِّ حَيٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُنْتَظَرُ

ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعته فقلت أي والله يا أمير المؤمنين أشد المشقة إنني
لحدثك منذ شهرين لم أفدك الا أبيات النابغة في الغلام ثم قال يا شعبي انما أعلمناك هذا
لانه بلغني ان أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون ان كانوا غلبونا على الدولة
فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق ثم ردد على أبيات
ليلى حتى حفظتها وأذن لي فانصرفت فكنت أول داخل وآخر خارج [قال الشريف
المرتضى] رضى الله عنه والصحيح في الرواية ان البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما
الى ليلى الأخيلية لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة من المراثي
المفضلة المشهورة بالبلاغة والبراعة وهي

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أَسْرُ بِهِ مِنْ عَلَوٍ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ^(١)

(١) رواية ثعلب

إني أتيت بشيء لا أسر به من عل لا عجب فيه ولا سخر

(١٤ - أمالي ثالث)

فَظَلْتُ مُكْتَبِنًا حَرَّانَ أَنْدُبُهُ وَكُنْتُ أَحْذَرُهُ لَوْ يَنْفَعُ الْحَذَرُ
فَجَاشَتْ النَّفْسُ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَأَيْتُ كِبَ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثٍ مُعْتَمِرٍ^(١)
يَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا يَلْوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى التَّقِينَا وَكَانَتْ يَنْنَا مُضَرَّ^(٢)
إِنَّ الَّذِي جِئْتُ مِنْ تَثْلِيثٍ تَنْدُبُهُ مِنْهُ السَّيَّاحُ وَمِنْهُ النَّهْيُ وَالْغَيْرُ^(٣)

وروى أبو زيد في نوادره

إني أناني شيء لا أسر به من عل لا عجب فيه ولا سخر

وروى المبرد في الكامل

إني أننى لسان لا أسر بها من عل لا عجب منها ولا سخر

—اللسان— هنا بمعنى الرسالة وأراد بها نفي المنتشر ولهذا أنت الفعل فانه اذا أريد به الكلمة أو الرسالة يؤنث ويجمع على ألسن واذا كان بمعنى جارحة الكلام فهو مذكر ويجمع على ألسنة أى أناني خبر من أعلى نجد وقيل أراد العالية وقيل من أعالي البلاد ويقال من علو بتثليث الواو ومن عل بكسر اللام وضمها ومن علا ومن أعلى ومن معال ٠٠ وقوله —لا عجب— الخ أى لا عجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة ولا سخر بالموت وقيل معناه لا أقول ذلك سخريه وهو بفتحيتين وبضميتين مصدر سخر منه (١) قوله —فجاشت النفس— الخ أى غشت ويقال دارت للغيان فان أردت انها ارتفعت من جزن أو فرغ قلت جشأت بالهمز وروى بدل جمعهم فلهم أى الذين شهدوا مقتله فلهم بفتح الفاء وتشديد اللام يقال جاء فلان القوم أى منهزموهم يستوى فيه الواحد والجمع وربما قالوا فلول وفلال —وتثليث— بكسر اللام وياه ساكنة وناه أخرى مثلثة موضع بالحجاز قرب مكة —ومعتمر— صفة راكب بمعنى زائر ويقال من عمره الحج

(٢) قوله —بأنى على الناس— الخ فاعله يأتي ضمير الراكب —ويلوي— مضارع لوى بمعنى توقف ومهج أى يمر هذا الراكب على الناس ولم يعرج على أحد حتى أناني لأنى كنت صديقه ٠٠ وروى دوننا بمعنى قدام بدل بيننا

(٣) قوله —ان الذي جئت— الخ أى فقلت لهذا الراكب ان الذي جئت الخ

تَنْعِيْ امْرَأً لَا تَنْبِ الْحَيَّ جَفَنَتْهُ إِذَا الْكَوَاكِبُ أَخْطَى نَوْءَ هَا الْمَطَرُ^(١)
 وَرَاحَتِ الشَّوْلُ مُغْبِرًا مَنَا كِبَهَا شُعْمًا تَغَيَّرَ مِنْهَا النَّيُّ وَالْوَبَرُ^(٢)
 وَالْجَاءَ الْكَلْبَ مَرْفُوعُ الصَّقِيعِ بِهِ وَالْجَاءَ الْحَيَّ مِنْ تَنْفَاحِ الْحَجَرِ^(٣)

— والندب — مصدر ندب الميت من باب نصر بكي عليه وعدد محاسنه ٠٠ وجملة منه السباح
 خبر — والنهي — خلاف الأمر — والغير — بكسر المعجمة وفتح المثناة النحنية اسم من
 غير الشيء فتغير أقاله مقام الغير

(١) قوله — تنعي امرأة — الخ رواية أبي العباس بنعي بالياء المثناة والنهي خبر الموت يقال
 نعاها ينعاها ٠٠ قال الأصمعي كانت العرب اذا مات ميت له قدر ركب راكب فرساً
 وجعل يسير في الناس ويقول نعاء فلاناً أى أنعه وأظهر خبر وفاته وهي مبلية على
 الكسر — ولا تغب — هو من قولهم فلان لا يغبنا عطاؤه أى لا يأتينا يوم دون يوم بل يأتينا
 كل يوم — والجفنة — القصعة — وأخطاء — كتخطاء تجاوزه — والنوء — سقوط نجم من
 المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقبه من المشرق يقابله من ساعته في كل يوم الى ثلاثة
 عشر يوماً وهكذا كل نجم الى انقضاء السنة وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح
 والحر والبرد الى الساقط منها ٠٠ يريد ان جفانه لا تنقطع في القحط والشدّة

(٢) قوله — وراحت — هو معطوف على مدخول اذا — والشول — كما في القاموس
 الشائلة من الابل وهي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر نجف لبنها والجمع شول على
 غير قياس ٠٠ وفي النهاية الشول مصدر شال ابن الناقة أى ارتفع وتسمي الناقة الشول أي
 ذات شول لانه لم يبق في ضرعها إلا شول من لبن أى بقية ويكون ذلك بعد سبعة
 أشهر من حملها ٠٠ وروي — مباءتها — أي مراوحها بدل مناكبها — ومغبر — يعنى من
 الرياح والعجاج — والتي — بفتح النون الشحم ومصدر نوت الناقة تنوي نواية ونيا
 اذا سمعت يريد ان الجذب وقلة المرعى خشن لحمها وغيره

(٣) قوله — وألجأ — معطوف أيضاً على مدخول اذا وألجأ اضطر ويروي أحجر
 يقال أحجرتة أي ألجأته الى ان دخل حجره — والصقيع — الجليد — وتنفاحه — ضربه

عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ثُمَّ الْمَطِيُّ إِذَا مَا أَرْمَلُوا جُرُرُ^(١)
 قَدْ تَكْظُمُ الْبَزْلُ مِنْهُ حِينَ تُبْصِرُهُ حَتَّى تَقْطَعَ فِي أَغْنَايِهَا الْجُرُرُ^(٢)
 أَخْوَرَا غَائِبَ يُعْطِيهَا وَيَسْأَلُهَا يَا بَنِي الظَّلَامَةِ مِنْهُ النُّوْفُلُ الزُّفْرُ^(٣)
 لَمْ تَرَوْا أَرْضًا وَلَمْ تَسْمَعْ بِسَاكِنِهَا إِلَّا بِهَا مِنْ نَوَادِي وَفَعِهِ أَثَرُ^(٤)

وهو مصدر ففحت الريح اذا هبت باردة والضمير للضمير للصقيع والباء في به بمعنى على والضمير للكلب - والحجر - بضم الحاء وفتح الجيم جمع حجرة بالضم الغرفة وحظيرة الابل من شجر ٥٥٠ يقول هو في مثل هذه الأيام الشديدة يطعم للناس الطعام

(١) قوله - عليه أول - الخ يعني انه يرتب على نفسه زاد أصحابه أولا واذا نفذ الزاد نحر لهم - وأرمل - الرجل نفذ زاده - والمطي - جمع مطية وهي الناقة - والجرر - بضمين جمع جزور وهي الناقة التي نحر وروى بفتحين جمع جزرة وهي الناقة والشاة تذبح (٢) يروي * وتفرع الشول منه حين يفعأها * - والكظم - من كظم البعير بالفتح يكظم بالكسر كظوماً اذا أمسك عن الجرة وقيل الكظم أن لا تجتر لشدة الفزع اذا رأت السيف - والبزل - جمع بازل وهو الداخل في السنة التاسعة - والجرر - جمع جرة بكسر الجيم فيهما وهي ما يخرج البعير للاجترار ٥٥٠ يقول تعودت الابل انه يعقر منها فاذا رآته كظمت على جرتها - وقطع - فعل مضارع منصوب بان

(٣) - الرغائب - الأشياء التي يرغب فيها يريد يعطي ما يرغب الرجال في ادخاره ويحرصون على التمسك به لنفسه - وأخو - خبر مبتدأ محذوف أي هو أخو رغائب وجملة يعطيها ويسألها مفسرة لوجه الملابس في قوله أخو رغائب - ويسألها - بالبناء للمجهول من السؤال ويروي موضعه ويسلبها بالبناء للمعلوم من السلب - والظلامه - بالضم ومثله الظليمة والمظلمة بكسر اللام وضما وهو ما تطلبه عند الظالم وهو اسم ما أخذ منك - والنوفل - البحر والكثير المعطاء ٥٥٠ وقال ثعلب النوفل العزيز الذي ينفل عنه الضيم أي يدفعه - والزفر - الكثير الناصر والأهل والعدة

(٤) - نوادي - كل شيء بالنون أوائله وما ندر منه واحده نادبة ومنه قولهم لا ينداك

وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عُسْرٌ
فَإِنْ يُصِيبَكَ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَةٍ يَوْمًا فَقَدْ كُنْتَ تَسْتَعْلِي وَتَنْتَصِرُ^(١)
مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مِنْ يُكَدِّرُهُ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ^(٢)
أَخُو شُرُوبٍ وَمِكْسَابٌ إِذَا عَدِمُوا وَفِي الْمَخَافَةِ مِنْهُ الْجَدُّ وَالْحَذَرُ^(٣)
مِرْدِي حُرُوبٍ وَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الظُّلْمَةِ الْقَمَرُ^(٤)
مُهْفَافٌ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ الْقِمِصُّ لِسِيرِ اللَّيْلِ مُحْتَقِرٌ^(٥)

منى سوء أبدأ أى لا بندر اليك - والوقع - النزول

(١) ويروى - فقد كان يستعلي وينتصر - والمناوأة - المعادة يقال ناوأت الرجل مناوأة وقيل هي المحاربة ناوأنه أى حاربته . قال الشاعر

إذا أنت ناوأت القرون فلم تنو بقرنين عزتلك القرون الكوامل

(٢) قوله - من ليس فى خيره من - الخ رواية المبرد من ليس فى خيره شر يكدره - كدّره - جعله كدراً يقال تكدر الماء نقيض صفا وكدره غيره جعله كدراً
(٣) - الشروب - جمع شرب وهو جمع شارب كصحب جمع صاحب . ويروى
أخو حروب - والمكسب - مبالغة كاسب - والعدم - الفقر وفعله من باب فرح

(٤) - المردى - بكسر الميم حجر يرمى به ومنه قيل للشجاع انه لمردى حروب ومعناه انه يقذف فى الحروب ويرجم فيها ويروى * كما أضاء سواد الطخية القمر *
الطخية بضم المهملة وسكون المعجمة الظلمة والطحياء بالمد اللبلة المظلمة يريد انه كامل شجاعة وعقلا فشجاعته كونه يرمى فى الحروب وعقله كون رأيه نوراً يستضاء به وهما وصفان متضادان غالباً

(٥) - المهفف - الخيمس البطن الدقيق الخصر - والأهضم - المنضم الجنبين - والكشع - ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهذا مدح عند العرب فانها تمدح الهزال والضمير وتذم السمن . وفى العباب ورجله منخرق السربال اذا طال سفره

طَاوَى الْمَصِيرِ عَلَى الْعِزَاءِ مُنْجَرِدٌ بِالْقَوْمِ لَيْلَةٌ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرَ^(١)
لَا يُصِيبُ الْأَمْرَ إِلَّا رَيْثَ بَرْكَبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِرُ

معنى - لا يصعب الأمر - أى لا يجده صعباً

لَا يَتَأَرَّى لِمَا فِي الْقَدْرِ بَرْكَبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ^(٢)

فشقت نياحه - وليسير الليل - متعلق بما بعده وهذا يدل على الجلادة وتحمل الشدائد
(١) - الطوى - الجوع وفعله من باب فرح وطوى بالفتح يطوى بالكسر طياً اذا
تعمد الجوع - والمصير - المعارق وجمعه مصيران كغيف ورغفان وجمع هذا مصارين
أراد طأوى البطن - والعزاء - بفتح العين المهملة وتشديد الزاى المعجمة الشدة والجهد
وقال فى الصحاح هي السنة الشديدة - والمتجرد - المتشمر .. وقوله - ليلة لا ماء ولا
شجر - أى يرى وزاد عبد القادر البغدادي هنا بيتاً وهو

لا يهتك السر عن أنى بطالها ولا يشدُّ الى جارائه النظر

ومعناه انه لا ينظر الى جاريته ولا يشد اليهن النظر من غيره احتراماً له والله أعلم
(٢) - لا يتأرى - لا يتعجب ويتلبث يقال تأري بالمكان اذا أقام فيه أى لا يتلبث
لادراك طعام القدر وجملة - بركبه - حال من المستتر فى يتأرى .. يمدحه بأن همته ليست فى
المطعم والمشرب وانما همته فى طلب المعالى فليس يرقب نضج ما فى القدر اذا هم بأمر له
شرف بل يتركها ويمضى - والشرسوف - طرف الضلع - والصفر - دويبة مثل الحية
تكون فى البطن تعزى من به شدة الجوع .. قال فى النهاية فى حديث لاعدوى ولا هامة
ولا صفر لان العرب كانت تزعم ان فى البطن حية يقال لها الصفر تصيب الانسان اذا جاع
وتؤذيه فابطل الاسلام ذلك وقيل أراد به النبي صلى الله عليه وسلم النسوة الذى كانوا
يفعلونه فى الجاهلية وهو تأخير المحرم الى صفر ويجعلون صفرأ هو الشهر الحرام انتهى
ولم يرد الشاعر ان فى جوفه صفرأ لا يعص على شراسيفه وانما أراد انه لا صفر فى جوفه
فبعضه يصفه بشدة الخلق وصحة البلية

لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنَ وَلَا وَصَبَ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ^(١)
لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمَسَاهُ وَمُصْبَحَهُ فِي كُلِّ فَجٍّ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يَنْتَظِرُ^(٢)
تَكْفِيهِ حُرَّةٌ فَلَذَانِ أَلَمَ بِهَا مِنَ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شَرْبُهُ الْغَمَرُ^(٣)
لَا تَأْتِي مِنَ الْبَازِلِ الْكُومَاءُ عَذْوَتُهُ وَلَا الْأُمُونُ إِذَا مَا اخْرُوطَ السَّفَرُ^(٤)
كَأَنَّهُ بَعْدَ صِدْقِ الْقَوْمِ أَنْفُسَهُمْ بِالْيَأْسِ تَلَمَعُ مِنْ قُدَامِهِ الْبُشْرُ^(٥)

(١) - لا يغمز الساق - لا يجيها يصف جلده وتحمله للمشاق - والأين - الاعياء - والوصب - الوجع - والافتقار - بتقديم القاف على الفاء اتباع الآثارة في الصحاح وقفرت أثره أقره بالضم أي قفوته واقتفرت مثله وأنشد هذا البيت ورواه أبو العباس في شرح نوادر أبي زيد يقتفر بالبناء للمجهول ومعناه انه يفوت الناس فيتبع ولا يلحق (٢) قوله - لا يأمن الناس - أي لا يأمنه الناس على كل حال سواء كان غازياً أم لا فان كان غازياً يخافون أن يغير عليهم وان لم يكن غازياً فانهم في قلق أيضاً لانهم يترقبون غزوه وينتظرونه

(٣) - الحُرَّة - بضم الحاء المهملة وتشديد الزاي المعجمة قطعة من اللحم قطعت طولاً - والفِلْدَان - جمع فلذة بكسر الفاء فيهما - وألم بها - أصابها يعني أكلها - والغمر - بضم الغين المعجمة وفتح الميم قدح صغير لا يروى

(٤) - البازل - البعير الذي فطرنا به بدخوله في السنة التاسعة ويقال للناقة بازل أيضاً يستوي فيه الذكر والأنثى - والكوماء - بالفتح الناقة العظيمة السنام - والعدوة - التحدى فانه ينجرها لمن معه سواء كانت المظبية مسنة كالبازل أو شابة كالأمون وهي الناقة الموثقة الخلق يؤمن عثاها وضعفها - واخروط - امتد وطال ورواية المبرد

لا تنكر البازل الكوماء ضربته بالشر في اذا ما اجلود السفر

ومعنى اجلود امتد

(٥) - لمع - أضاء - والبشر - بضمين جمع بشير يقول اذا فزع القوم وأيقنوا بهلاك

قال المبرد لا نعلم بيتاً في يمن النقيبة وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت
 لَا يُعْجَلُ الْقَوْمَ أَنْ تَغْلِي مَرَا جِلْهُمُ وَيَذْلُجُ اللَّيْلَ حَتَّى يُفْسِحَ الْبَصْرُ^(١)
 عَشْنَا بِهِ حِقْبَةً حَبًّا فَفَارَقْنَا كَذَلِكَ الرُّنْحُ ذُو النَّصْلَيْنِ يَنْكَسِرُ^(٢)
 أَصْبَتَ فِي حَرَمٍ مِنَّا أَخَا ثِقَةٍ هَذَا بَنُ أَسْمَاءَ لَا يُهْنِي لَكَ الظَّفَرُ^(٣)

عند الحروب أو الشدائد فكأنه من ثقتة بنفسه قدامه بشير يبشره بالظفر والتجاج فهو
 منطلق الوجه نشيط غير كسلان

(١) يريد أنه رابط الجاش عند الفزع لا يستخفه الفزع فيعجل أصحابه عن
 الاطباخ... وقوله - حتى يفسح البصر - أي يجد متسعاً من الصبح وقيل معناه ليس هو
 شرها يتعجل بما يؤكل - والمراجل - القدور جمع مرجل

(٢) وروى * عشنا بذلك دهرأ ثم ودعناه و - النصلان - هما السنان وهي الحديد
 العليا من الرمح والزج وهي الحديد السفلى ويقال لهما الزجان أيضاً وهذا مثل أي كل
 شيء يهلك ويذهب

(٣) خاطب المنتشر هند بن أسماء وأراد بالحرم ذا الخلصة ثم دعا عليه والتهنئة
 خلاف التهنئة وكانت قصة هند بن أسماء أن المنتشر بن وهب الباهلي خرج يريد حج
 ذي الخلصة ومعه غلعة من قومه والأقصر بن جابر أخو بني فراع وكان بنو نضلة
 ابن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث بن
 كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذا الخلصة أهدي له هدياً يحرم به ممن لقبه فلم يكن
 مع المنتشر هدي فسار حتى إذا كان بهضب النباع انكسر له بعض غلمته الذين كانوا معه
 فصعدوا في شعب من النباع فقالوا في غار فيه وكان الأقصر يتكهن وأنذر بنو نضلة
 بالمنتشر بن الحارث بن كعب فقال الأقصر النجاء يا منتشر فقد أتيت فقال لا أبرح حتى
 أبرد فضي الأقصر فأقام المنتشر وأناه غلمته بسلاحه وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر
 هند بن أسماء المتقدم فسأله أن يفدي نفسه فأبطأ عليه فقطع أئمة ثم أبطأ فقطع منه
 أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أتؤمنون مقطوعاً وإلهي لا آمنه ثم قتله

لَوْلَمْ تَخْنَهُ نُقِيلُ وَهِيَ خَائِنَةٌ
وَأَقْبَلَ الْخَيْلَ مِنْ تَثْلِيثِ مُصْنِفَةٍ
وَضَمَّ أَغْنِيَهَا رَغْوَانُ أَوْ حَضَرَ^(٢)
إِمَّا سَلَكْتَ سَبِيلًا كُنْتَ سَالِكَهَا فَاذْهَبْ فَلَا يُبْعِدُنكَ اللَّهُ مُنْتَشِرُ^(١)

[قال الشريف] رضى الله عنه . . وقد رويت هذه القصيدة للدُّعْجَاءِ أخت المنتشر وقيل
للبيلى أخته ولعل الشبهة الواقعة فى نسبهما الى ليلي الأخيلىة من ههنا والصحيح ما ذكرناه
. . أخبرنا أبو القاسم على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن
أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معاوية فقال إني قد امتدحتك بأبيات فاسمعها فقال
ان كنت شـبهتني بالحيّة أو الأسد أو الصقر فلا حاجة لي فيها وان كنت قلت فيّ كما
قالت الخلساء

وَمَا بَلَغْتَ كَفِّ أَمْرٍ مُتَطَاوِلٍ بِهِ الْمَجْدُ إِلَّا حَيْثُمَا نِلْتَ أَطْوَلَ
وَمَا بَلَغَ الْمُهْدُونَ فِي الْقَوْلِ مَذْحَةً وَإِنْ صَدَقُوا إِلَّا الَّذِي فِيكَ أَفْضَلَ

فهاهنا فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقد قلت فيك بيتين ما هما بدون ما سمعته
فأنشد

إِذَا مَتَّ مَاتَ الْعُرْفُ وَانْقَطَعَ الْغِنَى فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ مُصَرَّدٍ

وقتل غلمته انتهى وزاد عبد القادر البغدادى بين البيتين بيتاً وهو

فان جزعنا فقد هُذَّتْ مُصَابِتُنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعْشَرٌ صَبْرُ

— المصابة — بضم الميم بمعنى المصيبة يقال جبر الله مصابه وهو فاعله والمفعول محذوف أي قوانا

والصبر بضمين جمع صبور مبالغة صابر وروي مصيبتنا

(١) — صبحه — سقاء الصبوح وهو الشرب بالغداة أراد انه كان يقتلهم

(٢) — أقبل الخيل — جعلها مقبلة ومقبلة مائلة نحوكم — ورغوان وحضر — موضعان

أى كانت تأتي خيله عليكم في هذين الموضعين وما كانت تنام فى منزل إلاّ فيها

وَرُدَّتْ أَكْفُ الرَّاغِبِينَ وَأَمْسَكُوا

عَنِ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِخِلْفٍ مُجَدِّدٍ

فأحسن صلته . . وأخبرنا المرزباني قال حدثنا ابراهيم بن محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيى النحوي ان ابن الاصرابي أنشدهم

مَرَزْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعَمُ كَلْبَهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْبَحْ إِنَّمَا الْكَلْبُ نَابِجٌ

قال قوله - يكعم كلبه - أي يشد فاه خوفاً أن ينبح فيدل عليه . . وقال آخر

وَتَكْعَمُ كَلْبُ الْحَيِّ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرِيِّ وَنَارُكَ كَالْمَذْرَاءِ مِنْ دُونِهَا سَتْرٌ

وقد قال الأخطل

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَحَ الْأَضْيَافُ كَلْبَهُمْ قَالُوا لِأُمِّهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ

قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أمهي ما هي به جرير لأنه جعل نارهم تطفيها البولة وجعلهم يأمرؤن أمهم بالبول استخفافاً بها



مجلس آخر ٥١

[تأويل آية] . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا)

الآية . . فقال أوليس ظاهر الآية يقتضي انه تعالى يجوز أن يزيع القلوب عن الإيمان حتي تصح مسألته تعالى أن لا يزيعها ويكون هذا الدعاء مفيداً . . الجواب قلنا في هذه الآية وجوه . . أولها أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا فيه فيفضى بنا ذلك الى زيع القلوب منا بعد الهداية وليس بمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيع قلوبهم عند تشديده تعالى عليهم المحنة اليه كما قال عز وجل في السورة (إنها زادتهم رجساً الى رجسهم) وكما قال مغبراً عن نوح عليه السلام (فلم يزدكم دغائى إلا فراراً) . . فان قيل كيف يشدد المحنة عليهم . . قلنا بأن يقوى

شهواتهم لما قبضه في عقولهم ونفوسهم عن الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقاً
والثواب المستحق عليه عظيماً متضاعفاً وإنما يحسن أن يجعله شاقاً تعريضاً لهذه المنزلة
.. وثانيها أن يكون ذلك دعاء بالثبوت لهم على الهداية وامدادهم بالألطف التي معها
يستمرون على الايمان فان قيل وكيف يكون مزيغاً لقلوبهم بان لا يفعل اللطف .. قلنا
من حيث المعلوم انه متى قطع امدادهم بالطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان
ويجربى هذا مجرى قولهم اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا . عناء لا نخل بيننا وبين
من لا يرحمنا فيتسلط علينا ومثله قول الفرزدق

أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةٍ لَّالِ تَمِمَّ أَقْعَدْتُ كُلَّ قَائِمٍ

أراد قعد لها كل قائم فكأنهم قالوا لا نخل بيننا وبين نفوسنا وتمنعنا الطافك فنزيغ
ونضل .. وثالثها ما أجاب به أبو علي الجبائي محمد بن علي لانه قال المراد بالآية ربنا
لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال انهم سألوا الله تعالى أن يلطف
لهم في فعل الايمان حتي يقيموا عليه ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك
الايمان أن يزيغ قلوبهم عن الثواب وان يفعل تعالى بهم بدلا منه العقاب .. قال فان
قال قائل فما هذا الثواب الذي هو في قلوب المؤمنين حتي زعمتم انهم سألوا الله أن
لا يزيغ قلوبهم عنه وأجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين ما ذكره الله تعالى
من الشرح والسعة بقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وقوله
تعالى للرسول عليه الصلاة والسلام (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك)
وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحزن اللذان يغلان بالكفار عقوبة قال ومن
ذلك أيضاً التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى
(أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) قال ومن ذلك كتابته في قلوب المؤمنين
كما قال تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الايمان) وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر
التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب
لي ضده من العقاب .. ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب

عن اليقين والايان ولا يقتضي ذلك انه تعالى سئل ما كان لا يجب أن يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لانه غير ممتنع أن يدعو على سبيل الانقطاع اليه والافتقار الى ما عنده بان يفعل تعالى ما نعلم انه لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم لانه واجب أن لا يفعله تعالى اذا تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكياً عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام (ولا تخزني يوم يبعثون) وكما قال في تعليلنا ما ندعوه به (قل رب احكم بالحق) وكم قوله تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) على أحد الأجوبة وكل ما ذكرناه واضح بحمد الله . [قال الشريف] رضى الله عنه وإني لأستحسن قول الراعى في وصف الاثافي والرماد فاقدم طبق وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده

وَأُورِقَ مِنْ عَهْدِ ابْنِ عَفَّانَ حَوْلَهُ حَوَاضِنُ الْأَفِّ عَلَى غَيْرِ مَشْرَبٍ
وَرَادُّ الْأَعَالَى أَقْبَلَتْ بِنُحُورِهَا عَلَى رَاشِحٍ ذِي شَامَةِ مُتَقَوِّبٍ
كَأَنَّ بَقَايَا لَوْنِهِ فِي مَتُونِهَا بَقَايَا هِنَاءٍ فِي فَلَائِصٍ مُجْرَبٍ

— الأورق — الرماد جعل الاثافي له كالحواضن لاحتضانها له واستدارتها حوله . .
وأراد — بوراد الاثافي — ان ألوانها تضرب الى الحمرة وخمس الأعالي لانها مواضع القدر
فلا تكاد تسود — والراشح — هو الراضح وانما شبه الرماد بينهما بفصيل بين أظفار
— والمتقوب — الذى قد انحسر أعلاه وشبهه ما سودت النار منهن بأثر قطران على
قلائص جربى — والجرب — الذى قد جربت إبله . . ونظير هذا المعنى بعينه أعنى تشبيهه
تسويد النار بالهناء قول ذي الرمة

عَفَى الزُّرْقُ مِنْ أَطْلَالٍ مِيَّةٍ فَالْدَّحْلُ فَأَجْمَادُ حَوْضِي حَيْثُ زَا حَمَهَا الْجَبَلُ^(١)

(١) — الزرق — رمال بالدهناء وقيل هي قرية بين النجاج وسمينة وهي صغبة المسالك
— والدحل — بالفتح ماء نجدي لطفان — والأطلال — جمع طلل محركة وهو الشاخص
من آثار الدار — والاجماد — جمع جمد بالتحريك وهو ما ارتفع من الأرض — وحوضي —

سَوَى أَنْ يَرَى سَوْدَاءَ مِنْ غَيْرِ خَلْقَةٍ تَخَطَّاهَا وَارَتْ جَارَاتِهَا النَّقْلُ
 مِنَ الرُّضَمَاتِ الْبَيْضِ غَيْرَ لَوْنِهَا نَبَاتُ فَرَاضِ الْمَرْخِ وَالْيَابِسِ الْجَزْلُ
 كَجَرَبَاءَ دُسَّتْ بِالْهِنَاءِ فَأَصْبَحَتْ بِأَرْضٍ خَلَاءٍ أَنَّ تُقَارِبَهَا الْإِبْلُ

قوله - سوداء من غير خلقة - يعنى أنفة لان السواد ليس بخلقة وانما سودتها النار
 .. وقوله - تخطأها النقل - أى تجاوزها فلم نعمل من مكان الى مكان بل بقيت منفردة
 - وارت جاراتها - بمعنى بجاراتها أى نقلن عنها الاثنى اللواتي كنَّ معها - والمرث -
 هو المنقول من مكان الى مكان وأصل ذلك فى الجريح والعايل يقال ارتث الرجل
 ارتثاً اذا حمل من المعركة وبه رفق .. قال النضر بن شميل معنى ارتث صرع ..
 وقال أبو زيد مأخوذ من قولهم ارتثينا رثة القوم اذا جمعوا ردى متاعهم بعد أن يحملوا
 من موضعهم وكلا المعنيين يليق ببيت ذي الرمة لانه يجوز أن يريد صرعن وبقيت
 ثانية قائمة - والرضمات - حجارة بيض بعضها على بعض - والفراض - جمع فرض
 وهو الحزب يكون فى الزند .. وعنى بنات فراض المرخ شرر النار الخارجة من ذلك
 الفرض - والمرخ - شجر تتخذ منه الزندة .. ومن أمثالهم فى كل شجر نار واستمجد
 المرخ والعفرار وهذا المثل يضرب للرجل الكريم الذي يفضل على القوم ويزيد عليهم
 فكان المعنى كل القوم كرام وأكرمهم فلان^(١) ومعنى - كجرباء دست بالهناء - انه

بالفتح ثم السكون مقصور بوزن سكرى اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة الى جنب
 جبل فى ناحية الرمل - وزاحمها - ضايقها - والحبل - الرمل المستطيل

(١) وقال الميداني فى تفسيره له يقال مجدت الابل تمجد مجوداً اذا نالت من الخلي
 قريباً من الشَّبع واستمجد المرخ والعفرار أى استكثرأ وأخذنا من النار ما هو حسبهما
 شها بمن يكثر العطاء طلباً للمجد لانها يسرعان الورى يضرب فى تفضيل بعض الشئ
 على بعض .. قال أبو زياد ليس فى الشجر كله أورى زناداً من المرخ قال وربما كان
 المرخ مجتمعاً ملتفاً وهبت الريح فحك بعضه بعضاً فأورى فاحترق الوادي كله ولم تر

شبهه الانثى المفردة بناقة جرباء قد أفردت وأبعدت عن الابل حق لا تجربها ولا
تعدبها ومعنى دست بالهاء أي طليت به ٠٠ وفي معنى قول الراعي وراد الأعالى شبه
من قول الشماخ بن ضرار

أَقَامَتِ عَلَى رَبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفَا كُمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا^(١)

ذلك في سائر الشجر ٠٠ قال الأعشى

زناده خير زناد الملوك خالط فهين مرخ عفارا
ولو بت قدح في ظلمة حصاة بنيع لا وريت نارا
والزند الأعلى يكون من العفار والأسفل من المرخ ٠٠ قال الكميت
إذا المرخ لم يور تحت العفار وضح بقدر فلم تعقب

(١) وقوله

أمن دمنتين صرح الركب فيهما بمحلق الرخامي قد أني لبلاهما
أقامت على ربعيها جارتا صفا كُمَيْتَا الْأَعَالَى جَوْنَتَا مُصْطَلَاهُمَا
وإرث رماد كالحمامة مائل ونوئان من مظلومتين كداهما
أقاما للبلى والرباب وزالنا بذات السلام قد عفا طللها
ففاضت دموعي في الرداء كأنها عزالي شبيب مخلف وكلاهما
لبالي ليل لم يشب عذب ماها بملح وحبلانا متين قوامها
ولو دين للبيض الهجان وحالك من اللون خريب بهم علامها
إذا اجتهدا الترويح مدا عجااجة أطاصير مما يستير خطاهما
وسربين كدريين قد رعت غدوة على الماء معروف الي لفاهما
إذا غادرا منه قطاتين ظلتا أديم النهار تطلبان قطاهما
وإني عدائي عنكم غير ماقت نواران مكتوب على بغاهما
وعلى كالأواح الإران نسائها إذا قبل للمشبوبتين هماها
تغالي برجلها إليك ابن مربع فيألم لم المفتلي مفتلاهما

يعنى - بربعهما - منزلقى المراتين اللتين ذكرهما ويعنى - بجارتا صفا - الانفتيتين لانهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ٠٠ ويمكن فى قوله جارتا وجه آخر هو احسن من هذا وهو ان الانفتيتين توضعان قريباً من الجبل لتكون حجارة الجبل نالته لهما وممسكة للقدر معهما ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الانافى أى بالصخرة أو الجبل وشبه أعلاهما بلون الكعبت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل اليه فتسوده - ومصطلاهما جون -

أى اسود لان النار قد سفعته وسودته ٠٠ وقال الراعى فى وصف الانافى أيضاً

أَذَاعَ بِأَعْلَاهُ وَأَبْقَى شَرِيدَهُ ذَرَى مُجْنَحَاتٍ يَنْهِنُ فُرُوجُ
كَأَنَّ بَجَزَعِ الدَّارِ لَمَّا تَحْمَلُوا سَلَابَ وَزْقًا يَنْهِنُ خَدِيجُ

- أذاع بأعلامه - يعنى الرماد لأن السافى طير ظاهره وما علامه - وأبقى شريده - يريد به الذى أبقى لما شرد على السافى فلم يطيره - وذرى مجنحات - يعنى الانافى وذرى كل شئ جانبه وما استدريت به منه - والمجنحات - المسبلات منه - والسلايب - جمع سلوب وهى الناقة التى سلبت ولدها بموت أو نحر وقد عطفت على حوار آخر - والخديج - الذى قد سقط لغير تمام - والورق - اللوائى ألوانه كلون الرماد ٠٠ وفى معنى قول الراعى وأبقى شريده ذرى قول الخليل السعدى

إذا ما حصيرا زورها لم يلقا	لها الضفر إلا من امام رحاها
كست عضديها زورها وانحت بها	ذراعا لجوج عوهج ملتقا هما
فباتت بأبلى ليلة ثم ليلة	بجاذة واجتابت نوي عن نواها
وراحت على الأفواء أفواء غيقة	نجاه بفتلاوين ماض سراهما
أجدت هباباً عن هباب وساحت	قوى لسعنها بعد طول اذاهما
ولولا فقى الأنصار ماسك سمعها	ضمير ولا حوراناه فقراهما
ولاني لأرجو من يزيد بن مريع	حذيتيه من خبرتين اصطفاهما
جذبتيه من نائل وكرامة	سمى فى بغاء المجد حق احتواهما

وَأَرَى لَهَا دَارًا بِأَغْدِرَةِ السَّيِّدَانِ لَمْ يَذْرُسْ لَهَا رَسْمٌ ^(١)
إِلَّا رَمَادًا هَامِدًا دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيحَ خَوَالِدٌ سَحْمٌ ^(٢)

— لا — ههنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رماداً هامداً ولولان إلا ههنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوله لانه يقول في آخر البيت ان الخوالد السحيم دفعته عنه الرياح فكيف خبر بأنه قد درس وإنما أراد انه باق ثابت لان الاثافي دفعته عنه الرياح فلم تستنه إذ هو من جملة ما لم يدرس بل هو داخل في جملة وللراعي أيضاً في الاثافي

أُنْخَنَ وَهْنٌ أَغْفَالٌ عَلَيْهَا فَقَدْ تَرَكَ الصَّلَاةَ بَيْنَ نَارًا

شبه الاثافي بنوق أنخن أغفالا ليست عليهن سمة ثم أخبر ان الوقود قد أثر فبين أثرأ كالسمة فالنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أى ماسمته وفى أمثالهم نجارها نارها أى

(١) — الأغدره — جمع غدبر وهو القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها وهو فمبيل في معنى مفعول على اطراح الزائد وقد قيل انه من القدر لانه يخون ورأده فينضب عنهم ويغدر بأهله فينقطع عند شدة الحاجة اليه . . وقال اللحياني الغدير اسم ولا يقال هذا ماء غدبر وقال الليث الغدير مستنقع الماء ماء المطر صغيراً كان أو كبيراً غير انه لا يبقى الى القبط إلا ما يتخذ الناس من عد ووجد ووقف أو صهريج أو حائر قال أبو منصور العد الماء الدائم الذي لا انقطاع له ولا يسمى الماء الذي يجمع في غدبر أو صهريج أو صنع عدا لان العد ما يدوم مثله ماء العين والركبة

(٢) — الرماد — دقاق الفحم من حراقة النار وما بها من الجمر فصار دقاقاً والطائفة منه رمادة . . وفي حديث أم زرع زوجي عظيم الرماد أى كثير الاضياف لان الرماد بكثرة الطبخ — وهامداً — طافئاً . . قال الأصمعي طفت النار اذا سكن لها وهدت مموداً اذا طفت البنة فاذا صارت رماداً قيل بها يهبو وهو هاب — والخوالد — الصخور . . قال الجوهري قيل لاثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلال — وسحيم — جمع سحماء أى سوداء وهو صفة لخوالد

سمتها يدل على كرمها يضرب ذلك للرجل ترى له ظاهراً حسناً يدل على باطن خبره
 .. وقال عدي بن الرقاع العاملي

إِلَّا رَوَاكَدَ كُلَّهِنَّ قَدْ اصْطَلَى حَمَرَاءَ أَشْعَلَ أَهْلُهَا إِيقَادَهَا
 كَانَتْ رَوَا حِلَ لِلْقُدُورِ فَعَرَّيْتُ مِنْهُمْ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا

وقال مالك الجعفي

إِلَّا رَوَاكَدَ بَيْنَهُنَّ خِصَاصَةً سَفَعِ الْمَنَاكِبِ كُلَّهِنَّ قَدْ اصْطَلَى

وقال حميد بن ثور

فَتَغَيَّرَتْ إِلَّا مَلَا عِبَهَا وَمُعْرَساً مِنْ جَوْنِهِ ظَهَرَ
 عَرِشَ الثَّقَابِ لَهَا بِدَارِ إِقَامَةٍ لِلْحَيِّ بَيْنَ نَظَائِرٍ وَتَرِ

الجونة - القدر ويقال قدر ظهر وقدور ظهور اذا كانت قديمة - وعرش - أى جعل
 مثل العريش يعنى الوقود - والثقاب - ما أنقبت به النار من الوقود - والنظائر - هي
 الاثافي - والوتر - الفرد وأراد انها ثلاث .. وقال الكميث بن زيد

وَلَنْ تُحْيِيكَ أَظَارُ مُعْطَفَةٍ بِالنَّاعِ لَا تَمَكُّ فِيهَا وَلَا مِيلُ
 لَيْسَتْ بِمُؤْذِلٍ لَمْ تُعْطَفْ عَلَيَّ رُبْعٍ وَلَا يَهِيْبُ بِهَا ذُو النِّيَّةِ الْأَبْلُ

يعنى الاثافي فشبه عطفها على الرماد بنوق أظار قد عطفت على فصيل - والنك - انتصاب
 السنام - والميل - من صفة السنام أيضاً - والعائد - من النوق التى يتبعها ولدها - والرابع -
 الذى نتج في الربيع - والاهابة - الدعاء أهاب بابه اذا دعاها - وذو النية - الذي قدنوى
 الرحيل - الأبل - صاحب الأبل .. وقال ذو الرمة

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَرَى فِي مَحَلِّهِ رَمَادًا نَحَتْ عَنْهُ الْخِيُولُ جَنَادِلَهُ
 كَأَنَّ الْحَمَامَ الْوُزْقَ فِي الدَّارِ وَقَعَتْ عَلَى خَرَقٍ بَيْنَ الظُّوُورِ جَوَازِلَهُ

شبه الاثافي بالحمام الورق وجعلها ظووراً لتعطفها على الرماد وشبه الرماد بفرخ خرق
 (١٦ - أمالي لث)

قد سقط ريشه - والجوازل - الفراخ واحدا جوزل .. وقال البعيث
 أَلَا حَيًّا الرَّبْعَ الْقَوَاءَ وَسَلِّمَا وَرَسْمًا كَجَثْمَانِ الْحَمَامَةِ أُدْهَمَا
 قيل ان الحمام ههنا القطاة وانه شبه ألوان الرسوم من الرماد وموقد نار ودمنة ومجر طنب
 وما أشبه هذه الاشياء بألوان ريش القطاة .. ومثله لجرير

كَأَنَّ رُسُومَ الدَّارِ رِيشُ حَمَامَةٍ نَحَاها الْبَلْبِيُّ وَاسْتَفْجَمَتْ أَنْ تَكَلِّمًا
 ولقد أحسن كل الاحسان كثير في قوله
 أَمِنْ آلِ قَيْلَةٍ بِالْذَّخُولِ رُسُومُ وَبَجَوْلٍ طَلَلٌ يَلُوحُ قَدُومُ
 لَعِبَ الرِّيحُ بِرَسْمِهِ فَأَجَدَهُ جُونٌ عَوَا كَفُ فِي الرَّمَادِ جُثُومُ
 سَفَعُ الْخُدُودِ كَأَنَّهُنَّ وَقَدْ مَضَتْ حَجَبُ عَوَائِدُ يَنْهَنُ سَقِيمُ

وقيل في قوله - فأجده جون عوا كف - يعني الاناثي لأن الريح لما كشفت عنها وظهرت
 صارت كأنها هي أجدت الرسم .. ويحتمل وجه آخر وهو أن يكون معنى أجدت انها
 حملت الرماد الذي أحاطت به من لعب الرياح فبقى بحالة يستدل بها المترسم فكان الرياح
 درست الربع ومحنه إلا ما أجده هذه الاناثي من الرماد ومنعت الريح عنه ويجرى
 ذلك مجرى قول الخبيل * إلا رماداً هامداً * البيت .. وقال مزار الفقمسي في الاناثي

أَثَرُ الْوَقُودِ عَلَى جَوَانِبِهَا بِخُدُودِهِنَّ كَأَنَّهُ لَطْمُ

ويقال ان أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله

فَفُتُوا نُطْطِ الْمَنَازِلَ مِنْ عِيُونِ لَهَا فِي الشَّوْقِ أَحْشَاءُ غَزَارُ
 عَفَّتْ آيَاتُهُنَّ وَأَيُّ رُبْعٍ يَكُونُ لَهُ عَلَى الزَّمَنِ الْخِيَارُ
 آثَافٍ كَالْخُدُودِ لَطْمِنَ حَزْنًا وَنُؤْيٍ مِثْلُ مَا نَفَصَمَ السَّوَارُ

وقد تاب عليه قوله لطمن حزناً بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة في قوله حزناً
 ولذلك فائدة وذلك ان لطم الحزن أوجع فتأثيره أبلغ وأظهر وأبين وقد يكون اللطم

أَغْبَرَ الْحَزْنَ فَأَمَّا قَوْلُهُ * وَنُوْيٌ مِّثْلُ مَا انْقَصَمَ السَّوَارُ * فَأَخُوذُ مِنْ قَوْلِ الشَّامِ

نُوْيٌ كَمَا انْقَضَ الْهَلَالُ مَخَافَةً أَوْ مِثْلَمَا فَصَمَ السَّوَارَ الْمِصْمَ

وَقَدْ شَبَّهَ النَّاسُ النُّوْيَ بِالسَّوَارِ وَالْخِلْخَالِ كَثِيرًا أَوْ بغير ذلك .. قَالَ كَثِيرٌ

عَرَفْتُ لِسَعْدِي بَعْدَ عِشْرِينَ حِجَّةً بَمَا دَرَسَ نُوْيٌ فِي الْمَحَلَّةِ مُنَحْنٌ ^(١)

قَدِيمٌ كَوَقَفِ الْعَاجِ ثَبْتُ حَوَاوُهُ مُغَادِرُ أَوْتَادِ بَرَضِمٍ مُوَضَّنٍ

— الْوَقْفُ — السَّوَارُ مِنَ الذَّبَلِ وَمِنْ الْعَاجِ — وَالرَّضِمُ — صُخُورٌ عِظَامٌ — وَالْمُوَضَّنُ — الَّذِي

بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ .. وَقَالَ بَشَارٌ

وَنُوْيٌ كَخِلْخَالِ الْفَتَاةِ وَصَائِمٌ أَشَجُّ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ رَقُوبٌ

— الصَّائِمُ الْأَشَجُّ — يَعْنِي الْوَتْدَ وَإِنَّمَا وَصَفَهُ بِأَنَّهُ صَائِمٌ لِقِيَامِهِ وَثَبَاتِهِ وَجَعَلَهُ رَقُوبًا لِانْفِرَادِهِ

وَالْمَرَأَةِ الرَّقُوبِ وَالشَّيْخِ الرَّقُوبِ الَّذِي لَا يَعْيشُ لَهُ وَلَدٌ .. وَمِنْ مُسْتَحْسِنِ مَا وَصَفَ بِهِ

النُّوْيُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ

وَالنُّوْيُ أَهْمَدَ شَطْرُهُ فَكَأَنَّهُ تَحْتَ الْحَوَادِثِ حَاجِبٌ مُقَرَّنٌ ^(٢)

(١) — دَرَسَ — بِسُكُونِ الرَّاءِ أَصْلُهُ دَرَسَ بَفَتْحِهَا وَسَكَنْتْ وَكُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ فِي كُلِّ فِعْلٍ

ثَلَاثِي فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُهُ حَلْقِيَّةً فَهُوَ مُقَيِّسٌ وَإِلَّا فَحُكْمُهُ الْضَّرُورَةُ يُقَالُ دَرَسَ الرَّسْمَ عَفَا

وَدَرَسَتْهُ الرِّيحُ مَحْتَهُ لَا زَمَ مُتَعَدٍّ — وَمُنَحْنٌ — دَارَسَ

(٢) الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ بِهَا الْوَائِقَ بِاللَّهِ أَوْلَهَا

وَأَبَى الْمَنَازِلَ لَهَا لَشَجُونَ وَعَلَى الْعَجُومَةِ أَنَهَا لَتَبِينِ

فَاعْقِلْ بِنُضْوَالِ الدَّارِ نُضُوكَ يَفْتَسِمُ فَرَطُ الصَّبَابَةِ مَسْعِدٌ وَحَزِينِ

لَا تَتَمَنَّعُ وَقْفَةً أَشْفَى بِهَا دَاءُ الْفُؤَادِ فَانْهَافُهَا مَاعُونَ

وَاسْقِ الْإِنْفَاقِي مِنْ شَأْنِكَ رِيهَا ابْنُ الضَّنِينِ بِدَمْعِهِ لَضُنِينِ

وَالنُّوْيُ أَهْمَدَ شَطْرَهُ فَكَأَنَّهُ تَحْتَ الْحَوَادِثِ حَاجِبٌ مُقَرَّنُونَ

حَزَنُ غَدَاةِ الْحَزَنِ هَاجَ غَلِيلُهُ فِي أَبْرِقِ الْخُنَّانِ مِنْكَ حَنِينِ

وقال المتأني في ذلك

قَفْ عَلَى الدِّمْنَتَيْنِ بِالذَّوِّ مِنْ رَيْسِ الْكَخَالِ فِي وَجَنَةِ جَنْبِ خَالٍ
بَطْلُولٍ كَأَنَّهُنَّ نَجُومٌ فِي عِرَاصٍ كَأَنَّهُنَّ لَيَالِي
وَنُؤْيٍ كَأَنَّهُنَّ عَلَيْهِ نِخْدَامٌ خُرْسٌ بِسُوقِ خِدَالٍ^(١)

الخدّام - جمع خدمة وهي الخللخال وجعلها خرس لأنها غير قلقة وشبهه ما أحرق به
النؤى من الأرض وامتلائها بامتلاء الخللخال من الساق الخدلة وهي الممتلئة

سمة الصبابة زفرة أو عبرة متكفل بهما حشا وشؤون
لولا التفجع لادعى هضب الحمى وصفى المشقر أنه محزون
(١) الأبيات من قصيدة يمدح بها عبد الرحمن بن المبارك الانطاكي ومطلعها
صلة الهجر لي وعجر الوصال نكساني في السقم نكس الهلال
فقدما الجسم نافصا والذي ينقص منه يزيد في بلبال
قف على الدمنتين .. الأبيات الثلاثة .. ومنها
ما تريد النوى من الحبة الذواق حر الفلا ويرد الظلال
فهو أمضى في الروع من ملك الموت وأسرى في ظلمة من خيال
ولحتف في العز يدنو محب ولعمر يطول في الذل قال
نحن ركب ملجن في زى ناس فوق طير لها شخوص الجمال
من بنات الجدبل نمنى بنافى الـ بييد مشى الايام في الآجال
كل هوجاء للدياميم فيها أثر النار في سليط الذبال
عامدات للبدرو البحر والفضـ سر غامة ابن المبارك المفضل
من يزره يزرسليمان في المـ لك جلالا ويوسفاً في الجمال
وربيع يضاحك الغيث فيه زهر الشكر من رياض المعالي
نفعتنا منه الصبا بنسيم ورواحاً في ميت الآمال
هـم عبد الرحمن نفع الموالى وبوار الأعداء والأموال

مجلس آخر ٥٢

[تأويل آية] ٥٠ . إن سأل سائل عن قوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) إلى قوله (إلا أن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) ٥٠ فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة التي نعتت بهذه النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد والمراد مختلف أو التكليف متغاير ٥٠ الجواب قلنا أهل العلم في تأويل هذه الآية يختلفون بحسب اختلاف أصولهم فمن جاوز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب إلى أن التكليف واحد وإن الأوصاف المتأخرة هي البقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان عن وقت الخطاب ولما سئل عن الصفات ورد البيان شيئاً بعد شيء ومن لم يجوز تأخير البيان يقول إن التكليف متغاير وأنهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد منهم إلا ذبح أي بقرة شاؤا من غير تعيين بصفة ولو أنهم ذبحوا أي بقرة اتفقت كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لا جزأ عنهم فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص بالصفات الأخيرة ٥٠ ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في التكليف الأخير أنه يجب أن يكون مستوفياً لكل صفة تقدمت حتى تكون البقرة مع أنها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحراث مسلمة لاشية فيها صفراء فاقع لونها ولا فارض ولا بكر فمنهم من قال إنما يجب أن يكون بالصفة الأخيرة فقط دون ما تقدم فظاهرها ما تقدم الكتاب بالقول الأول أشبه وهو المبنى على جواز تأخير البيان وذلك أنه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول عليه الصلاة والسلام (ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) فلا يخلو قولهم ما هي من أين يكون كناية عن البقرة المتقدم ذكرها أو عن التي أمروا بها ثانياً على قول من يدعي ذلك وليس يجوز أن يكونوا سألوا عن الصفة التي تقدم ذكرها لأن الظاهر من قولهم ما هي بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة المأمور بذبحها لأنهم لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها وإذا صح أن السؤال إنما كان عن صفة البقرة المنكرة التي أمروا في الابتداء بذبحها فليس يخلو قوله أنها بقرة

لا فارض ولا بكرٌ من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة لا فارضٌ ولا بكرٌ) من أن يكون كناية عن البقرة الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لان ظاهر قوله تعالى (إنها بقرة) من صفتها كذا وكذا بعد قولهم ما هي يقتضي أن يكون كناية متعلقة بما تضمنه سؤالهم وان الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك جواباً لهم بل كان يجب أن يكونوا سألوه عن شيء فأجابهم عن غيره وهذا لا يليق بالنبي عليه الصلاة والسلام على أنه تعالى لما أراد أن يكلفهم تكليفاً ثانياً عند تفريطهم في الأول على ما يدعيه من يذهب الى هذا المذهب قد كان يجب أن يجيبهم عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام في غير موضعه وتفريطهم فيما أمروا به مما لا حاجة بهم الى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم ما هي انما كلفهم أي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامثال وأخطأتم في الاستفهام مع وضوح الكلام إلا أنكم قد كلفتم ثانياً كذا وكذا لان هذا مما يجب عليه بيانه لازالة الشك والابهام واللبس فلما لم يفعل ذلك وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم ان الأمر على ما ذكرناه وهب أنه لم يفعل ذلك في أول سؤال كيف لم يفعله مع تكرار الأسئلة والاستفهامات التي لم تقع على هذا المذهب بموقعها ومع تكرار المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته غير متعلقة بسؤالاتهم لانهم يسألونه عن صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لان قول القائل في جواب من سأله ما كذا وكذا انه بالصفة الفلانية صريح في ان الهاء كناية عن ما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم ان البقر تشابه علينا لانهم لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا ان خطابهم بمجمل غير مبين فلم لم يقل أي تشابه عليكم وانما أمرهم في الابتداء بأي بقرة كانت وفي الثاني انما اختص باللون المخصوص من أي البقر كان . . فان قبل كيف يجوز أن يأمرهم بذبح بقرة لها جميع الصفات المذكورة الى آخر الكلام ولا يبين ذلك لهم وهذا تكليف ما لا يطاق . . قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثاني من حال الخطاب ولو كانت حال الحاجة الى الفعل حاضرة لما

جاز أن يتأخر البيان لان تأخيره عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة في قبحه
 وانما أراد أن يذبحوها في المستقبل فلو لم يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم
 عند الحاجة اليه . . فان قيل اذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده
 كعدمه وهذا يخرج من باب الفائدة ويوجب كونه عبثاً . . قلنا ليس يجب ما ظننتم
 لان القول وان كان لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة
 ولم يكن ذلك معلوماً قبل هذا الخطاب فصار مفيداً من حيث ذكرناه وخرج من أن
 يكون وجوده كعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب
 من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها . . فان قيل ظاهر
 قوله تعالى (فذبحوها وما كادوا يفعلون) يدل على استبطائهم وذمهم على التقصير في
 امتثال الأمر . . قلنا ليس ذلك صريح ذم لأن كادوا للمقاربة وقد يجوز أن يكون
 التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكاملت لها تلك الصفة فقدروي أنهم ابتاعوها
 بل جلد هاذباً على ان الذم يقتضى ظاهره أن يصرف الى تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال
 الأمر بعد البيان التام لان قوله تعالى (وما كادوا يفعلون) انما ورد بعد تقدم البيان
 التام المتكرر ولا يقتضى ذمهم على ترك المبادرة في الأول الى ذبح بقرة فليس فيه دلالة
 على ما يخالف ما ذكرناه . . فان قيل لو ثبت تقديراً ان التكليف في البقرة متغاير أى
 القولين اللذين حكيتموهما عن أهل هذا المذهب أصح وأشبه . . قلنا قول من ذهب
 الى أن البقرة انما يجب أن تكون بالصفة الأخيرة فقط لان الظاهر به أشبه من حيث
 انه اذا ثبت تغاير التكليف وليس في قوله إنها بقرة لاذلول تأثير الأرض الى آخر
 الأوصاف ذكر لما تقدم من الصفات وهذا التكليف غير الأول فالواجب اعتبار
 ما تضمنه لفظه والاقتصار عليه . . فأنما - الفارض - فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة
 يقال ضرب فارض أي ضخمة والغرب الدلو ويقال أيضاً لحية فارضة اذا كانت عظيمة
 والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة . . فأنما - البكر - فهي الصغيرة التي لم تلد فكأنه
 تعالى قال غير مسنة ولا صغيرة - والعوان - دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي
 قد ولدت بطناً أو بطنين يقال حرب عوان اذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وانما

جاز أن يقول بين ذلك وبين لا يكون إلا بين اثنين أو أكثر لان لفظة ذلك تنوب
عن الجمل تقول ظننت زيدا قائماً فيقول القائل قد ظننت ذاك وقد ظننت ذلك وقد
ظن ذلك .. ومعنى - فاقع لونها - أي خالصة الصفرة وقيل ان كل ناصع اللون بياضاً كان
أو غيره فهو فاقع وقيل انه أراد بصفراء ههنا سوداء .. ومعنى قوله تعالى (لا ذلول تنير
الأرض) أي تكون صعبة لا يذللها العمل في إثارتها الأرض و- في الزرع .. ومعنى
- مسلة - مفعلة من السلامة من العيوب .. وقال قوم مسلة من الشبة أي لاشية فيها
نخالف لونها .. وقوله - لاشية فيها - أي لا عيب فيها وقبله لا وضح وقبله لا لون بخالف
لون جلدها والله أعلم بما أراد وإياه نسأل التوفيق .. [قال الشريف المرتضى] رضى
الله عنه .. كنت أظن ان المتنبي قد سبق الى معنى قوله في مرثية أخت سيف الدولة
طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فرغت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدعني صدقه أملاً شرفت بالدفع حتى كاد يشرق بي
حق رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الأنصاري والبحتري .. أما الذي لمسلم فقوله في
قصيدة برني بها سهل بن الصباح

وَقَفَ الْعَفَاةُ عَلَيْكَ مِنْ مَّتَحِيرٍ وَلَهُ الرَّجَاءُ وَذُو غِنًى يَسْتَرْجِعُ
وَمُخَادِعُ السَّمْعِ النَّعِيِّ وَدُونَهُ خَطْبُ أَلَمٍ بِصَادِقٍ لَمْ يَجْدَعْ

وقال البحتري برني وصيفاً التركي

إِذَا جَدَّ نَاعِيهِ تَوَهَّمْتُ أَنَّهُ يُكْرَرُ مِنْ أَخْبَارِهِ قَوْلَ مَا زَحِ

وكنت أظن ان المتنبي سبق الى قوله

تَحُلُّ الْقَنَاءُ يَوْمَ الطَّعْمَانِ بَعْقَوَتِي فَأَحْرِمُهُ عَرْضِي وَأُطْعِمُهُ جِلْدِي ^(١)

(١) - القنأ - جمع قنأ وهي الرح - وعقوتي - ساحتي - والعرض - موضع الذم والمدح

من الانسان .. والمعنى ان الطعن يقع في ساحته فيجعل جلده طعماً له ولا ينهزم خوفاً
من الطعن في عرضه وهو من قصيدة يودع بها ابن العميد عند مسيره قاصداً سيف

حقى رأيت هذا المعنى بعينه واللفظ لحيم بن شبل السكلاي من أهل البصرة في قوله
 ثني قومه عن خذرجان وقدحنا إلى الموت دامي الصفحتين كليم
 أخو الحزب إمام جلده فمجرح كليم وإمام عرضه فسلم

وكنيت أظن ان البعترى سبق الى معنى قوله في الفتح بن خاقان
 حملت إليه السيف لا عزمك انتنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

حقى وجدت لشاعر متقدم

طعنت ابن دهمان بنجران طعنة شققت بها عنه مضاعفة السرد

الدولة ثم قتله فانك الأسدى ومطلعها

لسيت وما أنسى عتاباً على الصد ولا ليلة قصرتها بمصيرة
 ومن لي بيوم مثل يوم كرهته وإلا يخص الفقد شيئاً لاتي
 تمنى بلد المستهام بذكره وغيظ على الأيام كالنار في الحنى
 فإما تربى لا أقسم ببلدة يحل القنا يوم الطعام بمقوتي
 تبديل أيامي وعيني ومنزلي وأوجه فتیان حياه تلموا
 وليس حياه الوجه في الذئب شيمة اذا لم تجزهم دار قوم مودة
 بمجدون عن هزل الملوك الى الذي ولا خفراً زادت به حره الخد
 أطالت يدي في جيدها محبة العقد قربت به عند الوداع من البعد
 فقدت فلم أفقد موعى ولا وجدى وان كان لا يفي فتبلا ولا يجدى
 ولكنه غيظ الأسير على القيد فآفة غمدي في دلوقي وفي حدى
 فأحرمه عرضى وأطعمه جلدي نجائب لا يفكرن في النعس والسعد
 عليهن لا خوفاً من الحر والبرد ولكنه من شيمة الأسد الورد
 أجاز القنا والخوف خير من الود توفر من بين الملوك على الجهد

فَلَا الْكَفُّ أَوْهَتْ بِي وَلَا الرُّمْحُ خَانَنِي وَلَا الْأَذْهَمُ الْمَنْعُوتُ حَادَّ عَنْ الْقَصْدِ

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس مسفرة اللون في العمل فكل حكى ذلك وقال بلا فضيلة الا البحري فانه أغرق من أبيات قال اصرابي بن أبناث^(١)

جَعَلْتُ وَمَا عَايَنْتُ عِطْرًا كَأَنَّمَا جَرَى بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ خَلُوقُ

وقال أبو تمام

لَمْ يَشْنِ وَجْهَهُ الْمَلِيحَ وَلَكِنْ جَعَلْتُ وَرَدَ وَجَنَّتِيهِ بَهَارًا

وقال غيره

لَمْ تَشْنِ شَيْئًا وَلَكِنَّهَا بَدَّلَتْ التُّفَاحَ بِالْيَاسْمِينِ

وقال أبو بكر عيسى الزلني

عِلَّةٌ زَعَفَرْتُ مُورَدَ خَدِّ كَادَ مِنْ رِقَةٍ وَرِيٍّ يُفِيضُ

ولأحمد بن يزيد المهلب

وَقَالُوا غَزَتْ غِرَاءَ حُمَى شَدِيدَةٍ فَوَجَنَّتْهَا مِنْهَا شَدِيدُ صَفَارُهَا

فَقُلْتُ لَهُمْ هِيَاتَ هَاتِيكَ رَوْضَةً مَضَى وَرَدُّهَا عَنَا وَجَاءَ بَهَارُهَا

ولأبي العنابة

وَكَا نَنِي مِمَّا تَطَاوَلَ بِي مِنْكَ السَّقَامُ طَلَيْتُ بِالْوَرَسِ

وقال ابن المعتز

وَصَفَرْتُ عِلَّتُهُ وَجْهَهُ فَصَارَ كَالدَّيْنَارِ مِنْ حَقِّ

وقال البحري

بَدَتْ صُفْرَةٌ فِي لَوْنِهِ إِنَّ حَمْدَهُمْ مِنَ الدَّرِّ مَا اصْفَرَّتْ نَوَاحِيهِ فِي الْعِقْدِ

(١) هكذا فيما وقفنا عليه من النسخ على انه لم يظهر لنا استقامة المعنى فليحروا

وَجَرَّتْ عَلَى الْإِيْدِي مَجَسَّةٌ كَفَّهِ كَذَلِكَ مَوْجُ الْبَحْرِ مَلْتَهَبُ الْوَقْدِ
وَمَا الْكَلْبُ مَحْمُومًا وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ إِلَّا إِنَّمَا الْحُمَّى عَلَى الْأَسَدِ الْوَرْدِ^(١)

[قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه . . أما تشبيه صفرة اللون بصفرة الدر فهو تشبيه مליح موافق لغرضه إلا أنه أخطأ في قوله ان حمدهم من الدر ما اصفرّت نواحيه في العقد لان ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه وترك التعليل لكان أجود . . وروى أبو العباس أحمد بن فارس المنيجي قال جدنا أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البهتري قال حدثني أبي قال حدثني جدّي البهتري قال كنت عند أبي العباس المبرد يوماً فتذاكرنا شهر عمارة بن عقيل فقال أبو العباس لقد أحسن عمارة في قوله لخالد بن يزيد لما وجهه اليه بهذين البيتين

لَمْ أَسْتَطِعْ سَيْرًا لِمَذْحَجَةِ خَالِدٍ فَجَعَلْتُ مَذْحِجَهُ إِلَيْهِ رَسُولًا
فَلْيَرْحَلَنَّ إِلَيَّ نَائِلُ خَالِدٍ وَلْيَكْفِنَنَّ رَوَاحِلِي التَّرْحِيلَا

قال البهتري فقلت له لمروان بن أبي حفصة في عبيد الله بن طاهر وقد أتاه نائله من الجزيرة ما هو أحسن من هذا وأنشدته

لَعَمْرِي لَنِعَمَ الْغَيْثُ غَيْثُ أَصَابِنَا يَبْغِدَادَ مِنْ أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَابِلَا
فَكُنَّا كَحَيِّ صَبَّحَ الْغَيْثُ أَهْلَهُ وَلَمْ يُرْتَحَلْ أَظْمَانُهُ وَرَوَاحِلُهُ

[١] هي من أبيات يمدح بها ابراهيم بن المدبر ويذكر علة ناله ومطلعها

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد فبك الذي نخني من الشكو أو تبدي
بنا معشر العافين ما بك من أذى فان أشفقوا مما أقول في وحدي
ظللنا نعود المجد من وعكك الذي وجدت وقلنا اعتل عضو من المجد
ولم ننصف الليث اقتسمنا نواله ولم نقسم حماء إذ أقبلت تردى

بدت صفرة من لونه الأبيات الثلاثة . . وبعدها

ولست ترى عود القنادة خافاً سموم الرياح الآخذات من الرند

فقال نعم هذا أحسن فقلت له ان لي في بنى السبط وقد أتاني برهم من حمص مالا يتضع
عن الجميع وأنشدته

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا وَالْجَزَاءُ بِكَفِّهِ بَنَى السَّمْطُ أَخْدَانَ السَّمَاحَةِ وَالْمَجْدِ
هُمْ وَصَلُّوا نِي وَالْمَهَامَةُ يَنْتَنَا كَمَا أَرْفَضَ غَيْثٌ مِنْ نِهَامَةٍ فِي نَجْدِ

فقال هذا والله أرق مما قالوا وأحسن .. وروي أحمد بن فارس النخعي عن عبيد الله
ابن يحيى بن البختري قال حدثنا أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم يموت بن
المزروع قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب فقال الذي يقول

عَجَلْتُ إِلَى فَضْلِ الْخِمَارِ فَأَثَرْتُ عَذَابَهُ بِمَوَاضِعِ التَّقْبِيلِ

وقال هذا لا يبحترى في القصيدة التي أوّلها

صَبٌّ يُخَاطَبُ مُفَحَّمَاتِ طُلُولٍ ^(١)

[١] هو مطلع قصيدة يمدح بها الفضل بن اسماعيل الهاشمي

صَبٌّ يُخَاطَبُ مُفَحَّمَاتِ طُلُولٍ	من سائل بك ومن مسؤول
حملت معالمهن أعباء البلى	حق كأنن نحولهن نحولى
يا وهب هب لأخيك وقفة مسعد	يعطي الأسمى من دمه المبدول
أو ما زرى الدمن الحيلة تشكى	غدرات عهدٍ للزمان محبيل
إن كنت تنكرها فقد عرف الهوى	قدماً معارف رسمها المجهول
تلك التي لم يعد لها قصد الهوى	مالت مع الواشين كل مميل
عجلت الى فضل الخمار فأثرت	عذباته بمواضع التقبيل
وتبسمت عند الوداع فأشرقت	إشراقه عن عارض مصقول
أأخيب عندك والعبا لي شافع	وأرد دونك والشباب رسولى
ولقد تأملت الفراق فلم أجده	يوم الفراق على امرء بطويل
قصرت مسافته على متروّد	منه لدهر صباية وعويل

[وقال الشريف المرتضي] رضى الله عنه . وفي نسيب هذه القصيدة بيت ليس يقصر في

الملاحاة والرشاقة وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

الْأَخِيبُ عِنْدَكَ وَالصَّبَالِي شَافِعٌ وَأَرَدْتُ دُونَكَ وَالشَّبَابُ رَسُولِي

وفي مدح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو

لَا تَطْلُبْنِ لَهُ الشَّبِيهَ فَإِنَّهُ قَمَرُ التَّأَمَّلِ مِرْنَةُ التَّأَمِّلِ

وبهذا الاسناد عن يحيى بن البعري قال انصرفت يوماً من مجلس أبي العباس محمد بن

يزيد المبرد فقال لي أبي البعري ما الذى أفدت يومك هذا من أبي العباس قلت أمل

على أخباراً حسنة وأنشدني أبياتاً للحسين بن الضحاك فقال أبى أنشدني الأبيات

فأنشدته

كَأَنِّي إِذَا فَارَقْتُ شَخْصَكَ سَاعَةً لِفَقْدِكَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ غَرِيبُ

وَقَدَرُمْتُ أَسْبَابَ السُّلُوفِ فَخَانِي ضَمِيرٌ عَلَيْهِ فِي هَوَاكَ رَقِيبُ

أَغْرَكَ صَفْحِي عَنْ ذُنُوبٍ كَثِيرَةٍ وَغَضَى عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكَ تَرِيبُ

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ قَبْلِي مَتِيمٌ وَلَمْ يَكُ فِي الدُّنْيَا سِوَاكَ حَبِيبُ

إِلَى اللَّهِ أَشْكُوا إِنْ شَكَوْتُ فَلَمْ يَكُنْ

لِشِكْوَايَ مِنْ عَطْفِ الْحَبِيبِ نَصِيبُ

وإذا الكرام تنازعوا أكرومة فالفضل للفضل بن اسماعيل

قسموا على أخلاقهم فتفاوتوا فبين قسمة غرة وحجول

في كل مكرمة بد مبسوطه من فاضل منهم به مفضول

لا تطلبن له الشبيهه فانه قمر التأمل مزنة التأميل

جاز المدى فرمي بغير مناضل في سودد وجرى بغير رسيل

فتى سمت عين الحسود لفخره طرفت بطرف من علاه كليل

فقال ما أحسن هذا الكلام وأنشدني لنفسه

حبيبي حبيبٌ يَكْتُمُ النَّاسَ إِنَّهُ لَنَا حِينَ تَلْقَانَا الْعُيُونُ حَبِيبُ
يُبَاعِدُنِي فِي الْمُلْتَقَى وَفُؤَادُهُ وَإِنْ هُوَ أَبْدَى لِي الْبِعَادَ قَرِيبُ
وَيُعْرِضُ عَنِّي وَالْهَوَى مِنْهُ مُقْبِلُ إِذَا خَافَ عَيْنَا أَوْ أَشَارَ رَقِيبُ
فَتَنْطِقُ مِنَّا أَعْيُنٌ حِينَ نَلْتَقِي وَتَمُخَّرُسُ مِنَّا أَلْسُنٌ وَقُلُوبُ

ثم قال يابن ارو هذين فانهما من أحسن الشعر وطريفه ٠٠ روى أحمد بن فارس المنبجي عن أبي نصر محمد بن اسحق النحوي قال سمعت بعض أهل الأدب يقول لازجاج قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وانه ما كان يقوم لأحد ولا يتناول له ويشد اذا أشرف عليه الرجل

نَهْلَانُ ذُو الْمَضَبَاتِ لَا يَتَحَلَّلُ^(١)

ولقد رأيته يوماً وقد دخل عليه رجل متدرع فقام اليه أبو العباس فاعتنقه وتنجي عن موضعه وأجلسه فجعل الرجل يكفه ويستغفبه من ذلك فلما أكثر من ذلك عليه أنشده أبو العباس

أَتُنْكَرُ أَنْ أَقُومَ وَقَدْ بَدَأَ لِي لِأَكْرَمِهِ وَأَعْظَمِهِ هِشَامُ
فَلَا تُنْكَرُ مِبَادِرَتِي إِلَيْهِ فَإِنَّ لِمَنْ لِهْ خَلَقَ الْقِيَامُ

فلما انصرف الرجل سألت عنه فقيل لي هذا البهتري

مجلس آخر ٥٣

[نأويل آية أخرى] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكياً عن هابيل (لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك إني أخاف

(١) صدر البيت * فارفع بكفك ان أردت بقاؤنا *

الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك الآية) . . . فقال كيف يجوز أن يجبر تعالى عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بأنه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك ارادة القبيح و ارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها كونها ارادة لقبيح وليس قبحها مما يتغير وكيف يصح أن يبوء القاتل بأثمه وإثم غيره وهل هذا الا ما يابونه من أخذ البريء مجرم السقيم . . . الجواب قلنا جواب أهل الحق عن هذه الآية معروف وهو ان هابيل لم يرد من أخيه قبيحاً ولا أراد أن يقتله وانما أراد ما خبر الله تعالى به عنه من قوله (إني أريد أن تبوء بأثمي وإثمك) أى تبوء مجزاء ما قدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح أن يريد نزول العقاب المستحق بمسئحته ونظير قوله إثمى مع أن المراد به عقوبة إثمى الذى هو قتلى قول القاتل عمن يعاقب على ذنب جناء هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء ما كسبته يداك وكذلك قولهم لمن يدعون عليه لقاتك الله عملك وستلقى عملك يوم القيامة معناه ما ذكرناه . . . فان قيل كيف يجوز أن يحسن رادة عقاب غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول لم يكن واقعاً . . . قلنا ذلك جاز بشرط وقوع الأمر الذى يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من أخيه التصميم على قتله والاضمار والعزم على إمضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع ذلك جاز أن يريد عقابه بشرط أن يفعل ما هم به وعزم عليه . . . فأما قوله إثمى وإثمك فالمعنى فيه واضح لانه أراد بأثمى عقاب قتلك لي وبإثمك أى عقاب المعصية التى أقدمت عليها من قبل فلم يتقبل قربانك لسببها لان الله تعالى أخبر عنهما بأنهما قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلة فى ان قربان أحدهما لم يتقبل انه غير متق وليس بمتنع أن يريد بأثمى ما ذكرناه لأن الإثم مصدر والمصادر قد تضاف الى الفاعل والمفعول جميعاً وذلك مستعمل مطرد في القرآن والشعر والكلام فنثال ما أضيف الى الفاعل . . . قوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) ومن اضافته الى المفعول . . . قوله تعالى (لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر) . . . وقوله تعالى (لقد ظلمك بسؤال نعجتك

الى (لما جاءه) .. وما جاء في الشعر من اضافته الى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر
 أَمِنْ رَسْمِ دَارٍ مَرْبِيعٌ وَمَصِيفٌ لِعَيْنِكَ مِنْ مَاءِ الشَّوْثِ وَكَيْفٌ^(١)

(١) قوله * أمن رسم دار الخ * هو مطلع قصيدة للحطيئة عدتها ثمانية عشر بيتاً مدح بها سعيد بن العاص الأموي لما كان والياً بالكوفة لعثمان بن عفان رضى الله عنه قوله * أمن رسم دار الخ * الهمزة للاستفهام التقريرى ومن تعليلية متعلقة بوكيف وهو مصدر وكف وكوفاً ووكيفاً سال شيئاً فشيئاً وتأويله أمن رسم داراً مربع أى أثر فيها آثاراً والرسم الأثر بلا شخص - والشوون - مجاري الدمع من الرأس الى العين واحداً شأن .. وقوله - لعينيك - جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم على المبتدأ وهو وكيف يروى بالثنية ويروى بالافراد - ومربع - فاعل المصدر وهو رسم وهو على حذف مضاف والتقدير مطره ونحوه وهو وما بعده اسمان لزمان الربيع والعييف ويأتیان اسمى مكان ومصدرين أيضاً وهذه الصيغة تشترك فيها هذه المعانى وهى صيغة قياسية بذكرها الصرفيون والمذكور فى كتب اللغة انما هو المربع بمعنى منزل القوم فى الربيع خاصة وبعد البيت

له داجن بالكسرين عليف	رشاش كغربي هاجري كلاها
على رغبة وفى السبال عنيف	إذا كره غرباً بعد غرب أعاده
دموعي وأحبابي على وقوف	تذكرت فيها الجمال حتى نبادرت
تخلى الى وجهه الإله حنيف	يقولون هل يبكى من الشوق مسلم
نكيب تغالى فى الزمام خوف	فلاًباً أراححت علقى ذات ملهم
على الأبن إرقال معاً ووجيف	مقذفة باللحم وجناء عدوها
يقاباني آل بها وشنوف	اليك سعيد الخير جبت مهامها
بحوران مجذام العنى محصوف	ولولا الذي العاصي أبوه تعلقت
كريم لا أيام المنون عروف	ولولا أصيل اللب غصن شبابه
كعاب عليها لؤلؤ وشنوف	إذا هم بالأعداء لم يثن هم
ومني كما نمتى القطاة قطوف	حصان لها فى البيت زى وبهجة

في الكلام يقول القائل أعجبنى ضرب عمرو خالداً اذا كان عمرو فاعلا وضرب عمرو خالداً اذا كان عمرو مفعولا .. وقد ذكر قوم في الآية وجهاً آخر وهو أن يكون المراد إنى أريد زوال أن نبوء بأننى وائتمك لانه لم يرد له إلا الخير والرشد خذف الزوال وأقام ان وما اتصل بها مقامه كما قال تعالى (وأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) أراد حب العجل خذف الحب وأقام العجل مقامه وكما قال تعالى (واسأل القرية) وهذا قول بعيد لانه لادلالة في الكلام على محذوف وانما تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام المحذوف ودلالته عليه .. وذكر أيضاً وجه آخر وهو أن يكون المعنى إنى أريد أن لا نبوء بأننى وائتمك أى أريد أن لا تقتلني ولا أقتلك خذف لا واكتفى بمافى الكلام كما قال تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) معناه أن لا تضلوا وكقوله تعالى (وألقى في الأرض رواسى أن تُمِيدَ بكم) معناه أن لا تُمِيدَ بكم وكقول الخلساء

فَأَقْسَمْتُ آسِي عَلَى هَالِكٍ وَأَسْأَلُ نَائِحَةً مَالَهَا

أرادت لا آسى ولا أسأل .. وقال امرؤ القيس

فَقَالَتْ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

أراد لا أبرح .. وقال عمرو بن كلثوم

نَزَلْتُمْ مَنَزِلَ الْأَصْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا الْقَرَى أَنْ تَشْتُمُونَا

أراد أن لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جداً وهذا الجواب يضعفه كثير من أهل

ولو شاء وارى الشمس من دون وجهه	حجاب ومطوي السراة منيف
ولكن إدلاجاً بشبهاء نخمة	لها لُقْحُخٌ في الأعجمين كشوف
إذا قادها للموت يوماً تتابعت	أُلوْفٌ على آثارهن أُلُوفٌ
فصفوا وما ذى الحديد عليهم	وبيض كأولاد النعام كئيف
أنابت الى جنات عدن نفوسهم	وما بعدها للصالحين حنوف
خنيف المي لا يملأ لهم صدره	إذا سمته الزاد الخبيث عيوني

العربية لانهم لا يستحسنون اضممار لافي مثل هذا الموضع . . فأما قوله تعالى حاكباً عنه (لئن بسطت الی يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك) . . فقال قوم من المفسرين ان القتل على سبيل الانتصار والمدافعة لم يكن مباحاً في ذلك الوقت وان الله تعالى أمره بالصبر عليه وامتنعنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصاف . . وقال آخرون بل المعنى انك ان بسطت الی يدك مبتدئاً ظالماً لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك على وجه الظلم والابتداء فكأنه نفى عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم . . والظاهر من الكلام بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لانه تعالى خبر عنه انه وان بسط أخوه اليه يده ليقضه لا يبسط يده ليقضه أي وهو مرید لقتله ويجري اليه لان هذا اللام بمعنى كي وهي منبئة عن الازادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه لان المدافع انما تحسن منه المدافعة للظالم أو طلب النخاص منه من غير أن يقصد الی قتلـه والاضرار به ومقي قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل في انه فاعل القبيح والعقل شاهد بوجود النخاص من المضرّة بأي وجه تمكن منه بعد ان يكن غير قبيح . . فان قيل فكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك الانتصار والمدافعة ووجوبها على كل حال . . قلنا لا يمنع من ذلك وانما بينا ان الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب اليه قوم لان قوله لأقتلك يقتضى أن يكون البسط لهذا الغرض والمدافعة لا يقتضى ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها الى الضرب فلا دلالة في الآية على تحريم المدافعة ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر

[تأويل خبر] . . إن سأل سائلة عن معنى الخبر الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من انه قال لا يموت المؤمن ثلاثة من الأولاد فتسمه النار الا نحلة القسم . . الجواب قلنا أما أبو عبيد القاسم بن سلام فانه قل يعني بنحلة القسم قوله تعالى (وان منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً) فكأنه عليه الصلاة والسلام قال لا يرد النار إلا بقدر ما يبر الله قسمه . . وأما ابن قتيبة فانه قال في تأويل أبي عبيد . . هذا مذهب حسن من الاستخراج ان كان هذا قسماً . . قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب ومعانيهم وهو ان العرب اذا أرادوا تغلب مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه بنحلة

القسم وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه ان شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا الا
تحلة القسم وما بنام العليل إلا كتحليل الألية وهو كثير مشهور ٠٠ قال مزاحم بن
أحر و ذكر الريح

إِذَا عَصَفَتْ رَسْمًا فَلَيْسَ بِدَائِمٍ بِهِ وَتَدُّ إِلَّا تَحِلَّةَ مَقَسَمٍ
يقول لا يثبت الوند الا قابيل كتحلة القسم لان هبوب الريح يقلعه ٠٠ وقال آخر
يذكر نوراً

يَخْفِي التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعٍ مَسْنُ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ^(١)
يقول هو سريع خفيف فقوائمه لا تثبت في الأرض إلا كتحليل اليمين ٠٠ وقال ذو
الرمة كأنه يصف صاحب سفر أغفى غفأة ثم انتبه سريعاً

(١) - يخفي التراب - يستخرجها الشدة عدوه ويقال خفيت الشيء اذا استخرجته
وقرأ بعضهم (ان الساعة آتية أكاد أخفيها) أى أظهرها ومن قرأ أخفيها أراد أسرها
ومنه الحديث ليس على مختلف قطع ومنه قول امرئ القيس

خَفَاهُ مِنْ أَفْئَاقِنَ كَأَنَّمَا خَفَاهُ وَدَقَّ مِنْ عَشَى مَحَابٍ
ويروي مجلب أى يجلب الماء ومجابه من الجليلة جليلة الريح والرعده ٠٠ وقوله - باظلاف
ثمانية في أربع - يريد ثمانية اظلاف في أربع قوائم في كل قائمة ظلفان ٠٠ وقوله
- مسن الأرض تحليل - أى كتحلة اليمين وأهل الحجاز يسمون النباش المختفي
وقال مسن الأرض تحليل قدر تحلة اليمين كأنه أقسم ليمسن الأرض كما قال الراعي
حدث السراب وألحقت أعجازها روح يكون وقوعها تحليلاً

والبيت من قصيدة لعبدة بن الطيب وهي مفضلية ومطلعا
هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول
حات خويلة في دار مجاورة أهل المدائن فيها الديك والقبيل
يقارعون رؤوس العجم ضاحية منهم فوارس لا عزل ولا ميل
نظام القباب من ترجيع ذكرها رس لطيف ورهن منك مكبول

طَوَى طِيَّهُ فَوْقَ الْكَرَا جَفَنُ عَيْنِهِ عَلَى رَهَبَاتٍ مِنْ جَنَّاتِ الْمَخَادِرِ
قَلِيلًا كَتَحْلِيلِ الْأَلَى ثُمَّ قَلَّصَتْ بِهِ شِيئَةً رَوْعَاءَ تَقْلِيصَ طَائِرٍ

والألى - جمع ألوه وهي اليمين قل ومعنى الخبر على هذا التأويل ان النار لا تمسه إلا قليلا كتحلليل اليمين ثم نجيه الله منها .. وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري الصواب قول أبي عبيد لحجج ثلاث .. منها ان جماعة من كبار أهل العلم فسروه على تفسير أبي عبيد .. ومنها انه ادعى ان النار تمس الذي وقعت منزلته عند الله جليلة لكن مساً قليلا والقليل من النار لا يقع به الألم العظيم وليس صفة الأبرار في الآخرة صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيراً .. ومنها ان أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس وانما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن يكون من الأبرار لان إلا معناه الاستثناء المنقطع فكأنه قال فتمسه النار لا كن تحلة اليمين أى لا كن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى قول العرب سار الناس الا الانقلا وارنحل العسكر الا الخياما وأنشد الفرّاء

وَسَمْحَةِ الْمَشَى شِمْلَالٍ قَطَعَتْ بِهَا أَزْضًا يَحَارُّ بِهَا الْهَادُونَ دَيْمُومًا^(١)

مَهَا مَهَا وَحَزُونًا لَا أَنْيسَ بِهَا إِلَّا الصَّوَائِحُ وَالْأَصْدَاءُ وَالْبُومُ^(٢)

وأنشد الفرّاء

(١) - الديموم - والديمومة الفلاة الواسعة بدوم السير فيها لبعدها وقيل هي المفازة لاماء بها وأنشد ابن بري لذي الرّمة * اذا انتخّ الدياميم * وقيل الديمومة الأرض المستوية التي لا أعلام بها ولا طريق ولا ماء ولا أنيس .. وقيل أبو عمرو والدياميم الصحارى للمس المتباعدة الأطراف

(٢) - الصوائح - جمع صائح وهو ما يصبح أى يصوت والمراد به الأصوات التي تسمع في الخلاء ولا حقيقة لها - والأصداء - جمع صدى وهو ما يردده الجبل على الصوت فيه - والبوم - طائر معروف

لَيْسَ عَلَيْكَ عَطَشٌ وَلَا جُوعٌ إِلَّا الرِّقَادُ وَالرِّقَادُ مَمْنُوعٌ

فعنى الحديث لا يموت لمسلم ثلاثة من الأولاد فتمسه النار البتة لا كن نحلة القسم لا بد منها ونحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس .. قال أبو بكر وقد سمنح لى فيه قول آخر وهو أن يكون إلا زائدة دخلت للتوكيد ونحلة اليمين منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت نحلة القسم وإلا زائدة .. قال الفـرزـدق شاهداً لهذا

هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلَّوْا سِيُوفَهُمْ وَضَحَّوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُحَلٍّ وَمَحْرَمٍ

معناه هم القوم حيث سلّوا سيوفهم وإلا مؤكدة .. وقال الأخطل

وَيَقْطَعْنَ إِلَّا مِنْ فُرُوعٍ يَرِذْنَهَا بِمَدْحَةِ مَحْمُودٍ نَشَاءُ وَنَائِلُهُ (١)

معناه يقطعون الا بل من فروع يرذنها والفروع الواسعة من الأرض .. [قال الشريف

(١) وفي ديوانه

اليكم من الأغوار حتى يزرركم بمدحة محمود نشاء ونائله
- الأغوار - جمع غور بالفتح وهو القعر من كل شئ وهى هنا الأمكنة المطمئنة
- والنشاء - بالفتح والقصر الخبر .. والبيت من قصيدة يمدح بها بشر بن مروان ومطلعها

صحا القلب عن أروى وأقصر باطله وعاد له من حب أروى أخيله
أجـدكـ ما نلقاك إلا مـريضة تداوين قلباً ماتسـام بلايله
عفا واسطـ منها فالجام حاصر فروض القعلا محراؤه وحائله

.. ومنها

ومستقبل لفتح الحورور بحاجة اليكم أبا مروان شدت رواحله
اليكم من الأغوار حتى يزرركم بمدحة محمود نشاء ونائله
جزاء وشكراً لامرئى لا تغبني اذا جثته نعمائـه وفواضله
أخو الحرب ما ينفك بدعي لعصبة حرورية أو أعجمي يقاتله

المرتضى [رضى الله عنه والوجوه المذكورة في تأويل الخبر متقاربة لان الوجه الذى اختص به ابن الانبارى فيه أدنى تعسف وبعد من حيث جعله إلّا زائدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العلم بالعربية وقد تبقى في الخبر مسألة التشاغل بالجواب عنها أولى مما تكلفه القوم وهى متوجهة على كل الوجوه التى ذكرها في تأويله . . . وهو أن يقال كيف يجوز أن يخبر عليه الصلاة والسلام بأن من مات له ثلاثة أولاد لا تنمسه النار إما جملة أو مقدار تحلة القسم وهو النهاية فى القلة أو ليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن هذه حاله وإذا كان من يموت له بهذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح أن يؤمن من العقاب . . . والجواب عن ذلك إذا قد علمت أولاً خروج هذا الخبر مخرج المدحة لمن كانت هذه صفته للتمييز ولا مدحة فى مجرد موت الأولاد لان ذلك لا يرجع الى فعله ولا بد من أن يكون تقدير الكلام ان النار لا تمس المسلم الذى يموت له ثلاثة من الأولاد اذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما جرى به القضاء عليه لانه بذلك يستحق الثواب والمدح وإذا كان اضمار الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن فى القول إغراء لان كيفية وقوع الصبر والوجه الذى اذا وقع عليه تفضل الله تعالى بغفران ما لعله أن يستحقه من العقاب فى المستقبل غير معلوم وإذا لم يكن معلوماً متميزاً فلا وجه للاغراء وأكثر ما فى هذا الكلام أن يكون القول مرغباً فى حسن الصبر وحائناً عليه رغبة فى الثواب ورجاء لغفران ما لعله أن يستحق فى المستقبل من العقاب وهذا واضح لمن تأمله

— مجلس آخر ٥٤ —

[تأويل آية] . . . إن سأل سائل عن قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهمي كالججارة أو أشد قسوة) . . . فقال ما معنى أوهنا وظاهرها يفيد الشك الذى لا يجوز عليه تعالى . . . الجواب قلنا فى هذه الآية وجوه . . . أولها أن تكون أوهنا للإباحة كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين والى الفقهاء أو المحدثين ولم يريدوا الشك بل

كأنهم قالوا هذان الرجلان أهل للمجالة وهذان القبيلان من العلاء أهل للقاء فان
 جالست الحسن فأنت مصيبٌ وان جالست ابن سيرين فأنت مصيبٌ وان جمعت بينهما
 فكذلك فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هؤلاء قاسية متجافية عن الرشد والخير
 فان شبهتهم فسوتها بالحجارة أصبتم وان شبهتموها بما هو أشد أصبتم وان شبهتموها
 بالجميع فكذلك وعلى هذا يتأول قوله تعالى (أو كصيب من السماء) لان أو لم يرد
 بها الشك بل على نحو الذي ذكرناه من انكم إن شبهتموهم بالذي استوقد ناراً فحتر وان
 شبهتموهم بأصحاب الصيب فحتر وان شبهتموهم بالجميع فكذلك .. ونانها أن تكون أو دخلت
 للتفصيل والتبميز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كاللحجارة في القسوة
 وبعضها ما هو أشد قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله تعالى (وقالوا كونوا هوداً أو
 نصارى تهتدوا) ومعناه قال بعضهم كونوا هوداً وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى
 وهم النصاري فدخلت أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها فجاءها
 بأسنا بياتاً أو هم قائلون) معناه فجاء بعض أهلها بأسنا بياتاً وجاء بعض أهلها بأسنا في
 وقت القبلولة وقد يحتمل قوله تعالى (أو كصيب من السماء) هذا الوجه أيضاً ويكون
 المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوقد ناراً وبعضهم يشبه أصحاب الصيب .. وثالثها أن
 يكون أو دخلت على سبيل الابهام فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالماً بذلك
 غير شك فيه لانه تعالى لم يقصد في إخبارهم عن ذلك إلا التفصيل بل علم عز وجل ان
 خطابهم بالاجمال أبلغ في مصلحتهم فأخبر تعالى ان قسوة قلوب هؤلاء الذين ذمهم
 كاللحجارة أو أشد قسوة والمعنى انها كانت كأحد هذين لا يخرج عنهما ويجري ذلك
 مجرى قولهم ما أطعمتك إلا حلواً أو حامضاً فيهمون على المخاطب ما يعلمون انه لافائدة
 في تفصيله والمعنى ما أطعمتك إلا أحد هذين الضر بين وكذلك يقول أحدهم
 أكلت بسرة أو ثمرة وهو قد علم ما أكل على التفصيل الا انه أبهمه على المخاطب

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَبِيعَةٍ أَوْ مُضَرٍّ^(١)

أراد هل أنا إلا من أحد هذين الحبيبين فسبيلي ان أفنى كما فنياً وإنما حسن ذلك لان قصده الذي أجرى اليه وغرضه الذي نجاه وهو أن يخبر بكونه من يموت وهنئ ولا يخل به اجمال ما أجل من كلامه فاضرب عن التفصيل لانه لا فائدة فيه ولانه سواء كان من ربيعة أو مضر فوته واجب وكذلك الآية لان الغرض فيها أن يخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانها مما لا تثنى لوعظ ولا تصني الى حق فسواء كانت في القسوة كالحجارة أو أشد منها فقد تم ما أجرى اليه من الغرض في وصفها واذمها وصار تفصيل تشبيها بالحجارة وبما هو أشد قسوة منها كتفصيل كونه من ربيعة أو مضر في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام .. ورابعها أن تكون أو بمعنى بل كقوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في قوله تعالى (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) قال كانوا مائة ألف وبضعاً وأربعين

(١) وبعده

فقوموا وقولا بالذي تعلمانه ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لاصديقه أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

والبيت الأخير يورده بعض النحاة على ان لفظ اسم معجم .. قال ابن جني هذا قول أبي عبيدة وكذلك قال في بسم الله ونحن نحمل الكلام على ان فيه محذوفاً قال أبو علي وإنما هو حد حذف المضاف أي ثم اسم معنى السلام عليكما واسم معنى السلام هو السلام وكأنه قال ثم السلام عليكما فالمعنى لعمري ما قاله أبو عبيدة لكنه من غير الطريق التي أتاه هو منها ألا تراه هو اعتقد زيادة شيء واعتقدنا نحن نقصان شيء اه .. روى ان لبيد رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه هذه الأبيات فكانتا بعد وفاته تلبسان ثيابهما في كل يوم وتأتیان مجلس جعفر بن كلاب قبيلته فترثيانه ولا تمولان فأقامتا على ذلك حولاً كاملاً ثم انصرفتا

أَلْفًا ٠٠ وَأَشَدُّ الْفَرَاءِ

بَدَتْ مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى وَصُورَتِهَا أَوْ أَنْتِ فِي الْعَيْنِ أَمْلَحُ
وقد تكون أم في الاستفهام أيضاً بمعنى بل كقول القائل أضربت عبد الله أم أنت رجل
متعنت معناه بل أنت رجل متعنت ٠٠ وقال الشاعر

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي أَسْلَمِي تَفَوَّلَتْ أَمْ النَّوْمُ أَمْ كُلُّ إِلَيَّ حَبِيبُ

معناه بل كل ٠٠ وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال وكيف يجوز أن يخاطبنا تعالى
بافظة بل وهي تقتضى الاستدراك والنقض للكلام الماضى والاضراب عنه وليس ذلك
بشيء إما الاستدراك فان أريد به الاستفادة أو التذكير لما لم يكن معلوماً فليس بصحيح
لان أحدنا يقول اعطيته ألفاً بل ألفين وقصدته دفعة بل دفعتين وهو عالم في ابتداء
كلامه بما أخبر به في الثانى ولم يجدد به علم وان أراد به الأخذ في كلام غير الماضى
واستئناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله جائز عليه تعالى فأما النقص للكلام الماضى
فليس بواجب في كل موضع يستعمل فيه لفظ بل لان القائل اذا قال اعطيته ألفاً بل
ألفين لم ينقض الأول وكيف ينقضه الأول داخل في الثانى وانما زاد عليه وانما يكون
ناقضاً للماضى اذا قال لقيت رجلاً بل حمراً واعطيته درهماً بل ثوباً لان الأول لم يدخل
في الثانى على وجه وقوله تعالى (أو أشد قسوة) غير ناقض للأول لانها لا تزيد في
القسوة على الحجارة إلا بعد أن تساويها وانما تزيد عليها بعد المساواة ٠٠ وخامسها أن
تكون أو بمعنى الواو كقوله (أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم) معناه وبيوت
آبائكم ٠٠ قل جرير

نَالَ الْخِلَافَةَ أَوْ كَانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمَا أَتَى رَبَّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ^(١)

(١) قوله نال الخلافة الخ ٠٠ هو من قصيدة يمدح بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله
تعالى ٠٠ ويروى جاء الخلافة وأتى الخلافة وفي ديوانه نال الخلافة ٠٠ والبيت من شواهد
النحاة في باب الفاعل على توسط المفعول بين الفعل والفاعل جوازاً ومطلع القصيدة

وقال توبة بن الحمير

وَقَدْ زَعَمْتَ لَيْلِي بِأَنِّي فَاجِرٌ
لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فَجُورُهَا^(١)

لجت امامة في لومي وما علمت عرض السماوة روحاني ولا بكري
وقال العيني وأولها قوله

كم بالجمامة من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
وهذا غلط لان البيت قبله اثنا عشر بيتاً ومنها

إننا لنرجو اذا ما الغيث أخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر

••• ومنها

أصبحت للنمير المعمور مجلسه زيناً وزين قباب الملك والحجر
(١) هو من قطعة أولها

حمامة بطون الواديين ترنمي سقاك من الغر الغواصي مطيرها
أبني لنا لا زال ريشك ناعماً ولا زلت في خضراء غصن نصيرها
وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقت وقد رابى منها الغداة سفورها
وقد رابى منها صدود رأيت وأصراضها عن حاجتي وبسورها
وأشرف بالقور اليفاع لعاني أرى نار ليلى أو يرانى بصيرها
يقول رجال لا يضيرك نأبها بلى كل ماشف النفوس بصيرها
بلى قد يضير العين أن تكثر البكى ويمنع منها نومها وسرورها
وقد زعمت ليلى بأني فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

يروى ان ليلى الأخيلية لما أنشدت الحجاج هذه الأبيات قال لها ما الذى رابه من
سفورك فقالت أيها الأمير كان يلم بي كثيراً فأرسل الى يوماً إلى آتيك وفطن الحمي
فأرصدوا له فلما أنانى سفرت عن وجهي فعلم ان ذلك لشر فلم يزد على التسليم والرجوع
فقال لله درك فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه فقالت لا والذي أسأله أن يصلحك غير انه
قال مرة قولاً ظننت انه قد خضع لبعض الأمر فألشأت أقول

وقال جرير أيضاً

أَنْعَلْبَةَ الْفَوَارِسَ أَمْ رِيحاً عَدَلَتْ بِهِمْ طُيْهَ وَالْخَشَابَا^(١)

أراد أو رياحاً .. وقال آخر

فَلَوْ أَنَّ الْبُكَاءَ يَرُدُّ مَيْتاً بَكَتْ عَلَى بُجَيْرٍ أَوْ عَفَاقٍ

عَلَى الْمَرَائِنِ إِذْ هَلَكَا جَمِيعاً لَشَأْنُهُمَا بِشَجْوٍ وَأَشْتِيَاقٍ

أراد على بُجَيْرٍ وعَفَاقٍ .. وحكى المفضل بن سلمة هذا الوجه عن قطرب وطمعن عليه بان قال ليس شيء يعلم أشد قسوة عند المخاطبين من الحجارة فيشبه قلوبهم الزيادة عليها وإنما يصح ذلك في قولهم أطعمتك تمرأ أو أحلا منه لان أحلا منه معلوم واختار

وذى حاجة قانما له لا تبع بها فليس إليها ما حيت سبيل

لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى فارغ وخليـل

فلا والله الذى أسأله أن يصلحك ما رأيت منه شيئاً حتى فرق الموت بيني وبينه

(١) قوله - أنعلبة - أراد بها القبيلة وهي نعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث ابن غطفان .. وفي أسد بن خزيمه نعلبة أيضاً وهي نعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه .. وقوله - أم رياحاً - بكسر الراء وبالياء آخر الحروف وهي أيضاً قبيلة وهي رياح بن يربوع ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .. وفي قضاة أيضاً رياح بطن وهو ابن عوف ابن عميرة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن حزم بن أبان بن إحلوان بن عمرو بن الحاف بن قضاة .. وفي سايه أيضاً وهي رياح بن يقظة بن عصية بن خفاف ابن امريء القيس بن بهثة بن سليم .. وقوله - طيهة - بضم الطاء وفتح الهاء وتشديد الياء آخر الحروف وفي آخره هاء وهي حى من بنى تميم يقال لهم بنو طيهة بنت عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم .. وقوله - والخشابا - بكسر الخاء المعجمة وبالشين المعجمة وبعد الألف باء موحدة وهي أيضاً قبيلة .. قال الجوهري وبنو رزام بن مالك بن حنظلة يقال لهم الخشاب ثم أنشد البيت المذكور

المفضل الوجه الذي يتضمن أن أو بمعنى بل وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لانهم وان لم يشاهدوا أو يعرفوا ما هو أشد قسوة من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح أن يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وما له عليها فضل لان قدرأ ما اذا صرف جاز أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص لان الزيادة والنقصان انما يضافان الى معلوم معروف على ان الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى بوصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على الحجارة انها قد انتهت الى حد لا تليق معه للخير على وجه من الوجوه وان كانت الحجارة ربما لانت وانتفع بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلاً وتشبيهاً وقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقسى من الحجارة لامي معنى له اذا كان القول على طريق المثل . . . وبعد فان الذي طعن به على هذا الجواب يعرض على الوجه الذي اختاره لانه اذا اختار أن أو في الآية بمعنى بل فكيف جاز بان يخبرهم بان قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة واذا جاز أن يقول لهم بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالْحِجَارَةِ التي يعرفون في القوة وهي مع ذلك تزيد عليها . . . فان قيل كيف يكون أو في الآية بمعنى الواو والواو لا جمع وليس يجوز أن تكون قلوبهم كالْحِجَارَةِ أو أشد من الحجارة في حالة واحدة لان الشيء اذا كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها . . . قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا الاعتراض بان قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالْحِجَارَةِ في حالٍ وأشد من الحجارة في حال أخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب ويكون فائدة هذا الجواب ان قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن تصور الحق والفكرة فيه ربما لانت بعض اللين وفي حال أخرى تكون في نهاية البعد عن الحق وكادت تصفى الى الحق فتكون في هذا الحال كالْحِجَارَةِ التي ربما لانت وفي حال أخرى ربما تكون في نهاية البعد عن الحق والنفور منه فتكون في هذا الحال أشد قسوة من الْحِجَارَةِ على انه يمكن في الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر وقد تقدم معناه في بعض كلامنا وهو ان قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلا بعد أن يكون فيها قسوة الحجارة لأن الفاعل اذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر انه زائد عليه في العلم

الذي اشترك فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس ههنا تناف على ما ظن المعترض ولا اثبات لصفة ونفيها فكل هذا بين بحمد الله تعالى .. [قال المرتضي] رضى الله عنه وإني لأستحسن من الشعر قول الأحموس بن محمد الأنصاري

وَمَوْلَى سَخِيفِ الرَّأْيِ رَخْوُ تَزِيدُهُ أَنَا تِي وَعَفْوِي جَهْلُهُ عِنْدَهُ ذِمًّا^(١)
وَصَلْتُ وَلَوْ عَيَّرْتُهُ لَأَصْبَتْهُ بِسَنَاءِ بَاقٍ عَارُهَا يَفْرَأُ الْعَظْمَا
طَوَى حَسَدًا ضَغْنًا عَلَى كَأَنَّمَا أَدَاوَى بِهِ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ كَلَّمَا
وَيَجْهَلُ أَحْيَانًا فَلَا يَسْتَخْفِنِي وَلَا أَجْهَلُ الْعُتْبَى إِذَا رَاجَعَ الْحِلْمَا
يَصِدُّ وَيَنَائِي فِي الرَّخَاءِ بَوْدِهِ وَيَدْعُو وَيَدْعُو نِي إِذَا خَشِيَ الرِّضْمَا
فَيُفْرِجُ عَنْهُ إِزَابَةَ الْخَصْمِ مَشْهَدِي وَأُذْفَعُ عَنْهُ عِنْدَ عَثَرَتِهِ الظُّلْمَا

— الاربعة — الدهاء والاربعة العقدة وكلا المعنيين يحتمل لفظ البيت

وَكُنْتُ أَمْرًا عَوْدَ الْفِعَالِ تَهْزِنِي مَا أَثَرُ فَجْدٍ تَالِدٍ لَمْ يَكُنْ زَعْمَا
وَكُنْتُ وَشْتَنِي فِي أَرْوَمَةِ مَا لَكَ بِسَبِي لَهُ كَالْكَلْبِ إِذْ يَنْبَحُ النُّجْمَا
وَلَسْتُ بِلَاقٍ سَيِّدًا سَادَ مَا لَكَ فَتَنْسَبُهُ إِلَّا أَبَا لِي أَوْعَمَّا
سَتَعْلَمُ إِنِّ عَادَيْتَنِي فَقَعَ قَرْقَرٍ أَمَالًا أَفَذْتَ لَا أَبَالَكَ أَوْعَدْمَا^(٢)

(١) — المولى — القريب كابن الم ونحوه والواو فيه واو رب أى رب مولى سَخِيفِ
الرأى أى ضعيفه — والاناة — الحلم والوقار .. المعنى أن اناتى وعفوى يزيدانه من
ذمى عنده

(٢) — الفقع — البياض من الكأمة وهي منصوبة على الدم — والقرقر — الأرض المطمئنة
.. وهذا مأخوذ من قولهم أذل من فقع بقرقر لانه لا يمتنع على من اجتناه ويقال بل لانه

لَقَدْ أَتَيْتِ الْيَوْمَ مِنْهَا وَجَرَ سَهَا لَا عَدَاثَنَا تُكَلَّا وَحُسَادِنَا رَغْمَا
وَكَانَتْ عُرُوقُ السُّوءِ أَوْدَتْ وَقَصَّرَتْ بِهِ أَنْ يَنَالَ الْحَمْدَ فَالْتَمَسَ الذُّمَّ

ومن مختار شعره

إِنِّي إِذَا خَفِيَ الرَّجَالُ رَأَيْتَنِي كَالشَّمْسِ لَا تَحْقِي بِكُلِّ مَكَانٍ
مَا مِنْ مُصِيبَةٍ نَسَكَبَتْ أَمْنِي بِهَا إِلَّا تَشَرَّفَنِي وَتُعَظِّمُ شَانِي
وَتَزُولُ حِينَ تَزُولُ عَنْ مُتَخَمِّطٍ تُخْشِي بَوَادِرُهُ لَدَى الْأَقْرَانِ

ومن جيد شعره

خَلِيلَانِ بَا حَا بِالْهَوَى فَنَشَاخَنَتْ أَقَارِبُهَا فِي وَصْلِهَا وَأَقَارِبُهُ
أَلَا إِنَّ أَهْوَى النَّاسِ قُرْبًا وَرُؤْيَا وَرِيحًا إِذَا مَا لِلَّيْلِ غَارَتْ كَوَاكِبُهُ
ضَجِيعٌ دَنَا مِنِّي جَذَلْتُ بِقُرْبِهِ فَبَاتَ يُمْنِنِي وَبَتُّ أَعَاتِبُهُ
وَأُخْبِرُهُ بِالسِّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَأَنْ لَيْسَ شَيْءٌ عِنْدَ نَفْسِي يَقَارِبُهُ

وقد غرَّبني وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس حيث يقول

يوطأ بالأرجل والجمع فقعة مثل جبء وجبأه ويقال حمام فقيع اذا كان أبيض ويشبه
الرجل الذليل بالفقع فيقال هو فقع فرقر لان الدواب تنجسه بأرجلها .. قال النابغة
يهجو النعمان بن المنذر

حدثوني بني الشقيقة ما يـ.....نع فقعا فرقر أن يزولا

لان الفقعة لا أصول لها ولا أغصان ويقال فلان فقعة لقاع كما يقال في مولد الأمثال
لمن كان كذلك هو كشوث الشجر لان الكشوث نبت يتعاق بأغصان الشجر من غير
أن يضرب بعرق في الأرض قال الشاعر

هو الكشوث فلا أصل ولا ورق ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

تَقُولُ وَقَدْ جَرَّدْتُهَا مِنْ ثِيَابِهَا
وَجَدَّكَ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ
فَبِتْنَا نَذُودُ الْوَحْشَ عَنَّا كَأَنَّا
إِذَا أَخَذَتْهَا هَزَّةُ الرُّوعِ أُمْسَكَتْ

وقال علي بن الجهم في وصفه شدة الالتزام

سَقَى اللَّهُ لَيْلًا ضَمَّنَا بَعْدَ هَجْمَةٍ
فَبِتْنَا جَمِيعًا لَوْ تَرَأَى زُجَاجَةٌ
وَلَعَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ فِي هَذَا الْمَعْنَى

كَأَنَّنِي عَانَقْتُ رِيحَانَةً
فَلَوْ تَرَانَا فِي قَمِيصِ الدُّجَا
تَنَفَّسْتَ فِي لَيْلِهَا الْبَارِدِ
حَسِبْتَنَا فِي جَسَدٍ وَاحِدِ

ولبشار

إِنِّي اشْتَمَيْتُ لِقَاءَكَ وَاللَّهِ فَمَاذَا عَلَيْكَ أَنْ تَلْقَانِي
قَدْ تَلَفْتُ الرِّيحَ غُصْنًا مِنَ الْبَلْبَلِ إِلَى مِثْلِهِ فَيَلْتَقِيَانِ

ومثله للبحري

وَلَمْ أُنْسَ لَيْلَتَنَا فِي الْعِنْسِ لَفَّ الصَّبَا بِقَضِيبٍ قَضِيبَا
كَمَا أَقْبَلَتْ الرِّيحُ فِي مَرِّهَا فَطَوْرًا خَفُوتَا وَطَوْرًا هُبُوبَا

ولآخر في مثل هذا بعينه ولسنا ندرى هل سبق البعري أو تأخر عنه

وَضَمُّ لَا يُنْهِنُهُ أَعْتِنَا كَمَا لَفَّ الْقَضِيبُ عَلَى الْقَضِيبِ

ولعلي بن الجهم

وَبِتْنَا عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ كَأَنَّا
خَلِيطَانِ مِنْ مَاءِ الْغَمَامَةِ وَالْخَمْرِ

وهذا وان جعله في العناق فهو مأخوذ من قول بشار

وإن نلتقي خلفَ العيونِ كأننا سلافُ عقارٍ بالنقاخِ مشوبُ

والأصل في هذا قول الأخطل والناس من بعده على أثره .

من الجارياتِ الحورِ مطلبُ سرِّها كبيضِ الأنوقِ المستكنةِ في الوكرِ

ولمَّني وإياها إذا مالقيتها لكالماءِ من صوبِ الغمامةِ والخمرِ

وقد أخذه أيضاً ابن أبي عينة فقال

ما أنسَ لا أنسَ يُمنّاها معطفةً على فوادي ويُسراها على راسي

وقولها ليتهُ ثوبا على جسدي أوليتني كنتُ مرنبالاً لعباسِ

أوليتهُ كان لي خمراً وكنتُ له من ماءِ مزنٍ فكنا الدهر في كاسِ

ومثل هذا لا بد ترى

وجذتُ نفسك من نفسي بمنزلةٍ هي المصافاةُ بين الماءِ والراحِ

ولقد أحسن بشار في قوله

لقد كان ما بيني زماناً وبينها كما كان بين المسك والغبر الورْدِ

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال

حدثني القتيبي عن أبيه قال سیر الوليد بن عبد الملك ^(١) الأُحوص الى دهلك فكتب

(١) قوله سیر الوليد بن عبد الملك الأُحوص الخ . المشهور ان الذي نفاه سليمان

ابن عبد الملك وسبب ذلك ان الأُحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل

المدينة ويتغنى في شعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس فنهي فلم ينته فشكى الى عامل

سليمان بن عبد الملك على المدينة وسأله الكتاب فيه اليه ففعل ذلك فكتب سليمان الي

عامله يأمره أن يضربه مائة سوط وبقية على البلس للناس ثم بصيره الى دهلك ففعل

ذلك به فتوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك ثم ولي عمر بن عبد العزيز فكتب

الأحوص الى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وَكَيْفَ تَرَى لَانُومِ طَعْمًا وَلَذَّةً وَخَالِكَ أَمْسَى مُوثِقًا فِي الْحَبَائِلِ
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى سَائِلًا عَنْ شِمَاتِهِ لَيْشِمْتَ بِي أَوْشًا مَتَاغِيرَ سَائِلِ
فَقَدْ عَجِمْتَ مِنِّي الْحَوَادِثُ مَا جِدَّا صَبُورًا عَلَى غَمٍّ تِلْكَ الْبَلَابِلِ
إِذَا سُرَّ لَمْ يَفْرَحْ وَلَيْسَ لِنَكْبَةٍ أَلَمْتُ بِهِ بِالْخَاشِعِ الْمُتَضَائِلِ

فبعث عمر بن عبد العزيز الى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه فقال ماترى في هذا

اليه يستأذنه في القدوم ويمدحه فأبى أن يأذن له وكتب فيما كتب اليه به
أيارا كبا إتما عرضت قبلن هديت أمير المؤمنين رسائي
وقل لأبي حفص اذا مالميته لقد كنت نقاعاً قليل الغوائل
وكيف ترى للعيش طيباً ولذة وخالك أمسى موثقاً في الحبائل

ثم ان رجلا من الأنصار كلموا فيه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فقال لهم فمن
الذى يقول

فما هو إلا أن رآها فجأة فأبته حتى ما أكاد يحجب
قالوا الأحوص والصحيح ان هذا البيت لعروة بن حزام . . قال فمن الذى يقول
أدور ولولا ان أرى أم جعفر بأبياتكم مادرت حيث أدور
وما كنت زواراً ولكن ذالهُوى اذا لم يزر لا بد أن سيزور
قالوا الأحوص . . قال فمن الذى يقول

كان لبني صبير غادية أو دمية زينت بها البيع
الله بيني وبين قيمها يفر مني بها وأنبع

قال بل الله بين قيمها وبينه . . فمن الذى يقول

سنبقى لها في مضمرة القلب والحنى سريرة حب يوم تبلى السرائر
قالوا الأحوص قال ان الفاسق عنها يومئذ لمشغول والله لا أردده ما كان لي سلطان

البانس فقال هراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولى يزيد بن عبد الملك جلب
الأحوص وسير هراكا .. [قال المرتضى] رضى الله عنه وإنما كان الأحوص خال
عمر بن عبد العزيز من جهة أن أم عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب
وأما النصارية .. فأما قوله - إذا سر لم يفرح - فأخوذ من قول لقيط بن زرار
لأمتراً إن رخاء العيش ساعده وليس إن عض مكروه به خشعاً^(١)
.. وللأحوص

وَيَبْطِنُ مَكَّةَ لَأَبُوحُ بِهِ
لَوْ أَنَّهَا إِذْ مَرَّ مَرْكَبُهَا
قُلْنَا لَهَا حَيِّتِ مِنْ شَجَنِ
وَلِرُكْبِهَا حَيِّتِ مِنْ رَكَبِ
قُرْشِيَّةٌ غَلَبَتْ عَلَى قَلْبِي
يَوْمَ الْكَدِيدِ أَطَاعَنِي صَحْبِي

(١) البيت من قصيدته المشهورة التي أُنذِر بها قومه غزو كسرى إياهم وكان لقيط
كاتباً في ديوان كسرى فلما رآه مجمعاً على غزو إياد كتب إليهم بهذا الشعر فوقع الكتاب
في يد كسرى فقطع لسان لقيط وغزا إياداً ومطلعها

يادار عمرة من محنتها الجرما
نامت فوادي بذات الجنع خرعبة
بمقلتي خاذل أدماه طاع لها
هاجت لي الهم والاحزان والوجعا
مرت تريد بذات العذبة البيعا
نبت الرياض تزجي وسطه ذُرعا

.. ومنها

وقلدوا أمرهم لله دركم
لا متراً أن رخاء العيش ساعده
لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه
مسهد النوم تغنيه أموركم
ما نفعك يحلب هذا الدهر أشطره
محق استمرت على شذر مهبرته
رحب الذراع بأمر الحرب مطلعها
ولا إذا عض مكروه به خشعاً
هم يكاد سناه يقصم الضلعا
يروم منها إلى الأعداء مطلعها
يكون متبعاً طوراً ومتبعاً
مستعكم الرأي لا حتماً ولا ضرراً

قوله - والشوق أقتله - نظير قول جرير

[تأويل آية] ٠٠ إن سأل سائل عن قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) ٠٠ فقال كيف يأمرهم تعالى بان يخبروا بما لا يعلمون وليس أقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي لا يجوز أن يكلف تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوز ٠٠ الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان ٠٠ أولهما ان ظاهر هذه الآية إن كان أمراً يقتضى التعلق بشرط وهو كونهم صادقين طمئن بانهم اذا أخبروا عن ذلك صدقوا فكأنه قال تعالى أخبروا بذلك ان علمتموه ومتى رجعوا الى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبرني بكذا وكذا ان كنت تعلمه وان كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه ٠٠ فان قيل أو ليس قد قال المفسرون في قوله تعالى (ان كنتم صادقين) ان المراد به ان كنتم تعلمون بالعلة التي من أجلها جعلت في الأرض خليفة أو ان كنتم صادقين في اعتقادكم انكم تقومون بما أنصب الخليفة له وتضطلعون به وتصلحون به ٠٠ قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضاً ما ذكرناه واذا كان القول محتملاً للأمرين جاز أن يبنى الكلام على كل واحد منهما وهذا الجواب لم يتم لمن يذهب الى ان الله تعالى لا يصح أن يأمر العبد بشرط قد علم انه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منه الفعل على هذا الوجه ومن ذهب الى جواز ذلك صح منه أن يعتمد على هذا الجواب ٠٠ فان

قيل فأى فائدة في أن يأمرهم بأن يخبروا عن ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم
 بهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به... قلنا لمن ذهب الى الأصل الذي ذكرناه أن
 يقول لا يمتنع أن يكون الغرض في ذلك هو أن يكشف باقرارهم وامتناعهم من الإخبار
 بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استثنائه بعلم الغيب وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح
 في الدين... فان قيل فمنا يرجع الى الجواب الذي تذكرونه من بعده... قلنا هو وان
 رجع الى هذا المعنى فينبغي فرق من حيث كان هذا الجواب على تسليم ان الآية
 تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لانسلم فيه ان القول أمر على
 الحقيقة فمن هنا افترقا... والوجه الثاني أن يكون الأمر وان كان ظاهره أمر فغير
 أمر على الحقيقة بل المراد به التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الأمر
 ما ليس بأمر والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان الله
 تعالى قل للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
 ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم إني أعلم ما لا تعلمون) أي
 إني مطلع من مصالحكم وما هو أنفع لكم من دينكم على ما لا تعلمون عليه ثم أراد
 التنبيه على انه لا يمتنع أن يكون غير الملائكة مع انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصى
 أولى بالاستخلاف في الأرض وان كان في ذريته من يفسد ويسفك الدماء فعلم تعالى آدم
 عليه الصلاة والسلام أسماء جميع الأجناس أو أكثرها وقيل أسماء النبي محمد صلى الله
 عليه وآله والأئمة من ولده وسلم وفيه أحاديث مروية ثم قل تعالى للملائكة أنبؤوني بأسماء
 هؤلاء مقررأ لهم ومنبهاً على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم عليه الصلاة والسلام
 بما لم يخصوا به فلما أجابوا بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى
 (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)
 منبهاً على انه تعالى هو المتفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على غير مكلف أن يسلم
 لأمره تعالى ويعلم انه لا يختار لعباده إلا ما هو أصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم
 جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى (ان كنتم صادقين) محمولا على كونهم
 صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذا

الخليفة ويكملون له ولولا ان الأمر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم واقرارهم (ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) معنى لان التكليف الأول يتغير حاله بان يخبرهم آدم عليه الصلاة والسلام بالأسماء ولا يكون قوله تعالى (إني أعلم غيب السموات) الى آخر الآية الا مطابقاً لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه تعالى قال اذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز وبان تسلّموا الأمر لمن يعلمه ويدبر أمركم بحسبه أولى . . فان قيل كيف علمت الملائكة بأن في ذرية آدم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء وما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة فكيف يجوز أن تخبر عنه بغير علم . . قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت فكأنها قالت متعرفة أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل أيضاً ان الله تعالى أخبرها بأنه سيكون من ذرية هذا المستخلف من يعصي ويفسد في الأرض فقالت على وجه التعرف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه أتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الأخير يقتضى أن يكون في أول الكلام حذف ويكون التقدير (وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) وإني عالم أن سيكون من ذريته من يفسد فيها ويسفك الدماء فاكتمى عن إيراد هذا المحذوف بقوله تعالى (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها) لان ذلك دلالة على الأول وانما حذفه اختصاراً وفي جملة جميع الكلام اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم (أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية كان في ضمن هذا الكلام فحذف على ما نظنه وما يظهر لنا من الأمر أولى بذلك لانا نطبع وغيرنا يعصى وقوله تعالى (إني أعلم ما لا تعلمون) يتضمن إني أعلم من مصالح المكلفين ما لا تعلمونه وما يكون مخالفاً لما تظنونونه على ظواهر الأمور وفي القرآن من المحذوف العجيبة والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فن ذلك قوله تعالى في قصة يوسف عليه الصلاة والسلام والناجي من صاحبيه في السجن رؤيا الملك البقر السمان والعجاف أنا أنبئكم بتأويله فارسلون يوسف أيها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فأورد محذوفه لقال أنا أنبئكم بتأويله فارسلون ففعلوا فأتى يوسف فقال له

يا يوسف أيها الصديق ومثله قوله في الأنعام (قل إني أُمِرتُ أن أكون أوَّل من
أسلم ولا تكونن من المشركين) أي وقيل لي ولا تكونن من المشركين وكذلك قوله
تعالى في قصة سليمان عليه الصلاة والسلام (وسليمان الرِّيح غدَّوها شهر ورواحها شهر)
إلى قوله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) أي وقيل لهم (اعملوا آل داود شكراً)
.. وقال جرير

وَرَدْتُمْ عَلَى قَيْسٍ بِخُورٍ مُجَاشِعٍ فَنُؤِثُّكُمْ عَلَى سَاقٍ بَطِيءٍ جُبُورُهَا

أراد فنؤثم على ساق مكسورة بطيء جبورها كأنه لما كان في قوله بطيء جبورها دليل
على الكسر اقصر عليه .. وقال عنزة

هَلْ تُبْلِغُنِي دَارَهَا شَدَنِيةً لُعِنْتَ بِمَحْرُومِ الشَّرَابِ مُصَرِّمٍ

يعنى ناقته .. ومعنى - لعنت - دعاء عليها باقطاع لبنها وجفاف ضرعها فصارت كذلك
والناقاة إذا كانت لا تنتج كان أقوى لها على السير .. قال تائب شرأ ويروي لاشنفرى
فَلَا تَدْفِنُونِي إِنْ دَفِنِي مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ خَامِرِي أُمِّ عَامِرِي^(١)

(١) - خامري أم عامر - مثل وأم عامر وأم عمرو وأم عويمر الضبيع يشبه بها
الأحمق ويروي عن علي رضي الله عنه أنه قال لا أكون مثل الضبيع تسمع الدم فتبرز
طمعاً في الحية حتى تصاد وهي كما زعموا من أحمق الدواب لانهم إذا أرادوا صيدها
رموا في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد عند ذلك ويقال
لها ابشري بجراد عظام. وكرر رجال فلا يزال يقال لها حتى يدخل عليها رجل فيربط
يديها ورجليها ثم يجرها والجراد العظام الذي ركب بعضها بعضاً كثرة وأصل العظام
سفاد السباع .. وقوله وكرر رجال بزعمون أن الضبيع إذا وجدت قتيلاً قد انتفخ جردانه
ألقت على قفاه ثم ركبته .. قال العباس بن مرداس

ولومات منهم من جرحنا لأصبحت ضباع بأعلى الرقتين مرانسا

وبعد البيت

لأنه أراد فلا تذفوني بل دعوني تأكلني التي يقال لها خامري أم عامر وهي الضبع
 .. وقال أوس بن حجر

حَتَّى إِذَا الْكِلَابُ قَالَ لَهَا كَالْيَوْمِ مَطْلُوبٌ وَلَا طَلَبًا

أراد لم أراك اليوم خذف .. وقال أبو دواد الأيادي

إِنْ مِنْ شَيْتِي لَبَذِلْ تِلَادِي دُونَ عِرْضِي فَإِنْ رَضِيتْ فَكُونِي

أراد فكوني معي على ما أنا عليه وإن سخطت فبيني خذف هذا كله .. ولا آخر

إِذَا قِيلَ سِيرُوا إِنْ لَيْلَى لَعَلْنَا جَرَى دُونَ لَيْلَى مَائِلُ الْقَرْنِ أَغْضَبَ

أراد لعلها قربت وهذا باب يتسع وهو أكثر من أن يحيط به قول .. والخذف غير

الاختصار وقوم يظنون أنهما واحد وليس كذلك لأن الخذف يتعلق بالألفاظ وهو

أن يأتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على

المحذوف فيقتصر عليه طلباً للاختصار والاختصار يرجع إلى المعاني وهو أن يأتي بلفظ

مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ فلا حذف إلا

وهو اختصار وليس كل اختصار حذفاً .. فمثال الخذف قوله - ولكن خامري أم عامر -

ونظائره مما أئشدها لأن القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاماً آخر غير أنه لما كان

فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله .. ومثال الاختصار الذي ليس بخذف قول الشاعر

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ^(١)

إذا احتملت رأسي وفي الرأس أكثرى وغودر عند الملتقى ثم سائري

هناك لأرجو حياة تسرني سجييس الليالي بسلا بالجرار

(١) قوله - قبر ابن مارية - الخ .. قال أبو عبيدة هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن

عمرو بن جفنة وقال ابن الكلبي مثل قول أبي عبيدة ثم قال وقالت كندة جهاء هي

مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة وقال القضيبي بنت ظالم

ابن وهب بن الحارث وقال ابن السكيت هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة .. والبيت من قصيدة

أراد أنهم أعزاء مقبضون بدار ملكتهم لا يتجفون كالأصراب فاختصر هذا المبسوط كله في قوله حول قبر أبيهم .. ومثله قول عدي بن زيد

عَالِمٌ بِالَّذِي يُرِيدُنِي الصَّـ -- ذَرِ عَفٌّ عَلَى حَتَاهُ نَحُورُ^(١)

وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر

وَفَتَيَانِ صَدَقِ لَا تَحْمُ لِحَامُهُمْ إِذَا شَبَّهَ النَّجْمُ الصَّوَارَ النَّوَا فِرَا

فقوله - لا تحم لحامهم - انظر مختصر لوبسط لقال أنهم لا يدخرون اللحم ولا يستبقونه فيخم بل يطعمونه الأضياف والطراق .. ومعنى قوله - إذا شبه النجم الصوار النوافرا - يعني في شدة البرد وقلب الشتاء لان الثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار متفرق وهذا أيضاً أكثر من أن يحصى وإنما فضل الكلام الفصيح بعضه على بعض لقوة حفظه من افادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة .. فأما قوله تعالى (ثم عرضهم على الملائكة) بعد ذكر الأسماء التي لا تليق بها هذه الكناية فالمراد به عرض المسميات لان الكناية لا تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات أو فيها ما يجوز أن يكفى عنه بهذه

حسان رضي الله عنه المشهورة التي مدح بها آل جفنة ومطلعها

أسألت رسم الدار أم لم تسأل	بين الجوابي فالبضيع خومل
ومنها لله در عصابة نادتهم	يوماً بمجلى في الزمان الأول
ومنها يغشون حتى ماتهم كلابهم	لا يسألون عن السواد المقبل
يسقون من ورد البريص عليهم	بردى يصفق بالرحيق السلسل
ومنها ولقد شربت الخمر في حانوتها	شم الأنوف من الطراز الأول
يسبي على بكأسها منتطف	صهباء صافية كطعم الفلفل
إن التي ناولتني فرددتها	فيعلى منها ولو لم أهل
كلناهما حلب العصير فعاطى	قتلت قتل فهاها لم تقتل
	بزجاجة أرخاها للمفصل

(١) - هكذا في الأصول التي بأيدينا ولم نقف عليه

الكنية لانها لا تستعمل إلا في العقلاء وما يجري مجراهم .. وقيل ان في قراءة أبي
ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح أن
تكون عبارة عن الأسماء .. وقد يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحداً ممن تكلم في تفسير
القرآن ولا في متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسأل عنه .. وذلك أن يقال من
أين علمت الملائكة عليها السلام لما أخبرها آدم عليه الصلاة والسلام بتلك الأسماء صحة قوله
ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من قبل اذ لو كانت عالمة لأخبرت
بالأسماء ولم تعترف بفقد العلم والكلام يقتضيه لانهم لما أنبأهم آدم عليه الصلاة والسلام
علموا صحتها ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله تعالى (ألم أقل لكم إني أعلم
غيب السموات والأرض) معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته وتمييزه واختصاصه
بما ليس لهم لان كل ذلك انما يتم مع العلم دون غيره .. الجواب انه غير ممتنع أن
تكون الملائكة عليها السلام في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه
السلام بها فعل الله لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات لها أما عن
طريق أو ابتداء بلا طريق فعلوا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحد أن يقول ان
ذلك يؤدي الى انهم علموا نبوته اضطراراً وفي هذا منافاة لطريق التكليف وذلك
انه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة ما يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعده
درجات ومراتب لا بد من الاستدلال عليها ويجري هذا مجرى أن يخبر أحداً نبياً بما
فعل على سبيل التفصيل على وجه تجري به العادة وهو وان كان عالماً بصدق خبره ضرورة
لا بد له من الاستدلال فيما بعد على نبوته لان علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته
لكنه طريق يوصل اليها على ترتيب .. ووجه آخر وهو انه لا يمتنع أن يكون للملائكة
لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته دون لغة غيره إلا أن يكون
احاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد تعالى التنبيه
على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق
مطابقة ما أخبر به من الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه الى الرجوع الى غيره وعلم مطابقتها
ذلك لباقي اللغات يخبر كل قبيل ولا شك في ان كل قبيل اذا كانوا كثيرة وخبروا بشيء

يجرى هذا الجرى علم محبة مخبرهم واذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمته من لغته وهذا الجواب يقتضى أن يكون قوله تعالى (أُنَبِّئُكَ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ) أي ليخبرني كل قبيل منكم جميع الأسماء وهذان الجوابان جميعاً مبنيان على أن آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاحاً معجزاته لأنه لو كان نبياً قبل ذلك وكانوا قد علموا بقدوم ظهور معجزاتٍ على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين معاً لأنهم يعلمون إذا كان الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا ذلك بقوله الذي قد آمنوا به فيه غير الصدق وهذا لمن تأمله بين بحمد الله . . [قال الشريف المرتضى] رضى الله عنه رأيت قوماً ممن تكلم على معاني الشعر يذكرون في بيت حسان بن ثابت

لَمْ تَفْتَحْ شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَدُومُ^(١)

ان المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنّها فكانه قال - لم تفتح شمس النهار بشيء - انها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في ذلك ان الشباب ليس يدوم لأمثالها وهذا الذي

(١) البيت من قصيدته التي قالها بعد وقعة أحد يروي انه دعا قومه ليلاً فقال

لهم خشيت أن يدركني أجلى قبل أن أصبح فلا تزوها عني ومطلعها

منع النوم بالعشاء الهدوم وخيال اذا تغور النجوم

من حبيب أصاب قلبك منه سقم فهو داخل مكتوم

يال قومي هل يقتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم

هما العطر والفراش ويه لموها لجين وحالك منظوم

لو يدب الحولي من ولد الذئ ر عليها لأندبها الكولوم

لم تفتح شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم

ان خالي خطيب جابية الجو لان عند النعمان حين يقوم

وأبي في سبيحة القائل الفا صل يوم التفت عليه الخصوم

وأنا الصقر عند باب ابن سلمي يوم نعمان في الكبول مقيم

ذكروه ليس بشيء والأشبهه والأولى أن يكون مراد حسّان ان شمس النهار لم تفتها
بشيء غير ان شبابها مما لا يدوم ولا بد من أن ياحقها الهرم الذي لا يلحق الشمس ولم
يدر أنها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يَالْقَوْمِ هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْوَمُ
شَأْنُهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَهْ لُؤْهَا لُجَيْنٌ وَلُؤْلُؤٌ مَنْظُومُ
لَوْ يَدِبُ الْحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذِّ رِ عَلَيْهَا لَأَنْدَبَتْهَا الْكَلُومُ^(١)

وهذه الأوصاف لا تليق لمن طعن في السن من النساء ولا يوصف بمنحها إلا الصبيان
والاحداث . . ومن العجائب ان هذا الاستخراج على ركاكته مسند الى الأصمعي وما
أولى من يكون نتيجة تغلغله وثمرة توصله مثل هذه الثمرة بالاضراب عن استخراج
المعاني والبحث عنها . . وما فسر أصحاب المعاني على وجهه وهو بغيره أشبه وأقله الأحوال
أن يكون محتملا للأمرين ولا يقتصر على أحدهما قول الخنساء

يَا صَخْرُ وَرَّادَ مَاءٍ قَدْ تَنَازَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارُ

وَأَبَىٰ وَوَقَدْ أَطْلَقَا لِي	حِينَ رَحْنَا وَكَلِمَهُمْ مَحْطُوم
وَرَهْنَتِ الْيَدَيْنِ عَنْهُمْ جَمِيعًا	كُلَّ كَفٍّ فِيهَا جُزْءٌ مَقْسُوم
وَسَطَتْ نَسَبَتِي الذَّوَابِ مِنْهُمْ	كُلَّ دَارٍ فِيهَا أَبٌ لِي عَظِيم
رَبِّ حِلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ الْمَا	لِ وَجْهِهِ غَطَا عَلَيْهِ النِّعَم
مَا أَبَالِي أُنَبِّ بِالْحَزَنِ تَيْسَ	أُمَّ لِحَانِي بِظَهْرِ غَيْبٍ لَثِيم
تِلْكَ أَفْعَالُنَا وَفَعْلُ الزَّيْبَرِيِّ	خَامِلٌ فِي صَدِيقِهِ مَذْمُوم
وَلِي الْبَأْسُ مِنْهُمْ إِذْ حَضَرْتُمْ	أَسْرَةً مِنْ ذُرَى قَصِي صَمِيم
تَسْعَةً تَحْمِلُ اللَّوَاءَ وَطَارَتْ	فِي رَعَاةٍ مِنَ الْقَنَا مَخْزُوم

(١) يقول لو يدب الصغير من ولد الذر على جلدها لأثر فيه وجرحه ولم يرد
بالحولي ما أتى عليه حول ولكن جعله في صغره كالحولي من ولد الحافر والخلف

لأنهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده عار ويظنون أنه متى لم يحمل على ذلك لم يكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

لَيْسَ عَلَى طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ وَمِنْ وَرَاءِ الْمَرْءِ مَا يَعْلَمُ^(١)

وليس الأمر كما ظنوه لأنه بمحتمل أن يريد أنه لا عار في ورده على ظاهر الكلام والفائدة فيه ظاهرة لأن البيت وإن تضمن ذكر ورود الماء فهو كناية عن ركوب الأمور العظيمة الصعاب التي من جعلها لإيراد الماء غلبة وقهراً فكأنها قالت أنك تورد ماء قد تناذره الناس وتركب أمراً صعباً قد نكل عنه الخلق ولك بذلك حظ الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك في ركوبه لأنه ربما فعل الإنسان فعلاً يجوز به أكثر الحظ من الشجاعة وإن لحقه بعض العار من قطيعة رحم أو نكث عهد أو ما جرى ذلك المجرى

(١) قوله - ليس على طول الحياة - الخ .. قال الأصمعي أراد ليس على فوت طول الحياة ندم .. وقوله - ومن وراء المرء ما يعلم - يقول من عمل شيئاً وجدته ووراء هنا امام من الاضداد قال الله جل ذكره (ومن وراءه عذاب غليظ) وقال الشاعر
أبرجو بن عمروان سمي وطاعق وقومى نعيم والفلاة وراثيا
أي امامي .. قال أبو عبيدة ومنه قول الله عز وجل (وكان وراءهم ملك) أي امامهم هذا قول أبي عكرمة .. وقال غيره ومن وراء المرء ما يعلم أي الهرم والكبر والضعف وكثرة العلة .. والبيت للمرقش الأكبر واسمه عوف بن سعد وهو عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد وهو من قصيدة مطلعها

هل بالديار أن نجيب صمم	لو كان رسم ناطقاً كلّم
الدار قفر والرسوم كما	رقش في ظهر الأديم قلم
ديار أسماء التي تلبت	قلبي فعينى ماؤها يسجم
أضحت خلاء نبتها نثد	نور فيها زهوها فاعتم
بل هل شجنتك الظعن باكرة	كأنهن النخل من مكهم
النشر مسك والوجوه دنا	نير وأطراف البنان غم

فكانها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري هذا مجرى قول المرقش - ليس على طول الحياة ندم - لان البيت متي لم يحمل على ان المراد به ليس على فوت طول الحياة ندم لم يند شيئاً وقد بينا فائدة قول الخلساء اذا كان المراد ما ذكرناه

﴿ مجلس آخر ٥٦ ﴾

[تأويل آية] ٥٥ . إن سأل سائل عن قوله تعالى (واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن) الآية ٥٥ . الجواب قد ذكر في هذه الآية وجوه ٥٥ أو لها أن يكون المعنى واسأل أتباع من أرسلنا قبلك من رسلنا ويجرى ذلك مجرى قولهم السخاء حاتم والشعر زهير يريدون السخاء سخاء حاتم والشعر شعر زهير وأقاموا حاتم مقام السخاء المضاف اليه وقوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله) ومثله قول الشاعر لهم **مَجْلِسٌ صَهْبُ السَّبَالِ أَذِلَّةٌ سَوَاسِيَةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا^(١)**

والمأمور بالسؤال في ظاهر الكلام النبي عليه الصلاة والسلام وهو في المعنى لانه عليه الصلاة والسلام لا يحتاج الى السؤال لكنه خوطب خطاب أمتيه كما قال تعالى (المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه) فأفرده الله تعالى بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب أمتيه فقال (اتبعوا ما أنزل اليكم) (فلا يكن في صدرك حرج) وفي موضع آخر (يا أيها النبي اتق الله) الآية فخاطبه عليه الصلاة والسلام والمعنى لأمتيه لانه بين بقوله تعالى (ان الله كان بما تعملون خبيراً) ٥٥ وقال تعالى (يا أيها النبي اذا طلقت النساء) فوحد وجمع في موضع واحد وذلك للمعنى الذي ذكرناه

(١) أي لهم أهل مجلس - وصهب - جمع أصهب أي في سباهم صبهة وهي حمرة أو شقرة في الشعر - والسبال - بالكسر جمع سبلة بالتحريك وهي الدائرة في وسط الشفة العليا أو ماعلى الشارب من الشمر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ماعلى الذقن الى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة ويقال للأعداء صهب السبال - وأذلة - جمع ذليل - وسواسية - مستنون

.. وقال الكمي

إلى السراج المنير أحمد لا تعدلني رغبة ولا رهبة
 عنه إلى غيره ولو رفع الناس إلى العيوت وارتقبوا
 لوقيل أفرطت بل قصدت ولو عفتني القائلون أو ثلبوا
 لج بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج واللجب
 أنت المصفي المحض المهدب في التشبيه إن نص قومك النسب

فظاهر الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام والمقصود به أهل بيته عليهم الصلاة والسلام
 لأن أحداً من المسلمين لا يمتنع من تفضيلة عليه الصلاة والسلام والاطناب في وصف
 فضائله ومناقبه ولا يعنف في ذلك أحد وإنما أراد الكمي وإن أكثر في أهل بيته
 وذريته عليهم الصلاة والسلام الضجاج واللجب والتقريع والتعنيف فوجه القول إليه
 عليه الصلاة والسلام والمراد غيره وبذلك وجه صحيح وهو أن المراد بموالاتهم الانحياز
 إليهم والانتفاع إلى حبهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقصود بجميع
 ذلك جاز أن يخرج الكمي الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع .. وقد قيل أن
 المراد باتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أمر بمسألتهم أهل الكتاب كعبد الله
 ابن سلام ونظرائه ولا يمتنع على هذا الجواب أن يكون هو عليه الصلاة والسلام المأمور
 بالمسئلة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب وإن لم يكن شاكاً في ذلك ولا مرتاباً به
 ويكون الوجه فيه تقرير أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهم باعترافهم أو لأن بعض
 مشركي العرب أنكروا أن تكون كتب الله المتقدمة وأنبياءه الآتون بها دعوا إلى التوحيد
 فأمر عليه الصلاة والسلام بتقرير أهل الكتاب بذلك لتزول الشبهة عن اعترضه الشبهة
 .. والجواب الثاني أن يكون السؤال متوجهاً إليه عليه الصلاة والسلام خاصة دون أمته
 والمعنى إذا لقيت النبيين في السماء فسألهم عن ذلك لأن الرواية قد وردت بأنه عليه الصلاة
 والسلام لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وأمرهم ولا يكون أمره تعالى بالسؤال لأنه كان

شاكاً لان مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح الرجعة الى الدين إما
لشيء يخصه عليه الصلاة والسلام أو يتعلق ببعض الملائكة الذين يستمعون ما يجري بينه
وبين النبيين من سؤال وجواب . . والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو ان المعنى
واسأل من أرسلنا اليه قبلك رسلاً من رسلنا يعنى أهل الكتاب وهذا الجواب وان كان
يوافق في المعنى الجواب الأول فينهما خلاف في تقدير الكلام وكيفية تأويله فلهذا صار
مفترقين وقد رد على ابن قتيبة هذا الجواب وقيل انه خطأ في الاعراب لان لفظة اليه
لا يصح اضمارها في مثل هذا الموضع لانهم لا يجوزون الذي جلست عبد الله على معنى
الذي جلست اليه عبد الله لان اليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل لا يضم فلما
كان القائل اذا قال الذي أكرمت إياه عبد الله ولم يجز أن يضم إياه لانفصاله من الفعل
كانت لفظة اليه بمنزلة وكذلك لا يجوز الذي رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه محمد
لان الاضمار انما يحسن في الهاء المتعلقة بالفعل كقولهم الذي أكلت طعامك والذي لقيت
صديقك معناهما الذي أكلته ولقيته ^(١) وقال الفراء انما حذف الهاء لدلالة الذي عليها

(١) هذا الكلام يحتاج الى تبيين لعدم إيضاح ما تضمنه والحاصل أن العائد
المنصوب يجوز حذفه ان كان متصلاً وناصبه فعل أو وصف غير صلة الألف واللام
فالفعل نحو يعلم ما يسرون وما يعلنون ويجوز في ما هنا أن تكون موصولاً حرفياً قيل
وشرط جواز حذف العائد المنصوب أن يكون متعيناً للربط كما مثل فلو كان غير متعين
لم يجوز حذفه نحو جاء الذي أكرمته في داره فان العائد أحدهما لا بعينه وفيه نظر عند
صاحب التوضيح وشرط الفعل أن يكون تاماً فلا يجوز جاء الذي كانه زيد على الأصح
ومثال الوصف قوله

ما لله موليك فضل فاحمدنه به فما لدى غيره نفع ولا ضرر

بخلاف جاء الذي إياه أكرمت لانه منفصل وحذفه يوقع في إلباسه بالمتصل ونفوت لما
قصد به من التخصيص وانما حذف منفصلاً من قوله سبحانه وتعالى (وما رزقناهم
ينفقون) والأصل رزقناهم إياه لان تقديره متصلاً يلزم منه اتحاد الضميرين المتعديين

وقال غيره في حذفها غير ذلك وكل هذا ليس مما تقدم في شيء فصح ان جواب ابن قتيبة مستضعف والمعتمد ما تقدم

آخر الجزء الثالث من كتاب أمالي السيد المرتضى . . . ويليه
الجزء الرابع وأوله تأويل خبر . . . والحمد لله أولاً وآخراً
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الرتبة في ضميري الغيبة وهو قليل وبخلاف جاء الذي انه فاضل أو كأنه أسد لان اسم
ان وكان المشددتين لا يحذف الا شذوذاً وبخلاف جاءني الضاربه زيد لان الوصف صلة
الألف واللام واسمية أل خفية والضمير اذا كان مذكوراً يدل على اسميتها نصاً فاذا
حذف فات هذا المعنى وهم بصدد التنصيص على اسميتها

اعلان

عن كتب جديدة تطلب

(من محل محمد أمين الخانجي السكبي وشركاه بالأستانة - ومصر)



كتاب [الايمان والاسلام] لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحنبلي

» [اقتضاء الصراط المستقيم] » » » »

» [شرح فقه الاكبر] لابي منصور الماتريدي مع شرحه لابي المنتهي المغنياوي

» [مواقع النجوم او مطالع أهلة الاسرار والعلوم] لشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي

» [المجموع في الفلسفة والحكمة] للفارابي مع لصوص الكلام شرح فصوص الحكم

للسيد بدر الدين النعساني

» [المجموع] للغزالي يشتمل على فيصل التفرقة : ومشكاة الانوار : ورسالة له في

التوحيد والاخلاق : ورسالة له في الوعظ : وتجريد التوحيد لآخيه أحمد الغزالي

» [تفسير غريب القرآن] المسمي بزهة القلوب لابي بكر السجستاني على شكل قاموس

» [فقه اللغة وسر العربية] للتحالي (طبعه ثاني) بقطع صغير يوضع في الجيب

» [العمدة في صناعة الشعر ونقده] لابن رشيق القيرواني جزء ٢

» [الطرف الادبي لطلاب العلوم العربية] يشتمل على فصيح ثعلب : وشرحه

لهروي : وذيل الفصيح البغدادي ، وكتاب فعلت وأفعلت للزجاج

» [مبادئ اللغة العربية] وشرح أبيات مبادئ اللغة لابن الاسكاني

» [شفاء الغليل فيما جاء في كلام العرب من الدخيل] للشهاب الخفاجي

» [نوادر الحقي والمغفلين] لبعض أدباء العصر

﴿ فهرس الجزء الثالث من أمالي السيد المرتضى ﴾

محمّده

(المجلس الواحد والاربعون)

- ٢ تأويل قوله تعالى فأين يذهبون ان هو الا ذكر للعالمين الآية
 ٣ رد قول المعتزلة في مسألة ارادته تعالى القبايح
 ٤ عود الي ذكر بعض محاسن شعر مروان بن أبي حفصة وغيره
 ٨ مفاكهة أدبية

(المجلس الثاني والاربعون الثالث)

- ١٤ تأويل قوله تعالى: أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض الآية
 ١٤ تأويل قوله تعالى: ما كانوا يستطيعون السمع الآية
 ١٦ استرواح بذكر شئ من شعر مروان بن أبي حفصة وغيره

(المجلس الثالث والاربعون)

- ٢٥ تأويل قوله تعالى: ما منعك ان لا تسجد اذ أمرتك الآية
 ٢٦ عود الي ذكر طرف من شعر مروان بن أبي حفصة أيضاً

(المجلس الرابع والاربعون)

- ٣٥ تأويل قوله تعالى: نحن أعلم ما يستمعون به الآية
 ٣٦ تأويل قوله تعالى: ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً
 ٣٧ استرواح بذكر بعض من المحاسن الشعرية

(المجلس الخامس والاربعون)

- ٤١ تأويل قوله تعالى: كل شئ هالك الا وجهه الآية
 ٥٠ تأويل قوله تعالى: انما نطمعكم لوجه الله الآية ونحوها
 ٥٥ استرواح بذكر حكاية أدبية لمحمد بن يحيى الصولي وشئ من كلام البهري
 ٥٢ مفاكهة المكتنى بالله مع الصولي في محاسن الشيب ومدحه
 ٥٣ واقعة امرئ القيس مع قيصر الروم

(المجلس السادس والاربعون)

- ٥٩ تأويل قوله تعالى: واذا سئلك عبادي عني فاني قريب الآية
 ٦١ عود الي ذكر الشيب وما تقوله العرب في ذمه

محيته

٦٣ قصة البيدق مع الرشيد

٦٣ قصة العتابي معه أيضاً

(المجلس السابع والاربعون)

٧٠ تأويل قوله تعالى: هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب الآية

٧٢ عود الى ذم الشيب والنالم من فقد الشباب

٧٧ رد على الآمدي في انتقاده كلام البحري

٧٩ ذكر بعض مبتكرات من شعر ابن الرومي

(المجلس الثامن والاربعون)

٨٠ تأويل قوله تعالى: ليس لك من الامر شيء الآية

٨٢ تأويل خبر لاتناجشوا ولا تدابروا الحديث

٨٤ ذكر ماورد في اللغة العربية من معاني العرض

٨٨ استرواح بذكر شيء من شعر قطري بن النجاة

(المجلس التاسع والاربعون)

٩١ تأويل قوله تعالى: وقالت اليهود يد الله مغلولة الآية

٩٣ تأويل خبر لعن الله السارق يسرق البيضة الحديث

٩٥ ذكر معاني البيضة في كلام العرب والاستشهاد عليها

٩٩ استرواح بذكر حكاية لطيفة للاصمعي مع الرشيد

(المجلس الخمسون)

١٠٠ تأويل قوله تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور

١٠١ منادمة الشعبي والاخلط في مجلس عبد الملك بن مروان

١٥ استطراد لذكر مربية أعشي باهلة وبلاغتها

١١٣ ذكر بعض كلام الاخلط في امتداحه لمعاوية

(المجلس الواحد والخمسون)

١٢٤ تأويل قوله تعالى: ربنا لا تزع فلوبنا بعد اذ هديتنا الآية

١١٦ استرواح بذكر قول الراعي في وصف الاثني والرماد

(المجلس الثاني والخمسون)

- ١٢٥ تأويل قوله تعالى: واذا قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة الآية
- ١٢٨ استرواح بذكر بعض كلام المتلبي وغيره
- ١٣١ ذكر طرف من محاسن شعر عمار بن عقيل وغيره
- (المجلس الثالث والخمسون)
- ١٣٤ تأويل قوله تعالى: لئن بسطت الي يدك لنتقنن الآية
- ١٣٥ شواهد اضافة المصدر الى فاعله ومنعوه
- ١٣٨ تأويل خبر لا يموت لمؤمن ثلاث من الاولاد الحديث
- ١٣٨ تشبيه العرب قلة مكث الشيء بخلعة الهمين والاستشهاد عليه بكلامهم
- (المجلس الرابع والخمسون)
- ١٤٢ تأويل قوله تعالى: ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية
- ١٤٩ استرواح بذكر ما يختار من شعر الأحرص الانصارى
- (المجلس الخامس والخمسون)
- ١٥٥ تأويل قوله تعالى: وعلم آدم الاسماء كلها الآية
- ١٥٦ تلخيص الجواب في هذا الموضوع
- ١٦١ اشكال غريب في الآية المذكورة والجواب عنه
- ١٦٢ استرواح بذكر شيء من محاسن شعر حسان وغيره
- (المجلس السادس والخمسون)
- ١٦٥ تأويل قوله تعالى: واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الآية
- ١٦٥ استظهر اد لذك ما خوطب به صلى الله عليه وسلم والمقصود به أمته

